بسم الله الرحمن الرحيم

المُنقذ من الضلال في تنزيه الرب ذي الجلال

ويليه:

توحيد الغفار والنجاة من النار

عقيدة وتوحيد

جَمْعُ وَ تَرْتِيبُ

اَلْكَاتِبُ الْإِسْلَامِيّ

عَدْنَان تَوْفِيق يَاسِين

اللغة : الشيخ منير العجوز

التحقيق : الشيخ محمد العجوز

الخطوط : رياض السيد

الرسومات : مركز الكتابات الإسلامية

ص . ب : بيروت . لبنان . الحمراء ١١٣/٥٧٤٣

Email: douroud@yahoo.com

حُقُوقُ الِاقْتِبَاسِ وَالطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ تَحْتَ رَقْمِ: "١٢٨٦" - شوال ١٤١١هـ

تَعَالَ مَعِي نُنَزِّهُ الإِلٰهَ الَّذِي لَا مَعْبُودَ سِوَاهُ

• **أَيُّهَا الإِنْسَانُ** الضَّائِعُ الْمُتَحَيِّرُ، نَدْعُوكَ إِلَى مَائِدَةِ النَّجَاةِ لِتَفُوزَ بِالْخَلَاصِ الأَبَدِيِّ.

• **أَيُّهَا الإِنْسَانُ** الْمُحِبُّ لِلسَّيِّدِ الْمَسِيحِ عليه السلام الَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ لِخَلَاصِ الْبَشَرِيَّةِ مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ، وَتَعْلِيمِهِمُ الْعَقِيدَةَ السَّلِيمَةَ وَالصَّحِيحَةَ، هَيَّا بِنَا نَتَعَرَّفُ عَلَى الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ.

• **أَيُّهَا الإِنْسَانُ** الْخَائِفُ مِنْ عَذَابِ الرَّبِّ الإِلٰهِ، الشَّدِيدِ الْعِقَابِ، أُتْرُكِ الْوَثَنِيَّةَ وَالصَّنَمِيَّةَ، وَمَا حُيِّلَ إِلَيْكَ مِنْ تَجْسِيدٍ لِمَحْبُوبِكَ الإِلٰهِ، وَنَزِّهْهُ عَنِ الشَّرِيكِ وَالْوَلَدِ، يَقْذِفُ اللهُ بِقَلْبِكَ السَّكِينَةَ وَالأَمْنَ وَالأَمَانَ.

• **أَيُّهَا الإِنْسَانُ** الَّذِي أُمُّهُ حَوَّاءُ، وَأَبُوهُ آدَمُ عليهما السلام وَجِبِلَّتُهُ مِنْ تُرَابٍ، أُتْرُكِ الأَوْهَامَ وَالْخَيَالَاتِ وَالْخُزَعْبَلَاتِ، وَتَعَرَّفْ بِهٰذَا الْكِتَابِ عَلَى صِفَاتِ رَبِّكَ لِتَسْلُكَ سَبِيلَ الرَّشَادِ.

• **أَيُّهَا الإِنْسَانُ** الضَّائِعُ الَّذِي غَرَّرَ بِكَ الشَّيْطَانُ وَاسْتَحْوَذَ عَلَى قَلْبِكَ، لَا تَسْتَسْلِمْ بِسُهُولَةٍ لَهُ، قَاوِمْ إِغْرَاءَاتِهِ بِشِدَّةٍ، وَتَمَسَّكْ بِعَقِيدَةِ أَهْلِ الْحَقِّ، الْتَجِئْ إِلَى الإِلٰهِ الرَّبِّ الْوَاحِدِ، وَارْفَعْ يَدَيْكَ إِلَى مَهْبِطِ الرَّحَمَاتِ وَقُلْ: إِلٰهِي نَجِّنِي مِنْ ظُلُمَاتِ الشِّرْكِ، وَاقْذِفْ بِقَلْبِي تَوْحِيدَكَ [illegible] قَبْلَ أَنْ أَ[illegible] عَلَى النَّارِ وَأَظْهِرْ لِيَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ حَتَّى أَتَّبِعَهُ آمِينَ.

• **أَيُّهَا الإِنْسَانُ** كُنْ مُؤْمِنًا قَوِيًّا لَا ضَعِيفًا، كُنْ ذَكِيًّا لَا أَحْمَقَ، كُنْ نَشِيطًا لَا كَسُولًا، صَاحِبَ فِكْرٍ شَاسِعٍ وَقَلْبٍ وَاسِعٍ. وَاعْلَمْ أَنْ لَا مُنَاسَبَةَ وَلَا سَبِيلَ لِلْمُقَارَنَةِ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، فَاللهُ لَا يُرَى كَمَا يَرَى

خَلْقُهُ فِي جِهَةٍ وَمَكَانٍ وَنَاحِيَةٍ وَاتِّجَاهٍ، وَلَا يُوصَفُ رَبُّنَا بِأَوْصَافِ الْبَشَرِيَّةِ وَلَا بِأَوْصَافِ الْوَثَنِيَّةِ فَكُلُّ تِلْكَ الصِّفَاتِ عَنْهُ مَنْفِيَّةٌ، وَلَا تَتَّبِعِ الْمُنْحَرِفِينَ الْقَائِلِينَ بِهَذِهِ الْكَيْفِيَّةِ.

• **أَيُّهَا الْإِنْسَانُ**، بَادِرْ بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ، وَصَحِّحْ مَا اعْوَجَّ فِيكَ مِنْ فَسَادِ الْعَقِيدَةِ، وَتَوَجَّهْ بِخُشُوعٍ مُنْحَنِيَ الرَّأْسِ إِلَى طَاعَةِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ الدَّيَّانِ، وَتَنَدَّمْ بِحُزْنٍ وَخَوْفٍ عَلَى مَا صَدَرَ مِنْكَ مِنْ وَيْلَاتِ الْإِشْرَاكِ وَزَمْهَرِيرِ الضَّلَالِ وَالْهَلَاكِ.

• **أَيُّهَا الْإِنْسَانُ**، لَا خَلَاصَ لَكَ إِلَّا بِشَهَادَةِ التَّوْحِيدِ، وَالتَّوْبَةِ بِصِدْقٍ عَمَّا كُنْتَ عَلَيْهِ مِنْ ضَلَالٍ شَدِيدٍ، وَسَلِّمْ قَلْبَكَ لِلْإِلَهِ الرَّبِّ الْعَظِيمِ، وَاطْلُبْ مِنْهُ وَحْدَهُ أَنْ يُنَجِّيَكَ، فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَتَخَلَّصْ مِنْ وَسَاوِسِ إِبْلِيسَ الضَّارَّةِ لِتَصِلَ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ سَعِيدَةٍ سَارَّةٍ.

• **أَيُّهَا الْإِنْسَانُ**، اعْلَمْ أَنَّ تَوْحِيدَ الرَّبِّ الْإِلَهِ، هُوَ الثَّمَرَةُ النُّورَانِيَّةُ الْمُنَجِّيَةُ مِنَ الْهَلَاكِ الْأَبَدِيِّ، فَالتَّوْحِيدُ يَبُثُّ الطُّمَأْنِينَةَ فِي الْقَلْبِ وَالثِّقَةَ الطَّيِّبَةَ فِي النَّفْسِ. فَيَلْقَى الْإِنْسَانُ رَبَّهُ مَسْرُورَ الْخَاطِرِ وَسَعِيدَ الْحَظِّ.

• **أَيُّهَا الْإِنْسَانُ**، إِذَا تَمَلَّكَ تَوْحِيدُ الرَّبِّ الْإِلَهِ فِي النُّفُوسِ، انْبَعَثَ النُّورُ بِالْقُلُوبِ وَتَحَقَّقَتِ الْعُبُودِيَّةُ لِلْإِلَهِ الرَّبِّ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، فَتَتَحَرَّرُ مِنْ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ، وَتَتَخَلَّصُ مِنْ أَوْثَانِ الْمُشْرِكِينَ الْمَصْنُوعَةِ بِأَيْدِيهِمْ لِلسَّيْطَرَةِ عَلَى عُقُولِ النَّاسِ.

• **أَيُّهَا الْإِنْسَانُ**، تَيَقَّنْ أَنَّ الَّذِي يَخْضَعُ لِرَبِّهِ وَيُؤْمِنُ بِهِ يَنْعَمُ بِالرَّاحَةِ الْأَبَدِيَّةِ وَالْأَمَانِ، وَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ لَا أَمْنَ لَهُ وَلَا أَمَانَ، وَلَا اسْتِقْرَارَ مَهْمَا بَلَغَ مِنْ جَاهٍ وَنَالَ مِنْ مَرَاتِبِ الدُّنْيَا وَكُنُوزِهَا وَجَوَاهِرِهَا، لِأَنَّ الْعَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ تُعَالِجُ الْأَرْوَاحَ وَتُضِيءُ الْقُلُوبَ بِالرَّحَمَاتِ، وَتُنَوِّرُ الْأَفْكَارَ وَتُجْلِي الْعَقْلَ مِنْ خُزَعْبَلَاتِ

ٱلْمُشْرِكِينَ، وَتَكْشِفُ نِفَاقَهُمْ، وَتَطْرُدُ ٱلرَّوَاسِبَ ٱلْفَاسِدَةَ لِظَلَامِ ٱلْجَهْلِ.

• **أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ**، إِعْلَمْ أَنَّهُ لَا تَصِحُّ عِبَادَةُ عَابِدٍ، وَلَا تَسْبِيحَةُ ذَاكِرٍ، وَلَا تَرْتِيلَةُ قَارِئٍ وَلَا إِحْسَانُ مُحْسِنٍ، وَلَا طُولُ وُقُوفٍ بِمِحْرَابٍ، مَهْمَا بَلَغَ مِنْ جَهْدٍ وَٱضْطِرَابٍ، إِلَّا إِذَا كَانَ مُصَاحِبًا لِلْعَقِيدَةِ ٱلصَّحِيحَةِ ٱلسَّلِيمَةِ ٱلَّتِي تَسْمُو بِصَاحِبِهَا إِلَى مَدَارِجِ ٱلرِّضَى وَٱلْفَلَاحِ.

• **أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ** ٱلْمُحْتَاجُ إِلَى ٱلرَّبِّ ٱلْإِلٰهِ، عَلَيْكَ أَنْ تَسْعَى لِحَيَاةٍ إِيمَانِيَّةٍ سَعِيدَةٍ، لِتُحْشَرَ مَعَ حَضْرَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَٱلْمَسِيحِ عليه السلام وَأُمِّهِ ٱلصِّدِّيقَةِ مَرْيَمَ عليها السلام وَٱعْمَلْ أَعْمَالَهُمْ بِٱلْعَقِيدَةِ ٱلسَّلِيمَةِ وَٱلتَّوْحِيدِ.

• **أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ**، لَا تَهْتَمَّ إِنْ آمَنْتَ بِٱلرَّبِّ لِحِرْمَانِكَ مِنْ إِرْثِكَ أَوْ طَرْدِكَ مِنْ عَائِلَتِكَ أَوْ مُضَايَقَتِكَ مِنْ جَمَاعَاتٍ مُلْحِدَةٍ بِرَبِّهَا، كُنْ مُطْمَئِنًّا أَنَّ رَبَّكَ لَا يُضَيِّعُ لَكَ أَجْرَكَ وَعَمَلَكَ فَتَنَالَ عَلَى ذَلِكَ ٱلْإِحْسَانَ ٱلْعَظِيمَ وَٱلْبَقَاءَ ٱلْأَبَدِيَّ فِي ٱلْجَنَّةِ مَعَ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَاءِ وَٱلصَّالِحِينَ.

• **أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ**، رَاجِعْ أَفْكَارَكَ بِٱلْعَقِيدَةِ، هَلْ أَنْتَ فِيمَا تَصِفُ فِيهِ رَبَّكَ مِنْ أَوْصَافٍ تُنَاسِبُ مَا قَرَأْتَهُ فِي هٰذَا ٱلْكِتَابِ مِنِ ٱعْتِقَادٍ سَلِيمٍ؟
حَاسِبْ لِسَانَكَ: هَلْ أَنْتَ فِي مَا تَلْفِظُهُ مِنْ أَقْوَالٍ تَلِيقُ فِي حَقِّ ٱلرَّبِّ ٱلْإِلٰهِ؟
أَسْرِعْ إِلَى مُرَاجَعَةِ حِسَابَاتِكَ قَبْلَ دُخُولِكَ ظُلُمَاتِ ٱلْقَبْرِ حَيْثُ لَا يُنَجِّيكَ هُنَاكَ مِنْ نَارِ سَخَطِ عَذَابِ رَبِّكَ إِلَّا عَقِيدَتُكَ ٱلسَّلِيمَةُ وَعَمَلُكَ ٱلصَّالِحُ.

• **أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ**، إِعْلَمْ أَنَّ إِبْلِيسَ يَسْعَى بِكُلِّ قِوَاهُ لِجَلْبِ ٱبْنِ آدَمَ إِلَى حَظِيرَتِهِ ٱلضَّلَالِيَّةِ كَيْدًا مِنْهُ وَحَسَدًا لِأَبِينَا آدَمَ عليه السلام فَبَثَّ عَقَائِدَهُ ٱلضَّالَّةَ وَأَدْخَلَهَا فِي هَوَاجِسِ ٱلْبَشَرِيَّةِ، وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أُمُورًا فَانِيَةً لِإِيقَاعِهِمْ فِي فُخُوخِهِ ٱلْفَاسِدَةِ، فَلَنْ تَكُونَ مُحِبًّا وَمَحْبُوبًا عِنْدَ ٱلْإِلٰهِ ٱلرَّبِّ وَأَنْتَ بِعَقِيدَةٍ فَاسِدَةٍ.

إِذَا كُنْتَ تَرْغَبُ بِأَنْ تَصِلَ لِمَقَامِ ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ فَعَلَيْكَ ٱتِّبَاعُ مَا شَرَحْنَاهُ فِي هٰذَا ٱلْكِتَابِ.

إِهْـــدَاءُ ٱلْكِتَابِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ، وَٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ بُعِثَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ. أَمَّا بَعْدُ، فَأُهْدِي كِتَابِي هَذَا إِلَىٰ ٱلَّذِي أَشْرَقَ وَجْهُهُ بِنُورِ تَوْحِيدِ ٱللَّهِ، وَٱرْتَسَمَ عَلَىٰ جَبِينِهِ بَوَارِقُ تَنْزِيهِ مَوْلَاهُ، وَٱسْتَضَاءَ قَلْبُهُ بِشُعَاعِ ٱلتَّفْرِيدِ وَٱلْإِيمَانِ، سَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَقُرَّةَ عَيْنِي وَحَبِيبَ قَلْبِي، حَضْرَةَ ٱلرَّسُولِ ٱلْأَعْظَمِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ ٱللَّهِ، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَمِنْ جَنَابِهِ ٱلشَّرِيفِ إِلَىٰ ٱلَّذِي كَانَتْ قِصَّةُ حَيَاتِهِ حَافِزًا لِتَمَسُّكِ ٱلنَّاسِ بِقَوَاعِدِ ٱلتَّوْحِيدِ ٱلْأَسْمَىٰ، وَٱلْخَوْضِ بِمَعْرِفَةِ صِفَاتِ ٱلْخَالِقِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْأَحَدِ، بِأُسْلُوبٍ يَلِيقُ بِجَلَالِ ٱللَّهِ وَعَظَمَتِهِ سُبْحَانَهُ، حَضْرَةَ ٱلرَّسُولِ عِيسَىٰ ٱلْمَسِيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ٱلَّذِي وَصَفَهُ ٱلْمُفْتَرُونَ بِٱلْوَلَدِ ٱلرَّبَّانِيِّ وَٱلْإِلَهِ ٱلْإِنْسَانِيِّ، وَنَسَبُوا إِلَىٰ جَنَابِهِ أَفْظَعَ ٱلضَّلَالَاتِ وَأَقْبَحَ ٱلِٱفْتِرَاءَاتِ ٱلْمُنَافِيَةِ لِتَعَالِيمِ جَمِيعِ ٱلْمُرْسَلِينَ.

كَمَا أَتَشَرَّفُ وَأَسْعَدُ بِإِهْدَاءِ هَذَا ٱلْكِتَابِ بِكُلِّ فَخْرٍ وَٱعْتِزَازٍ إِلَىٰ أُسْتَاذِي ٱلْمُرَبِّي ٱلْكَبِيرِ، فَضِيلَةِ ٱلشَّيْخِ مُحَمَّدْ عُثْمَانَ سِرَاجِ ٱلدِّينِ ٱلثَّانِي، مُتَوَجِّهًا ذَٰلِكَ بِشُكْرِي ٱلْعَمِيقِ لِمَا قَدَّمَهُ لِي مِنْ تَرْبِيَةٍ رُوحِيَّةٍ وَأَذْعِيَةٍ قَلْبِيَّةٍ، وَتَعَالِيمَ شَرْعِيَّةٍ سَامِيَةٍ وَسُلُوكٍ فِي مَدَارِجِ وَبِحَارِ فُنُونِ عُلُومِ ٱلتَّوْحِيدِ، لِلْوُصُولِ إِلَىٰ شَاطِئِ ٱلْأَمَانِ، وَتَنْزِيهِ ٱلرَّحْمَٰنِ بِسُلُوكِ طُرُقِ أَهْلِ ٱلْعِرْفَانِ.

وَلَا أَنْسَىٰ فَضْلَ مَنِ ٱسْتَعَنَّا بِكُتُبِهِمُ ٱلْجَلِيلَةِ ٱلنَّيِّرَةِ، أَسْيَادِي وَأَحْبَابِ قَلْبِي مَصَابِيحِ ٱلْهُدَىٰ وَكَوَاكِبِ ٱلتَّشْرِيعِ، وَأَخُصُّ مِنْهُمُ ٱلسَّادَةَ ٱلْأَئِمَّةَ ٱلْأَرْبَعَةَ أَسْيَادَنَا ٱلْإِمَامَ أَبَا حَنِيفَةَ، وَٱلْإِمَامَ مَالِكًا، وَٱلْإِمَامَ ٱلشَّافِعِيَّ، وَٱلْإِمَامَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَنَفَعَنَا بِبَرَكَاتِهِمْ، آمِينَ.

فَهَنِيئًا لِمَنْ تَبَحَّرَ فِي هَٰذَا ٱلْكِتَابِ وَٱطَّلَعَ مِنْهُ عَلَىٰ حَقَائِقِ ٱلتَّوْحِيدِ ٱلْمُؤَدِّيَةِ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ ٱلْإِلَهِ ٱلْمَعْبُودِ، لِيُصْبِحَ عَلَىٰ يَقِينٍ مِنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَيُتَوِّجَ عَقِيدَتَهُ بِٱلسُّلُوكِ عَلَىٰ نَهْجِ ٱلشَّرْعِ ٱلْحَنِيفِ لِيَفُوزَ بِٱلْأَمْنِ وَٱلْأَمَانِ وَيَنْجُوَ يَوْمَ ٱلْخَلَاصِ ٱلْحَقِيقِيِّ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ.

ٱلْكَاتِبُ ٱلْإِسْلَامِيُّ: عَدْنَان تَوْفِيق يَاسِين.

رَأْيٌ فِي الْكِتَابِ لِصَاحِبِ الْأَدَبِ الرَّفِيعِ
فَضِيلَةِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ الزَّيْنِ، قَاضِي صَيْدَا وَالْجَنُوبِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى قُرَّةِ عَيْنِ آلِ الْبَيْتِ الْكِرَامِ، وَلُؤْلُؤَةِ قُلُوبِ حَضَرَاتِ الصَّحَابَةِ الْعِظَامِ، سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا، خَيْرِ الْأَنَامِ وَمِصْبَاحِ الظَّلَامِ، حَضْرَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أَمَّا بَعْدُ، فَبِكُلِّ فَخْرٍ وَاعْتِزَازٍ بِشَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ الْحَنِيفِ، نَشْكُرُ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ مِنْ أَعْمَاقِ قُلُوبِنَا أَنْ جَعَلَ لِعِبَادِهِ الْمُخْلِصِينَ قُلُوبًا وَاعِيَةً يَقِظَةً، وَأَرْوَاحًا مُجَاهِدَةً سَارِحَةً فِي نَشْرِ أَحْكَامِ دِينِهِ، وَعُيُونًا يَمْلَؤُهَا نُورُ الْإِيمَانِ وَالْخُشُوعُ، سَاهِرَةً تَتَرَصَّدُ الْإِلْحَادَ وَأَهْلَهُ، وَتَرْدَعُ الضَّلَالَ بِأَشْكَالِهِ خُصُوصًا فِي هَذَا الزَّمَانِ الَّذِي مُلِئَ بِالتَّيَّارَاتِ الْإِلْحَادِيَّةِ، وَغُذِّيَ بِالْأَفْكَارِ الشَّيْطَانِيَّةِ، وَفَشَا فِيهِ الِانْحِلَالُ الْعَقَائِدِيُّ. وَقَدْ أَمَدَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَؤُلَاءِ الرِّجَالَ بِقُوَّةٍ مِنْ عِنْدِهِ لِنُصْرَةِ دِينِهِ وَرَفْعِ رَايَةِ شَرْعِهِ الْحَنِيفِ، فَهُمْ مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ اللَّهِ الْمَتِينِ، لَا يَمِيلُونَ عَنْهُ وَلَا يَزِيغُونَ مَهْمَا زَخْرَفَ لَهُمُ الْمُفْتُونَ الْأَقْوَالَ، وَمَهْمَا تَوَعَّدَهُمُ الْمُتَوَعِّدُونَ، وَمَهْمَا حَارَبَهُمُ الْحَاسِدُونَ بِقَصْدِ إِطْفَاءِ نُورِ الْحَقِّ وَصَرْفِ النَّاسِ عَنِ الدِّينِ الْحَنِيفِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ تَخَذَّوْا مِنْ أَسْرَارِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ ـ الأحزاب ٢٣ـ فَأَقْلَامُ أَهْلِ الصِّدْقِ مَلِيئَةٌ مِنْ دَمِ حِبْرِ الشَّهَادَةِ، لَا يَهْتَمُّونَ لِتَهْدِيدِ الطَّامِعِينَ، وَلَا يَخَافُونَ إِلَّا اللَّهَ، وَلَا يَزْدَادُونَ مِنْ تَهْدِيدِ الْمُهَدِّدِينَ، وَفِتَنِ الْفَاتِنِينَ إِلَّا خُشُوعًا، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ رَوَوْا مِنْ بَرَكَاتِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ آل عمران ـ ١٧٣

هٰذا ونسأل الله تعالى أن يكون كلُّ من عمل في هٰذا الكتاب مأجورًا على ما قدَّمه من خدمة دينيَّة في حثِّ الناس على اعتناق العقيدة السنيَّة، والتمسُّك بكتاب الله وسنَّة خير البريَّة ﷺ.

ولا بدَّ لكلِّ من يغار على دين الله أن يعمل بكلِّ جدٍّ وإخلاص في مواجهة ومكافحة الانحلال العقائدي...

ومن خلال هٰذا الجهد الإسلامي من مركز الكتابات الإسلاميَّة في إصدار كتاب في العقيدة الإسلاميَّة، يتناسب مع جميع المستويات الفكريَّة والثقافيَّة، بأسلوبه السهل المبسَّط، نرى ضرورة الالتزام بما ورد عن الرسول الأكرم، سيدنا ومولانا محمد ﷺ، والاقتداء بآل بيته الأطهار، واتباع صحابته الأبرار الذين نشروا العقيدة والدين على التمام والأخذ بما صحَّ عن حضرات العلماء الأفاضل الأعلام، والسعي لأن تكون جميع الأقوال والآراء مستندة إلى الحكم الشرعي والمرجع الفقهي الصحيح، بعيدًا عن الآراء الشخصيَّة والمآرب النفسيَّة الذاتيَّة.

فنتمنَّى من الله تعالى أن يمدَّهم ببحر علوم شرعه، ويزيدهم من أمطار فيوضات عطائه، ليبقوا سدًّا منيعًا بوجه الطغاة والملاحدة، وليتمكَّنوا من ترويج النصائح والعقائد النورانيَّة، وتيسير الأحكام الربَّانيَّة المريحة للقلوب، والمنعشة للأرواح، والمغذية للأفكار.

ونشكرهم على ما بذلوا من جهد عظيم في تقديم هٰذا الكتاب الرائع في مجال علوم التوحيد، الذي أسموه: «المنقذ من الضلال في تنزيه الربِّ ذي الجلال»، فأغنوا به مكتبة التوحيد، جزاهم الله عنَّا وعن جميع المسلمين كلَّ خير، وصلَّى الله على النبيِّ العربيِّ المختار، وآله بيته وأصحابه الأخيار، وأزواجه أمَّهات المؤمنين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

قاضي صيدا والجنوب: الشيخ أحمد الزين

سَبَبُ طَبْعِ الْكِتَابِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَآلِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. وَبَعْدُ

فَلَقَدْ أَمْسَى النَّاسُ فِي هَذَا الزَّمَانِ بِأَمَسِّ الْحَاجَةِ إِلَى خَلِيفَةٍ صَالِحٍ يُعَاقِبُ الْمُسِيءَ وَيُجَازِي الْمُحْسِنَ، وَيُرْشِدُ الضَّائِعَ وَيَرْدَعُ الْمُضِلَّ وَيُفَرِّقُ السَّوَادَ مِنَ الْبَيَاضِ، وَالْكُحْلَ مِنَ الرَّمَادِ. فَقَدْ مَلَأَ الْهَذَيَانُ وَالْهَرَيَانُ بَعْضَ الْمُجْتَمَعَاتِ، وَخَصَّصَ بَعْضُ مَنِ امْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ بِالْحَسَدِ وَالضَّغِينَةِ نَدَوَاتِهِمْ وَمُحَاضَرَاتِهِمْ لِلِافْتِرَاءِ عَلَى أَهْلِ الدِّينِ وَالصَّلَاحِ، فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ. وَقَدْ نَجَحُوا فِي زَرْعِ التَّخَاصُمِ وَالتَّبَاغُضِ وَالتَّنَازُعِ وَالْفِتَنِ بَيْنَ الْعَائِلَاتِ وَالْأَهْلِ وَالرُّفَقَاءِ وَالْأَحْبَابِ. فَمِنْهُمْ مَنْ أَسْرَعَ بِالْقَصْفِ بِرَاجِمَاتِ التَّخَاصُمِ وَصَوَارِيخِ النِّزَاعِ، وَمِنْهُمْ مَنْ هَدَّدَ بِأَلْغَامِ الِانْتِقَامِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَوْقَدَ نَارَ التَّشْهِيرِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ. وَكَأَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ أَصْبَحَتْ عِنْدَهُمْ مِنَ الْمَوَادِّ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي يُفْرَضُ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ تَعَلُّمُهَا وَالْقِيَامُ بِهَا. إِنَّ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ قَدْ شَغَلُوا السَّاحَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ بِالتَّنَافُرِ وَالْجِدَالِ وَالْقِيلِ وَالْقَالِ، بِحَيْثُ أَصْبَحَ الضَّعِيفُ لُقْمَةً سَائِغَةً فِي فَمِ الْقَوِيِّ. فَأَيْنَ حُمَاةُ الدِّينِ وَحُرَّاسُ الْعَقِيدَةِ، وَأَهْلُ الْغَيْرَةِ عَلَى سُلُوكِ مِنْهَاجِ الشَّرِيعَةِ؟ وَمَنْ يَنْصُرُ الْمُؤْمِنَ فِي زَمَنٍ امْتَلَأَتْ فِيهِ الذِّئَابُ، وَكَثُرَ فِيهِ أَكَلَةُ لُحُومِ الْعِبَادِ؟ وَقَدِ انْتَشَرَتْ فِيهِ الْأَشْرَارُ فِي كُلِّ مَحَلَّةٍ وَدَارٍ، يَنْشُرُونَ كُتُبَهُمُ الْمَلْوَثَةَ بِالتَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ وَالتَّجْسِيدِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، مُخَالِفِينَ بِهَا مَا قَرَّرَهُ عُلَمَاءُ الْأَئِمَّةِ، وَفُقَهَاءُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، فَمَلَأَ ظَلَامُ تِلْكَ الْجَرَائِمِ الْمَسَاكِنَ وَالْمَدَارِسَ وَزَعْزَعَتْ عَقَائِدَ الْعِبَادِ، وَفَرَّقَتْ بَيْنَ الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ، وَتَمَسَّكَ كُلٌّ بِرَأْيِهِ وَرَاحَ يُفْتِي بِمَا تَشْتَهِيهِ النُّفُوسُ الرَّاغِبَةُ بِالْمَعَاصِي وَإِشْبَاعِ الشَّهَوَاتِ دُونَ الرُّجُوعِ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَلِذَلِكَ قَامَ مَرْكَزُ الْكِتَابَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، بِشَخْصٍ

مُؤَسِّسِهِ، وَبِعَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوْفِيقِهِ وَإِمْدَادِهِ سُبْحَانَهُ بِتَدْبِيجِ هَذَا الْكِتَابِ، بُغْيَةَ نَشْرِ التَّوْعِيَةِ الصَّحِيحَةِ الصَّادِقَةِ بَيْنَ صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ وَضَعَ فِيهِ الْأَجْوِبَةَ الْمُضَادَّةَ لِحَشَرَاتِ الْإِلْحَادِ، وَحَشَدَ فِيهِ مَا صَحَّ سَنَدُهُ عَنِ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ، وَجَعَلَهُ فِي وَجْهِ فِرَقِ الزَّنْدَقَةِ الْمُلَوَّثَةِ بِجُرْثُومَةِ الْوَثَنِيَّةِ وَبِسُمُومِ الْإِشْرَاكِ الَّتِي تَسْعَى جَاهِدَةً لِتَقْدِيمِ آفَاتِهَا السَّوْدَاءِ عَلَى مَائِدَةِ الشَّهَوَاتِ أَمَامَ طُلَّابِنَا وَأَوْلَادِنَا فِي الْمَدَارِسِ، مُغَشَّاةً بِأَلْوَانٍ بَرَّاقَةٍ مِنَ الْخِدَاعِ وَالتَّضْلِيلِ، مُزَخْرَفَةً بِأَنْوَاعِ النِّفَاقِ، مُتَسَتِّرَةً بِسِتَارِ الْمَوَدَّةِ تَارَةً، مُتَخَفِّيَةً بِرَايَةِ الْإِسْلَامِ تَارَةً أُخْرَى.

فَهَذَا الْكِتَابُ بِمَوْضُوعِهِ وَأُسْلُوبِهِ خَانِقٌ لِأَنْفَاسِهِمُ الْخَبِيثَةِ اللَّاهِثَةِ وَرَاءَ الْفِتْنَةِ، يُزِيلُ بُذُورَ الشَّكِّ وَالْوَسْوَسَةِ مِنْ نُفُوسِ الْمُسْلِمِينَ وَيُلْجِمُ عُنْفُوَانَ التَّخَاصُمِ بِحَلَقَاتٍ مِنْ حَدِيدِ التَّقْوَى، وَيَدْحَضُ تُرَّهَاتِ أَهْلِ الْفِتْنَةِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ، وَيَكْشِفُ عَنْ قِنَاعِ مَكْرِهِمْ، وَيُطْفِئُ الْمَوَادَّ الْحَارِقَةَ الَّتِي أَرَادُوهَا أَنْ تَحْرِقَ الْأَخْضَرَ الْيَانِعَ مِنْ بَرَاعِمِ دَوْحَةِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ.

هَذَا الْكِتَابُ، فِي مَعَانِيهِ وَدَلَائِلِهِ الْمُسْتَقَاةِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ وَأَقْوَالِ حَضَرَاتِ الْعُلَمَاءِ الْأَفَاضِلِ، يَرُدُّ التَّائِهَ إِلَى الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ، وَيُضِيءُ شَوَارِعَ أَفْكَارِهِ الْمُظْلِمَةِ، وَيَكْشِفُ مَا اسْتَبَهَ وَاسْتَعْصَى فَهْمُهُ عَلَيْهِ لِيُرْشِدَهُ إِلَى زُمُرُّدِ التَّنْزِيهِ، وَيَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِشْرَاكِ سَدًّا مَنِيعًا يَحْمِيهِ مِنْ أَوْحَالِ الضَّلَالِ وَبَرَاثِنِ الْوَثَنِيَّةِ الْجَارِحَةِ لِصَمِيمِ الْقَلْبِ. فَهُوَ يَسْتَأْصِلُ جُذُورَ الْإِلْحَادِ مِنْ أَسَاسِهَا، وَيُوقِظُ الْغَافِلِينَ الْمُنْشَغِلِينَ عَنِ اللَّهِ الْمُنْكَبِّينَ بِجَمِيعِ جَوَارِحِهِمْ عَلَى مَلَذَّاتِ الدُّنْيَا بِكَلِمَاتٍ رَقِيقَةٍ، رَفِيعَةٍ فِي مَعَانِيهَا، قَوِيَّةٍ فِي دَلَالَاتِهَا، تُصَحِّحُ مَا اعْوَجَّ مِنْ أَفْكَارِهِمْ، وَتَرُدُّهُمْ

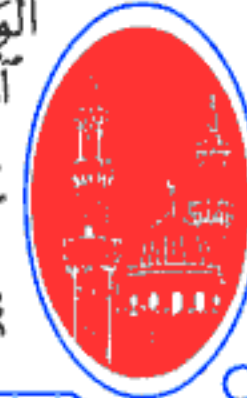

إِلَىٰ نَهْجِ حَقِيقَةِ ٱلتَّوْحِيدِ، وَٱلَّتِي لَا تَشْوِيشَ فِي بَثِّ شُعَاعِهَا ٱلْأَنْوَرِ، وَلَا شُعُوبِيَّةَ فِي مِنْهَاجِهَا ٱلْأَزْهَرِ.

هَٰذَا ٱلْكِتَابُ مُرَتَّبٌ لِيَعْرِضَ جَوَاهِرَ ٱلتَّوْحِيدِ ٱلْفَرِيدَةَ فِي نَوْعِهَا لِيَسْتَفِيدَ مِنْ كُنُوزِهَا ٱلْأُسْتَاذُ وَٱلطَّالِبُ وَٱلتَّاجِرُ وَٱلْعَامِلُ. فَهُوَ يُسَاعِدُ عَلَىٰ تَعْلِيمِ ٱلَّذِينَ يَصْعُبُ عَلَيْهِمُ ٱلتَّفَرُّغُ لِلْخَوْضِ فِي بُحُورِ عِلْمِ ٱلتَّوْحِيدِ، وَفَهْمِ أَمْوَاجِهِ ٱلنَّيِّرَةِ وَٱلتَّدْقِيقِ فِي أَسْرَارِ فَنِّهِ، وَلُؤْلُؤِ فَهْمِهِ، وَذَٰلِكَ لِكَثْرَةِ مَشَاغِلِ وَهُمُومِ هَٰذَا ٱلزَّمَنِ ٱلْمَلْؤُ بِٱلْغَفَلَاتِ وَٱلظُّلُمَاتِ ٱلَّتِي سَدَّتْ عَلَى ٱلنَّاسِ مَنَافِذَ حِفْظِ ٱلْعُلُومِ وَفَهْمِهَا وَأَغْلَقَتْ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ ٱلْكَسْبِ فِي ٱلْعِبَادَاتِ. فَقَدِ ٱجْتَمَعْنَا عَلَىٰ إِخْرَاجِهِ بِصُورَتِهِ ٱلرَّاهِنَةِ، مُتَوَكِّلِينَ عَلَىٰ ٱللَّهِ، مَعَ نُخْبَةٍ مِنَ ٱلْمُحَقِّقِينَ وَأَصْحَابِ ٱلْفَهْمِ ٱلسَّلِيمِ، بِحَيْثُ وَضَعْنَا جَوَابًا لِكُلِّ سُؤَالٍ، وَشَرْحًا لِكُلِّ مَسْأَلَةٍ، وَٱعْتَمَدْنَا سُهُولَةَ ٱلتَّعْبِيرِ حَتَّىٰ يَصِيرَ ٱلْكِتَابُ سَائِغًا فِي سَاحَةِ ٱلْمُتَعَطِّشِينَ لِشَرْعِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ، وَلِيَتَيَسَّرَ لَهُمُ ٱلْغَوْصُ عَلَىٰ دُرَرِ ٱلْأَحْكَامِ، فَيُسْرِعُوا بِٱلْعُبُورِ إِلَىٰ سَاحَاتِ ٱلْفَهْمِ ٱلصَّحِيحِ عَلَى ٱلتَّمَامِ.

فَمَنْ قَرَأَهُ وَعَلَّمَهُ لِأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ قَاصِدًا رِضَاءَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ، يُصْبِحُ صَاحِبَ رَوْضَةٍ مِنَ ٱلْعِرْفَانِ، تُسْقَىٰ بِرِضَاءِ ٱلرَّحْمَٰنِ، وَيَفُوزُ بِبُسْتَانِ ٱلسَّعَادَةِ لِنَشْرِهِ عُلُومَ ٱلتَّوْحِيدِ بِأُسْلُوبِ ٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ. قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ التوبة: ١٠٥

وَعَنِ ٱلصَّحَابِيِّ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ حَضْرَةَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿ إِذَا مَاتَ ٱلْإِنْسَانُ ٱنْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ﴾

- رواه الامام البيهقي، السنن الكبرى، ٦/ ٢٧٨ -

تَوْحِيدُ الْإِلَهِ وَلَا مَعْبُودَ سِوَاهُ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَظِيمِ شَأْنُهُ، الْقَوِيِّ سُلْطَانُهُ، الظَّاهِرِ فِي كَمَالَاتِ بَوَاهِرِ إِحْسَانِهِ، الْمُفْضِلِ عَلَى الْقُلُوبِ بِتَوْحِيدِ تَفْرِيدِ بُرْهَانِهِ. سُبْحَانَهُ لَا يُصَوِّرُهُ وَهْمٌ وَلَا خَيَالٌ مُنْفَرِدٌ بِعَظَمَةِ الْجَلَالِ وَالْكَمَالِ، وَلَا يَلْحَقُهُ عَدَمٌ وَلَا فَنَاءٌ فِي الْآبَادِ وَالْآزَالِ وَلَا يَحْصُرُهُ حَدٌّ وَوَقْتٌ وَزَمَنٌ وَمِثَالٌ. نَطَقَتِ الْكَائِنَاتُ أَنَّهُ الْمُبْدِعُ الصَّانِعُ، وَظَهَرَ فَضْلُهُ فِي الْوُجُودِ أَنَّهُ الْمُعْطِي الْمَانِعُ، وَذَلِكَ صُنْعُهُ فِينَا عَلَى أَنَّهُ الْخَالِقُ لِلْأَبْصَارِ وَالْمَسَامِعِ. فَمَهْمَا تَحَدَّثَ عَنْهُ اللِّسَانُ بِفَصِيحِ الْبَيَانِ، فَإِنَّ الْعَقْلَ يَنْطِقُ بِالْعَجْزِ وَالنُّقْصَانِ. يُكْرِمُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ، وَيَتْرُكُ الْكُفَّارَ فِي حِرْمَانٍ فَسُبْحَانَ مَنْ عَزَّتْ مَعْرِفَتُهُ لَوْلَا تَعْرِيفُهُ، وَأَنْكَرَ الْمُؤْمِنُ تَحْدِيدَهُ وَتَكْيِيفَهُ، وَمَنْ حَاوَلَ الْغَوْصَ وَادَّعَى بِذَلِكَ حَالًا، تَتَقَطَّعُ أَنْفَاسُهُ هَيْبَةً وَإِجْلَالًا، فَيَعُودُ بَصَرُهُ عَلَيْهِ كَلِيلًا، وَالْعَقْلُ عَلِيلًا، وَلَمْ يَنْهَجْ إِلَى عَظَمَةِ كُنْهِهِ سَبِيلًا.

وَنَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي أَلْبَسَ عُلَمَاءَ التَّوْحِيدِ مَلَابِسَ الْعِرْفَانِ، وَخَصَّهُمْ مِنْ بَيْنِ عِبَادِهِ بِخَصَائِصِ الْفَيْضِ وَالْإِحْسَانِ، فَأَصْبَحَتْ عُقُولُهُمْ لِدِينِهِ وَشَرِيعَتِهِ حُرَّاسًا، وَصَارَتْ نُفُوسُهُمْ لِسُنَّةِ نَبِيِّهِ نِبْرَاسًا، وَأَضْحَوْا فِي مَيْدَانِ الْحُبِّ تَحْتَ رَحْمَتِهِ جُلَّاسًا، وَامْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ بِالْإِشَارَاتِ الْقُدْسِيَّةِ، وَانْعَكَسَتْ عَلَيْهِمْ مَحَبَّةُ رَبِّهِمُ الْعَلِيَّةُ، وَأَصْبَحُوا مَدَدًا لِشَرِيعَتِهِ مِنَ الْأَمْدَادِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَأَظْهَرُوا عُلُومَ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ لِلْبَشَرِيَّةِ وَاسْتَحْقَرُوا الدُّنْيَا وَعَوَالِقَ مَلَذَّاتِهَا الدَّنِيَّةِ، وَصَارَتْ نُفُوسُهُمْ فِي مَنَازِلِ الْخِدْمَةِ سَيَّارَةً، وَأَرْوَاحُهُمْ فِي فَضَاءِ الْقُرْبِ طَيَّارَةً، وَأَعْمَالُهُمْ فِي الْعُبُودِيَّةِ مَشْهُورَةً، وَأَعْلَامُهُمْ فِي أَقْطَارِ الدُّنْيَا مَنْشُورَةً، وَمَنِ ادَّعَى الْعِلْمَ فَلْيَعْمَلْ عَلَى مِثْلِ تِلْكَ الصُّورَةِ. فَنَشْكُرُ أَسْيَادَنَا حَضَرَاتِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَنَعْتَرِفُ لَهُمْ بِفَضْلِهِمْ

عَلَى ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَاءِ، فَجَزَاهُمُ ٱللَّهُ عَنَّا عَدَدَ نُجُومِ ٱلسَّمَاءِ.
وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلْمُبْدِئِ ٱلْمُعِيدِ، ٱلْفَعَّالِ لِمَا يُرِيدُ، ذِي ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدِ وَٱلْبَطْشِ ٱلشَّدِيدِ، ٱلْهَادِي صَفْوَةَ ٱلْعَبِيدِ إِلَى ٱلْمَنْهَجِ ٱلرَّشِيدِ وَٱلْمَسْلَكِ ٱلسَّدِيدِ، ٱلْمُنْعِمِ عَلَيْهِمْ بَعْدَ شَهَادَةِ ٱلتَّوْحِيدِ، بِحِرَاسَةِ عَقَائِدِهِمْ عَنْ ظُلُمَاتِ ٱلتَّشْكِيكِ وَٱلتَّرْدِيدِ، ٱلسَّالِكِ بِهِمْ إِلَى ٱتِّبَاعِ رَسُولِهِ ٱلْمُصْطَفَى ﷺ وَٱقْتِفَاءِ آثَارِ صَحْبِهِ وَآلِ بَيْتِهِ ٱلْأَكْرَمِينَ بِٱلتَّأْيِيدِ وَٱلتَّسْدِيدِ، ٱلْمُتَجَلِّي لَهُمْ فِي رَحَمَاتِهِ وَفُيُوضَاتِهِ ٱلَّتِي لَا يُدْرِكُهَا إِلَّا مَنْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ. وَسُبْحَانَ ٱلَّذِي تَقَدَّسَتْ عَنِ ٱلْأَشْبَاهِ ذَاتُهُ، وَتَنَزَّهَتْ عَنْ مُشَابَهَةِ ٱلْأَمْثَالِ صِفَاتُهُ، وَاحِدٌ لَا مِنْ قِلَّةٍ، مَوْجُودٌ لَا مِنْ عِلَّةٍ، بِٱلْبِرِّ مَعْرُوفٌ، وَبِٱلْإِحْسَانِ مَوْصُوفٌ؛ مَعْرُوفٌ بِلَا غَايَةٍ، وَمَوْصُوفٌ بِلَا نِهَايَةٍ، أَوَّلٌ بِلَا ٱبْتِدَاءٍ، وَآخِرٌ بِلَا ٱنْتِهَاءٍ، لَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ ٱلْبُنُونَ، وَلَا يُفْنِيهِ تَوَالِي ٱلْأَوْقَاتِ وَلَا تُوهِنُهُ ٱلسُّنُونَ. كُلُّ ٱلْمَخْلُوقَاتِ تَحْتَ قَهْرِ عَظَمَتِهِ، وَأَمْرُهُ بَيْنَ ٱلْكَافِ وَٱلنُّونِ. بِذِكْرِهِ أَنِسَ ٱلْمُخْلِصُونَ، وَبِرُؤْيَتِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ تَقَرُّ ٱلْعُيُونُ، وَبِتَوْحِيدِهِ ٱبْتَهَجَ ٱلْمُوَحِّدُونَ. هَدَى أَهْلَ طَاعَتِهِ إِلَى صِرَاطِهِ ٱلْمُسْتَقِيمِ، وَأَبَاحَ أَهْلَ مَحَبَّتِهِ جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ، وَحَجَبَ رَحْمَتَهُ عَنْ كُلِّ كَافِرٍ لَئِيمٍ. عَلِمَ عَدَدَ أَنْفَاسِ مَخْلُوقَاتِهِ بِعِلْمِهِ ٱلْقَدِيمِ. يَرَى حَرَكَاتِ أَرْجُلِ ٱلنَّمْلِ فِي جُنْحِ ٱللَّيْلِ ٱلْبَهِيمِ. وَيُسَبِّحُهُ ٱلطَّائِرُ فِي وَكْرِهِ، وَيُمَجِّدُهُ ٱلْوَحْشُ فِي قَفْرِهِ. مُحِيطٌ بِحَمَلِ ٱلْعَبْدِ، سِرِّهِ وَجَهْرِهِ، كَفِيلٌ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِتَأْيِيدِهِ وَنَصْرِهِ، وَتَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ٱلْوَجِلَةُ بِذِكْرِهِ وَكَشْفِ ضُرِّهِ. وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ ٱلسَّمَاءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِ. أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا. لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالُ.

تَنَزَّهَ سُبْحَانَهُ عَنْ صِفَاتِ ٱلْمَخْلُوقِينَ، فَلَيْسَ بِجِسْمٍ وَلَا جِسْمَانِيٍّ، وَلَا جَوْهَرٍ وَلَا عَرَضٍ، وَلَا مَحْدُودٍ وَلَا مُتَنَاهٍ، وَلَا طَوِيلٍ وَلَا قَصِيرٍ، وَلَا ضَيِّقٍ وَلَا عَرِيضٍ، فَهُوَ ٱلْوَاسِعُ لَا بِٱلسَّعَةِ ٱلَّتِي تُتَوَهَّمُ بِأَفْهَامِنَا، بَلْ بِمَعْنَى أَنَّهُ لَا نِهَايَةَ

لِبُرْهَانِهِ وَلَا بِدَايَةَ لِسُلْطَانِهِ، وَلَيْسَ لِكَمَالِهِ سُبْحَانَهُ نِهَايَةٌ. وَهُوَ مُحِيطٌ لَا بِالْإِحَاطَةِ الَّتِي تَكُونُ مُدْرَكَةً بِمَدَارِكِنَا، وَقَرِيبٌ لَا بِالْقُرْبِ الَّذِي يُتَعَقَّلُ بِعُقُولِنَا، وَهُوَ تَعَالَى مَعَنَا لَا بِالْمَعِيَّةِ الْمُتَعَارَفَةِ الْحِسِّيَّةِ، فَالْمَكَانُ عَنْهُ مَرْفُوعٌ. وَهُوَ الْأَوَّلُ بِلَا بِدَايَةٍ، وَهُوَ الْآخِرُ بِلَا نِهَايَةٍ، وَاحِدٌ لَا مِنْ طَرِيقِ الْعَدَدِ، بَلْ مِنْ طَرِيقِ أَنْ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَحَدِيٌّ فَلَا تَرْكِيبَ لِذَاتِهِ، أَزَلِيٌّ (أَيْ لَا بِدَايَةَ لَهُ) فَلَا كَيْفَ وَلَا تَرْتِيبَ لِصِفَاتِهِ (أَيْ صِفَاتُهُ كُلُّهَا قَدِيمَةٌ فَلَا تَفَاوُتَ بَيْنَهَا فِي الْقِدَمِ) أَبَدِيٌّ (أَيْ لَا نِهَايَةَ لَهُ) فَلَا تَنَاهِ لِجَلَالِهِ وَإِكْرَامِهِ. قَيُّومٌ لَا انْقِطَاعَ لَهُ، دَائِمٌ لَا انْصِرَامَ لَهُ، لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مَوْصُوفًا بِنُعُوتِ الْجَلَالِ، لَا يُقْضَى عَلَيْهِ بِالِانْقِضَاءِ وَالِانْفِصَالِ بِانْقِطَاعِ الْآبَادِ وَانْقِرَاضِ الْأَعْمَارِ بَلْ ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فَالتَّجَزِّي (أَيِ الْأَجْزَاءُ) وَالتَّبَعُّضُ (أَيِ الْأَبْعَاضُ الْمُقَارِنَةُ) مُحَالَانِ فِي جَنَابِ قُدْسِهِ تَعَالَى، وَالتَّرْكِيبُ وَالتَّحْلِيلُ مَمْنُوعَانِ فِي حَقِّهِ. لَيْسَ لَهُ تَعَالَى كُفْءٌ (أَيْ مُمَاثِلٌ) وَلَا مِثْلٌ وَلَا ضِدٌّ، وَلَا صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ. وَهُوَ تَعَالَى مُنَزَّهٌ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ عَنِ الْكَيْفِ وَالشَّبَهِ وَالصُّورَةِ وَالْمِثَالِ، فَلَا يُمَاثِلُ الْأَجْسَامَ، لَا فِي التَّقْدِيرِ وَلَا فِي قَبُولِ الِانْقِسَامِ، بَلْ لَا يُمَاثِلُ الْمَخْلُوقَ وَلَا يُمَاثِلُهُ مَوْجُودٌ. لَا يَحُدُّهُ الْمِقْدَارُ، وَلَا تَحْوِيهِ الْأَقْطَارُ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْجِهَاتُ، وَلَا تَكْتَنِفُهُ (أَيْ لَا تُحِيطُ بِهِ) الْأَرْضُونَ وَلَا السَّمَوَاتُ. لَا يَحُلُّ فِيهِ شَيْءٌ، وَلَا يَحُلُّ فِي شَيْءٍ، تَعَالَى اللَّهُ أَنْ يَحْوِيَهُ مَكَانٌ كَمَا تَقَدَّسَ أَنْ يَحُدَّهُ زَمَانٌ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ، مُنَزَّهٌ عَنِ التَّغَيُّرِ وَالِانْتِقَالِ، مُتَّصِفٌ بِالْكَمَالِ، وَالنَّقْصُ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ مُحَالٌ. لَا مَوْجُودَ - سِوَاهُ - إِلَّا وَهُوَ حَادِثٌ بِفِعْلِهِ، وَفَائِضٌ مِنْ عَدْلِهِ، عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ وَأَكْمَلِهَا وَأَتَمِّهَا وَأَعْدَلِهَا. وَهُوَ حَكِيمٌ فِي أَفْعَالِهِ، عَادِلٌ فِي أَقْضِيَتِهِ، لَا يُقَاسُ عَدْلُهُ بِعَدْلِ الْعِبَادِ، وَلَا يُتَصَوَّرُ مِنْهُ الظُّلْمُ بِحَالٍ. كُلُّ مَا سِوَاهُ حَادِثٌ (أَيْ: مَخْلُوقٌ) اخْتَرَعَهُ (أَيِ ابْتَدَعَهُ) بِقُدْرَتِهِ بَعْدَ الْعَدَمِ اخْتِرَاعًا،

وَأَنْشَأَهُ إِنْشَاءً بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا، إِذْ كَانَ مَوْجُودًا وَحْدَهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ غَيْرُهُ، فَأَحْدَثَ ٱلْخَلْقَ بَعْدَ ذَٰلِكَ إِظْهَارًا لِقُدْرَتِهِ، وَتَحْقِيقًا لِمَا سَبَقَ مِنْ إِرَادَتِهِ، وَلِمَا حَقَّ فِي ٱلْأَزَلِ مِنْ كَلِمَتِهِ، لَا لِافْتِقَارِهِ إِلَيْهِ وَحَاجَتِهِ. وَمَبْلَغُ عِلْمِنَا فِيهِ أَنَّهُ تَعَالَىٰ مَوْجُودٌ لَا كَٱلْمَوْجُودَاتِ، وَهُوَ بِٱلْأَسْمَاءِ وَٱلصِّفَاتِ ٱلْكَامِلَةِ ٱلَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ مَوْصُوفٌ، وَلَٰكِنْ كُلُّ مَا يُدْرَكُ مِنْهَا بِأَفْهَامِنَا وَإِدْرَاكِنَا، وَيُتَصَوَّرُ بِعُقُولِنَا، فَهُوَ تَعَالَىٰ مُنَزَّهٌ عَنْهُ، وَمُتَعَالٍ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَارُ. وَجَمِيعُ صِفَاتِ ٱلْبَارِي وَاقِعَةٌ فِي ٱلْأَزَلِ، فَهِيَ أَزَلِيَّةٌ لَا بِدَايَةَ لَهَا، وَأَبَدِيَّةٌ لَا نِهَايَةَ لَهَا. لَمْ يَتَجَدَّدْ لَهُ تَعَالَىٰ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ، وَلَا ٱسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ، فَلَيْسَ لَهُ صِفَةٌ مُنْتَظَرَةٌ، وَلَا حَالَةٌ مُتَأَخِّرَةٌ، بِخِلَافِ ٱلْمَخْلُوقِينَ. فَعِلْمُ ٱللَّهِ لَا كَعِلْمِنَا، فَإِنَّا نَعْلَمُ ٱلْأَشْيَاءَ بِآلَاتٍ وَتَصَوُّرٍ، وَصُوَرٍ حَاصِلَاتٍ فِي أَذْهَانِنَا بِقَدْرِ أَفْهَامِنَا وَعِلْمِنَا، وَٱللَّهُ تَعَالَىٰ يَعْلَمُ حَقَائِقَ ٱلْأَشْيَاءِ، كُلِّيَّهَا وَجُزْئِيَّهَا، ظَاهِرَهَا وَمَخْفِيَّهَا، قَبْلَ أَنْ يُظْهِرَهَا إِلَىٰ ٱلْوُجُودِ، بِعِلْمٍ ذَاتِيٍّ صَمَدِيٍّ أَزَلِيٍّ أَبَدِيٍّ. وَرُؤْيَةُ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ لَا كَرُؤْيَتِنَا، وَسَمْعُهُ لَا كَسَمْعِنَا، فَهُوَ سُبْحَانَهُ يَرَىٰ ٱلْأَشْكَالَ وَٱلْأَلْوَانَ وَٱلْهَيْئَاتِ ٱلْمُخْتَلِفَةَ لَا كَمَا نَرَىٰ نَحْنُ، وَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ. وَيَسْمَعُ ٱلْأَصْوَاتَ وَٱلْكَلِمَاتِ وَٱلْمُفْرَدَاتِ وَٱلْمُرَكَّبَاتِ لَا كَسَمْعِنَا، لَا بِآلَةٍ مِنَ ٱلْآلَاتِ، وَلَا بِمُشَارَكَةِ غَيْرِهِ مِنَ ٱلْكَائِنَاتِ. وَيَتَكَلَّمُ لَا كَكَلَامِنَا، فَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ مِنَ ٱلْحَلْقِ وَٱللِّسَانِ، وَٱلشَّفَةِ وَٱلْأَسْنَانِ، وَٱلْأَصْوَاتِ ٱلْمُعْتَمِدَةِ عَلَى ٱلْمَخَارِجِ ٱلْمَعْهُودَةِ، بِٱلْهَيْئَاتِ ٱلْمَعْرُوفَةِ، وَٱللَّهُ تَعَالَىٰ يَتَكَلَّمُ بِلَا آلَةٍ وَلَا حُرُوفٍ. وَقُدْرَةُ ٱللَّهِ لَا كَقُدْرَتِنَا، لِأَنَّ قُدْرَتَهُ قَدِيمَةٌ لَا بِآلَةٍ وَلَا بِمُشَارَكَةٍ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَنَحْنُ لَا نَقْدِرُ إِلَّا عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَشْيَاءِ بِٱلْإِقْدَارِ، بِوَاسِطَةِ ٱلْآلَاتِ وَٱلْأَعْوَانِ وَٱلْأَنْصَارِ. وَأَمَّا ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فَفَاعِلٌ مُخْتَارٌ، وَقَادِرٌ حَكِيمٌ مُدَبِّرٌ بِقُدْرَةٍ وَٱخْتِيَارٍ، فَإِتْيَانُهُ لَيْسَ بِإِتْيَانٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَىٰ مَكَانٍ، وَمَجِيئُهُ

لَيْسَ بِحَرَكَةٍ، وَنُزُولُهُ لَيْسَ بِنُقْلَةٍ، وَنَفْسُهُ لَيْسَتْ بِجِسْمٍ، وَوَجْهُهُ لَيْسَ بِصُورَةٍ، وَيَدُهُ لَيْسَتْ بِجَارِحَةٍ، وَعَيْنُهُ لَيْسَتْ بِحَدَقَةٍ، وَإِنَّمَا هَذِهِ أَوْصَافٌ جَاءَ بِهَا التَّوْقِيفُ فَقُلْنَا بِهَا، وَنَفَيْنَا عَنْهَا التَّكْيِيفَ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الشورى. وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ الإخلاص. فَكُلُّ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنَ الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَاتِ نُؤْمِنُ بِهَا عَلَى مُرَادِ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ مِمَّا يُظَنُّ مِنْهُ التَّشْبِيهُ، نُؤْمِنُ بِهِ عَلَى مُرَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِدُونِ تَشْبِيهٍ وَلَا تَعْطِيلٍ. تَنَزَّهَ اللَّهُ عَنْ شَبَهِ الْمَخْلُوقِينَ، فَلَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَلْيَرْبِطِ الْإِنْسَانُ فِكْرَهُ عَنِ الْخَوْضِ فِي تَفْسِيرِهَا وَلْيَعْتَقِدْ فِي قَلْبِهِ رَدَّهَا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الشورى تَنَزَّهَ فِي سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَإِدْرَاكِهِ وَبَطْشِهِ عَنِ الْجَوَارِحِ، وَعَزَّ عَنِ الشَّرِيكِ وَالْمُعِينِ، وَجَلَّ فِي إِرَادَتِهِ عَنِ الْأَغْرَاضِ، وَتَعَالَى فِي اسْتِوَائِهِ عَنِ التَّشْبِيهِ، اسْتَوَى كَمَا أَخْبَرَ وَلَيْسَ كَمَا يَخْطُرُ لِلْبَشَرِ، فَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ وَالْخَلَائِقُ أَجْمَعُونَ مَقْهُورُونَ تَحْتَ عَظَمَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُظْهِرَهُمْ لِلْوُجُودِ فَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ.

وَتَقَدَّسَ فِي عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ عَنِ الْجِهَاتِ، لَا ثَوْرَةَ لِغَضَبِهِ، وَلَا حَدَّ لِقُرْبِهِ سُبْحَانَهُ عَالِمٌ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ، مُحِيطٌ بِأَعْمَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَخَوَاطِرِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ، لَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ. لَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ. حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لَا يَنَامُ، غَنِيٌّ بِذَاتِهِ عَنِ الِاحْتِيَاجِ إِلَى غَيْرِهِ، وَعَجَائِبُ مَصْنُوعَاتِهِ الَّتِي خَلَقَهَا مِنَ الْعَدَمِ مَقْهُورَةٌ تَحْتَ عَظَمَتِهِ، مِنْ مَلَكٍ وَإِنْسٍ وَجَانٍّ وَعَرْشٍ وَأَرْضٍ وَبِحَارٍ وَسَمَاوَاتٍ وَمَا فِيهِنَّ مِنْ أَشْجَارٍ وَمِيَاهٍ وَحَيَوَانَاتٍ وَطُيُورٍ وَأَسْمَاكٍ، دَالَّةٌ عَلَى وُجُودِهِ. وَهُوَ الْمُنْعِمُ عَلَى الْإِطْلَاقِ، إِنْ كَانَ وُجُودًا فَمَوْهُوبٌ مِنْهُ تَعَالَى، وَإِنْ كَانَ

بَقَاءً، فَعَطَاءُهُ مِنْ فَيْضِ رَحْمَتِهِ. وَإِنَّ أَصْنَافَ ٱلْكَرَمِ وَأَعْدَادَ ٱلنِّعَمِ ٱلْخَارِجَةِ عَنِ ٱلْحَدِّ وَٱلْعَدِّ كُلَّهَا مُفَاضَةٌ مِنْ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ وَهُوَ ٱلَّذِي يُزِيلُ ٱلْعُسْرَ وَٱلشِّدَّةَ، وَيُبْدِلُهُمَا فِي ٱلْقَلْبِ وَٱلرُّوحِ فَرَجًا وَرَحْمَةً. يُجِيبُ دُعَاءَ ٱلْمُضْطَرِّينَ، وَيَكْشِفُ ٱلْبَلَاءَ عَنِ ٱلصَّابِرِينَ. خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ، ٱسْتَحَقَّ هَذِهِ ٱلصِّفَةَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ. رَازِقٌ بِلَا مَؤُونَةٍ، ٱسْتَحَقَّ هَذِهِ ٱلصِّفَةَ قَبْلَ أَنْ يَرْزُقَ. مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ، وَمِنْ حِلْمِهِ أَنَّهُ لَا يَمْنَعُ سُبْحَانَهُ عَنِ ٱلْمُذْنِبِينَ ٱلرِّزْقَ وَٱلْمَعَاشَ وَٱلزَّادَ بِعِلَّةِ ذُنُوبِهِمْ. (*) وَهُوَ ٱلسَّتَّارُ، فَلَا يَهْتِكُ سِتْرَ حُرْمَتِهِمْ أَوْ يَفْضَحُهُمْ بِمُجَرَّدِ عِصْيَانِهِمْ وَيَحْجُبُ عُيُوبَهُمْ عَنْ خَلْقِهِ، وَذَلِكَ مِنْ وُفُورِ عَفْوِهِ، وَلَوْ كَشَفَ ٱلْحِجَابَ عَنْ مَعَاصِيهِمْ لَفَرُّوا بِعِلَلِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ وَأَمْرَاضِهِمْ، وَلَزِمُوا ٱلْمَغَارَاتِ خَجَلًا مِنْ قَبِيحِ أَعْمَالِهِمْ وَسُوءِ نَوَايَاهُمْ. كَرِيمٌ لَا يَمْنَعُ رِزْقَهُ عَنِ ٱلْأَحِبَّاءِ وَٱلْأَعْدَاءِ، وَأَجَلُّ هَذِهِ ٱلنِّعَمِ وَأَعْظَمُهَا وَأَعَزُّهَا وَأَكْرَمُهَا: ٱلدَّعْوَةُ إِلَى ٱلْإِسْلَامِ، وَٱلْهِدَايَةُ إِلَى دَارِ ٱلسَّلَامِ، وَٱلدَّلَالَةُ عَلَى مُتَابَعَةِ سَيِّدِ ٱلْأَنَامِ، عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَفْضَلُ ٱلصَّلَاةِ وَٱلسَّلَامِ. إِنَّ إِكْرَامَهُ وَإِنْعَامَهُ وَإِحْسَانَهُ تَعَالَى أَظْهَرُ مِنَ ٱلشَّمْسِ وَأَجْلَى مِنَ ٱلْقَمَرِ. وَإِنْعَامُ غَيْرِهِ عَلَى فُقَرَاءِ ٱلْخَلْقِ بِتَسْخِيرٍ مِنْهُ سُبْحَانَهُ، وَطَلَبُ ٱلْإِحْسَانِ مِنْهُمْ مِنْ قَبِيلِ ٱلِٱسْتِعَارَةِ مِنَ ٱلْمُسْتَعِيرِ، لِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ، وَخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَٱلْإِحْسَانُ مِنْهُ وَإِلَيْهِ سُبْحَانَهُ.

فَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَحْدَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، سَوَاءٌ حَمِدَهُ أَمْ لَمْ يَحْمَدْهُ مِنْ عِبَادِهِ أَحَدٌ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ.

خَادِمُ ٱلْعِلْمِ وَٱلْعُلَمَاءِ

● ٱلشَّيْخُ مُحَمَّدُ عُثْمَانُ سِرَاجُ ٱلدِّينِ ٱلنَّقْشَبَنْدِيُّ ٱلْقَادِرِيُّ ●

رسالة الكاتب

كلمة بين يدي الكتاب
عن الدين الإسلامي الحنيف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء".

- رواه مسلم -

رسالة الكاتب

كان الإسلام ولا يزال الحصن الذي تحطمت عليه كل القوى الشيطانية المعادية للحق، وقد اجتاز هذا الدين الحنيف صعوبات جمة ووواجه أخطارا مدلهمة، وصد كل التيارات الهدامة، وتابع مسيرته على رغم السهام السامة؛ ولكن الملحدين ما يزالون يوجهون أصابع الإتهام وإشارات البغض نحو الإسلام، ويرجمون صفاءه بحجارة البغض والعداوة، ويفتنون بألوان الإفتراء عليه، ظنا منهم أن مثل تلك السموم الشيطانية الحاقدة تساعدهم في نيل مآربهم الدنيئة في الدس بين صفوف المسلمين لتحضهم على ترك هذا الدين العظيم. لهذا أحببنا أن نخط بعض الحقائق، ونسطر بعض الوقائع حول واقع الإنسان قبل الإسلام وبعده، ليعلم كل منهم بأي مستنقع يقف، ونتبع ذلك بقبس من نور تعاليمه، ليزداد الذين آمنوا إيمانا مع إيمانهم بعظمة هذا الدين الكريم وليكون حسرة في قلوب أعدائه الحقودين. وفي الجاهلية العمياء كان الظلم متفشيا فيما بين القبائل العربية، وتسود فيهم شريعة الغاب حيث كان القوي يأكل الضعيف، والظلم من أعمالهم اليومية التي يمارسونها وكأنه من مستلزمات حياتهم التي لا بد منها، فنرى شاعر الجاهلية المشهور عندهم بالحكمة، وهو زهير ابن أبي سلمى يقول في معلقته المشهورة: ... "ومن لا يظلم الناس يظلم". فكانوا ينامون مظلومين، ويصبحون ظالمين. فجاء الإسلام وحرم الظلم وجعله ظلمات يوم القيامة، أما في الدنيا فجعله سببا لتدمير القرى وأهلها، قال تعالى:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٩]. وَلِهَذَا كَانَ تَحْذِيرُ اللَّهِ لِعِبَادِهِ مِنَ الظُّلْمِ قَاطِعًا فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا» - رواه مسلم -. وَكَانَ الْإِقْتِتَالُ وَالْقَتْلُ عِنْدَهُمْ فِي أَبْشَعِ وَأَفْظَعِ صُوَرِهِ الَّتِي تَخْطُرُ فِي الْبَالِ، حَتَّى تَوَصَّلَ الْقَاتِلُ إِلَى أَنْ يَشُقَّ صَدْرَ الْمَقْتُولِ وَيَأْكُلَ كَبِدَهُ أَوْ يَنْهَشَ قَلْبَهُ أَوْ يَشْرَبَ دَمَهُ، وَوَصَلَ بِهِمُ التَّمْثِيلُ بِجُثَثِ الْقَتْلَى إِلَى أَنْ يَقْطَعُوا أَوْصَالَهُمْ وَيُعَلِّقُوا أَجْسَادَهُمْ عَلَى الْخَشَبِ، وَيَتَّخِذُوا مِنْ آذَانِهِمْ وَأُنُوفِهِمْ عُقُودًا يَتَحَلَّوْنَ بِهَا وَيَتَبَاهَوْنَ. فَجَاءَتْ تَعَالِيمُ الْإِسْلَامِ قَاطِعَةً فِي احْتِرَامِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا بِحَيْثُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ - المائدة ٣٢ -. وَلَمْ يُبِحْ إِهْرَاقَ الدَّمِ إِلَّا فِي ثَلَاثِ حَالَاتٍ: الْأُولَى عِنْدَ الْإِقْتِصَاصِ مِنَ الْقَاتِلِ الَّذِي قَتَلَ نَفْسًا بَرِيئَةً عَمْدًا، وَالثَّانِيَةُ عِنْدَ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَى الثَّيِّبِ الزَّانِي وَالثَّالِثَةُ قَتْلُ الْمُرْتَدِّ الْمُصِرِّ عَلَى ارْتِدَادِهِ. وَلَكِنَّهُ مَعَ ذَٰلِكَ حَرَّمَ التَّمْثِيلَ بِجُثَثِ الْقَتْلَى تَحْرِيمًا مُطْلَقًا. وَمِنَ الْجَدِيرِ ذِكْرُهُ هُنَا أَنَّ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ يَتَّهِمُونَ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ بِالْوَحْشِيَّةِ وَالْهَمَجِيَّةِ لِأَنَّهُ يَأْمُرُ بِقَطْعِ الرُّؤُوسِ وَالْأَطْرَافِ تَنْفِيذًا لِبَعْضِ أَحْكَامِهِ، وَلَكِنَّ وَاحِدَهُمْ لَوْ ذَهَبَ إِلَى مَعْرِضِ تِيسُو فِي لُنْدُنَ لَوَجَدَ الْمَقَاصِلَ الْإِنْكِلِيزِيَّةَ الَّتِي كَانُوا يَقْطَعُونَ بِهَا رُؤُوسَ وَأَطْرَافَ الْمُجْرِمِينَ. فَلِمَاذَا لَا يَعْتَرِضُونَ عَلَى مَا يَفْعَلُونَهُ وَيَعْتَرِضُونَ عَلَى مَا أَمَرَنَا اللَّهُ بِفِعْلِهِ؟

وَلَعَلَّ أَحَطَّ مَا كَانَ يَسُودُ الْمُجْتَمَعَ الْجَاهِلِيَّ: انْتِشَارُ الزِّنَا، فَكَانَتِ النِّسَاءُ تُتَنَاقَلُهَا الْأَيْدِي كَالسِّلَعِ التِّجَارِيَّةِ، وَلَيْسَ لَهَا أَيُّ اعْتِبَارٍ

فِي ٱلْمُجْتَمَعِ وَلَا تَمْلِكُ أَيَّ حَقٍّ مِنْ حُقُوقِ ٱلْإِنْسَانِيَّةِ ، بَلْ كَانَتْ تُهَانُ وَتُضْرَبُ وَتُسْتَخْدَمُ فِي نَوَادِي ٱلرَّذِيلَةِ لِخِدْمَةِ أَثْرِيَاءِ ٱلْمُشْرِكِينَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ ـ النور ٣٣ ـ. فَكَانَتِ ٱلذُّرِّيَّةُ تَضِيعُ بَيْنَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ ، وَلَا أَحَدَ يَعْرِفُ نَسَلَهُ ٱلْحَقِيقِيَّ إِلَّا مَا نَدَرَ. فَجَاءَ ٱلْإِسْلَامُ وَحَفِظَ ٱلنَّسْلَ وَضَمِنَ حُقُوقَ ٱلْمَرْأَةِ وَجَعَلَ لَهَا مَكَانَةً مَرْمُوقَةً فِي ٱلْمُجْتَمَعِ وَرَفَعَ مُسْتَوَاهَا ، فَصَارَتْ تَرِثُ وَتُوَرِّثُ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ ـ النساء ١١ ـ . وَٱرْتَفَعَ قَدْرُهَا ، وَحُفِظَتْ عِفَّتُهَا ، وَٱحْتُرِمَتْ بَيْنَ ٱلرِّجَالِ وَفِي ٱلْمُجْتَمَعَاتِ بِنَاءً عَلَى أَمْرِ حَضْرَةِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ وَٱسْتَوْصُوا بِٱلنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي ٱلضِّلَعِ أَعْلَاهُ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَٱسْتَوْصُوا بِٱلنِّسَاءِ خَيْرًا » ـ صحيح البخاري ٧/٦ ـ . وَأَلْقَى ٱلْإِسْلَامُ عَلَى عَاتِقِهَا مَسْؤُولِيَّةَ مُسَاعَدَةِ زَوْجِهَا فِي بِنَاءِ أُسْرَةٍ نَقِيَّةٍ تَقِيَّةٍ مُؤْمِنَةٍ بِرَبِّهَا. قَالَ ﷺ: « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ ، فَٱلْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ ، وَٱلرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ ، وَٱلْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ ، وَٱلْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ » ـ صحيح البخاري ٣/٧ ـ . وَبِهَذَا أَصْبَحَتِ ٱلْمَرْأَةُ رُكْنًا مُهِمًّا وَدَعَامَةً أَسَاسِيَّةً فِي بِنَاءِ ٱلْمُجْتَمَعِ ٱلْإِسْلَامِيِّ. وَهَذَا يُنَاقِضُ مَا ٱدَّعَاهُ ٱلْمُلْحِدُونَ ٱلْفُجَّارُ مِنْ أَنَّ ٱلْإِسْلَامَ يَأْمُرُ بِٱسْتِعْبَادِ ٱلْمَرْأَةِ ، وَٱسْتِعْمَالِهَا كَمَطِيَّةٍ لِأَهْوَائِهِ وَشَهَوَاتِهِ. أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾ ـ النساء ٣٤ ـ أَيْ إِذَا لَمْ يَرْتَدِعْنَ بِٱلْمَوْعِظَةِ وَلَا بِٱلْهِجْرَانِ

فَلَكُمْ أَنْ تَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: **لَا يَجْلِدْ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ الْيَوْمِ** (صحيح البخاري ٧/٩٧)

وَمِنْ أَسْوَأِ الْعَادَاتِ الْمُنْتَشِرَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، عَادَةُ وَأْدِ الْبَنَاتِ وَهُنَّ أَحْيَاءٌ، إِذْ مَا أَنْ تَلِدَ الزَّوْجَةُ مَوْلُودَتَهَا الْأُنْثَى حَتَّى يُوَارِيَ الزَّوْجُ وَجْهَهُ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ، وَيُسَارِعَ إِلَى تَهْدِيدِ زَوْجَتِهِ حَامِلًا طِفْلَتَهُ وَكَأَنَّهُ يَتَأَبَّطُ عَارًا (يُخَبِّئُهُ)، ثُمَّ يُوغِلُ فِي الصَّحْرَاءِ لِيَدْفِنَهَا وَهِيَ حَيَّةٌ، فَتَزْهَقُ رُوحُهَا تَحْتَ التُّرَابِ السَّاخِنِ الَّذِي يَغْلِي مِنْ حَرَارَةِ الشَّمْسِ، وَلَا يَعْبَأُ هَذَا الْقَاسِي بِتَوَسُّلَاتِ الْأُمِّ وَلَا بِصُرَاخِ الطِّفْلَةِ الْمُسْتَنْجِدَةِ بِرَبِّهَا شَاكِيَةً إِلَيْهِ غَلَاظَةَ الْعُقُولِ وَشَرَاسَةَ الْقُلُوبِ، قَالَ تَعَالَى: **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** (النحل ٥٨/٥٩). فَجَاءَ الْإِسْلَامُ وَقَطَعَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْأَشْقِيَاءِ أَعْمَالَهُمُ الْخَبِيثَةَ وَإِهَانَتَهُمْ لِجِنْسِ النِّسَاءِ وَاحْتِقَارَهُمْ لَهُنَّ الَّذِي بَلَغَ مُسْتَوًى فَظِيعًا شَنِيعًا، فَهَدَّدَهُمْ وَأَنْذَرَهُمْ وَخَوَّفَهُمْ سُوءَ الْعَاقِبَةِ وَالْمُنْقَلَبِ. قَالَ تَعَالَى: **وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ** (التكوير ٨/٩). وَكَانَ النَّاسُ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ عَبِيدَ الْعَصَا، يَخْضَعُونَ لِلْعُتَاةِ الظَّلَمَةِ الَّذِينَ سَيْطَرُوا عَلَى مُقَدَّرَاتِهِمْ بِالْقُوَّةِ وَالْإِرْهَابِ، وَأَمَرُوهُمْ بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ مِنْ أَصْنَامٍ وَتَمَاثِيلَ وَكَوَاكِبَ وَغَيْرِهَا، فَجَاءَ الْإِسْلَامُ وَهَدَمَ الْخَيَالَاتِ وَالْأَوْهَامَ وَطَرَدَ الْمَعَاصِي وَالرَّذَائِلَ وَالْخُرَافَاتِ، وَحَرَّرَ الْإِنْسَانَ مِنْ رِبْقَةِ الْعُبُودِيَّةِ لِغَيْرِ اللَّهِ، بَعْدَ أَنْ كَانَ مُنْغَمِسًا فِي ظُلُمَاتِ الْوَثَنِيَّةِ وَالْإِلْحَادِ، قَالَ تَعَالَى: **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ** (البقرة ٢٥٧).

وَكَانَ النَّاسُ مُولَعِينَ مَشْغُوفِينَ بِالْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ اللَّذَيْنِ أَضَاعَا

عُقُولَهُمْ ، وَشَوَّهَا مُجْتَمَعَهُمْ ، وَلَطَّخَا بِيئَتَهُمْ ، وَزَرَعَا فِيهِمُ الْخِلَطَةَ وَالشَّرَاسَةَ وَالْقَسَاوَةَ وَالظُّلْمَ ، وَسَبَّبَا لَهُمُ الْأَمْرَاضَ عَلَى أَنْوَاعِهَا. فَجَاءَ الْإِسْلَامُ الْحَنِيفُ وَحَرَّمَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ الْنَّتِنَةَ الَّتِي تُدَمِّرُ الرُّقِيَّ ، وَتُمَزِّقُ الْأَخْلَاقَ ، وَتُلَطِّخُ الْآدَابَ . وَأَظْهَرَ أَضْرَارَ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَقَبَاحَةَ نَتَائِجِهِمَا ، وَحَرَّمَهُمَا نِهَائِيًّا . فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِنَجَاةِ الْخَلَائِقِ مِنْ نَتَائِجِهِمَا الشَّنِيعَةِ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ المائدة ٩٠/٩١.

وَكَانَ أَكَاسِرَةُ الْجَاهِلِيَّةِ يَأْمُرُونَ عِصَابَاتِهِمْ بِالنَّهْبِ وَقَطْعِ الطُّرُقَاتِ وَتَخْرِيبِ دِيَارِ الْآمِنِينَ وَسَرِقَةِ أَمْوَالِهِمْ قَهْرًا. فَجَاءَ الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ وَوَقَفَ فِي وُجُوهِهِمْ سَدًّا مَنِيعًا حَائِلًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَغَبَاتِهِمُ الشَّيْطَانِيَّةِ ، وَهَدَّدَهُمْ بِعِقَابٍ صَارِمٍ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾ المائدة ٣٨. وَكَانَ النَّاسُ وَكَأَنَّهُمْ وُحُوشٌ ضَارِيَةٌ ، تَبُثُّ سُمُومَهَا فِي قُلُوبِ الْخَلَائِقِ كَنِيرَانِ سُمُومِ الثَّعَابِينِ ، وَكَانَ لَدْغُهَا يُؤَدِّي إِلَى الضَّلَالِ وَالْوَحْشِيَّةِ الْمُفْتَرِسَةِ ، فَجَاءَ الْإِسْلَامُ وَأَدَّبَ عُقُولَهُمْ وَهَذَّبَ أَخْلَاقَهُمْ ، وَزَكَّى نُفُوسَهُمْ ، وَدَرَّبَ جَوَارِحَهُمْ عَلَى الْمُعَامَلَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ السَّلِيمَةِ ، وَنَوَّرَ طَرِيقَهُمْ ، وَأَرْشَدَهُمْ إِلَى طَرِيقِ النَّجَاةِ ، وَصَوَّرَ لَهُمْ مَعَانِيَ الْحَيَاةِ وَكَيْفِيَّةَ النَّجَاةِ ، مِمَّا جَعَلَهُمْ مَبْهُورِي الْأَنْفَاسِ أَمَامَ عَظَمَةِ هَذَا الدِّينِ الَّذِي انْدَفَعَ لِلدُّخُولِ فِيهِ أُلُوفُ الْخَلَائِقِ تَارِكِينَ وَرَاءَهُمُ الْجَاهَ وَالْكُنُوزَ وَالْعَصَبِيَّةَ الْعَشَائِرِيَّةَ وَالزَّعَامَةَ ، وَتَمَسَّكُوا بِإِسْلَامِ السَّلَامِ وَالْأَمَانِ ، فَنَالُوا مَقَامَاتٍ

عَالِيَةٍ - اللهُ أَعْلَمُ بِهَا - وَقَاتَلَ حِينَذَاكَ الْأَبُ ابْنَهُ ، وَالْبِنْتُ أُمَّهَا ، وَحَارَبَ الِابْنُ أَبَاهُ ، وَطَعَنَ الْأَخُ أَخَاهُ ، وَتَرَكَ الثَّرِيُّ ثَرْوَتَهُ ، وَالْمَالِكُ أَمْلَاكَهُ ، كُلُّ ذَلِكَ لِأَجْلِ التَّخَلُّصِ مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَالْحَرَامِ ، وَالِالْتِحَاقِ بِدِينِ الْحَقِّ ، وَالتَّمَسُّكِ بِالْحَقِيقَةِ الْبَيْضَاءِ . وَلَمْ يُعِرِ الْوَارِثُ حِرْمَانَهُ مِنْ تَرِكَةِ أَبِيهِ أَيَّ اهْتِمَامٍ لِأَنَّهُ بَاعَ نَفْسَهُ لِلَّهِ تَعَالَى . قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ التوبة ١١١ .

وَقَدْ وَقَفَ عُتَاةُ الْمُشْرِكِينَ وَأَكَاسِرَةُ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ تَصَرُّفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ تِلْكَ ، وَقْفَةَ الْمُنْدَهِشِ مِنْ أَمْرِ هَذَا الدِّينِ وَفِعْلِهِ فِي تَغْيِيرِ تِلْكَ النُّفُوسِ الشَّرِسَةِ ، وَتَحَوُّلِ تِلْكَ الْقُلُوبِ الصَّلْبَةِ مِنْ حَالِ السَّوَادِ الْمُظْلِمِ إِلَى حَالِ النُّورِ وَالْعَطْفِ وَالْحَنَانِ وَالْخَوْفِ مِنْ رَبِّهِمْ ، وَالْإِيمَانِ بِهِ ، وَسَبَبَ لَهُمُ التَّحَيُّرَ مِنْ سُرْعَةِ هِجْرَانِ أَبْطَالِهِمْ وَفُرْسَانِهِمُ الَّذِينَ يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِمْ بِالْحُرُوبِ لِكُلِّ قِيَمِ الْجَاهِلِيَّةِ الْعَفِنَةِ وَمَا تُمَثِّلُهُ مِنْ تَأَخُّرٍ وَانْحِطَاطٍ فِي الْأَخْلَاقِ ، وَالْتِحَاقِهِمْ بِدِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَسَاوَرَهُمُ الشَّكُّ بِأَنَّ هَذَا الدِّينَ لَوْلَا صِحَّتُهُ وَصِدْقُ نَبِيِّهِ وَمُعْجِزَاتُهُ ، لَمَا تَحَوَّلَتْ قُلُوبُ تِلْكَ الرِّجَالِ الصَّخْرِيَّةِ إِلَى دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِهَذِهِ السُّرْعَةِ ، الَّذِينَ وَصَلُوا نَتِيجَةَ ذَلِكَ التَّحَوُّلِ إِلَى مَقَامَاتٍ عَالِيَةٍ رَفِيعَةٍ بِصِدْقِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ وَصَفَاءِ طَوِيَّتِهِمْ ، وَإِيثَارِهِمْ لِإِخْوَانِهِمُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَخِدْمَتِهِمْ لِدِينِ اللَّهِ فَفَازُوا بِرِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَبِصُحْبَتِهِمُ الصَّادِقَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَالُوا مَرْتَبَةَ الصُّحْبَةِ ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ أَلْوَانًا مِنَ الْعُلُومِ وَأَشْكَالًا مِنَ الْحَقَائِقِ وَقِمَمًا مِنَ الْعِرْفَانِ . فَهَنِيئًا لِلصَّادِقِينَ .

هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ ، مَا هُوَ إِلَّا مُقَارَنَةٌ بَسِيطَةٌ بَيْنَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْعَرَبُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَكَيْفَ أَصْبَحُوا بَعْدَهُ ، لَمْ نَقْصِدْ مِنْ وَرَائِهِ الْإِحَاطَةَ

بِالْمَوْضُوعِ ، فَهٰذَا مِمَّا يَضِيقُ الْمَجَالُ عَنْ بَحْثِهِ ، لِأَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى مُجَلَّدَاتٍ ، وَإِنَّمَا ضَرَبْنَاهُ مَثَلًا لِيَعْلَمَ النَّاسُ مِنْ خِلَالِهِ أَنَّ الْإِسْلَامَ إِنَّمَا هُوَ الشَّرِيعَةُ الْحَقَّةُ الَّتِي تَأْمُرُ أَتْبَاعَهَا بِأَنْ يَكُونُوا عَلَى أَرْفَعِ مُسْتَوًى فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى مُتَمَسِّكِينَ بِالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ ، عَامِلِينَ عَلَى تَزْكِيَةِ نُفُوسِهِمْ ، مُطَهِّرِينَ قُلُوبَهُمْ وَصَادِقِينَ فِي مُعَامَلَاتِهِمْ ، فَحَضْرَةُ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ ﷺ يَقُولُ : **"بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ"** - الموطأ - . فَعَلَى الْمُسْلِمِ السَّعْيُ لِإِصْلَاحِ قَلْبِهِ مِنَ الرَّذَائِلِ وَالرَّعُونَاتِ لِيَفُوزَ بِرِضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ، لِقَوْلِ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ ﷺ : **"... أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ : أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ"** - رواه البخاري ومسلم - . أَمَّا نَفْسُهُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ فَعَلَيْهِ أَنْ يُضَيِّقَ عَلَيْهَا وَيُخَالِفَهَا فِيمَا تَمِيلُ إِلَيْهِ وَتَهْوَاهُ وَيَبْذُلَ جُهْدَهُ كُلَّهُ فِي تَرْوِيضِهَا حَتَّى تَنْقَادَ لَهُ فِي طَرِيقِ طَاعَةِ اللَّهِ وَاتِّبَاعِ أَوَامِرِهِ فَيُفْلِحَ بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : **"قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا • وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا"** - الشمس ٩/٨ - وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِاتِّبَاعِ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ ، الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ ، وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِعِلْمِهِ ، وَأَنْزَلَهَا عَلَى خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ ، وَوَفَّرَ لَهَا مِنْ أَسْبَابِ الْقُوَّةِ وَالْحِفْظِ مَا جَعَلَهَا خَالِدَةً عَلَى الدَّهْرِ ، مَحْفُوظَةً عَنْ أَنْ تَمِيلَ إِلَى بَاطِلٍ أَوْ تَنْحَرِفَ إِلَى ضَلَالٍ ، أَوْ يَعْتَرِيَهَا نَقْصٌ أَوْ فَسَادٌ . فَقَدْ حَوَتْ جَمِيعَ مَا تَطْمَحُ إِلَيْهِ النُّفُوسُ ، وَتَسْعَى لِتَحْصِيلِهِ الْعُقُولُ . فَكَانَتْ دُسْتُورًا عَامًّا وَجَامِعًا لِمُخْتَلِفِ الْقَضَايَا وَالْأُمُورِ الْبَشَرِيَّةِ عَلَى جَمِيعِ أَنْوَاعِهَا الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ . فَيَا أَيُّهَا الطَّالِبُ لِلنَّجَاةِ لَا تَحْجُبْ عَنْكَ الْحَقِيقَةَ وَلَا تَدَعِ الْأَهْوَاءَ تَنْحَرِفُ بِكَ عَنْ سَبِيلِ الرَّشَادِ ، فَأَيَّامُ الْيَوْمِ عَقَارِبُ الْغَدِ ، وَلَا تَدَعِ الْأَحْجَارَ الْمُتَرَاكِمَةَ مِنَ الْخَطَايَا تُحَطِّمُ قَلْبَكَ ، فَاسْعَ لِكَسْبِ رِضَاءِ مَوْلَاكَ ، وَذَلِكَ بِالْعَمَلِ فِيمَا أَمَرَ وَالِانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ . قَالَ تَعَالَى : **"وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ"** - الأنعام ١٥٣ -

معنى الإسلام

الإسلام دينٌ ارتضاه الله للبشر، وهو في حقيقته: إظهار الخضوع، والامتثال والالتزام بالأوامر الربانية المبلغة بواسطة الأنبياء والمرسلين، الذين، وإن تنوعت تشريعاتهم في بعض أحكامها، غير أنها، بحسب أصولها، متفقة في جوهرها وفي دعوتها إلى الخضوع لله، والاستسلام لأحكامه وتشريعاته، وتنزيهه عن الشريك، وذلك بتوحيده تعالى ونفي التشبيه له والمثيل. ويخطئ من يظن أن حضرة النبي محمد ﷺ جاء بالإسلام، وباقي الأنبياء جاؤوا بغير الإسلام، بل جميع إخوانه من حضرات الأنبياء والمرسلين جاؤوا بعقيدة التوحيد، وأمروا أتباعهم بعبادة الله وعدم الإشراك به سبحانه.

معنى الإيمان

الإيمان قولٌ باللسان، وعملٌ بالأركان، وعقدٌ بالجنان (أي القلب)، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ البينة. فجعل عبادة الله تعالى وإخلاص القلب، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كلها من الدين. وقال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» متفق عليه. وفيما يلي نعرض أقوال بعض حضرات العلماء الكرام في تفسيرهم لمعنى الإسلام والإيمان:

قال الإمام الباقلاني رحمه الله: «فإن قال قائل: ما الإسلام عندكم؟ قيل له: الإسلام هو الانقياد والاستسلام. وكل طاعة انقاد العبد بها لربه تعالى واستسلم فيها لأمره فهي إسلام، والإيمان خصلة من خصال الإسلام».

- كتاب التمهيد ص ٢٤٧.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "أَصْلُ الْإِيمَانِ: التَّصْدِيقُ. وَأَصْلُ الْإِسْلَامِ: الِاسْتِسْلَامُ وَالِانْقِيَادُ. فَقَدْ يَكُونُ الْمَرْءُ مُسْتَسْلِمًا فِي الظَّاهِرِ، غَيْرَ مُنْقَادٍ (أَيْ خَاضِعٍ) فِي الْبَاطِنِ، وَقَدْ يَكُونُ صَادِقًا فِي الْبَاطِنِ غَيْرَ مُنْقَادٍ فِي الظَّاهِرِ".

- صحيح مسلم بشرح النووي، ١/١٤٠.

وَقَالَ الشَّيْخُ الْبَيْجُورِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "الْإِيمَانُ شَرْعًا: هُوَ التَّصْدِيقُ بِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا عُلِمَ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ، إِجْمَالًا فِي الْإِجْمَالِيِّ وَتَفْصِيلًا فِي التَّفْصِيلِيِّ (أَيْ مَا أَخْبَرَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِجْمَالًا وَلَمْ يُفَصِّلْهُ، فَنُؤْمِنُ بِهِ إِجْمَالًا دُونَ تَفْصِيلِهِ، وَأَمَّا مَا أَتَى عَلَى ذِكْرِهِ بِالتَّفْصِيلِ، فَنُؤْمِنُ بِهِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا) وَأَمَّا لُغَةً: فَهُوَ مُطْلَقُ التَّصْدِيقِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ أَيْ بِمُصَدِّقٍ". - شرح جوهرة التوحيد، ص٤٤.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "فِي مُوجِبِ اللُّغَةِ؛ وَالْحَقُّ فِيهِ أَنَّ الْإِيمَانَ عِبَارَةٌ عَنِ التَّصْدِيقِ ... وَالْإِسْلَامُ عِبَارَةٌ عَنِ التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِسْلَامِ بِالْإِذْعَانِ (أَيِ الْخُضُوعِ) وَالِانْقِيَادِ، وَتَرْكِ التَّمَرُّدِ وَالْإِبَاءِ وَالْعِنَادِ. وَلِلتَّصْدِيقِ مَحَلٌّ خَاصٌّ هُوَ الْقَلْبُ ... وَأَمَّا التَّسْلِيمُ فَإِنَّهُ عَامٌّ فِي الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ. فَإِنَّ كُلَّ تَصْدِيقٍ بِالْقَلْبِ فَهُوَ تَسْلِيمٌ وَتَرْكُ الْإِبَاءِ (أَيِ الِامْتِنَاعِ) وَالْجُحُودِ، وَكَذَلِكَ الِاعْتِرَافُ بِاللِّسَانِ، وَكَذَلِكَ الطَّاعَةُ وَالِانْقِيَادُ بِالْجَوَارِحِ. فَمُوجِبُ اللُّغَةِ أَنَّ الْإِسْلَامَ أَعَمُّ وَالْإِيمَانَ أَخَصُّ، فَكَانَ الْإِيمَانُ عِبَارَةً عَنْ أَشْرَفِ أَجْزَاءِ الْإِسْلَامِ". - إحياء علوم الدين، ١/١١٦.

اسْتِعْمَالُ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ فِي الشَّرْعِ الْحَنِيفِ

قَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "إِنَّ الشَّرْعَ قَدْ وَرَدَ بِاسْتِعْمَالِهِمَا عَلَى سَبِيلِ التَّرَادُفِ (أَيِ التَّشَابُهِ فِي الْمَعْنَى) وَالتَّوَارُدِ (أَيْ أَنْ يَكُونَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ) وَوَرَدَ عَلَى سَبِيلِ الِاخْتِلَافِ، وَوَرَدَ عَلَى سَبِيلِ التَّدَاخُلِ.

• أَمَّا ٱلتَّرَادُفُ : فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ • فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ ـ الذاريات ٣٥/٣٦ ..

• وَأَمَّا ٱلِاخْتِلَافُ : فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾ ـ الحجرات ١٤ ، وَمَعْنَاهُ : ٱسْتَسْلَمْنَا فِي ٱلظَّاهِرِ، فَأَرَادَ بِٱلْإِيمَانِ هَٰهُنَا : ٱلتَّصْدِيقَ بِٱلْقَلْبِ فَقَطْ ، وَبِٱلْإِسْلَامِ : ٱلِاسْتِسْلَامَ ظَاهِرًا بِٱللِّسَانِ وَٱلْجَوَارِحِ ...

• وَأَمَّا ٱلتَّدَاخُلُ : فَمَا رُوِيَ أَيْضًا أَنَّهُ سُئِلَ (أَيِ ٱلنَّبِيُّ ﷺ) ، فَقِيلَ : أَيُّ ٱلْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ ﷺ : ٱلْإِسْلَامُ ، فَقَالَ : أَيُّ ٱلْإِسْلَامِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ ﷺ : ٱلْإِيمَانُ ، وَٱلْإِسْلَامُ هُوَ تَسْلِيمٌ إِمَّا بِٱلْقَلْبِ ، وَإِمَّا بِٱللِّسَانِ ، وَإِمَّا بِٱلْجَوَارِحِ ، وَأَفْضَلُهَا ٱلَّذِي بِٱلْقَلْبِ ، وَهُوَ ٱلتَّصْدِيقُ ٱلَّذِي يُسَمَّىٰ إِيمَانًا " ـ إحياء علوم الدين ١/٣٦

مَرَاتِبُ ٱلْإِيمَانِ عِندَ ٱلنَّاسِ

يَتَفَاوَتُ إِيمَانُ ٱلنَّاسِ فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَىٰ أَقْسَامٍ :

• أَرْفَعُ ٱلنَّاسِ إِيمَانًا حَضَرَاتُ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَٱلْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ ، فَلَا يُوَازِي إِيمَانَهُمْ مَخْلُوقٌ ، مَهْمَا بَلَغَتْ مَرْتَبَتُهُ عُلُوًّا وَدَرَجَتُهُ رِفْعَةً ، إِذْ مَقَامَاتُهُمُ ٱلشَّرِيفَةُ فَضْلٌ مَحْضٌ مِنَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ، خَارِجَةٌ عَنْ نِطَاقِ ٱلْكَسْبِ وَٱلْمُجَاهَدَةِ ، وَلَا يَعْلَمُ حَقِيقَتَهَا إِلَّا ٱللَّهُ تَعَالَىٰ

• مِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُعْطَىٰ إِيمَانَهُ عِيَانًا عِنْدَ تَكَشُّفِ ٱلْحَقَائِقِ لَهُ ، وَهَٰذَا نَاشِئٌ عَنْ مُرَاقَبَةِ قَلْبِهِ ، وَلَا يَصِلُ ٱلْعَبْدُ إِلَىٰ هَٰذَا ٱلْمَقَامِ إِلَّا بَعْدَ ٱلْإِخْلَاصِ فِي ٱلْعِبَادَةِ ، حَيْثُ يَسْهَرُ ٱلْعَبْدُ عَلَىٰ نَفْسِهِ يُحَاسِبُهَا عَلَىٰ كُلِّ ٱلْخَطَرَاتِ وَٱللَّحَظَاتِ ، لِأَنَّهَا إِنْ تُرِكَتْ دُونَ مُلَاحَظَةٍ فَسَدَتْ . قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ • وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴾ ـ المعارج ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ ـ الرعد ٣٣ ، وَقَالَ أَيْضًا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ ـ النساء ١ ـ

وَهُوَ مِنَ ٱلْمَقَامَاتِ ٱلَّتِي تَحَدَّثَ عَنْهَا حَضْرَةُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ ٱللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ﴾، وَمَعْنَى ٱلْحَدِيثِ كَمَا فَسَّرَهُ ٱلْإِمَامُ ٱبْنُ حَجَرٍ ٱلْعَسْقَلَانِيُّ: "أَنْ يَسْتَحْضِرَ أَنَّ ٱلْحَقَّ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ يَرَى كُلَّ مَا يَعْمَلُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: «فَإِنَّهُ يَرَاكَ». وَهَاتَانِ ٱلْحَالَتَانِ يُثْمِرُهُمَا مَعْرِفَةُ ٱللَّهِ وَخَشْيَتُهُ ... وَقَالَ ٱلنَّوَوِيُّ: "مَعْنَاهُ، أَنَّكَ إِنَّمَا تُرَاعِي ٱلْآدَابَ ٱلْمَذْكُورَةَ إِذَا كُنْتَ تَرَاهُ وَيَرَاكَ، لِكَوْنِهِ يَرَاكَ لَا لِكَوْنِكَ تَرَاهُ، فَهُوَ دَائِمًا يَرَاكَ فَأَحْسِنْ عِبَادَتَهُ وَإِنْ لَمْ تَرَهُ، فَتَقْدِيرُ ٱلْحَدِيثِ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَٱسْتَمِرَّ عَلَى إِحْسَانِ ٱلْعِبَادَةِ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. قَالَ: وَهَذَا ٱلْقَدْرُ مِنَ ٱلْحَدِيثِ أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أُصُولِ ٱلدِّينِ وَقَاعِدَةٌ مُهِمَّةٌ مِنْ قَوَاعِدِ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ عُمْدَةُ ٱلصِّدِّيقِينَ وَبُغْيَةُ ٱلسَّالِكِينَ، وَكَنْزُ ٱلْعَارِفِينَ، وَدَأْبُ ٱلصَّالِحِينَ، وَهُوَ مِنْ جَوَامِعِ ٱلْكَلِمِ ٱلَّتِي أُوتِيَهَا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ". فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١/١٢٠.

● مِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُ إِيمَانَهُ عَنْ حَقٍّ، وَهُوَ ٱلْإِيمَانُ ٱلنَّاشِئُ عَنِ ٱلتَّسْلِيمِ ٱلْكُلِّيِّ لِخَالِقِهِ، لِيَقِينِهِ بِأَنْ لَا مَعْبُودَ إِلَّا ٱللَّهُ. وَهَذَا لَا يُؤَثِّرُ بِإِيمَانِهِ تَشْوِيشُ ٱلْمُشَوِّشِينَ وَلَا أَفْكَارُ ٱلْمُنْدَسِّينَ. وَقَدْ نَالَ هَذَا ٱلْإِيمَانَ أَكْثَرُ أَهْلِ ٱلْمَعْرِفَةِ مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ ٱلْأُمَّةِ فِي ٱلْعَصْرِ ٱلذَّهَبِيِّ بِوَاسِطَةِ أَعْمَالِ ٱلْمُجَاهَدَةِ فِي ٱلْعِبَادَاتِ وَفِي نَشْرِ ٱلشَّرِيعَةِ ٱلْغَرَّاءِ، وَيَنَالُهَا كُلُّ مَنْ سَلَكَ سُلُوكَهُمُ ٱلْأَنْوَرَ.

● مِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُ إِيمَانَهُ عَنْ عِلْمٍ نَاشِئٍ عَنْ مَعْرِفَةِ ٱلْعَقَائِدِ بِأَدِلَّتِهَا ٱلشَّرْعِيَّةِ، وَهَذَا مِنْ عِلْمِ ٱلْيَقِينِ.

● وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَأْخُذُ إِيمَانَهُ بِطَرِيقَةِ ٱلِٱهْتِدَاءِ ٱلْعَقْلِيِّ ٱلنَّاشِئِ عَنْ مَعْرِفَةِ ٱلصَّانِعِ سُبْحَانَهُ بِٱلنَّظَرِ وَٱلدَّلَائِلِ ٱلْكَامِنَةِ فِي ٱلْآفَاقِ وَٱلْأَنْفُسِ، وَهَذَا مَا يَحْصُلُ لِبَعْضِ ٱلْمُكْتَشِفِينَ لِأَعْمَاقِ ٱلْبِحَارِ وَرُوَّادِ ٱلْفَضَاءِ وَٱلْأَطِبَّاءِ، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ فصلت.

● مِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُ بِأَقْوَالِ ٱلْبَعْضِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْرِفَ ٱلدَّلِيلَ كَٱلْعَوَامِّ، وَهَؤُلَاءِ إِيمَانُهُمْ تَقْلِيدِيٌّ. قَالَ ٱلْإِمَامُ مُحَمَّدٌ ٱلنَّوَوِيُّ:

وَهُوَ يَصِحُّ إِيمَانُهُ مَعَ الْعِصْيَانِ بِتَرْكِ النَّظَرِ، أَيِ الِاسْتِدْلَالِ إِنْ كَانَ قَادِرًا عَلَى الدَّلِيلِ". ـ كاشفة السجا، ص٨٠.

• وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُبَالِي بِالْأَخْذِ، فَلَا يُفَرِّقُ مِنْ أَيِّ وِعَاءٍ غَرَفَ، سَوَاءٌ أَكَانَ فِيهِ النَّجَاةُ أَوِ الْغَرَقُ. وَهَذَا مِنْ ضَعْفِ إِيمَانِهِ وَقِلَّةِ حَظِّهِ، وَإِشَارَةٌ حِرْمَانِهِ.

• وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بَعْدَ رُؤْيَةِ مُعْجِزَةٍ مِنْ نَبِيٍّ أَوْ رَسُولٍ.

• وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بَعْدَ أَنْ تَحْصُلَ لَهُ حَادِثَةٌ وَيُنْجِيهِ اللَّهُ مِنْهَا.

• وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ أَثْنَاءَ إِصَابَتِهِ بِحَادِثٍ كَغَرَقٍ أَوْ حَرِيقٍ، وَإِشْرَافِهِ عَلَى الْهَلَاكِ، ثُمَّ بَعْدَ نَجَاتِهِ بِمُدَّةٍ وَجِيزَةٍ يَرْتَدُّ عَنْ إِيمَانِهِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

• وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْشَأُ فِي بِيئَةٍ مُسْلِمَةٍ بَيْنَ أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ، وَيَعْتَنِقُ الْعَقِيدَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ الَّتِي يَتَعَلَّمُهَا شَيْئًا فَشَيْئًا مِنْ أَبَوَيْهِ الصَّالِحَيْنِ، وَيُقْبِلُ عَلَى الطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَتَأْتِي لَهُ التَّرْبِيَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْحَسَنَةُ الَّتِي تَجْعَلُ مِنْهُ مُسْلِمًا سَلِيمًا صَالِحًا مُسْتَقِيمًا.

وَأَمَّا الْبَعْضُ، فَيَنْشَأُ بَيْنَ أَبَوَيْنِ لَا يَتَعَدَّى إِسْلَامُهُمُ الْهَوِيَّةَ، لِإِعْرَاضِهِمْ عَنْ أُمُورِ الْعِبَادَةِ وَالْوَاجِبَاتِ الدِّينِيَّةِ، وَانْهِمَاكِهِمْ فِي مَفَاسِدِ الدُّنْيَا وَمَسَاوِئِهَا مِمَّا يُؤَدِّي بِهِ إِلَى التَّطَبُّعِ بِالْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ وَالتَّلَفُّظِ بِالْأَلْفَاظِ الْمُهْلِكَةِ. فَعَلَى أَمْثَالِهِ الْجِدُّ وَالسَّعْيُ لِنَيْلِ عُلُومِ التَّوْحِيدِ وَأَحْكَامِ الدِّينِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الصَّادِقِينَ بَدَلًا مِنْ قَضَاءِ عُمْرِهِ فِي تَحْمِيلِ أَهْلِهِ مَسْؤُولِيَّةَ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ • وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ • ثُمَّ يُجْزَىٰهُ الْجَزَآءَ الْأَوْفَىٰ﴾ ـ النجم ٣٩/٥٣ـ٤١.

فَالْإِيمَانُ الصَّحِيحُ السَّلِيمُ مِنَ الشَّوَائِبِ وَالضَّلَالِ هُوَ أَمْنٌ وَأَمَانٌ لِلْمُسْلِمِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ـ يونس ٢ـ. وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ الصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا • خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ ـ الكهف ١٠٧ـ.

قَوْلُ الْإِمَامِ السَّرْهِنْدِيِّ فِي إِيمَانِ الْعَاصِي

قَالَ الْإِمَامُ السَّرْهِنْدِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لَا يَخْرُجُ الْمُؤْمِنُ بِارْتِكَابِ الْمَعَاصِي مِنَ الْإِيمَانِ، وَلَوْ كَبِيرَةً، وَلَا يَدْخُلُ فِي دَائِرَةِ الْكُفْرِ... فَإِنَّ الْحِرْمَانَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ مَخْصُوصٌ بِأَهْلِ الْكُفْرِ، وَأَمَّا مَنْ فِيهِ ذَرَّةٌ مِنَ الْإِيمَانِ فَهُوَ مُسْتَحِقٌّ لِلرَّحْمَةِ وَالْغُفْرَانِ، وَإِنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الرَّحْمَةُ فِي الِابْتِدَاءِ بِوَاسِطَةِ عِلَّةِ الْمَعْصِيَةِ، وَلَكِنَّهَا تَشْمَلُهُ أَخِيرًا بِعِنَايَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ". ـ مكتوبات الإمام الرباني، ٢/ ١١٣-١١٤ـ

وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَقْتَرِفَ الْإِنْسَانُ الْمَعَاصِيَ وَالذُّنُوبَ عَلَى أَنْوَاعِهَا وَلَا يُبَالِي بِعِقَابِ اللَّهِ تَعَالَى، بَلْ عَلَى الْمُؤْمِنِ إِذَا وَقَعَ بِهَفْوَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ، أَنْ يُسَارِعَ إِلَى التَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وَأَنْ يُقْلِعَ عَمَّا بَدَرَ مِنْهُ، وَأَنْ يَعْزِمَ عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ إِلَيْهَا ثَانِيَةً. وَلَكِنَّنَا نَجِدُ فِي عَصْرِنَا التَّهَافُتَ عَلَى الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ قَدْ لَبِسَ ثَوْبًا جَدِيدًا، فَنَرَى الْبَعْضَ يَرْتَعُ فِي وَحْلِ الْمَعْصِيَةِ، وَلَا يَجِدُ حَرَجًا فِي ذَلِكَ، مُدَّعِيًا أَنَّ الْأَوْرَادَ تَمْحُو الْمَعَاصِيَ وَالذُّنُوبَ. وَهَكَذَا يَجِدُ لِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعَاصِي أَوْرَادًا مُعَيَّنَةً لَهَا. وَقَدْ فَاتَهُ أَنَّ مَنِ اسْتَخَفَّ بِمَعْصِيَةٍ ارْتَكَبَهَا أَدَّى ذَلِكَ بِهِ إِلَى الْإِقْبَالِ عَلَى غَيْرِهَا، فَيَمْتَلِئُ قَلْبُهُ بِظُلْمَةِ الشَّهَوَاتِ.

«رَوَى الطَّبَرَانِيُّ هَذِهِ الْمَقَالَةَ عَنْ سَعِيدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ نَفْسِهِ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِابْنِ عَبَّاسٍ: كَمِ الْكَبَائِرُ سَبْعٌ هِيَ؟ قَالَ: هِيَ إِلَى السَّبْعِمِائَةِ أَقْرَبُ مِنْهَا إِلَى سَبْعٍ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا كَبِيرَةَ مَعَ الِاسْتِغْفَارِ: أَيِ التَّوْبَةِ بِشُرُوطِهَا وَلَا صَغِيرَةَ مَعَ الْإِصْرَارِ». ـ الزواجر، ١/ ٩ ـ.

- وَقَالَ بِلَالُ بْنُ سَعْدٍ: "لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْخَطِيئَةِ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى مَنْ عَصَيْتَ".
- وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ: "مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ تَرْكِ الْمَعَاصِي". ـ الزواجر ١/ ١٢ ـ. وَهُنَا نَذْكُرُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ عَرْضَ الْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى يَصِيرَ

ٱلْقَلْبُ أَبْيَضَ مِثْلَ ٱلصَّفَا، لَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَاتُ وَٱلْأَرْضُ، وَٱلْآخَرُ أَسْوَدَ مُرْبَدًّا كَٱلْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ ﴿﴾ - رواه الامام أحمد ومسلم، الفتح الكبير، ٢/٣٠-

﴿﴾ وَقَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلسَّرْهِنْدِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ﴿﴾: "وَمَدَارُ ٱلْإِيمَانِ وَٱلْكُفْرِ عَلَى ٱلْخَاتِمَةِ، وَكَثِيرًا مَا يَكُونُ ٱلْإِنْسَانُ مُتَّصِفًا بِوَاحِدَةٍ مِنْ هَاتَيْنِ ٱلصِّفَتَيْنِ طُولَ عُمْرِهِ، وَيَتَحَقَّقُ بِضِدِّهَا فِي ٱلْآخِرِ، وَإِنَّمَا ٱلْعِبْرَةُ بِٱلْخَوَاتِمِ". مكتوبات الإمام الرباني ٣/٢٢-

وَمَعْنَى ذَٰلِكَ أَنَّ ٱلْحُكْمَ عَلَى إِيمَانِ ٱلْإِنْسَانِ أَوْ كُفْرِهِ إِنَّمَا يَكُونُ فِي ٱلْخَاتِمَةِ، فَهُوَ إِمَّا أَنْ يَمُوتَ مُؤْمِنًا فَيَسْعَدُ، أَوْ يَمُوتَ كَافِرًا فَيَشْقَى وَٱلْعِيَاذُ بِٱللَّهِ تَعَالَى. فَٱلْأَوْلَى لِهَٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ يَتَبَاهَوْنَ بِٱلْإِقْبَالِ عَلَى ٱلْمَعَاصِي وَٱلذُّنُوبِ مُدَّعِينَ أَنَّ لِكُلِّ مَعْصِيَةٍ وِرْدًا خَاصًّا يُكَفِّرُهَا، أَنْ يَتُوبُوا إِلَى ٱللَّهِ تَعَالَى، وَيَكُفُّوا عَنِ ٱللَّعِبِ فِي دِينِ ٱلْإِسْلَامِ، فَأَقْوَالُهُمْ هَٰذِهِ لَمْ يُفْتِ بِهَا صَحَابِيٌّ وَلَا وَلِيٌّ وَلَا عَالِمٌ تَقِيٌّ، لِأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى خَلَلِ ٱلْعَقْلِ وَهَوَاجِسِ ٱلنَّفْسِ وَخَوَاطِرِ ٱلشَّيْطَانِ وَٱلْهَوَى، أَعَاذَنَا ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ بِفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ مِنْ سُوءِ ٱلْخَاتِمَةِ.

أَصْنَافُ ٱلْخَلْقِ

﴿﴾ قَالَ ٱلْإِمَامُ عَلِيٌّ ٱلْقَارِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ﴿﴾

"ٱلْخَلْقُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ:

- ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُخْلِصُ فِي إِيمَانِهِ.
- ٱلْكَافِرُ ٱلْجَاحِدُ فِي كُفْرِهِ. (ٱلْجَاحِدُ هُوَ ٱلْمُنْكِرُ لِلْحَقِّ مَعَ عِلْمِهِ بِهِ).
- ٱلْمُنَافِقُ ٱلْمُدَاهِنُ فِي نِفَاقِهِ. (ٱلْمُدَاهِنُ هُوَ ٱلْمُخَادِعُ ٱلَّذِي يُظْهِرُ خِلَافَ مَا يُضْمِرُ).

وَٱللَّهُ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِ ٱلْعَمَلَ، وَعَلَى ٱلْكَافِرِ ٱلْإِيمَانَ، وَعَلَى ٱلْمُنَافِقِ ٱلْإِخْلَاصَ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ﴿﴾ - البقرة ٢١ - وَمَعْنَاهُ: يَا أَيُّهَا ٱلْمُؤْمِنُونَ أَطِيعُوا ٱللَّهَ، وَيَا أَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ آمِنُوا بِٱللَّهِ، وَيَا أَيُّهَا ٱلْمُنَافِقُونَ أَخْلِصُوا لِلَّهِ". - الفقه الأكبر، ص ٤٥-

جُزْءَا الشَّرِيعَةِ

قَالَ الْإِمَامُ السَّرْهِنْدِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الشَّرِيعَةُ لَهَا جُزْءَانِ: اعْتِقَادِيٌّ وَعَمَلِيٌّ. فَالِاعْتِقَادِيُّ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، وَالْعَمَلِيُّ مِنْ فُرُوعِ الدِّينِ. وَفَاقِدُ الِاعْتِقَادِ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ النَّجَاةِ، وَالْخَلَاصُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ غَيْرُ مُتَصَوَّرٍ فِي حَقِّهِ. وَفَاقِدُ الْعَمَلِ أَمْرُهُ مُفَوَّضٌ إِلَى مَشِيئَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ بِقَدْرِ ذَنْبِهِ. وَالْخُلُودُ فِي النَّارِ مَخْصُوصٌ بِفَاقِدِ الِاعْتِقَادِ، وَمَقْصُورٌ عَلَى مُنْكِرِ ضَرُورِيَّاتِ الدِّينِ. وَفَاقِدُ الْعَمَلِ، وَإِنْ كَانَ مُعَذَّبًا، وَلَكِنَّ الْخُلُودَ فِي النَّارِ مَفْقُودٌ فِي حَقِّهِ». المكتوبات ١/٢٠

وَفَاقِدُ الِاعْتِقَادِ هُوَ الَّذِي لَا يَتَّبِعُ الْعَقَائِدَ السِّتَّ وَهِيَ: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ يُنْكِرُ مَعْلُومًا مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ، كَحُرْمَةِ الزِّنَى وَاللِّوَاطِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ...

وَفَاقِدُ الْعَمَلِ هُوَ الَّذِي لَا يُؤَدِّي مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ صَلَاةٍ، وَزَكَاةٍ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، تَقْصِيرًا مِنْهُ لَا إِنْكَارًا لَهَا.

مَا يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ مَعْرِفَتُهُ

قَالَ الشَّيْخُ الْبَيْجُورِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْأَصْلُ مَعْرِفَةُ اللَّهِ، وَالْمُرَادُ: مَعْرِفَةُ صِفَاتِهِ وَسَائِرِ أَحْكَامِ الْأُلُوهِيَّةِ، لَا مَعْرِفَةُ ذَاتِهِ وَكُنْهُ حَقِيقَتِهِ (كُنْهُ أَيْ مَعْرِفَةُ) ، إِذْ لَا يَعْرِفُ ذَاتَهُ وَكُنْهَ حَقِيقَتِهِ إِلَّا هُوَ. وَفِي الْحَدِيثِ: تَفَكَّرُوا فِي الْخَلْقِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي الْخَالِقِ فَإِنَّهُ لَا تُحِيطُ بِهِ الْفِكْرَةُ .... الفتح الكبير، ٢/٣٥٠.

وَبِالْجُمْلَةِ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ إِلَّا اللَّهُ؛ فَتَرْكُ الْإِدْرَاكِ إِدْرَاكٌ (أَيْ عِلْمٌ بِاللَّهِ)، وَالْبَحْثُ عَنْ ذَاتِ اللَّهِ إِشْرَاكٌ». شرح جوهرة التوحيد ص٣٧. «وَقَدْ وَرَدَ: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ، أَيْ: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ بِالْحُدُوثِ وَالْفَقْرِ، عَرَفَ رَبَّهُ بِالْقِدَمِ وَالْغِنَى، وَهَذَا هُوَ الْأَظْهَرُ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ؛ وَقِيلَ: هُوَ إِشَارَةٌ

إِلَى التَّعْجِيزِ: أَيْ أَنْتَ لَا تَعْرِفُ نَفْسَكَ فَلَا تَطْمَعْ فِي مَعْرِفَةِ كُنْهِ رَبِّكَ". شرح جوهرة التوحيد

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَكْفِي الْمُكَلَّفَ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ اللَّهَ مَوْجُودٌ، وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ مَعْرِفَةُ أَنَّ وُجُودَهُ تَعَالَى عَيْنُ ذَاتِهِ أَوْ غَيْرُ ذَاتِهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ غَوَامِضِ عِلْمِ الْكَلَامِ. المرجع السابق.

وَقَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ الْقَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "إِذَا الْتَبَسَ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ شَيْءٌ مِنْ دَقَائِقِ عِلْمِ التَّوْحِيدِ، وَلَمْ يَتَحَقَّقْ عِنْدَهُ حَقَائِقُ مَقَامِ التَّفْرِيدِ (أي الوَحْدَانِيَّة) وَمَرَامِ التَّمْجِيدِ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَقِدَ فِي الْحَالِ مَا هُوَ الصَّوَابُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِطَرِيقِ الْإِجْمَالِ، كَأَنْ يَعْتَقِدَ بِصُورَةِ جُمْلَةٍ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ إِلَى أَنْ يَجِدَ عَالِمًا عَارِفًا بِحَقِيقَةِ الْأَحْوَالِ، فَيَسْأَلُهُ لِيَعْلَمَ الْعِلْمَ التَّفْصِيلِيَّ عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ، وَلَا يَسَعُهُ تَأْخِيرُ الطَّلَبِ عِنْدَ تَرَدُّدِهِ فِي صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْجَلَالِ أَوْ نُعُوتِ الْجَمَالِ، وَلَا يُعْذَرُ بِتَوَقُّفِهِ فِي مَعْرِفَةِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ، وَعَدَمِ تَفَحُّصِهِ بِالسُّؤَالِ، وَيَكْفُرُ فِي الْحَالِ إِنْ تَوَقَّفَ عَلَى بَيَانِ الْأَمْرِ فِي الِاسْتِقْبَالِ. أي يجب عليه أن يسارع إلى سؤال العلماء عند التردد بصفة من صفات الله، وإن لم يفعل نال سوء العاقبة لأن التوقف موجب للشك، وهو فيما يفترض اعتقاده كالإنكار... والمراد بدقائق علم التوحيد أشياء يكون الشك والشبهة فيها منافيا للإيمان، ومناقضا للإيقان بذات الله تعالى، وصفته"... الفقه الأكبر، ٩١.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "ذَكَرَ الْحَلِيمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِيمَا يَجِبُ اعْتِقَادُهُ وَالْإِقْرَارُ بِهِ فِي الْبَارِي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِدَّةَ أَشْيَاءَ:

- أَحَدُهَا: إِثْبَاتُ الْبَارِي جَلَّ جَلَالُهُ لِتَقَعَ بِهِ مُفَارَقَةُ التَّعْطِيلِ أي إثبات وجود الله بكامل صفاته
- وَالثَّانِي: إِثْبَاتُ وَحْدَانِيَّتِهِ لِتَقَعَ بِهِ الْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ.
- وَالثَّالِثُ: إِثْبَاتُ أَنَّهُ لَيْسَ بِجَوْهَرٍ، وَلَا عَرَضٍ، لِتَقَعَ بِهِ الْبَرَاءَةُ مِنَ التَّشْبِيهِ. وَجَوْهَرُ كُلِّ شَيْءٍ مَا خُلِقَتْ عَلَيْهِ جِبِلَّتُهُ، وَالْعَرَضُ مَا لَا يُوجَدُ إِلَّا فِي مَحَلٍّ يَقُومُ بِهِ مِثْلُ حُمْرَةِ الْخَجَلِ
- وَالرَّابِعُ: إِثْبَاتُ أَنَّ وُجُودَ كُلِّ مَا سِوَاهُ كَانَ مِنْ قِبَلِ إِبْدَاعِهِ وَاخْتِرَاعِهِ إِيَّاهُ لِتَقَعَ بِهِ الْبَرَاءَةُ مِنْ قَوْلِ مَنْ يَقُولُ بِالْعِلَّةِ وَالْمَعْلُولِ.
- وَالْخَامِسُ: إِثْبَاتُ أَنَّهُ مُدَبِّرُ مَا أَبْدَعَ وَمُصَرِّفُهُ عَلَى مَا يَشَاءُ لِتَقَعَ بِهِ الْبَرَاءَةُ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِينَ بِالطَّبَائِعِ أَوْ بِتَدْبِيرِ الْكَوَاكِبِ أَوْ بِتَدْبِيرِ الْمَلَائِكَةِ. الأسماء والصفات.

(أي أن جميع الأمور تجري بإرادته ومشيئته، وليس لغيره تصرف أو تدبير لأمور المخلوقات)

مَا يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ الْإِعْتِقَادُ بِهِ لِلنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ

يَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ أَرَادَ النَّجَاةَ مِنَ النَّارِ أَنْ يَشْهَدَ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ ﷺ: مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللّٰهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللّٰهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ. رَوَاهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي الْجَامِعِ الصَّحِيحِ اهـ.

فَلَوْ تَصَدَّقَ الْإِنْسَانُ بِمِلْءِ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَفِضَّةً وَعَبَدَ اللّٰهَ مَدَى حَيَاتِهِ، وَصَامَ وَصَلَّى وَحَجَّ وَزَكَّى وَقَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ، وَلَمْ يَعْتَقِدْ بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللّٰهِ، فَلَيْسَ لَهُ سَهْمٌ فِي الْإِسْلَامِ وَلَا نَصِيبٌ، وَهُوَ خَالِي الْقَلْبِ وَالْيَدَيْنِ مِنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ تَعَالَى، لِأَنَّ أَوَّلَ الْفَرْضِ هُوَ الْإِيمَانُ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ.

وَالنُّطْقُ بِالشَّهَادَتَيْنِ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي الْعُمْرِ، فَرْضٌ لَازِمٌ بَعْدَ الْبُلُوغِ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ لِيَصِحَّ إِسْلَامُهُ. وَيَبْقَى وُجُوبُهَا قَائِمًا لِصِحَّةِ كُلِّ صَلَاةٍ؛ فَمَنْ كَانَ كَافِرًا، ثُمَّ قَالَ: أَنَا مُسْلِمٌ، وَلَمْ يَقُلْ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ، لَمْ يَكُنْ مُسْلِمًا لِأَنَّهُ لَمْ يَعْتَرِفْ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ. أَمَّا مَنْ نَشَأَ فِي بِيئَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ وَنَشَأَ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَكَانَ يَعْتَقِدُ الشَّهَادَتَيْنِ، فَلَا يُشْتَرَطُ النُّطْقُ بِهِمَا، بَلْ هُوَ مُسْلِمٌ وَلَوْ لَمْ يَنْطِقْ بِهِمَا، ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى. لَكِنْ مَنْ عَوَّدَ أَطْفَالَهُ قَبْلَ بُلُوغِهِمْ عَلَى قَوْلِهَا، فَلَهُ أَجْرٌ وَثَوَابٌ، وَهُوَ عَمَلٌ حَسَنٌ طَيِّبٌ لِأَنَّهَا أَعْظَمُ مَا نَطَقَ بِهِ حَضْرَةُ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ وَإِخْوَانُهُ مِنْ حَضَرَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ لِقَوْلِهِ ﷺ: أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. رواه الإمام مالك، الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، ١/٨٠.

وَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ نَطَقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ أَنْ يُؤْمِنَ بِوُجُودِ الصَّانِعِ وَتَوْحِيدِهِ تَعَالَى. وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ بِالصُّحُفِ وَالْكُتُبِ الْإِلٰهِيَّةِ الْمُنَزَّلَةِ، وَالْإِيمَانُ بِالْمُرْسَلِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ

ٱلْكِرَامِ وَٱلْمَلَائِكَةِ ٱلْعِظَامِ عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامِ ، وَكَذَٰلِكَ ٱلْإِيمَانُ بِفَرْضِيَّةِ ٱلصَّلَوَاتِ ٱلْخَمْسِ وَتَعْيِينِ أَعْدَادِ رَكَعَاتِهَا ، وَبِفَرْضِيَّةِ زَكَاةِ ٱلْأَمْوَالِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ ، وَحَجِّ بَيْتِ ٱللَّهِ ٱلْحَرَامِ عَلَىٰ تَقْدِيرِ ٱلِاسْتِطَاعَةِ ، وَكَذَٰلِكَ ٱلْإِيمَانُ بِحُرْمَةِ شُرْبِ ٱلْخَمْرِ ، وَقَتْلِ ٱلنَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَتَرْكِ ٱلْإِحْسَانِ إِلَى ٱلْوَالِدَيْنِ ، وَٱلسَّرِقَةِ ، وَٱلزِّنَا ، وَأَكْلِ مَالِ ٱلْيَتِيمِ ، وَأَكْلِ ٱلرِّبَا ، وَأَمْثَالِهَا مِمَّا ثَبَتَ بِٱلتَّوَاتُرِ وَصَارَ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ ٱلدِّينِ . وَكَذَٰلِكَ ٱلْإِيمَانُ بِٱلْعَرْشِ وَٱلْكُرْسِيِّ وَٱللَّوْحِ وَٱلْقَلَمِ ، وَبِأَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلْجَنَّةَ وَٱلنَّارَ مِنَ ٱلْعَدَمِ ، فَأَوْجَدَهُمَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُونَا فِي ٱلْوُجُودِ ، وَقَدَّرَ لَهُمَا ٱلْبَقَاءَ ٱلْأَبَدِيَّ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ البينة٨ ، فَٱلْجَنَّةُ حَقٌّ وَٱلنَّارُ حَقٌّ . قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ الكهف ٣١ . وَقَالَ تَعَالَىٰ : ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ الكهف ٢٩ .

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلْغَزَالِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِيمَا يَجِبُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِ ٱلِاعْتِقَادُ بِهِ : « ٱلشَّهَادَةُ لِلرُّسُلِ بِٱلرِّسَالَةِ ، وَأَنَّهُ بَعَثَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلْقُرَشِيَّ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِسَالَتِهِ إِلَىٰ كَافَّةِ ٱلْعَرَبِ وَٱلْعَجَمِ وَٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ ، فَنَسَخَ بِشَرِيعَتِهِ ٱلشَّرَائِعَ إِلَّا مَا قَرَّرَهُ مِنْهَا ، وَفَضَّلَهُ عَلَىٰ سَائِرِ ٱلْأَنْبِيَاءِ ، وَجَعَلَهُ سَيِّدَ ٱلْبَشَرِ ، وَمَنَعَ كَمَالَ ٱلْإِيمَانِ بِشَهَادَةِ ٱلتَّوْحِيدِ وَهُوَ قَوْلُ : لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ، مَا لَمْ تَقْتَرِنْ بِهَا شَهَادَةُ ٱلرَّسُولِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ قَوْلُكَ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللَّهِ . (مَعْنَىٰ ذَٰلِكَ أَنَّ كَمَالَ ٱلْإِيمَانِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِقَوْلِ ٱلْإِنْسَانِ ٱلشَّهَادَتَيْنِ) وَٱلْزَمَ ٱلْخَلْقَ تَصْدِيقَهُ فِي جَمِيعِ مَا أَخْبَرَ عَنْهُ مِنْ أُمُورِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ، وَأَنَّهُ لَا يُقْبَلُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ ، وَأَوَّلُهُ : سُؤَالُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ ، وَهُمَا شَخْصَانِ مَهِيبَانِ هَائِلَانِ يُقْعِدَانِ ٱلْعَبْدَ فِي قَبْرِهِ سَوِيًّا ذَا رُوحٍ وَجَسَدٍ ، فَيَسْأَلَانِهِ عَنِ ٱلتَّوْحِيدِ

(١) أي لم يتسخه . (٢) أي ملكان كما ورد في الأحاديث .

وَٱلرِّسَالَةِ، وَيُقَالَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ، وَمَا دِينُكَ، وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ وَهُمَا فَتَّانَا ٱلْقَبْرِ، وَسُؤَالُهُمَا أَوَّلُ فِتْنَةٍ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ. وَأَنْ يُؤْمِنَ بِعَذَابِ ٱلْقَبْرِ، وَأَنَّهُ حَقٌّ، وَحُكْمُهُ عَدْلٌ عَلَى ٱلْجِسْمِ وَٱلرُّوحِ عَلَى مَا يَشَاءُ. وَأَنْ يُؤْمِنَ بِٱلْمِيزَانِ ذِي ٱلْكِفَّتَيْنِ وَٱللِّسَانِ، وَصِفَتُهُ فِي ٱلْعِظَمِ أَنَّهُ مِثْلُ طَبَقَاتِ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ، تُوزَنُ ٱلْأَعْمَالُ بِقُدْرَةِ ٱللَّهِ تَعَالَى، وَٱلصَّنْجُ (أَيْ كِفَّةُ ٱلْمِيزَانِ) يَوْمَئِذٍ مَثَاقِيلُ ٱلذَّرِّ وَٱلْخَرْدَلِ، تَحْقِيقًا لِتَمَامِ ٱلْعَدْلِ. (وَٱلْمَعْنَى: إِنَّ هَذَا ٱلْمِيزَانَ ٱلْعَظِيمَ يَزِنُ بِدِقَّةٍ مُتَنَاهِيَةٍ حَتَّى مَثَاقِيلَ ٱلذَّرِّ وَٱلْخَرْدَلِ مِنَ ٱلْحَسَنَاتِ وَٱلسَّيِّئَاتِ تَحْقِيقًا لِكَمَالِ ٱلْعَدْلِ). وَتُوضَعُ صَحَائِفُ ٱلْحَسَنَاتِ فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ فِي كِفَّةِ ٱلنُّورِ فَتَثْقُلُ بِهَا ٱلْمِيزَانُ عَلَى قَدْرِ دَرَجَاتِهَا عِنْدَ ٱللَّهِ بِفَضْلِ ٱللَّهِ، وَتُطْرَحُ صَحَائِفُ ٱلسَّيِّئَاتِ فِي صُورَةٍ قَبِيحَةٍ فِي ٱلظُّلْمَةِ فَيَخِفُّ بِهَا ٱلْمِيزَانُ بِعَدْلِ ٱللَّهِ. وَأَنْ يُؤْمِنَ بِأَنَّ ٱلصِّرَاطَ حَقٌّ، وَهُوَ جِسْرٌ مَمْدُودٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، أَحَدُّ مِنَ ٱلسَّيْفِ وَأَدَقُّ مِنَ ٱلشَّعْرَةِ، تَزِلُّ عَلَيْهِ أَقْدَامُ ٱلْكَافِرِينَ بِحُكْمِ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَتَهْوِي بِهِمْ إِلَى ٱلنَّارِ، وَتَثْبُتُ عَلَيْهِ أَقْدَامُ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِ ٱللَّهِ، فَيَسَّاقُونَ إِلَى دَارِ ٱلْقَرَارِ. وَأَنْ يُؤْمِنَ بِٱلْحَوْضِ ٱلْمَوْرُودِ، حَوْضِ مُحَمَّدٍ ﷺ يَشْرَبُ مِنْهُ ٱلْمُؤْمِنُونَ قَبْلَ دُخُولِ ٱلْجَنَّةِ وَبَعْدَ جَوَازِ ٱلصِّرَاطِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا، عَرْضُهُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ ٱللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ ٱلْعَسَلِ، حَوْلَهُ أَبَارِيقُ عَدَدُهَا بِعَدَدِ نُجُومِ ٱلسَّمَاءِ، فِيهِ مِيزَابَانِ (مُثَنَّى مِيزَابٍ وَهُوَ ٱلْمَنَاةُ يَجْرِي فِيهَا ٱلْمَاءُ) يَصُبَّانِ فِيهِ مِنَ ٱلْكَوْثَرِ. وَأَنْ يُؤْمِنَ بِٱلْحِسَابِ وَتَفَاوُتِ ٱلنَّاسِ فِيهِ إِلَى مُنَاقَشٍ فِي ٱلْحِسَابِ (أَيْ مُشَدَّدٍ عَلَيْهِ)، وَإِلَى مُسَامَحٍ فِيهِ، وَإِلَى مَنْ يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَهُمُ ٱلْمُقَرَّبُونَ، فَيَسْأَلُ ٱللَّهُ تَعَالَى مَنْ شَاءَ مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ عَنْ تَبْلِيغِ ٱلرِّسَالَةِ، وَمَنْ شَاءَ مِنَ ٱلْكُفَّارِ عَنْ تَكْذِيبِ ٱلْمُرْسَلِينَ، وَيَسْأَلُ ٱلْمُبْتَدِعَةَ عَنِ ٱلسُّنَّةِ (أَيْ يَسْأَلُهُمْ عَنْ سَعْيِهِمْ لِإِخْفَاءِ ٱلسُّنَّةِ وَدَثْرِ مَعَالِمِهَا)، وَيَسْأَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ عَنِ ٱلْأَعْمَالِ. وَأَنْ يُؤْمِنَ بِإِخْرَاجِ ٱلْمُوَحِّدِينَ مِنَ ٱلنَّارِ بَعْدَ ٱلِٱنْتِقَامِ، حَتَّى لَا يَبْقَى فِي جَهَنَّمَ مُوَحِّدٌ بِفَضْلِ ٱللَّهِ تَعَالَى، فَلَا يُخَلَّدُ فِي ٱلنَّارِ مُوَحِّدٌ.

وَأَنْ يُؤْمِنَ بِشَفَاعَةِ الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ الْعُلَمَاءِ، ثُمَّ الشُّهَدَاءِ، ثُمَّ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى حَسَبِ جَاهِهِ وَمَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى. وَمَنْ بَقِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَفِيعٌ أُخْرِجَ بِفَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ مُؤْمِنٌ، بَلْ يَخْرُجُ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ. وَأَنْ يَعْتَقِدَ فَضْلَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم وَتَرْتِيبَهُمْ وَأَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ رضي الله عنهم. وَأَنْ يُحْسِنَ الظَّنَّ بِجَمِيعِ الصَّحَابَةِ وَيُثْنِيَ عَلَيْهِمْ كَمَا أَثْنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، فَكُلُّ ذَلِكَ مِمَّا وَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ وَشَهِدَتْ بِهِ الْآثَارُ. فَمَنِ اعْتَقَدَ جَمِيعَ ذَلِكَ مُوقِنًا بِهِ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ وَعِصَابَةِ السُّنَّةِ، وَفَارَقَ رَهْطَ الضَّلَالِ وَحِزْبَ الْبِدْعَةِ. فَنَسْأَلُ اللَّهَ كَمَالَ الْيَقِينِ وَحُسْنَ الثَّبَاتِ فِي الدِّينِ، لَنَا وَلِكَافَّةِ الْمُسْلِمِينَ، بِرَحْمَتِهِ إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى كُلِّ عَبْدٍ مُصْطَفًى."

إحياء علوم الدين ١/ ٩٢، ٩٤.

أَشْيَاءُ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهَا الْفَنَاءُ

إِنَّ بَعْضَ الْمَخْلُوقَاتِ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهَا الْفَنَاءُ، بَلْ تَبْقَى عَلَى حَالِهَا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، وَهِيَ عَقْلًا قَابِلَةٌ لِلْفَنَاءِ، وَقَدْ ذَكَرَهَا الْإِمَامُ الْبَيْجُورِيُّ رحمه الله فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فَقَالَ: "مُقْتَضَاهُ أَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُ تَعَالَى مَحْكُومٌ عَلَيْهِ بِالْهَلَاكِ، وَحَاصِلُ الْجَوَابِ أَنَّ الْعُلَمَاءَ قَصَرُوا عُمُومَ ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ الْأُمُورِ الَّتِي وَرَدَتِ الْأَحَادِيثُ بِاسْتِثْنَائِهَا، كَالرُّوحِ، وَعَجْبِ الذَّنَبِ (وَهُوَ الْعَظْمُ الَّذِي فِي أَسْفَلِ الصُّلْبِ عِنْدَ الْعَجْزِ)، وَأَجْسَادِ الْأَنْبِيَاءِ وَالشُّهَدَاءِ، وَالْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالْحُورِ الْعِينِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَقَدْ نَظَمَ الْجَلَالُ السُّيُوطِيُّ ثَمَانِيَةً مِنْهَا بِقَوْلِهِ:

ثَمَانِيَةٌ حُكْمُ الْبَقَاءِ يَعُمُّهَا ● مِنَ الْخَلْقِ وَالْبَاقُونَ فِي حَيِّزِ الْعَدَمِ
هِيَ الْعَرْشُ وَالْكُرْسِي نَارٌ وَجَنَّةٌ ● وَعَجْبُ وَأَرْوَاحٌ كَذَا اللَّوْحُ وَالْقَلَمِ

وَقَالَ الْإِمَامُ السَّرْهِنْدِيُّ النَّقْشَبَنْدِيُّ رحمه الله: "لَا بِمَعْنَى أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ لَا تَقْبَلُ الْفَنَاءَ، وَلَيْسَتْ فِيهَا قَابِلِيَّةُ الزَّوَالِ، حَاشَا مِنْ ذَلِكَ وَكَلَّا. بَلْ بِمَعْنَى أَنَّ الْقَادِرَ

جَلَّ شَأْنُهُ، يُفْنِي بَعْدَ الْوُجُودِ مَنْ يَشَاءُ، وَيُبْقِي مَنْ يَشَاءُ لِحِكَمٍ وَمَصَالِحَ، يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ، وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ". مكتوبات الإمام الرباني، ٢/ ٧٣.

أَقْوَالُ بَعْضِ الصَّحَابَةِ وَالْأَئِمَّةِ فِي التَّوْحِيدِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى ١١. وَقَالَ حَضْرَةُ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ﴾ الفتح الكبير ٣. وَفِيمَا يَلِي طَائِفَةٌ مِنْ أَقْوَالِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ وَالْأَئِمَّةِ الْكِرَامِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فِي التَّوْحِيدِ، نَفَعَنَا اللَّهُ بِبَرَكَاتِهِمْ أَجْمَعِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

قَالَ حَضْرَةُ الصِّدِّيقِ الْأَكْبَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "الْعَجْزُ عَنْ دَرْكِ الْإِدْرَاكِ إِدْرَاكٌ، وَالْبَحْثُ فِي ذَاتِهِ كُفْرٌ وَإِشْرَاكٌ". (أي الاعتراف بالعجز عن معرفة ذات الله: معرفة)

قَالَ حَضْرَةُ الْإِمَامِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَنَفَعَنَا بِنُورِ إِيمَانِهِ: "كَانَ اللَّهُ وَلَا مَكَانَ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ".

قَالَ حَضْرَةُ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "مَنِ انْتَهَضَ لِمَعْرِفَةِ مُدَبِّرِهِ فَانْتَهَى إِلَى مَوْجُودٍ يَنْتَهِي إِلَيْهِ فِكْرُهُ فَهُوَ مُشَبِّهٌ، وَإِنِ اطْمَأَنَّ إِلَى الْعَدَمِ الصِّرْفِ فَهُوَ مُعَطِّلٌ، وَإِنِ اطْمَأَنَّ إِلَى مَوْجُودٍ وَاعْتَرَفَ بِالْعَجْزِ عَنْ إِدْرَاكِهِ، فَهُوَ مُوَحِّدٌ". البرهان المؤيد. وَفِي هَذَا الْقَوْلِ الْمُبَارَكِ تَفْسِيرٌ لِقَوْلِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ حَضْرَةُ الْإِمَامِ الْجُنَيْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "التَّوْحِيدُ إِفْرَادُ الْقَدِيمِ مِنَ الْمُحْدَثِ، أَيْ تَنْزِيهُ اللَّهِ عَنْ مُشَابَهَةِ الْمَخْلُوقِينَ.

قَالَ حَضْرَةُ الْإِمَامِ ابْنِ عَرَبِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إِنَّ رَبَّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُتَكَلِّمٌ عَالِمٌ مُرِيدٌ قَدِيرٌ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، أَحَدِيٌّ فَلَا اثْنَ وَلَا تَرْكِيبَ لِذَاتِهِ، أَزَلِيٌّ فَلَا كَيْفَ وَلَا تَرْتِيبَ لِصِفَاتِهِ، أَبَدِيٌّ فَلَا تَنَاهِيَ لِجَلَالِهِ وَإِكْرَامِهِ، تَنَزَّهَ فِي سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَإِدْرَاكِهِ وَبَطْشِهِ عَنِ الْجَوَارِحِ، وَعَزَّ فِي قُدْرَتِهِ عَنِ الشَّرِيكِ وَالْمُعِينِ، وَجَلَّ فِي إِرَادَتِهِ عَنِ

ٱلْأَغْرَاضِ، وَتَفَرَّدَ فِي كَلَامِهِ عَنِ ٱلْحُرُوفِ وَٱلْأَصْوَاتِ، وَتَعَالَىٰ فِي ٱسْتِوَائِهِ عَنِ ٱلتَّشْبِيهِ وَٱلْكَوْنِ، وَتَقَدَّسَ فِي عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ عَنِ ٱلْجِهَاتِ، يَنْزِلُ سُبْحَانَهُ بِلَا نُقْلَةٍ، وَيَجِيءُ وَيَأْتِي بِلَا حَرَكَةٍ، وَتَرَاهُ أَبْصَارُ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِلَا إِدْرَاكٍ وَلَا إِحَاطَةٍ، لَا حَدَّ لِقُرْبِهِ، وَلَا مِثْلَ لِحُبِّهِ، وَلَا ثَوْرَةَ لِغَضَبِهِ، وَلَا كَيْفَ لَهُ فِي رِضَاهُ... وَلَا شَفِيعَ إِلَّا بِمَشِيَّتِهِ، وَلَا وُرِّيَةَ (أَيْ تَمَرُّدٌ وَوَحْدَانِيَّةٌ) إِلَّا بِظُهُورِ قَهْرِهِ وَأَحَدِيَّتِهِ، وَلَا بَقَاءَ إِلَّا لِأَهْلِ عِنْدِيَّتِهِ (أَيْ أَهْلِ رَحْمَتِهِ)». ـ رد معاني الآيات المتشابهات ٤ ـ

قَوْلُ أَحَدِ ٱلْعَارِفِينَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : سُئِلَ بَعْضُ ٱلْعَارِفِينَ عَنِ ٱلْخَالِقِ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ فَقَالَ لِلسَّائِلِ : «إِنْ سَأَلْتَ عَنْ ذَاتِهِ، فَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ؛ وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ صِفَاتِهِ، فَهُوَ أَحَدٌ صَمَدٌ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ؛ وَإِنْ سَأَلْتَ عَنِ ٱسْمِهِ، فَهُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ، وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ فِعْلِهِ، فَكُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ».

مَعْنَى ٱلشَّهَادَتَيْنِ

مَعْنَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ، ٱلِاعْتِرَافُ بِاللِّسَانِ، وَٱلِاعْتِقَادُ بِٱلْقَلْبِ أَنَّ ٱلْمَعْبُودَ بِحَقٍّ هُوَ ٱللَّهُ وَلَا مَعْبُودَ سِوَاهُ، وَهُوَ وَحْدَهُ يَسْتَحِقُّ ٱلْعِبَادَةَ إِذْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، وَفِي هَٰذَا قَالَ ٱلْإِمَامُ مُحَمَّدٌ ٱلنَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَمَعْنَىٰ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ كَائِنٌ فِي ٱلْوُجُودِ إِلَّا ٱللَّهُ، أَيْ: لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُذَلَّ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا ٱللَّهُ». ـ كاشفة السجا ١٣ ـ وَقَدْ قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ مُتَوَعِّدًا ٱلَّذِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ ـ الأنبياء ٩٨ ـ وَعَلَى ٱلْمَرْءِ أَنْ يَقْرِنَ شَهَادَةَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ ٱللَّهِ مَعَ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ، لِأَنَّهُ لَا يُقْبَلُ إِيمَانُ عَبْدٍ بِدُونِ ذَٰلِكَ، فَعَلَيْنَا أَنْ نَعْتَقِدَ بِقُلُوبِنَا أَنَّ حَضْرَةَ ٱلنَّبِيِّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ ٱللَّهِ ٱلْهَاشِمِيَّ ٱلْقُرَشِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَادِقٌ فِي كُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ، وَقَدْ أَرْسَلَهُ ٱللَّهُ إِلَىٰ كَافَّةِ ٱلْعَالَمِينَ، مِنَ ٱلْإِنْسِ وَٱلْجِنِّ بِٱلْحَقِّ وَٱلْهُدَىٰ. وَأَنْزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْقُرْآنَ ٱلْكَرِيمَ ٱلَّذِي

لَا يُدَانِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ ٱلْبَشَرِ مَهْمَا بَلَغُوا مِنَ ٱلْعِلْمِ. وَأَنَّهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمُ ٱلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَهُوَ إِمَامُ ٱلْأَتْقِيَاءِ وَسَيِّدُ ٱلْمُرْسَلِينَ.

قَالَ أَحَدُ ٱلصَّالِحِينَ: "إِنَّ قَوْلَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَجْمَعُ جَمِيعَ مَعَانِي ٱلْعَقَائِدِ ٱلْإِسْلَامِيَّةِ، وَٱسْتِغْنَاءَ ٱلْإِلَٰهِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَٱفْتِقَارَ كُلِّ مَا عَدَاهُ إِلَيْهِ، وَيُوجِبُ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ ٱلْوَحْدَانِيَّةَ وَٱلْغِنَىٰ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ. وَأَمَّا قَوْلُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللَّهِ، فَيَدْخُلُ فِيهِ ٱلْإِيمَانُ بِسَائِرِ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَٱلْمُرْسَلِينَ، وَٱلْمَلَائِكَةِ وَٱلْكُتُبِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ". فَمِنْ هُنَا نَعْلَمُ أَنَّ ٱلْمُرَادَ مِنَ ٱلشَّهَادَتَيْنِ: إِثْبَاتُ ٱلْأُلُوهِيَّةِ لِلَّهِ وَنَفْيُهَا عَمَّا سِوَاهُ، وَٱلْإِقْرَارُ بِرِسَالَةِ رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

حُكْمُ مَنْ يَجْحَدُ ٱلشَّهَادَتَيْنِ

مَنْ يَجْحَدُ ٱلشَّهَادَتَيْنِ، وَلَوْ فِي حَالِ ٱلِاسْتِهْزَاءِ، وَيَمُوتُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ، فَهُوَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ، وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ، خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا، يَذُوقُ مَا شَاءَ ٱللَّهُ لَهُ مِنْ أَلْوَانِ ٱلْعَذَابِ. قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ فِي حَقِّ أَمْثَالِهِ: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ فصلت ٢٧/٢٨. قَالَ ٱلْجَوْهَرِيُّ: "ٱلْجُحُودُ، ٱلْإِنْكَارُ مَعَ ٱلْعِلْمِ". لسان العرب، مادة جحد.

قَوْلُ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ لِحَضْرَةِ مُوسَىٰ عَنْ عَظَمَةِ قَوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ٱلْخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: ﴿قَالَ مُوسَىٰ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَبِّ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ، وَأَدْعُوكَ بِهِ؟ قَالَ: قُلْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ. قَالَ: يَا رَبِّ، كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَٰذَا. قَالَ: قُلْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ. قَالَ: إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخُصُّنِي بِهِ. قَالَ: يَا مُوسَىٰ لَوْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَاتِ ٱلسَّبْعَ وَٱلْأَرَضِينَ ٱلسَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ فِي كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ رواه النسائي - الترغيب والترهيب ٢/٩٧٩.

وَصِيَّةُ حَضْرَةِ نُوحٍ لِوَلَدَيْهِ

عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ : أَتَى ٱلنَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَعْرَابِيٌّ، ثُمَّ دَعَاهُ رَسُولُ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَعَدَ، فَقَالَ : ﴿ إِنَّ نُوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حَضَرَتْهُ ٱلْوَفَاةُ فَقَالَ لِٱبْنَيْهِ : إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكُمَا ٱلْوَصِيَّةَ، أُوصِيكُمَا بِٱثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكُمَا عَنِ ٱثْنَتَيْنِ. أَنْهَاكُمَا عَنِ ٱلشِّرْكِ وَٱلْكِبْرِ، وَآمُرُكُمَا بِـ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ، فَإِنَّ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا فِيهِنَّ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةِ مِيزَانٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ فِي ٱلْكِفَّةِ ٱلْأُخْرَى كَانَتْ أَرْجَحَ مِنْهُنَّ (أَيْ أَثْقَلَ مِنْهُنَّ، وَٱلْمَعْنَى : أَنَّهَا أَعْظَمُ عِنْدَ ٱللَّهِ مِنْهُنَّ)، وَإِنَّ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ لَوْ كَانَتْ حَلْقَةً فَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ عَلَيْهَا لَقَصَمَتْهَا، وَآمُرُكُمَا بِسُبْحَانَ ٱللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ كُلُّ شَيْءٍ ﴾

ـ الترغيب والترهيب ٢/ ٤١٧ ـ

لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ مِفْتَاحُ ٱلْجَنَّةِ

رَوَى ٱلْإِمَامُ ٱلْبَيْهَقِيُّ رضي الله عنه فِي كِتَابِهِ "ٱلْأَسْمَاءُ وَٱلصِّفَاتُ"، بِسَنَدِهِ إِلَى حَضْرَةِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه عَنْ حَضْرَةِ رَسُولِ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ لَهُ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى ٱلْيَمَنِ : ﴿ إِنَّكَ سَتَأْتِي أَهْلَ ٱلْكِتَابِ فَيَسْأَلُونَكَ عَنْ مَفَاتِيحِ ٱلْجَنَّةِ فَقُلْ : شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ ـ الأسماء والصفات ١٣١ ـ وَعَنْ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : ﴿ إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ حَقًّا مِنْ قَلْبِهِ فَيَمُوتُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا حُرِّمَ عَلَى ٱلنَّارِ : لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ ـ رواه الحاكم، الترغيب والترهيب ٢/ ٤١٦ ـ

وَعَنْ حَضْرَةِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم : ﴿ مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ، دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ. ﴾ ـ الأسماء والصفات ١٢٥ ـ

وَعَنْ حَضْرَةِ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ حَضْرَةَ ٱلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَمُعَاذٌ رَدِيفُهُ (أَيْ رَاكِبٌ خَلْفَهُ) عَلَى ٱلرَّحْلِ قَالَ : ﴿ يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ ؟ قَالَ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ ٱللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ـ ثَلَاثًا ـ، قَالَ : مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ ٱللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّارِ. قَالَ : يَا رَسُولَ ٱللَّهِ، أَفَلَا

أُخْبِرُ بِهِ ٱلنَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا ؟ قَالَ : إِذًا يَتَّكِلُوا . وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا[1] ﴿ رواه البخاري ومسلم ـ (أَيْ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَلْحَقَهُ إِثْمٌ إِنْ هُوَ كَتَمَ الْحَدِيثَ)

قَوْلُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ مِنْ أَفْضَلِ الْحَسَنَاتِ

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ : ﴿ قُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللَّهِ أَوْصِنِي ، قَالَ صلى الله عليه وسلم : إِتَّقِ ٱللَّهَ ، وَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَتْبِعْهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا . قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللَّهِ ، أَمِنَ ٱلْحَسَنَاتِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم : مِنْ أَفْضَلِ ٱلْحَسَنَاتِ ﴿ ـ الأسماء والصفات ١٣٣ ـ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَثَوَابُ قَائِلِهَا

عَنْ حَضْرَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : إِنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : ﴿ مَنْ قَالَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ ، كَانَتْ لَهُ عِدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ ، وَمُحِيَتْ مِائَةُ سَيِّئَةٍ ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ ٱلشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَٰلِكَ حَتَّىٰ يُمْسِيَ ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَٰلِكَ . وَمَنْ قَالَ سُبْحَانَ ٱللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ ٱلْبَحْرِ . ﴿ رواه البخاري ومسلم ـ الأسماء والصفات ١٣٠ ـ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ غَفَّارَةٌ لِلذُّنُوبِ

عَنْ يَعْلَىٰ بْنِ شَدَّادٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رضي الله عنه وَعُبَادَةُ بْنُ ٱلصَّامِتِ رضي الله عنه حَاضِرٌ يُصَدِّقُهُ ، قَالَ : كُنَّا عِنْدَ ٱلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : ﴿ هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ ؟ يَعْنِي أَهْلَ ٱلْكِتَابِ ، قُلْنَا : لَا يَا رَسُولَ ٱللَّهِ . فَأَمَرَ بِغَلْقِ ٱلْبَابِ وَقَالَ : ٱرْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ وَقُولُوا : لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ . فَرَفَعْنَا أَيْدِيَنَا سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ، ٱللَّهُمَّ إِنَّكَ

بَعَثْتَنِي بِهَٰذِهِ ٱلْكَلِمَةِ وَأَمَرْتَنِي بِهَا، وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهَا ٱلْجَنَّةَ، وَأَنْتَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ. ثُمَّ قَالَ: أَبْشِرُوا، فَإِنَّ ٱللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ ﴿ ـ رواه الإمام أحمد

لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ تُنْجِي مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ

رَوَىٰ حَضْرَةُ ٱلْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ حَضْرَةِ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنِي نَبِيُّ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ إِنِّي لَقَائِمٌ أَنْتَظِرُ أُمَّتِي تَعْبُرُ عَلَى ٱلصِّرَاطِ إِذْ جَاءَنِي عِيسَىٰ فَقَالَ: هَٰذِهِ ٱلْأَنْبِيَاءُ قَدْ جَاءَتْكَ يَا مُحَمَّدُ يَشْتَكُونَ، أَوْ قَالَ: يَجْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَيَدْعُونَ ٱللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُفَرِّقَ جَمْعَ ٱلْأُمَمِ إِلَىٰ حَيْثُ يَشَاءُ ٱللَّهُ لِغَمِّ مَا هُمْ فِيهِ، وَٱلْخَلْقُ مُلْجَمُونَ فِي ٱلْعَرَقِ، وَأَمَّا ٱلْمُؤْمِنُ فَهُوَ عَلَيْهِ كَٱلزُّكْمَةِ، وَأَمَّا ٱلْكَافِرُ فَيَتَغَشَّاهُ ٱلْمَوْتُ. قَالَ: عِيسَىٰ، إِنْتَظِرْ حَتَّىٰ أَرْجِعَ إِلَيْكَ، قَالَ: فَذَهَبَ نَبِيُّ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ قَامَ تَحْتَ ٱلْعَرْشِ فَلَقِيَ مَا لَمْ يَلْقَ مَلَكٌ مُصْطَفًىٰ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، فَأَوْحَىٰ ٱللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ جِبْرِيلَ، إِذْهَبْ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ فَقُلْ لَهُ: إِرْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَ، وَٱشْفَعْ تُشَفَّعْ، قَالَ: فَشُفِّعْتُ فِي أُمَّتِي أَنْ أُخْرِجَ مِنْ كُلِّ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا وَاحِدًا. قَالَ: فَمَا زِلْتُ أَتَرَدَّدُ عَلَىٰ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، فَلَا أَقُومُ مَقَامًا إِلَّا شُفِّعْتُ، حَتَّىٰ أَعْطَانِيَ ٱللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذَٰلِكَ أَنْ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مِنْ خَلْقِ ٱللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَوْمًا وَاحِدًا مُخْلِصًا وَمَاتَ عَلَىٰ ذَٰلِكَ ﴿ ـ مسند الإمام أحمد ٣/٣٤٨ ـ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ تُخْرِجُ قَائِلَهَا مِنَ ٱلنَّارِ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ إِنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَدْخُلُونَ ٱلنَّارَ بِذُنُوبِهِمْ فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُ ٱللَّاتِ وَٱلْعُزَّىٰ: مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ قَوْلُكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَأَنْتُمْ مَعَنَا فِي ٱلنَّارِ؟ فَيَغْضَبُ ٱللَّهُ لَهُمْ فَيُخْرِجُهُمْ فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرِ ٱلْحَيَاةِ فَيَبْرَأُونَ مِنْ حَرَقِهِمْ كَمَا يَبْرَأُ ٱلْقَمَرُ مِنْ خُسُوفِهِ وَيَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَيُسَمَّوْنَ فِيهَا ٱلْجَهَنَّمِيُّونَ ﴿ ـ تفسير القرآن العظيم ٢/٥٦٦ ـ

وَعَنْ أَبْرَاهِيمَ بْنِ مَعْمَرٍ وَإِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَا : سَمِعْنَا سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ : مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ نِعْمَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ عَرَّفَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ كَالْمَاءِ فِي الدُّنْيَا". حلية الأولياء ٧/٢٧٠.

قَوْلُ زُبَيْدَةَ عَنْ كَلِمَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

قَالَ حُجَّةُ الْإِسْلَامِ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قِيلَ لِزُبَيْدَةَ فِي الْمَنَامِ، مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكِ؟ قَالَتْ: غَفَرَ لِي بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: الْأُولَى، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَفْنَى بِهَا عُمْرِي. الثَّانِيَةُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَدْخُلُ بِهَا قَبْرِي. الثَّالِثَةُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَخْلُو بِهَا وَحْدِي. الرَّابِعَةُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَلْقَى بِهَا رَبِّي.

كَلِمَةُ التَّقْوَى هِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِهِ: "... عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ وَذَكَرَ قَوْمًا فَقَالَ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[1] وَقَالَ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾[2] وَهِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا وَاسْتَكْبَرَ عَنْهَا الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ فَكَاتَبَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى قَضِيَّةِ الْمُدَّةِ... وَقَالَ مُجَاهِدٌ: كَلِمَةُ التَّقْوَى: الْإِخْلَاصُ. وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ: هِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ... وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ قَالَ، يَقُولُ، شَهَادَةُ

(١) الصافات ٣٥ - (٢) الفتح ٢٦ -

أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَهِيَ رَأْسُ كُلِّ تَقْوَىٰ ». تفسير القرآن العظيم ٤/٢٠٨-٢٠٩. وَقَالَ ٱلْحَلِيمِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، تَعْلِيقًا عَلَى ٱلْحَدِيثِ ٱلْوَارِدِ عَنْ حَضْرَةِ سَعِيدِ بْنِ ٱلْمُسَيِّبِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: « وَفِي هَٰذَا ٱلْبَيَانِ أَنَّ هَٰذِهِ ٱلْكَلِمَةَ يَكْفِي ٱلْإِنْسِلَاخُ بِهَا مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ ٱلْكُفْرِ بِٱللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَإِذَا تَأَمَّلْنَاهَا وَجَدْنَاهَا بِٱلْحَقِيقَةِ كَذَٰلِكَ، لِأَنَّ مَنْ قَالَ: لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ، فَقَدْ أَثْبَتَ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ وَنَفَىٰ غَيْرَهُ ». الأسماء والصفات ١٢٢/١٢٣.

وَلَيْسَ ٱلْمُرَادُ مِنْ حَدِيثِ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ ٱلنَّاسَ مُقَاتَلَةَ ٱلْمُؤْمِنِ وَٱلْكَافِرِ، إِنَّمَا هُوَ خَاصٌّ فِي حَقِّ أَهْلِ ٱلْإِشْرَاكِ وَعَبَدَةِ ٱلْأَوْثَانِ ٱلَّذِينَ يُبَيِّتُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ كُلَّ عَدَاوَةٍ لِلْإِسْلَامِ وَٱلْمُسْلِمِينَ، وَيَشُنُّونَ حَرْبًا شَعْوَاءَ عَلَىٰ دِينِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ ٱلْمُبِينِ، لِنُصْرَةِ أَصْنَامِهِمْ وَتَمَاثِيلِهِمْ وَإِجْبَارِ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ عِبَادَتِهَا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ. وَيُسْتَثْنَىٰ مِنْ ذَٰلِكَ مُؤَدُّو ٱلْجِزْيَةِ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ، وَٱلْمُعَاهِدُ ٱلَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ مُعَاهَدَةٌ.

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱبْنُ حَجَرٍ ٱلْعَسْقَلَانِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "ٱلْمُرَادُ بِٱلنَّاسِ فِي قَوْلِهِ أُقَاتِلُ ٱلنَّاسَ أَيِ ٱلْمُشْرِكِينَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ ...

• ٱلْمُرَادُ بِمَا ذُكِرَ مِنَ ٱلشَّهَادَةِ (أَيْ: لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ) وَغَيْرِهَا: ٱلتَّعْبِيرُ عَنْ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ ٱللَّهِ وَإِذْعَانِ ٱلْمُخَالِفِينَ، فَيَحْصُلُ فِي بَعْضٍ بِٱلْقَتْلِ، وَفِي بَعْضٍ بِٱلْجِزْيَةِ، وَفِي بَعْضٍ بِٱلْمُعَاهَدَةِ". فتح الباري شرح صحيح البخاري ١/٧٧.

وَأَمَّا مَعْنَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: لَا إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ فَلَا يَتَعَارَضُ مَعَ حَدِيثِ قِتَالِ ٱلْمُشْرِكِينَ. وَفِيمَا يَلِي نَعْرِضُ أَقْوَالَ ٱلْعُلَمَاءِ فِي تَفْسِيرِ هَٰذِهِ ٱلْآيَةِ ٱلْكَرِيمَةِ:

قَالَ قَتَادَةُ وَعَطَاءٌ: "نَزَلَتْ فِي أَهْلِ ٱلْكِتَابِ إِذْ قَبِلُوا ٱلْجِزْيَةَ، وَذَٰلِكَ أَنَّ ٱلْعَرَبَ كَانَتْ أُمَّةً أُمِّيَّةً لَمْ يَكُنْ لَهُمْ كِتَابٌ فَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُمْ إِلَّا ٱلْإِسْلَامُ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا، أَنْزَلَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: لَا إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ فَأَمَرَ بِقِتَالِ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ إِلَىٰ أَنْ يُسْلِمُوا أَوْ يُقِرُّوا بِٱلْجِزْيَةِ، فَمَنْ أَعْطَىٰ مِنْهُمُ ٱلْجِزْيَةَ لَمْ يُكْرَهْ عَلَى ٱلْإِسْلَامِ". معالم التنزيل في التفسير والتأويل ١/٣٦٢.

وَقَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلرَّازِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "ٱلْإِكْرَاهُ أَنْ يَقُولَ

ٱلْمُسْلِمُ لِلْكَافِرِ: إِنْ آمَنْتَ وَإِلَّا قَتَلْتُكَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ أَمَّا فِي حَقِّ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ وَفِي حَقِّ ٱلْمَجُوسِ، فَلِأَنَّهُمْ إِذَا قَبِلُوا ٱلْجِزْيَةَ سَقَطَ ٱلْقَتْلُ عَنْهُمْ، وَأَمَّا سَائِرُ ٱلْكُفَّارِ فَإِذَا تَهَوَّدُوا أَوْ تَنَصَّرُوا، فَقَدِ ٱخْتَلَفَ ٱلْفُقَهَاءُ فِيهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ يُقَرُّ عَلَيْهِ؛ وَعَلَى هَذَا ٱلتَّقْدِيرِ يَسْقُطُ عَنْهُ ٱلْقَتْلُ إِذَا قَبِلَ ٱلْجِزْيَةَ، وَعَلَى مَذْهَبِ هَؤُلَاءِ، كَانَ قَوْلُهُ ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ عَامًّا فِي كُلِّ ٱلْكُفَّارِ. أَمَّا مَنْ يَقُولُ مِنَ ٱلْفُقَهَاءِ بِأَنَّ سَائِرَ ٱلْكُفَّارِ إِذَا تَهَوَّدُوا أَوْ تَنَصَّرُوا فَإِنَّهُمْ لَا يُقَرُّونَ عَلَيْهِ، فَعَلَى قَوْلِهِ: يَصِحُّ ٱلْإِكْرَاهُ فِي حَقِّهِمْ، وَكَانَ قَوْلُهُ ﴿لَآ إِكْرَاهَ﴾ مَخْصُوصًا بِأَهْلِ ٱلْكِتَابِ.

تفسير الفخر الرازي ٧/١٦.

لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَعَجَائِبُهَا

قَالَ ٱلْإِمَامُ مُحَمَّدٌ ٱلنَّوَوِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ كَلِمَةَ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ ٱثْنَا عَشَرَ حَرْفًا، فَلَا جَرَمَ (أَيْ: فَلَا بُدَّ) أَنَّهُ وَجَبَ بِهَا ٱثْنَتَا عَشْرَةَ فَرِيضَةً: سِتَّةٌ ظَاهِرَةٌ، وَسِتَّةٌ بَاطِنَةٌ. أَمَّا ٱلظَّاهِرَةُ فَٱلطَّهَارَةُ، وَٱلصَّلَاةُ، وَٱلزَّكَاةُ، وَٱلصَّوْمُ، وَٱلْحَجُّ، وَٱلْجِهَادُ. وَأَمَّا ٱلْبَاطِنَةُ: فَٱلتَّوَكُّلُ، وَٱلتَّفْوِيضُ، وَٱلصَّبْرُ، وَٱلرِّضَا، وَٱلزُّهْدُ، وَٱلتَّوْبَةُ". كاشفة السجا ١٤.

نَصِيحَةُ أَحَدِ ٱلصَّالِحِينَ لِلثَّبَاتِ عَلَى كَلِمَةِ ٱلتَّوْحِيدِ

قَالَ أَحَدُ ٱلْفُقَهَاءِ ٱلصَّالِحِينَ: "ٱلْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ، وَيَسْأَلَ ٱللَّهَ تَعَالَى آنَاءَ ٱللَّيْلِ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ أَنْ لَا يَنْزِعَ مِنْهُ ٱلْإِيمَانَ وَشَهَادَةَ ٱلْإِسْلَامِ، وَيَحْفَظَ نَفْسَهُ مِنَ ٱلتَّمَادِي فِي ٱلْمَعَاصِي، إِذْ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ ٱلنَّاسِ يَسْلُبُونَ إِيمَانَهُمْ آخِرَ عُمْرِهِمْ بِسَبَبِ أَعْمَالِهِمُ ٱلْخَبِيثَةِ ٱلْمَخْلُوطَةِ بِٱلضَّلَالِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْكُفْرِ، وَٱلْعِيَاذُ بِٱللَّهِ، وَأَيُّ مُصِيبَةٍ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَكُونَ ٱلرَّجُلُ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا، ثُمَّ يُبْعَثُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ

مَعَ ٱلْكَافِرِينَ، هُنَالِكَ ٱلْحَسْرَةُ ٱلْكُبْرَىٰ. وَذَٰلِكَ إِنَّمَا مَرَدُّهُ إِلَىٰ أَعْمَالِهِ ٱلْخَبِيثَةِ وَلِٱنْشِغَالِهِ بِٱلْمُحَرَّمَاتِ، وَسُلُوكِهِ مَسَالِكَ أَهْلِ ٱلْكُفْرِ وَٱلْإِلْحَادِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ ـ البقرة ١٠٨ ـ أَيْ حَادَ عَنْ نَهْجِ ٱلِٱسْتِقَامَةِ وَعَنِ ٱلطَّرِيقِ ٱلسَّوِيِّ ٱلْمُوصِلِ إِلَىٰ جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ. فَٱنْظُرْ يَا أَخِي وَٱجْتَهِدْ فِي إِصْلَاحِ أَمْرِكَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكَ ٱلْمَوْتُ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَىٰ يَحِينُ وَقْتُهُ، فَٱلْعُمْرُ قَصِيرٌ وَٱلْحَسْرَةُ طَوِيلَةٌ.

وَعَلَيْكَ أَنْ تُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ: لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ، فَهُوَ تَجْدِيدٌ لِلْإِيمَانِ، لِمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: «جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ ٱللَّهِ وَكَيْفَ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا؟ قَالَ: «أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ: لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ» ـ رواه الإمام أحمد والنسائي ـ فَنَسْأَلُ ٱللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ أَنْ لَا يَسْلُبَنَا كَلِمَةَ ٱلتَّوْحِيدِ وَٱلْإِيمَانَ، إِنَّهُ كَرِيمٌ مَنَّانٌ.

ٱلْقَطْعُ بِدُخُولِ ٱلْمُوَحِّدِ ٱلْجَنَّةَ

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلنَّوَوِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: وَٱعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ ٱلسُّنَّةِ، وَمَا عَلَيْهِ أَهْلُ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلسَّلَفِ وَٱلْخَلَفِ: أَنَّ مَنْ مَاتَ مُوَحِّدًا دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ قَطْعًا عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ. فَإِنْ كَانَ سَالِمًا مِنَ ٱلْمَعَاصِي، كَٱلصَّغِيرِ (لِأَنَّ ٱلْقَلَمَ مَرْفُوعٌ عَنْهُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ سِنَّ ٱلِٱحْتِلَامِ)، وَٱلْمَجْنُونِ، وَٱلَّذِي ٱتَّصَلَ جُنُونُهُ بِٱلْبُلُوغِ، وَٱلتَّائِبِ تَوْبَةً صَحِيحَةً مِنَ ٱلشِّرْكِ أَوْ غَيْرِهِ مِنَ ٱلْمَعَاصِي، إِذَا لَمْ يُحْدِثْ مَعْصِيَةً بَعْدَ تَوْبَتِهِ، وَٱلْمُوَفَّقِ (أَيِ ٱلَّذِي وَفَّقَهُ ٱللَّهُ) ٱلَّذِي لَمْ يُبْتَلَ بِمَعْصِيَةٍ أَصْلًا، فَكُلُّ هَٰذَا ٱلصِّنْفِ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلنَّارَ أَصْلًا، لَٰكِنَّهُمْ يَرِدُونَهَا عَلَىٰ ٱلْخِلَافِ ٱلْمَعْرُوفِ بِٱلْوُرُودِ، وَٱلصَّحِيحُ أَنَّ ٱلْمُرَادَ بِهِ: ٱلْمُرُورُ عَلَى ٱلصِّرَاطِ، وَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَىٰ ظَهْرِ جَهَنَّمَ، أَعَاذَنَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمِنْ سَائِرِ ٱلْمَكْرُوهِ.

وَأَمَّا مَنْ كَانَتْ لَهُ مَعْصِيَةٌ كَبِيرَةٌ، وَمَاتَ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ، فَهُوَ فِي مَشِيئَةِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ، فَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَأَدْخَلَهُ ٱلْجَنَّةَ أَوَّلًا وَجَعَلَهُ كَٱلْقِسْمِ ٱلْأَوَّلِ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ ٱلْقَدْرَ ٱلَّذِي

يُرِيْدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثُمَّ يُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ، فَلَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ أَحَدٌ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَلَوْ عَمِلَ مِنَ الْمَعَاصِي مَا عَمِلَ، كَمَا أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ، وَلَوْ عَمِلَ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ مَا عَمِلَ . صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ٢١٧ .

لَا اعْوِجَاجَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ

الْإِسْلَامُ كَمَا قُلْنَا، هُوَ الدِّينُ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ، وَأَرْسَلَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ. وَالْمُسْلِمُونَ هُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ تَعَالِيمَ الْإِسْلَامِ، كُلٌّ بِحَسَبِ إِخْلَاصِهِ وَاسْتِعْدَادِهِ. هَذَا وَإِنَّ بَعْضَ الَّذِينَ يَرْغَبُونَ الدُّخُولَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ إِذَا رَأَوْا مِنْ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضَ الِاعْوِجَاجِ سَارَعُوا إِلَى الْقَوْلِ: مَا هَذَا الْإِسْلَامُ، وَمَا هَذَا الِاعْوِجَاجُ فِيهِ؟ وَهَذَا تَعْبِيرٌ خَاطِئٌ عَارٍ عَنِ الصِّحَّةِ. إِنَّ الْإِسْلَامَ، دِينًا وَتَشْرِيعًا، لَيْسَ فِيهِ أَخْطَاءٌ إِنَّمَا الْأَخْطَاءُ كَامِنَةٌ فِي تَقْصِيرِ الْمُسْلِمِ فِي تَطْبِيقِ أَوَامِرِ الْإِسْلَامِ. فَعَلَى كُلِّ مَنْ أَرَادَ دُخُولَ الْإِسْلَامِ أَنْ لَا يَلْتَفِتَ إِلَى هَفَوَاتِ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَكِنْ عَلَيْهِ أَنْ يَسْعَى لِلنَّجَاةِ بِنَفْسِهِ وَيَجْتَهِدَ فِي تَطْبِيقِ شَرِيعَةِ خَيْرِ الْأَنَامِ ﷺ وَعِنْدَهَا يَعْلَمُ بِيَقِينٍ كَمَالَ دِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

خُلُودُ الْمُشْرِكِ فِي النَّارِ

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَمَّا حُكْمُهُ ﷺ عَلَى مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِدُخُولِ النَّارِ، وَمَنْ مَاتَ غَيْرَ مُشْرِكٍ، بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَقَدْ أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ. فَأَمَّا دُخُولُ الْمُشْرِكِ النَّارَ، فَهُوَ عَلَى عُمُومِهِ فَيَدْخُلُهَا وَيُخَلَّدُ فِيهَا، وَلَا فَرْقَ فِيهِ بَيْنَ الْكِتَابِيِّ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ وَبَيْنَ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَسَائِرِ الْكَفَرَةِ، وَلَا فَرْقَ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ بَيْنَ الْكَافِرِ عِنَادًا وَغَيْرِهِ، وَلَا بَيْنَ مَنْ خَالَفَ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ وَبَيْنَ مَنِ انْتَسَبَ إِلَيْهَا ثُمَّ حُكِمَ بِكُفْرِهِ بِجَحْدِهِ مَا يَكْفُرُ بِجَحْدِهِ[1] وَغَيْرِ ذَلِكَ. المرجع السابق ٢/ ٧٠.

(١) كَأَنْ أَنْكَرَ مَعْلُومًا مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ، كَفَرْضِيَّةِ الصَّلَاةِ وَحُرْمَةِ الْخَمْرِ وَالزِّنَا.

صِفَةُ ٱلْوُجُودِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ

إِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ مَوْجُودٌ بِذَاتِهِ، أَيْ إِنَّ ذَاتَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ وَاجِبَةُ ٱلْوُجُودِ، فَلَا تَقْبَلُ ٱلْعَدَمَ لَا أَزَلًا وَلَا أَبَدًا، حَيْثُ لَا بِدَايَةَ وَلَا نِهَايَةَ لِوُجُودِهِ سُبْحَانَهُ، فَهُوَ تَعَالَىٰ قَدْ كَانَ عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ ٱلْآنَ، وَيَكُونُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ إِلَىٰ أَبَدِ ٱلْآبَادِ، لَا سَبِيلَ فِي حَقِّهِ لِلْعَدَمِ ٱلسَّابِقِ وَلَا لِلْفَنَاءِ ٱللَّاحِقِ، قَدِيمٌ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَاحِدٌ فِي خَلْقِهِ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ، أَوْجَدَ ٱلْكَائِنَاتِ مِنَ ٱلْعَدَمِ. فَوُجُودُ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَيْسَ كَوُجُودِنَا، لِأَنَّ وُجُودَنَا بِإِيجَادِ ٱللَّهِ لَنَا مِنَ ٱلْعَدَمِ. وَكُلُّ مَا سِوَىٰ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ يُمْكِنُ وُجُودُهُ بَعْدَ ٱلْعَدَمِ وَعَدَمُهُ بَعْدَ وُجُودِهِ، كَحَيَاتِنَا بَعْدَ أَنْ خَلَقَنَا ٱللَّهُ مِنَ ٱلْعَدَمِ، وَمَوْتِنَا وَفَنَائِنَا عِنْدَ ٱنْقِضَاءِ ٱلْأَجَلِ. وَٱللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كَانَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرَضِينَ وَٱلْبِحَارَ، وَٱلظُّلُمَاتِ وَٱلنُّورَ، وَٱلزَّمَانَ وَٱلْمَكَانَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢] وَقَدْ أَخْرَجَ جَمِيعَ ٱلْمَوْجُودَاتِ مِنَ ٱلْعَدَمِ إِلَى ٱلْوُجُودِ، بِلُطْفِهِ وَعِلْمِهِ وَإِحْسَانِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

مَعْنَىٰ: وَاجِبُ ٱلْوُجُودِ

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلْبَيْجُورِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «مَعْنَىٰ كَوْنِهِ تَعَالَىٰ وَاجِبَ ٱلْوُجُودِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ ٱلْعَدَمُ، فَلَا يَقْبَلُ ٱلْعَدَمَ لَا أَزَلًا، وَلَا أَبَدًا». شرح جوهرة التوحيد ٥٢.

وَقَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلتَّفْتَازَانِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ٱلذَّاتُ ٱلْوَاجِبُ ٱلْوُجُودِ أَيِ ٱلَّذِي يَكُونُ وُجُودُهُ عَنْ ذَاتِهِ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ شَيْءٍ أَصْلًا». شرح العقائد النسفية ٥٩

وَقَالَ ٱلشَّيْخُ مُحَمَّدُ أَمِينٌ ٱلْكُرْدِيُّ ٱلْأَرْبِيلِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «وَٱلْوُجُودُ وَاجِبٌ لَهُ تَعَالَىٰ لِذَاتِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا». تنوير القلوب ١١.

هَٰذَا وَلَا يَجُوزُ وَصْفُ ٱللَّهِ بِعِلَّةِ ٱلْوُجُودِ، إِذْ إِنَّهُ لَيْسَ بِعِلَّةٍ، وَلَمْ يَصِفْ نَفْسَهُ بِهَا، وَلَمْ يَرِدْ عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ عِلَّةُ ٱلْوُجُودِ أَوْ سَبَبٌ مِنَ ٱلْأَسْبَابِ، فَهُوَ تَعَالَىٰ خَالِقُ ٱلْوُجُودِ وَٱلْأَسْبَابِ.

صِفَةُ ٱلْقِدَمِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ

إِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدِيمٌ أَزَلِيٌّ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ لَا أَوَّلَ وَلَا ٱفْتِتَاحَ لِوُجُودِهِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ مَوْجُودٌ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، بِلَا ٱبْتِدَاءِ زَمَانٍ وَأَوْقَاتٍ وَطُولِ مُدَّةٍ، وَهُوَ خَالِقُ ٱلْأَزْمِنَةِ وَٱلْأَوْقَاتِ. وَٱلْمُرَادُ بِٱلْقِدَمِ فِي حَقِّ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ هُوَ ٱلْقِدَمُ ٱلذَّاتِيُّ ٱلَّذِي لَا يَسْبِقُهُ عَدَمٌ. وَمَنْ كَانَ وُجُودُهُ مُقَيَّدًا بِزَمَانٍ وَٱبْتِدَاءِ وَقْتٍ وَطُولِ مُدَّةٍ، فَهُوَ مَخْلُوقٌ مُحْدَثٌ لَهُ كَيْفٌ وَكَيْفِيَّةٌ، وَأَيْنٌ وَأَيْنِيَّةٌ وَيَجُوزُ عَلَيْهِ ٱلْمَوْتُ وَٱلْفَنَاءُ وَٱلْعَدَمُ، وَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ ٱلْقِدَمُ، وَٱللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ تِلْكَ ٱلنَّقَائِصِ وَٱلْعُيُوبِ ٱلْبَشَرِيَّةِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ ٱلْأَوَّلُ بِلَا بِدَايَةٍ، وَٱلْآخِرُ بِلَا نِهَايَةٍ. لَا تَلْحَقُهُ ٱلْمَصَائِبُ إِذْ هِيَ غَيْرُ جَائِزَةٍ فِي حَقِّ ٱلْقَدِيمِ، وَإِنَّمَا تَجُوزُ عَلَى ٱلْمُحْدَثَاتِ وَٱلْمَصْنُوعَاتِ لِأَنَّهَا أَحْدَاثٌ وَبَدَائِعُ خَلَقَهَا ٱللَّهُ مِنَ ٱلْعَدَمِ، وَيَجُوزُ عَلَيْهَا ٱلْفَنَاءُ. وَٱللَّهُ لَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا مِثْلَ، قَدِيمٌ بِذَاتِهِ، لَا عِلَّةَ لِوُجُودِهِ. لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ ٱلتَّغَيُّرُ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُعَارِضَهُ نَقْصٌ أَوْ شَيْنٌ (أَيْ عَيْبٌ).

قَالَ ٱلشَّيْخُ ٱلْبَيْجُورِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كُلُّ مَنْ وَجَبَ لَهُ ٱلْقِدَمُ ٱسْتَحَالَ عَلَيْهِ ٱلْعَدَمُ، وَلَا شَيْءَ مِنَ ٱلْحَوَادِثِ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ ٱلْعَدَمُ، فَلَا شَيْءَ مِنْهَا بِقَدِيمٍ». ـ شرح جوهرة التوحيد ٥٧ ـ. وَمِمَّا وَرَدَ فِي تَفْسِيرِ مَعْنَىٰ «كُلُّ مَا ثَبَتَ قِدَمُهُ ٱسْتَحَالَ عَدَمُهُ»: «فَمَعْنَاهُ أَنَّ ٱلْقَدِيمَ لَا يَنْعَدِمُ أَصْلًا، لَا فِي ٱلْأَزَلِ، وَلَا فِيمَا لَا يَزَالُ». ـ شرح جوهرة التوحيد ٥٦ ـ. («أَيْ صِفَةُ ٱلْقِدَمِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ»).

قَالَ ٱلْحَلِيمِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي مَعْنَىٰ ٱلْقَدِيمِ: «إِنَّهُ ٱلْمَوْجُودُ ٱلَّذِي لَيْسَ لِوُجُودِهِ ٱبْتِدَاءٌ، وَٱلْمَوْجُودُ ٱلَّذِي لَمْ يَزَلْ ... فَقِيلَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَدِيمٌ بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ سَابِقٌ لِلْمَوْجُودَاتِ كُلِّهَا، وَلَمْ يَجُزْ إِذْ كَانَ كَذَٰلِكَ أَنْ يَكُونَ لِوُجُودِهِ ٱبْتِدَاءٌ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ لِوُجُودِهِ ٱبْتِدَاءٌ، لَاقْتَضَىٰ ذَٰلِكَ أَنْ يَكُونَ غَيْرُ لَهُ أَوْجَدَهُ، وَلَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ ذَٰلِكَ ٱلْغَيْرُ مَوْجُودًا قَبْلَهُ، فَكَانَ لَا يَصِحُّ حِينَئِذٍ أَنْ يَكُونَ هُوَ سَابِقًا لِلْمَوْجُودَاتِ»، فَبَانَ أَنَّا إِذَا وَصَفْنَاهُ بِأَنَّهُ سَابِقٌ لِلْمَوْجُودَاتِ فَقَدْ أَوْجَبْنَا أَلَّا يَكُونَ لِوُجُودِهِ ٱبْتِدَاءٌ، فَكَانَ ٱلْقَدِيمُ فِي وَصْفِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عِبَارَةً عَنْ هَٰذَا ٱلْمَعْنَىٰ». ـ الأسماء والصفات ٢٣ ـ

(«سَابِقًا لِلْمَوْجُودَاتِ» أَيْ كَانَ مَوْجُودًا قَبْلَ خَلْقِهِ لِلْأَشْيَاءِ وَإِيجَادِهِ لَهَا).

صِفَةُ ٱلْبَقَاءِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ

«مَعْنَىٰ ٱلْبَقَاءِ : ٱمْتِنَاعُ لُحُوقِ ٱلْعَدَمِ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ» - كبرى اليقينيات الكونية ٣٨ -

وَفِي "لِسَانِ ٱلْعَرَبِ": "ٱلْبَاقِي هُوَ ٱلَّذِي لَا يَنْتَهِي تَقْدِيرُ وُجُودِهِ فِي ٱلِٱسْتِقْبَالِ إِلَىٰ آخَرَ يَنْتَهِي إِلَيْهِ"، وَيُعَبَّرُ عَنْهُ بِأَنَّهُ "أَبَدِيُّ ٱلْوُجُودِ، وَٱلْبَقَاءُ ضِدُّ ٱلْفَنَاءِ". (١) أَيْ لَيْسَ لَهُ نِهَايَةٌ. (٢) أَيِ ٱلْبَقَاءُ خِلَافُ ٱلْفَنَاءِ)

وَقَالَ ٱلشَّيْخُ مُحَمَّدُ أَمِينٍ ٱلْكُرْدِيُّ ٱلْأَرْبِلِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "وَأَمَّا ٱلْبَقَاءُ فَمَعْنَاهُ عَدَمُ ٱخْتِتَامِ ٱلْوُجُودِ، أَيْ إِنَّهُ لَيْسَ لِوُجُودِ ذَاتِهِ وَلَا لِوُجُودِ صِفَاتِهِ ٱخْتِتَامٌ وَٱنْتِهَاءٌ وَضِدُّهُ ٱلْفَنَاءُ: أَيِ ٱخْتِتَامُ ٱلْوُجُودِ. وَٱلدَّلِيلُ عَلَىٰ وُجُوبِ ٱلْبَقَاءِ لَهُ وَلِصِفَاتِهِ وَٱسْتِحَالَةِ ضِدِّهِ عَقْلًا: أَنَّهُ لَوْ قَبِلَ ٱلْفَنَاءَ لَكَانَ حَادِثًا، لِأَنَّ ٱلْقَدِيمَ وَاجِبُ ٱلْوُجُودِ لَا يَقْبَلُ ٱلْفَنَاءَ أَصْلًا، وَلَوْ قَبِلَتْ صِفَاتُهُ ٱلْفَنَاءَ لَكَانَتْ حَادِثَةً أَيْضًا، وَيَلْزَمُ مِنْهُ حُدُوثُ ذَاتِهِ أَيْضًا ... وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ قَدِيمٌ". - تنوير القلوب ١٢ -

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ ٱلْخَطَّابِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "وَلَيْسَتْ صِفَةُ بَقَائِهِ وَدَوَامِهِ، كَبَقَاءِ ٱلْجَنَّةِ وَٱلنَّارِ وَدَوَامِهِمَا، وَذَلِكَ أَنَّ بَقَاءَهُ أَبَدِيٌّ أَزَلِيٌّ (١)، وَبَقَاءُ ٱلْجَنَّةِ وَٱلنَّارِ أَبَدِيٌّ غَيْرُ أَزَلِيٍّ (٢)، وَصِفَةُ ٱلْأَزَلِ مَا لَمْ يَزَلْ، وَصِفَةُ ٱلْأَبَدِ مَا لَا يَزَالُ، وَٱلْجَنَّةُ وَٱلنَّارُ كَائِنَتَانِ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُونَا". - الأسماء والصفات، ٢٦ - (١) أَزَلِيٌّ: أَيْ لَيْسَ لَهُ بِدَايَةٌ. (٢) أَيْ لِوُجُودِ ٱلْجَنَّةِ بِدَايَةٌ).

صِفَةُ ٱلْقُدْرَةِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ

ٱلْقُدْرَةُ لُغَةً هِيَ ٱلْقُوَّةُ وَٱلِٱسْتِطَاعَةُ. وَٱلْقُدْرَةُ لِلَّهِ تَعَالَىٰ صِفَةٌ وُجُودِيَّةٌ قَدِيمَةٌ، بِلَا ٱبْتِدَاءِ زَمَانٍ، قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ تَعَالَىٰ، يَتَأَتَّىٰ بِهَا إِيجَادُ كُلِّ مُمْكِنٍ وَإِعْدَامُهُ عَلَىٰ وَفْقِ ٱلْإِرَادَةِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ إِعَانَةٍ وَمُسَاعَدَةِ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ مَلَكِهِمْ وَإِنْسِهِمْ وَجِنِّهِمْ. مَتَىٰ شَاءَ فَعَلَ مَا يُرِيدُ، وَلَا يَمْنَعُهُ عَنْهُ مَانِعٌ مُطْلَقًا. فَلَا يَعْتَرِيهِ (أَيْ لَا يُصِيبُهُ) سُبْحَانَهُ قُصُورٌ (أَيْ تَقْصِيرٌ) وَلَا عَجْزٌ، وَلَهُ ٱلسُّلْطَانُ وَٱلْقَهْرُ وَٱلْأَمْرُ. فَهُوَ ٱلْمُنْفَرِدُ بِٱلْخَلْقِ، ٱلْمُتَوَحِّدُ بِٱلْإِيجَادِ وَٱلْإِبْدَاعِ، لَا يَشُذُّ (أَيْ يُخَالِفُ) عَنْ مُلْكِهِ

مَقْدُورٌ، وَلَا يَعْزُبُ (أَيْ يَخْفَى) عَنْ قُدْرَتِهِ تَصَارِيفُ الْأُمُورِ، لَا تُحْصَى مَقْدُورَاتُهُ، وَلَا تَتَنَاهَى مَعْلُومَاتُهُ سُبْحَانَهُ.

قَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ الْقَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ... قَادِرٌ بِقُدْرَتِهِ الَّتِي هِيَ صِفَتُهُ الْأَزَلِيَّةُ السَّرْمَدِيَّةُ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ إِذَا قَدَرَ عَلَى شَيْءٍ فَإِنَّمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ بِقُدْرَتِهِ الْقَدِيمَةِ لَا بِالْقُدْرَةِ الْحَادِثَةِ". ـ الفقه الأكبر ١٤ ـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدٌ الرَّازِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وَإِذَا قَالَ: قَادِرٌ (أَيْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى إِنَّهُ قَادِرٌ) عَلِمُوا مِنْهُ أَنَّهُ مُتَمَكِّنٌ مِنْ إِيجَادِ الْكَائِنَاتِ وَتَكْوِينِ الْمُمْكِنَاتِ ... وَأَنَّهُ غَنِيٌّ فِي ذَلِكَ الْإِيجَادِ وَالتَّكْوِينِ عَنِ الْآلَاتِ وَالْأَدَوَاتِ وَسَبْقِ الْمَادَّةِ وَالْمُدَّةِ وَالْفِكْرَةِ وَالرَّوِيَّةِ". ـ تفسير الفخر الرازي ١٤/٢٠ ـ. إِنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لَا تُشْبِهُ قُدُرَاتِ خَلْقِهِ، لِأَنَّ قُدْرَةَ الْإِنْسَانِ مَحْدُودَةٌ، خَلَقَهَا اللَّهُ بِفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَهِيَ قَابِلَةٌ لِلِانْتِهَاءِ وَالنَّفَادِ، لِأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْحَيَاةِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْعَوَارِضِ الْبَشَرِيَّةِ وَالنَّقَائِصِ الْإِنْسَانِيَّةِ. فَقُدْرَتُهُ تَعَالَى قَدِيمَةٌ، لَا بِآلَةٍ وَلَا بِمُشَارَكَةٍ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، وَقَادِرٌ حَكِيمٌ مُدَبِّرٌ، بِقُدْرَةٍ وَاخْتِيَارٍ. وَأَمَّا الْمَخْلُوقُ فَلَا يَقْدِرُ إِلَّا عَلَى بَعْضِ الْأَشْيَاءِ بِالْإِقْدَارِ، بِوَاسِطَةِ الْآلَاتِ وَالْأَعْوَانِ وَالْأَنْصَارِ. إِنَّ هَذَا الْكَوْنَ الْعَجِيبَ، بِالْقَمَرِ الْمُضِيءِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ سِرَاجًا مُنِيرًا لِلْمُسَافِرِ فِي الصَّحْرَاءِ، وَبِالشَّمْسِ السَّاطِعَةِ وَسَطَ السَّمَاءِ، وَالَّتِي جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا الدِّفْءَ لِلْعِبَادِ، وَبِالنُّجُومِ الْمُضِيئَةِ فِي الْعَلْيَاءِ هِدَايَةً لِلرَّاحِلِينَ فِي الْأَسْفَارِ وَزِينَةً جَمِيلَةً لِلسَّمَاءِ، وَبِالسَّحَابِ الَّذِي يَدُرُّ عَلَى الْأَرْضِ بِالْمَاءِ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ وَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، فَكُلُّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ الْعَظِيمِ، الْقَادِرِ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ وَإِمَاتَةِ الْأَحْيَاءِ، وَإِفْنَاءِ الْمَوْجُودَاتِ، وَإِيجَادِ الْمَعْدُومَاتِ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي إِحْيَاءِ الْعِظَامِ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ • قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ ـ يٰسٓ ـ وَمَعْنَى «وَنَسِيَ خَلْقَهُ» ٧٨/٧٨

كَمَا وَرَدَ عَنِ الْإِمَامِ الرَّازِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "أَيْ نَسِيَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ وَمِنْ نُطْفَةٍ مُتَشَابِهَةِ الْأَجْزَاءِ، ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُمْ مِنَ النَّوَاصِي إِلَى الْأَقْدَامِ أَعْضَاءً مُخْتَلِفَةَ الصُّوَرِ وَالْقَوَامِ". تفسير الفخر الرازي ٢٦/١٠٩. فَلَهُ سُبْحَانَهُ الْقُدْرَةُ الشَّامِلَةُ، لَا يَغْلِبُهُ أَمْرٌ مِنَ الْأُمُورِ، وَلَا يُعْجِزُهُ فِعْلٌ مِنَ الْأَفْعَالِ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يس ٨٢

مَعْنَى: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ

قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدٌ النَّوَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَيْ لَا تَحَوُّلَ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا قُوَّةَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ إِلَّا بِعَوْنِ اللَّهِ، هَكَذَا وَرَدَ تَفْسِيرُهُ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ جِبْرِيلَ، أَفَادَهُ شَيْخُنَا يُوسُفُ السُّنْبُلَاوِينِيُّ. كاشفة السجا ٤.

وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: سَمِعْتُ الْمُنْذِرِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا الْهَيْثَمِ يَقُولُ عَنْ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: الْحَوْلُ: الْحَرَكَةُ... فَكَأَنَّ الْقَائِلَ إِذَا قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ يَقُولُ: لَا حَرَكَةَ وَلَا اسْتِطَاعَةَ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ. (وَقَالَ) الْكِسَائِيُّ: يُقَالُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا حِيلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَوَرَدَ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَفُسِّرَ بِذَلِكَ لِلْمَعْنَى: لَا حَرَكَةَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى". لسان العرب، مادة حول.

صِفَةُ الْوَحْدَانِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى

اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ، وَاحِدٌ فِي صِفَاتِهِ، وَاحِدٌ فِي أَفْعَالِهِ. فَهُوَ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ، أَيْ إِنَّ ذَاتَهُ لَيْسَتْ مُتَعَدِّدَةً وَلَا مُرَكَّبَةً مِنْ أَجْزَاءٍ. وَوَاحِدٌ فِي صِفَاتِهِ، أَيْ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ صِفَتَانِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ، كَقُدْرَتَيْنِ مَثَلًا، وَلَيْسَ لِغَيْرِهِ صِفَةٌ تُشْبِهُ صِفَتَهُ. وَهُوَ وَاحِدٌ فِي أَفْعَالِهِ أَيْ إِنَّهُ لَيْسَ لِغَيْرِهِ تَأْثِيرٌ مَا فِي فِعْلٍ مِنَ الْأَفْعَالِ وَإِنَّمَا لَهُ الْكَسْبُ فَيَخْلُقُ اللَّهُ تَعَالَى الْفِعْلَ عِنْدَ الْقَصْدِ إِلَيْهِ. فَهُوَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا مَعْبُودَ سِوَاهُ. خَالِقٌ بِالِاخْتِيَارِ كُلُّ مُمْكِنٍ يَبْرُزُ إِلَى الْوُجُودِ، ذَاتًا كَانَ أَوْ صِفَةً أَوْ فِعْلًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

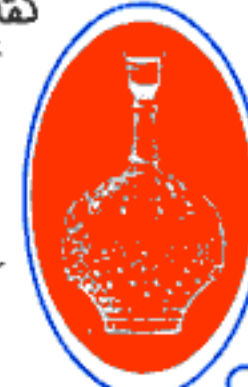

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ ـ البقرة ١٦٣ ـ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ـ الصافات ٩٦ ـ.

قَالَ الدُّكْتُورُ الْبُوطِي: «الْمَقْصُودُ مِنَ الْإِيمَانِ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ أَنْ تَعْلَمَ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَيْسَ كُلًّا مُرَكَّبًا مِنْ أَجْزَاءٍ، وَلَا كُلِّيًّا مُكَوَّنًا مِنْ جُزْئِيَّاتٍ». كبرى اليقينيات الكونية ١١٦ ـ فَاللَّهُ لَيْسَ كُلًّا بِمَعْنَى أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَجْزَاءٌ بِحَيْثُ إِذَا اجْتَمَعَتْ كَانَ اللَّهُ، كَمَا أَنَّهُ تَعَالَى لَيْسَ كُلِّيًّا بِمَعْنَى أَنَّهُ لَيْسَ مُكَوَّنًا مِنْ جُزْئِيَّاتٍ مُمَاثِلَةٍ إِذَا اجْتَمَعَتْ أَوِ انْفَرَدَتْ كَانَ اللَّهُ.

اللَّهُ وَاحِدٌ لَا مِنْ طَرِيقِ الْعَدَدِ

يَقُولُ بَعْضُ أَهْلِ الضَّلَالِ: إِنَّكُمْ تَقُولُونَ بِأَنَّ اللَّهَ خَالِقُ الْعَالَمِ وَاحِدٌ، وَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنِ الْحُدُوثِ، فَلَا يَسْبِقُهُ شَيْءٌ، وَلَيْسَ لِوُجُودِهِ بِدَايَةٌ، عِلْمًا بِأَنَّ الْوَاحِدَ عَدَدٌ، وَلِلْعَدَدِ ابْتِدَاءٌ وَانْتِهَاءٌ، إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ فَإِنَّ الصِّفْرَ يَسْبِقُ الْعَدَدَ "واحد" وَيَأْتِي قَبْلَهُ فَكَيْفَ تُفَسِّرُونَ هَذَا التَّنَاقُضَ؟

فَالْجَوَابُ: إِنَّ صَانِعَ الْعَالَمِ مَعَ كَوْنِهِ مَوْجُودًا لَمْ يَزَلْ، فَهُوَ بَاقٍ لَا يَزَالُ، وَلَا يَلْحَقُهُ عَدَمٌ لِأَنَّهُ مَا ثَبَتَ قِدَمُهُ اسْتَحَالَ عَدَمُهُ. وَإِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ لَا مِنْ طَرِيقِ الْعَدَدِ، بَلْ مِنْ طَرِيقِ أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. فَلَا يَتَوَهَّمَنَّ مُتَوَهِّمٌ بِأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الصِّفْرَ قَبْلَ الْوَاحِدِ فِي تَرْتِيبِ الْأَعْدَادِ فَكَذَلِكَ صِفَةُ اللَّهِ الْوَاحِدِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ لِوُجُودِ اللَّهِ بِدَايَةً! تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا. فَالصِّفْرُ إِنَّمَا يُطْلَقُ عَلَى الْأَرْقَامِ الْمُحْدَثَةِ وَالَّتِي لَهَا بِدَايَةٌ، وَلَكِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ بِلَا بِدَايَةٍ، وَآخِرٌ بِلَا نِهَايَةٍ، فَلَا يَجُوزُ تَشْبِيهُ الْخَالِقِ بِالْمَخْلُوقِ. فَذَاتُ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَتْ مُتَعَدِّدَةً وَلَا مُرَكَّبَةً مِنْ أَجْزَاءٍ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَاحِدٌ فِي صِفَاتِهِ فَلَيْسَ لَهُ صِفَتَانِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ، وَلَيْسَ لِغَيْرِهِ صِفَةٌ تُشْبِهُ صِفَتَهُ وَهُوَ تَعَالَى وَاحِدٌ فِي أَفْعَالِهِ، فَلَيْسَ لِغَيْرِهِ أَيُّ تَأْثِيرٍ فِي فِعْلٍ

مِنَ ٱلْأَفْعَالِ، وَهُوَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا مَعْبُودَ سِوَاهُ، وَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَاحِبَةٌ أَوْ وَلَدٌ أَوْ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ. فَٱللَّهُ سُبْحَانَهُ وَاحِدٌ لَا يَقْبَلُ ٱلْقِسْمَةَ، إِذْ لَا كَمِّيَّةَ لَهُ وَلَا جُزْءَ وَلَا مِقْدَارَ.

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلْغَزَالِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي ٱلْفَصْلِ ٱلثَّالِثِ مِنْ كِتَابِ قَوَاعِدِ ٱلْعَقَائِدِ «ٱلْأَصْلُ ٱلْعَاشِرُ: ٱلْعِلْمُ بِأَنَّ ٱللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَرْدٌ لَا نِدَّ لَهُ (أَيْ لَا مَثِيلَ لَهُ)، ٱنْفَرَدَ بِٱلْخَلْقِ وَٱلْإِبْدَاعِ ... لَا مِثْلَ لَهُ ... وَلَا ضِدَّ لَهُ فَيُنَازِعُهُ وَيُنَاوِيهِ (أَيْ: يُعَارِضُهُ)، وَبُرْهَانُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾» ـ إحياء علوم الدين ـ

أَحَدُ ٱلْكُفَّارِ يَسْأَلُ: "مَنْ خَلَقَ ٱللَّهَ؟"

هُنَالِكَ مُلْحِدُونَ يُرِيدُونَ ٱللَّعِبَ بِعُقُولِ ٱلضُّعَفَاءِ، فَدَبَّرُوا أَسْئِلَةً شَيْطَانِيَّةً جَاؤُوا بِهَا مِنْ مَدْرَسَةِ إِبْلِيسَ ٱلظَّلَامِيَّةِ لِأَجْلِ تَشْكِيكِ ضُعَفَاءِ ٱلْعُقُولِ بِعَقَائِدِهِمْ كَقَوْلِهِمْ: إِنَّ ٱللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَكِنْ مَنْ خَلَقَ ٱللَّهَ؟ وَٱلْعِيَاذُ بِٱللَّهِ تَعَالَى فَنَقُولُ: إِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى هُوَ ٱلْأَوَّلُ بِلَا ٱبْتِدَاءِ زَمَانٍ، وَهُوَ ٱلْآخِرُ بِلَا ٱنْتِهَاءٍ. فَلَيْسَ لِوُجُودِ ذَاتِهِ، وَلَا لِوُجُودِ صِفَاتِهِ ٱفْتِتَاحٌ أَوْ ٱخْتِتَامٌ. وَمَنْ كَانَ مَخْلُوقًا جَازَ عَلَيْهِ ٱلْفَنَاءُ، وَهَذَا مَا يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّ ٱللَّهِ تَعَالَى. وَمَنْ يَسْأَلُ: مَنْ خَلَقَ ٱللَّهَ، يَكُونُ بِقَوْلِهِ هَذَا قَدْ نَسَبَ إِلَى ٱللَّهِ ٱلْعَدَمَ قَبْلَ ٱلْوُجُودِ، وَٱلْعِيَاذُ بِٱللَّهِ تَعَالَى. إِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ لَيْسَ مُحْدَثًا حَتَّى يُسْأَلَ فِي حَقِّهِ ذَلِكَ ٱلسُّؤَالُ ٱلْفَاسِدُ ٱلشَّنِيعُ. فَٱللَّهُ وَاجِبُ ٱلْوُجُودِ، لَمْ يَكُنْ مَعْدُومًا حَتَّى يُخْلَقَ، فَٱلسُّؤَالُ مَرْدُودٌ عَلَى صَاحِبِهِ وَأَصْلُهُ غَلَطٌ، وَإِذَا لَمْ يَكُنِ ٱلْإِنْسَانُ تَقِيًّا مُحِبًّا لِلدِّينِ، فَلَا يَجِدُ ٱلشَّيْطَانُ صُعُوبَةً فِي ٱلسَّيْطَرَةِ عَلَيْهِ، وَٱللَّعِبِ بِمَعْلُومَاتِهِ ٱلْعَقْلِيَّةِ، وَإِيقَاعِهِ فِيمَا حَذَّرَ ٱلشَّرْعُ مِنْهُ. وَقَدْ رُوِيَ فِي صَحِيحَيِ ٱلْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿يَأْتِي ٱلشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا، حَتَّى

يَقُولَ : مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ. وَفِي رِوَايَةٍ فِي الصَّحِيحِ : لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ . ﴿﴾ - كتاب الأذكار، الإمام النووي، ١١٧ -

قَوْلُ الْمُلَاحِدَةِ: "هَلْ يَسْتَطِيعُ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُ؟"

هُنَالِكَ مُلْحِدُونَ يَسْأَلُونَ: هَلْ يَسْتَطِيعُ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُ، أَوْ أَنْ يَخْلُقَ ابْنًا لَهُ، وَمَا شَابَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْئِلَةِ الشَّنِيعَةِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، الَّتِي تَنِمُّ عَنْ جَهْلٍ وَفَسَادٍ فِي الْعَقِيدَةِ وَضَلَالٍ مُبِينٍ. فَأَصْلُ السُّؤَالِ خَطَأٌ وَفِيهِ عِنَادٌ وَانْحِرَافٌ وَعَدَاءٌ لِلَّهِ تَعَالَى ، إِذْ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَيْسَ مَخْلُوقًا حَتَّى يُطْرَحَ هَكَذَا سُؤَالٌ ، بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ، وَلَيْسَتْ صِفَاتُهُ كَصِفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ إِذْ أَنَّهُ لَيْسَ مَخْلُوقًا كَشَأْنِ بَاقِي الْبَرِيَّةِ ، وَمَا هَذَا السُّؤَالُ إِلَّا مِنْ جُمْلَةِ الْفَلْسَفَاتِ الشَّيْطَانِيَّةِ ، وَالْقَائِلُ بِهِ قَدْ ضَلَّ وَكَفَرَ ، وَمُؤَدَّاهُ إِلَى جَهَنَّمَ وَسَيَصْلَى سَقَرَ ، فَالْخَلْقُ وَالتَّصَرُّفُ لِلَّهِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ قَدِ اشْتَهَرَ. وَقَوْلُ : "يَخْلُقَ مِثْلَهُ" يَنْسُبُ لِلَّهِ صِفَةً مُسْتَحِيلَةً فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ، وَهِيَ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ. وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ مَخْلُوقًا ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مَخْلُوقًا لَكَانَ مُحْتَاجًا لِمَنْ يَخْلُقُهُ ، وَلَكَانَ لَهُ ابْتِدَاءٌ وَانْتِهَاءٌ ، وَلَكَانَ حَادِثًا سَبَقَهُ الْعَدَمُ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنْ جَمِيعِ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْمَنْفِيَّةِ فِي حَقِّ خَالِقِ الْبَرِيَّةِ. وَأَمَّا مَنْ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ وَلَدًا وَجَعَلَهُ رَبًّا ، فَهَذَا الِادِّعَاءُ لَا يَصْدُرُ إِلَّا مِمَّنْ خَسِرَ عَقْلَهُ وَعَدِمَ فَهْمَهُ ، وَسَاءَتْ عَقِيدَتُهُ ، وَغَاصَ فِي أَوْحَالِ الْإِشْرَاكِ ، وَانْضَمَّ إِلَى فِرْقَةِ الْأَبَالِسَةِ وَالْفُجَّارِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ - الطور ٤٣ -

فَرَبُّنَا سُبْحَانَهُ لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا شَبِيهَ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَا شَبِيهَ لَهُ، وَكَيْفَ يُتَّخَذُ الْإِنْسَانُ رَبًّا وَالرَّبُّ لَا يَمُوتُ وَلَا يَنَامُ وَلَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ وَلَا يَذْهَبُ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ؟ وَالْإِنْسَانُ، مَهْمَا سَمَا وَارْتَقَى، يَبْقَى أَسِيرَ الْعَوَارِضِ وَالصِّفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ، فَقَدْ خُلِقَ مِنَ الْعَدَمِ وَيَطْرَأُ عَلَيْهِ الْفَنَاءُ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنْ هَذِهِ الْعَوَارِضِ وَالنَّقَائِصِ الْبَشَرِيَّةِ، ثُمَّ لَيْسَتْ صِفَاتُهُ سُبْحَانَهُ مِنْ صِفَاتِ الْحَوَادِثِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ ـ المؤمنون ٩١ ـ وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ مُتَعَلَّقَاتِ الْقُدْرَةِ، وَلَا عَلَاقَةَ لَهَا بِهِ، لِأَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى تَتَعَلَّقُ بِالْمُمْكِنَاتِ فَقَطْ، وَلَا تَعَلُّقَ لَهَا بِالْمُسْتَحِيلَاتِ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ اتِّخَاذَ اللَّهِ وَلَدًا أَوْ شَرِيكًا أَمْرٌ مُسْتَحِيلٌ، فَالسُّؤَالُ إِذًا مِنْ أَصْلِهِ خَطَأٌ وَضَرْبٌ مِنَ الْفَسَادِ، وَنَرُدُّ عَلَيْهِ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ • اللَّهُ الصَّمَدُ • لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ • وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ـ الإخلاص ١ ـ ٤ ـ

الْحُلُولُ وَالِاتِّحَادُ

ظَهَرَ فِي بِلَادِ أُورُوبَّا مَوْجَةٌ جَدِيدَةٌ مِنَ الْمُنْحَرِفِينَ الَّذِينَ يَقُومُونَ بِطُقُوسٍ وَرِيَاضَاتٍ مُسْتَوْرَدَةٍ مِنْ هَوَى نُفُوسِهِمْ وَخَيَالِ أَوْهَامِهِمْ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ نَتَوَصَّلُ إِلَى اللَّهِ بَعْدَمَا يَحُلُّ فِينَا بِالْأَجْسَادِ وَنَحُلُّ فِيهِ بِالْأَبْدَانِ فَيَحْصُلُ لَنَا الِاتِّحَادُ. وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ الْبَشِعَةِ الْمَمْزُوجَةِ بِالتَّخْبِيصِ وَالتَّلْبِيسِ، الْمَجْمُوعَةِ مِنْ بَيْدَرِ ضَلَالِ مَدْرَسَةِ إِبْلِيسَ الَّتِي يُرَوِّجُهَا تَلَامِذَةُ الْمَلَاحِدَةِ.

فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَيْسَ مَادَّةً أَوْ جِسْمًا حَتَّى يَحُلَّ فِيهِ خَلْقُهُ، وَلَا نَوْعًا مِنَ الْأَنْوَاعِ حَتَّى يَدْخُلَ فِيهِ، وَلَا مُرَكَّبًا مِنَ الْمُرَكَّبَاتِ الْحَادِثَةِ وَالْأَمْزِجَةِ الْمُصْطَنَعَةِ حَتَّى تَتَّحِدَ فِيهِ خَلْقُهُ، فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْ تِلْكَ النَّقَائِصِ وَالْعَوَارِضِ الْبَالِيَةِ، وَلَا يُوصَفُ سُبْحَانَهُ بِصِفَاتِ مَخْلُوقَاتِهِ، فَهُوَ مُوجِدُهَا مِنَ الْعَدَمِ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ، وَمَنْ كَانَتْ تَحُلُّ فِيهِ الْمُحْدَثَاتُ وَالْأَشْيَاءُ فَهُوَ مِنْ نَوْعِ

لِلْمَخْلُوقَاتِ ٱلْقَابِلَةِ لِلْفَنَاءِ وَٱلْعَدَمِ، وَٱللَّهُ سُبْحَانَهُ حَيٌّ بَاقٍ لَا يَفْنَىٰ وَلَا يَزُولُ.

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلْفَارُوقِيُّ ٱلسَّرْهِنْدِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "وَهُوَ تَعَالَىٰ لَا يَتَّحِدُ بِشَيْءٍ أَصْلًا، وَلَا يَتَّحِدُ مَعَهُ شَيْءٌ، وَلَا يَحُلُّ فِيهِ تَعَالَىٰ شَيْءٌ قَطْعًا، وَلَا يَكُونُ هُوَ تَعَالَىٰ حَالًّا فِي شَيْءٍ". مكتوبات الإمام الرباني ٢/١١٠.

قَالَ ٱلشَّيْخُ عَبْدُ ٱلْغَنِيِّ ٱلنَّابُلُسِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "وَنَشْهَدُ أَنَّهُ تَعَالَىٰ لَمْ يَحُلَّ فِي شَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَلَا حَلَّ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، لِأَنَّ ٱلْحُلُولَ إِنَّمَا يُتَصَوَّرُ بَيْنَ ٱلشَّيْئَيْنِ ٱللَّذَيْنِ يَجْمَعُهُمَا وَصْفٌ وَاحِدٌ، وَلَا مُنَاسَبَةَ بَيْنَ ٱلْعَبْدِ وَٱلرَّبِّ فِي شَيْءٍ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ، وَلَا فِي مُجَرَّدِ ٱلْوُجُودِ، فَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحُلَّ أَحَدُهُمَا فِي ٱلْآخَرِ، أَوْ يَتَّحِدَ أَحَدُهُمَا بِٱلْآخَرِ". أسرار الشريعة ١٦٩.

صِفَةُ ٱلْمُخَالَفَةِ لِلْحَوَادِثِ

وَأَمَّا ٱلْمُخَالَفَةُ لِلْحَوَادِثِ، فَمَعْنَاهَا، أَنَّهُ تَعَالَىٰ لَيْسَ مُمَاثِلًا لِشَيْءٍ مِنَ ٱلْحَوَادِثِ لَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ. فَلَا يَطْرَأُ عَلَيْهِ سَهْوٌ أَوْ غَفْلَةٌ، وَلَيْسَ بِذِي أَجْزَاءٍ، وَلَا غَيْرَ ذَٰلِكَ مِمَّا هُوَ مِنْ سِمَاتِ ٱلْحُدُوثِ، وَٱلدَّلِيلُ ٱلْعَقْلِيُّ أَنَّهُ لَوْ مَاثَلَ شَيْئًا مِنَ ٱلْحَوَادِثِ فِي ذَاتِهِ أَوْ صِفَاتِهِ أَوْ أَفْعَالِهِ لَكَانَ حَادِثًا مِثْلَهُ، وَهَٰذَا مُسْتَحِيلٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَىٰ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾

صِفَةُ قِيَامِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ بِنَفْسِهِ

مَعْنَىٰ قِيَامِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ بِنَفْسِهِ، أَنَّهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَىٰ مَنْ يُسَاعِدُهُ فِي إِيجَادِ ٱلْمَخْلُوقَاتِ ٱلْأَرْضِيَّةِ وَٱلسَّمَاوِيَّةِ، عَلَىٰ جَمِيعِ أَصْنَافِهَا وَأَشْكَالِهَا، فَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ. وَوُجُودُ هَٰذِهِ ٱلْمَخْلُوقَاتِ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ غَيْرِهِ، وَلَا يَفْتَقِرُ إِلَىٰ مُسَاعِدٍ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ، إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ العنكبوت ٦. وَلَا يَتَوَهَّمَنَّ

مُتَوَهِّمٌ أَنَّ مَعْنَى قِيَامِ اللهِ تَعَالَى بِنَفْسِهِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُومُ كَمَا يَقُومُ الْمَرْءُ مِنْ جِهَةٍ إِلَى أُخْرَى تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَصِفُونَ. فَاللهُ سُبْحَانَهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى مَكَانٍ لِيَقُومَ بِهِ أَوْ إِلَى جِهَةٍ يَلْجَأُ إِلَيْهَا، لِأَنَّ مَنْ كَانَ بِحَاجَةٍ إِلَى الْجِهَةِ وَالْمَكَانِ، فَهُوَ مَخْلُوقٌ قَابِلٌ لِلْعَدَمِ، وَاللهُ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ، وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ.

قَالَ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ -البقرة ٢٥٥-: «الْقَيُّومُ: مَنْ يَكُونُ قَائِمًا بِنَفْسِهِ، مُقَوِّمًا لِغَيْرِهِ. فَكَوْنُهُ قَائِمًا بِنَفْسِهِ عِبَارَةٌ عَنْ كَوْنِهِ غَنِيًّا عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ. وَكَوْنُهُ مُقَوِّمًا لِغَيْرِهِ عِبَارَةٌ عَنِ احْتِيَاجِ كُلِّ مَا سِوَاهُ إِلَيْهِ» -أساس التقديس ٩٤-.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْبَاقِلَّانِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَمَعْنَى الْقَائِمِ بِنَفْسِهِ هُوَ أَنَّهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ فِي الْوُجُودِ إِلَى شَيْءٍ يُوجَدُ بِهِ» -كتاب التمهيد ١٩٥-.

وَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ أَمِينٍ الْكُرْدِيُّ الْأَرْبِيلِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي شَرْحِ صِفَةِ قِيَامِ اللهِ تَعَالَى بِنَفْسِهِ: «وَكَمَا أَنَّهُ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنِ الْمَحَلِّ وَالْمُرَجِّحِ، كَذَلِكَ هُوَ غَنِيٌّ عَنْ جَمِيعِ وُجُوهِ الِانْتِفَاعِ وَجَمِيعِ الْأَغْرَاضِ فِي أَفْعَالِهِ وَأَحْكَامِهِ... فَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَتُنَا، وَلَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَتُنَا، وَإِنَّمَا أَمَرَنَا وَنَهَانَا لِمَا يَعُودُ عَلَيْنَا، عَلَى أَنَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ عَنْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ النَّفْعُ مِنَّا، فَكَيْفَ لَا يَكُونُ غَنِيًّا عَنَّا؟ وَشَوَاهِدُ ذَلِكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَثِيرَةٌ. قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ ... لَوِ انْتَفَعَ بِطَاعَةِ عَبِيدِهِ لَمَا خَلَقَ فِيهِمْ سِوَاهَا، وَإِلَّا لَكَانَ عَاجِزًا عَنْ دَفْعِ مَا يَضُرُّهُ، وَهُوَ مُحَالٌ.

وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ غَنِيٌّ عَنْ جَمِيعِ وُجُوهِ الِانْتِفَاعِ مِنْ جَمِيعِ مَا سِوَاهُ، وَهُوَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ». -تنوير القلوب ٢١٤-.

(وَمَعْنَى أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْمَحَلِّ وَالْمُرَجِّحِ: أَيْ إِنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى مَحَلٍّ يَقُومُ بِهِ، وَلَا مُرَجِّحٍ يُرَجِّحُ وُجُودَهُ عَلَى عَدَمِهِ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مُحْتَاجًا إِلَى مُرَجِّحٍ لَكَانَ حَادِثًا مَخْلُوقًا، وَهَذَا بَاطِلٌ. لِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدِيمٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.)

صِفَةُ الإِرَادَةِ لِلّٰهِ تَعَالَى

إِنَّ رَاكِبِي أَمْوَاجِ الْبَاطِلِ يُرَوِّجُونَ مَعْلُومَاتٍ خَاطِئَةً لِإِضْلَالِ الْعِبَادِ، وَمَعَ ذٰلِكَ يَظْهَرُونَ بِلِبَاسِ الْهِدَايَةِ. فَهُمْ يَدَّعُونَ أَنَّ الْمَعَاصِيَ كُلَّهَا وَالشُّرُورَ حَادِثَةٌ بِغَيْرِ إِرَادَةِ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَبِقَوْلِهِمْ هٰذَا يَجْعَلُونَ اللّٰهَ مَغْلُوبًا عَلَى أَمْرِهِ، يَقَعُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، فَيَكُونُ سُبْحَانَهُ مُكْرَهًا فِي وُقُوعِ تِلْكَ الْأُمُورِ. وَمَنْ تَكُنْ هٰذِهِ صِفَاتُهُ، فَهُوَ إِلَى الْعَجْزِ وَالْقُصُورِ أَقْرَبُ بِزَعْمِهِمْ، وَهٰذَا خِلَافُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ البروج. فَالْإِرَادَةُ صِفَةٌ قَدِيمَةٌ لِلّٰهِ، أَزَلِيَّةٌ، يُخَصِّصُ بِهَا الْمُمْكِنَاتِ، لَا يَسْتَطِيعُ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ أَنْ يُغَيِّرَ أَوْ يُبَدِّلَ مَا أَرَادَهُ اللّٰهُ، فَإِنَّ اللّٰهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ وَهُوَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ. وَهِيَ صِفَةٌ وُجُودِيَّةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ، وَمَعْنَاهَا أَنَّهُ لَا يَقَعُ فِي مُلْكِهِ تَعَالَى إِلَّا مَا أَرَادَ، فَكُلُّ مَا بَرَزَ فِي مُلْكِ اللّٰهِ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ مَقْدُورٌ لِلّٰهِ وَحْدَهُ عَلَى وَفْقِ مَا أَرَادَهُ تَعَالَى أَزَلًا، فَمَا شَاءَ اللّٰهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ. وَالدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ: لَوْ لَمْ يَكُنْ مُرِيدًا لَكَانَ مَجْبُورًا، فَلَا يَكُونُ قَادِرًا. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ النحل. وَلْنَنْظُرْ مَا قَرَّرَهُ أَفَاضِلُ الْعُلَمَاءِ فِي هٰذَا الْمَجَالِ.

قَالَ الْإِمَامُ الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ: "لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي سُلْطَانِ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ اكْتِسَابِ الْعِبَادِ مَا لَا يُرِيدُهُ". الإبانة ١٦٦.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ: "إِنَّ اللّٰهَ تَعَالَى مُرِيدٌ لِلْكَائِنَاتِ، مُدَبِّرٌ لِلْحَادِثَاتِ، فَلَا يَجْرِي فِي الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ قَلِيلٌ أَوْ كَثِيرٌ، صَغِيرٌ أَوْ كَبِيرٌ، خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ، نَفْعٌ أَوْ ضُرٌّ، إِيمَانٌ أَوْ كُفْرٌ، عِرْفَانٌ أَوْ نُكْرٌ، فَوْزٌ أَوْ خُسْرَانٌ، زِيَادَةٌ أَوْ نُقْصَانٌ، طَاعَةٌ أَوْ عِصْيَانٌ، إِلَّا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَحِكْمَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ. فَمَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، لَا يَخْرُجُ عَنْ مَشِيئَتِهِ لَفْتَةُ نَاظِرٍ وَلَا فَلْتَةُ خَاطِرٍ، بَلْ هُوَ الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ، الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ، لَا رَادَّ لِأَمْرِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِقَضَائِهِ (أَيْ لَا رَادَّ لَهُ)، وَلَا مَهْرَبَ لِعَبْدٍ عَنْ مَعْصِيَتِهِ إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَلَا قُوَّةَ لَهُ

عَلَىٰ طَاعَتِهِ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ، فَلَوِ ٱجْتَمَعَ ٱلْإِنْسُ وَٱلْجِنُّ، وَٱلْمَلَائِكَةُ وَٱلشَّيَاطِينُ عَلَىٰ أَنْ يُحَرِّكُوا فِي ٱلْعَالَمِ ذَرَّةً أَوْ يُسَكِّنُوهَا دُونَ إِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، لَعَجَزُوا عَنْ ذَٰلِكَ. وَإِنَّ إِرَادَتَهُ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ فِي جُمْلَةِ صِفَاتِهِ، لَمْ يَزَلْ كَذَٰلِكَ مَوْصُوفًا بِهَا، مُرِيدًا فِي أَزَلِهِ لِوُجُودِ ٱلْأَشْيَاءِ فِي أَوْقَاتِهَا ٱلَّتِي قَدَّرَهَا، فَوُجِدَتْ فِي أَوْقَاتِهَا كَمَا أَرَادَهَا فِي أَزَلِهِ، مِنْ غَيْرِ تَقَدُّمٍ وَلَا تَأَخُّرٍ، بَلْ وَقَعَتْ عَلَىٰ وَفْقِ عِلْمِهِ وَإِرَادَتِهِ، مِنْ غَيْرِ تَبَدُّلٍ وَلَا تَغَيُّرٍ، دَبَّرَ ٱلْأُمُورَ لَا بِتَرْتِيبِ أَفْكَارٍ وَلَا تَرَبُّصِ زَمَانٍ، فَلِذَٰلِكَ لَمْ يَشْغَلْهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ". ـ إحياء علوم الدين، الغزالي ١/ ٩٠ ـ

وَقَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلشَّافِعِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "ٱلْمَشِيئَةُ إِرَادَةُ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ فَأَعْلَمَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ خَلْقَهُ أَنَّ ٱلْمَشِيئَةَ لَهُ ..... ، وَأَنَّ مَشِيئَتَهُمْ لَا تَكُونُ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ٱللَّهُ". الأسماء والصفات ١٨٢ـ وَأَنْشَدَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي ذَٰلِكَ:

مَا شِئْتَ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ ... وَمَا شِئْتُ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ
خَلَقْتَ ٱلْعِبَادَ عَلَىٰ مَا عَلِمْتَ ... فَفِي ٱلْعِلْمِ يَجْرِي ٱلْفَتَىٰ وَٱلْمُسِنْ
عَلَىٰ ذَا مَنَنْتَ وَهَٰذَا خَذَلْتَ ... وَهَٰذَا أَعَنْتَ وَذَا لَمْ تُعِنْ
فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ ... وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ وَمِنْهُمْ حَسَنْ

أَيْ: مَا شَاءَ ٱللَّهُ حَصَلَ وَإِنْ لَمْ يَشَأْهُ لِلْمَرْءِ، وَإِنْ شَاءَ ٱلْمَرْءُ أَمْرًا لَمْ يَشَأْهُ ٱللَّهُ: لَمْ يَكُنْ.

- خَلَقْتَ ٱلْعِبَادَ عَلَىٰ حَسَبِ عِلْمِكَ ٱلْأَزَلِيِّ، فَعَلِمْتَ مَا هُمْ فَاعِلُوهُ، فَكُلُّ مَا يَجْرِي لِلْخَلْقِ، صَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ، إِنَّمَا هُوَ مَا سَبَقَ أَنْ عَلِمْتَهُ سُبْحَانَكَ قَبْلَ إِيجَادِهِمْ مِنَ ٱلْعَدَمِ.
- مَنَنْتَ بِفَضْلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ جَزَاءً عَلَىٰ إِيمَانِهِمْ، وَخَذَلْتَ ٱلْكَافِرِينَ جَزَاءً عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، فَأَعَنْتَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ كَسْبِ مَرْضَاتِكَ، وَلَمْ تُعِنِ ٱلْكَافِرِينَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَفُجُورِهِمْ.
- وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ هُوَ شَقِيٌّ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ سَعِيدٌ، وَكَذَا ٱلْقَبِيحُ وَٱلْحَسَنُ

وَعَنِ ٱلْإِمَامِ ٱلْأَوْزَاعِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "أَتَى ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهُودِيٌّ فَسَأَلَهُ عَنِ ٱلْمَشِيئَةِ فَقَالَ: ٱلْمَشِيئَةُ لِلَّهِ تَعَالَىٰ، قَالَ: فَإِنِّي أَشَاءُ أَنْ أَقُومَ، قَالَ: قَدْ شَاءَ ٱللَّهُ أَنْ تَقُومَ، قَالَ: فَإِنِّي أَشَاءُ أَنْ أَقْعُدَ، قَالَ: فَقَدْ شَاءَ ٱللَّهُ أَنْ تَقْعُدَ، قَالَ:

فَإِنِّي أَشَاءُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ النَّخْلَةَ، قَالَ: فَقَدْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَقْطَعَهَا، قَالَ: فَإِنِّي أَشَاءُ أَنْ أَتْرُكَهَا، قَالَ: فَقَدْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَتْرُكَهَا، قَالَ: فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَالَ: لُقِّنْتَ حُجَّتَكَ كَمَا لُقِّنَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. الأسماء والصفات ص٣٨.

فَمَشِيئَةُ الْإِنْسَانِ حَادِثَةٌ تَخْضَعُ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، إِذْ لَوْ لَمْ يَشَأِ اللَّهُ أَمْرًا لَمْ يَكُنْ مَا شَاءَهُ الْعَبْدُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ. فَلَا أَحَدَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْنَعَ نَفَاذَ مَشِيئَتِهِ سُبْحَانَهُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ يوسف ٢١. فَالْأَشْيَاءُ الَّتِي قَدَّرَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَشَاءَهَا فِي عِلْمِهِ الْأَزَلِيِّ، لَا بُدَّ أَنْ تَنْفُذَ حَسَبَ مَا سَبَقَ فِي مَشِيئَتِهِ الْأَزَلِيَّةِ وَعِلْمِهِ الْأَزَلِيِّ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بِدَايَةٌ. وَمَا لَمْ يَشَأِ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ، فَلَا يَكُونُ وَلَا يَحْصُلُ، وَلَا يَظْهَرُ عَلَى الْوُجُودِ مِنْ أَيِّ نَوْعٍ كَانَ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ، وَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي خَلْقِهِ وَفْقَ مَا أَرَادَ، لَا يَحْدُثُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَمْرٌ إِلَّا كَمَا يَشَاءُ وَيُرِيدُ، فَلَا حَرَكَةَ وَلَا سُكُونَ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَكُونُ.

صِفَةُ الْعِلْمِ لِلَّهِ تَعَالَى

الْعِلْمُ صِفَةٌ قَدِيمَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى، لَا أَوَّلَ لَهَا وَلَا انْتِهَاءَ، فَاللَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ بِجَمِيعِ الْأُمُورِ، كَثِيرِهَا وَقَلِيلِهَا، ظَاهِرِهَا وَخَفِيِّهَا، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ، وَبَعْدَ إِعْدَامِهَا كَيْفَ تَكُونُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي حَقِّ أَهْلِ النَّارِ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ الأنعام ٢٨، لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَعْلَمُ نَوَايَاهُمْ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ. وَيَعْلَمُ اللَّهُ الْكُلِّيَّاتِ (أَيْ جَمِيعَ الْمَعْلُومَاتِ عَلَى الْإِطْلَاقِ) وَالْجُزْئِيَّاتِ (أَيْ مَا دَقَّ مِنْهَا وَخَفِيَ)، وَالْمَعْلُومَاتِ وَالْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، فَلَا يَخْفَى عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَيْنَمَا كَانَتْ، وَلَا يُحْجَبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ وَإِنْ دَقَّ، لَا فِي أَعْمَاقِ قَاعِ الْبِحَارِ، وَلَا بِبُعْدِ الْمَسَافَاتِ وَطُولِ الْأَبْعَادِ. فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ حَرَكَةَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ، وَيُدْرِكُ حَرَكَةَ الذَّرِّ (أَيِ الْأَجْسَامِ الدَّقِيقَةِ جِدًّا) فِي جَوِّ الْهَوَاءِ، وَعَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى، وَوَرَقِ الْأَشْجَارِ وَقَطْرِ

ٱلْأَمْطَارِ. وَيَعْلَمُ تَعَالَىٰ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَىٰ، وَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلَىٰ هَوَاجِسِ ٱلضَّمَائِرِ (أَيْ خَوَاطِرِهَا)، وَحَرَكَاتِ وَخَفِيَّاتِ ٱلسَّرَائِرِ (أَيِ ٱلنَّوَايَا ٱلْمَخْفِيَّةِ)، فَلَا يَخْفَىٰ عَنْ عِلْمِهِ تَفْكِيرُ ٱلنُّفُوسِ فِي سِرِّهَا، وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ قَبْلَ وَضْعِهَا، وَمَا خَفِيَ عَنِ ٱبْنِ آدَمَ مِمَّا هُوَ فَاعِلُهُ قَبْلَ أَنْ يَعْمَلَهُ، بِعِلْمٍ أَزَلِيٍّ قَدِيمٍ، لَمْ يَزَلْ مَوْصُوفًا بِهِ فِي أَزَلِ ٱلْآزَالِ، لَا بِعِلْمٍ مُتَجَدِّدٍ حَاصِلٍ فِي ذَاتِهِ.

عِلْمُ ٱلْإِنْسَانِ إِنَّ عِلْمَ ٱلْإِنْسَانِ مُكْتَسَبٌ، يَطْرَأُ عَلَىٰ بَعْضِهِ ٱلنِّسْيَانُ وَٱلْجَهْلُ وَٱلْعَجْزُ، وَعَلَىٰ بَعْضِهِ ٱلنَّقْصُ وَٱلِٱفْتِقَارُ، فَمِنْهُ يُخْطِئُ وَمِنْهُ يُصِيبُ، إِلَّا مَنْ شَاءَ ٱللَّهُ لَهُ ٱلْعِصْمَةَ مِنْ أَنْبِيَائِهِ، وَٱلْحِفْظَ بِلُطْفِهِ وَإِحْسَانِهِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ. وَعِلْمُ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ لَيْسَ كَعِلْمِنَا، عِلْمُنَا فِيهِ ٱبْتِدَاءٌ وَٱنْتِهَاءٌ وَكَسْبٌ، وَعِلْمُ ٱللَّهِ أَزَلِيٌّ لَا بِدَايَةَ لَهُ، أَبَدِيٌّ لَا نِهَايَةَ لَهُ. فَٱللَّهُ تَعَالَىٰ يَعْلَمُ ٱلْأَشْيَاءَ وَٱلْوَقَائِعَ وَٱلْحَوَادِثَ أَزَلًا وَأَبَدًا، عَلَىٰ مَا هِيَ عَلَيْهِ، وَكَوْنَهَا وُجِدَتْ فِي ٱلْمَاضِي، أَوْ مَوْجُودَةً فِي ٱلْحَالِ، أَوْ تُوجَدُ فِي ٱلْمُسْتَقْبَلِ.

وَأَمَّا ٱلْعِلْمُ ٱلَّذِي يَعْلَمُهُ ٱلْإِنْسَانُ بَعْدَ حُصُولِهِ، فَهَٰذَا عِلْمٌ مُحْدَثٌ مَخْلُوقٌ، وَعِلْمُ ٱللَّهِ مُنَزَّهٌ عَنْ صِفَاتِ ٱلنَّقْصِ وَٱلْجَهْلِ وَٱلْعَجْزِ وَٱلِٱفْتِقَارِ، وَلَا يَجُوزُ عَقْلًا وَلَا شَرْعًا أَنْ يُطْلَقَ عَلَىٰ عِلْمِهِ تَعَالَىٰ تِلْكَ ٱلصِّفَاتُ ٱلشَّنِيعَةُ وَقَدْ أَفَاضَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَأَوْلِيَائِهِ بَعْضَ عُلُومِ ٱلْأَسْرَارِ ٱلَّتِي بِوَاسِطَتِهَا يُدَافِعُونَ عَنْ دِينِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ، وَيَطَّلِعُونَ عَلَىٰ مَا شَاءَ ٱللَّهُ لَهُمْ مِنَ ٱلْعُلُومِ لِلدِّفَاعِ عَنْ مَصْلَحَةِ ٱلْإِسْلَامِ وَٱلْمُسْلِمِينَ.

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلْبَيْهَقِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ ـ البقرة ٢٥٥ ـ: "لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ أَنْ يُعَلِّمَهُمْ إِيَّاهُ، فَيَعْلَمُونَهُ بِتَعْلِيمِهِ" ـ الأسماء والصفات.

وَقَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلْبَغَوِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ فِي حَقِّ حَضْرَةِ ٱلْخَضِرِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ ـ الكهف ٦٥ ـ: "عِلْمَ ٱلْبَاطِنِ إِلْهَامًا" ـ معالم التنزيل في التفسير والتأويل، ٣/٥٨٤ ـ.

اللَّهُ يَمْتَحِنُ عِبَادَهُ بِالابْتِلَاءِ

ذَهَبَ بَعْضُ النَّاسِ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْتَلِي عِبَادَهُ لِيَعْلَمَ مَا يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مُسْتَشْهِدِينَ بِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ﴾ -محمد ٣١-، وَيُفَسِّرُونَ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْتَلِي الْعَبْدَ، وَيَنْتَظِرُ رَدَّةَ فِعْلِهِ حَتَّى يَحْكُمَ عَلَى صَبْرِهِ وَمُجَاهَدَاتِهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا. وَلَكِنَّ الْمُرَادَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ: "وَلَنَخْتَبِرَنَّكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِالْقَتْلِ، وَجِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ حَتَّى يَعْلَمَ حِزْبِي وَأَوْلِيَائِي، أَهْلَ الْجِهَادِ مِنْكُمْ وَأَهْلَ الصَّبْرِ عَلَى الْقِتَالِ، فَيَظْهَرُ ذَلِكَ لَهُمْ، وَيَعْرِفُوا أَهْلَ الْإِيمَانِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ". -مختصر تفسير الطبري ٢/٣٦٥-. فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، يَعْلَمُ مَا سَيَفْعَلُهُ الْعِبَادُ قَبْلَ أَنْ يَحْصُلَ مِنْهُمْ وَقَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَلِهَذَا قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: "الْمُرَادُ بِعِلْمِهِ تَعَالَى، عِلْمُ ظُهُورٍ لِلْعِبَادِ، لَا عِلْمُ بِدَاءٍ". وَعِلْمُ الْبِدَاءِ هُوَ الْعِلْمُ الْحَادِثُ الَّذِي يَسْبِقُهُ جَهْلٌ، وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ سُبْحَانَهُ يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا.

قَالَ الْإِمَامُ الطَّحَاوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ". -الفقه الأكبر ١٥-.

وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ: "يَعْلَمُ مَا كَانَ مِنْ بِدْءِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَمَا يَكُونُ مِنْ أَوَاخِرِ الْمَوْجُودَاتِ". -الفقه الأكبر ١٥-.

صِفَةُ الْحَيَاةِ لِلَّهِ تَعَالَى

إِنَّ الْبَعْضَ قَدْ يَنْغَمِسُ فِي غَمْرَةِ الْجَهَالَاتِ وَالضَّلَالَاتِ، فَيَقُولُ: كَيْفَ يَحْيَا اللَّهُ؟ هَلْ يَحْيَا بِرُوحٍ أَكْبَرَ مِنْ أَرْوَاحِنَا؟ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذِهِ الظُّنُونِ الْمُهْلِكَةِ. فَنَقُولُ: إِنَّ حَيَاةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ صِفَةٌ قَدِيمَةٌ لَهُ تَعَالَى، فَلَمْ يَأْتِ زَمَنٌ لَمْ يَكُنْ حَيًّا فِيهِ ثُمَّ حَيِيَ بَعْدَ ذَلِكَ، بَلْ هُوَ

مُتَّصِفٌ بِهٰذِهِ الصِّفَةِ أَزَلاً، وَحَيَاتُهُ بِخِلَافِ حَيَاتِنَا الْمَخْلُوقَةِ الَّتِي نَعِيشُ فِيهَا، وَالَّتِي تَتَّصِفُ بِالاِحْتِيَاجِ لَهُ سُبْحَانَهُ فِي كُلِّ الأُمُورِ، رُوحِيَّةً كَانَتْ أَمْ جَسَدِيَّةً أَمْ مَعِيشِيَّةً. فَحَيَاةُ الإِنْسَانِ مُتَوَقِّفَةٌ عَلَى وُجُودِ عِدَّةِ أَشْيَاءَ، فَلَوِ انْقَطَعَ الْهَوَاءُ مَثَلاً لاَسْتَحَالَ التَّنَفُّسُ، وَلاَنْعَدَمَتْ بِالتَّالِي الْحَيَاةُ، وَكَذٰلِكَ الأَمْرُ لَوْ تَوَقَّفَ الْقَلْبُ عَنِ الْخَفَقَانِ، أَوْحُرِمَ الإِنْسَانُ مِنَ الْمَاءِ وَالطَّعَامِ، إِضَافَةً إِلَى ذٰلِكَ كُلِّهِ فَإِنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْيَا إِلاَّ بِوَاسِطَةِ الرُّوحِ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ فِينَا.

وَأَمَّا حَيَاةُ اللهِ تَعَالَى فَلاَ تَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ، وَلاَ تَحُلُّ فِي شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ، كَالْبَشَرِ وَالْجَمَادِ، وَهِيَ لَيْسَتْ بِوَاسِطَةِ رُوحٍ، لأَنَّ مَنْ يَعِيشُ بِوَاسِطَةِ الرُّوحِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ مُحْدَثٌ قَابِلٌ لِلْمَوْتِ وَالْفَنَاءِ، وَاللهُ مُنَزَّهٌ عَنْ تِلْكَ النَّقَائِصِ الْفَانِيَةِ، فَهُوَ الْحَيُّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ، وَلاَ يَحْتَاجُ لِمَعُونَةِ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلاَ لِنُصْرَتِهِمْ.

قَالَ الشَّيْخُ الْبَيْجُورِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "حَقِيقَةُ الْحَيِّ الَّذِي لَهُ الْحَيَاةُ الْحَقِيقِيَّةُ، هُوَ الَّذِي تَكُونُ حَيَاتُهُ لِذَاتِهِ، وَلَيْسَ ذٰلِكَ لأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ، فَلَيْسَتْ حَيَاتُهُمْ لِذَاتِهِمْ" .. شرح جوهرة التوحيد، البيجوري ٧٨..

وَعَقْلُ الإِنْسَانِ أَمَامَ هٰذِهِ الْمَدَارِجِ عَاجِزٌ وَمَحْدُودٌ، وَمَا عَلَيْهِ إِلاَّ التَّسْلِيمُ بِلاَ شَكٍّ وَلاَ نُفُورٍ. فَقُدْرَةُ اللهِ الْمُوجِدَةُ لِهٰذَا الْخَلْقِ الْعَظِيمِ مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ، وَأَرْضٍ وَبَحْرٍ وَسَمَاءٍ، دَلِيلُ وُجُودِ الْحَيِّ الَّذِي لاَ شَبِيهَ لَهُ وَلاَ مَثِيلَ، فَمَنْ أَقَرَّ بِقُدْرَةِ اللهِ عَلَى خَلْقِ الأَشْيَاءِ، فَهُوَ يَعْتَرِفُ حَتْمًا بِحَيَاةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ. أَمَّا مَنْ لاَ يَعْتَرِفُ بِذٰلِكَ، فَلاَ يَنْفَعُ مَعَهُ الْكَلاَمُ، لأَنَّهُ يَكُونُ مِمَّنْ أَقْفَلَ قَلْبَهُ وَسَمْعَهُ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ وَمَعْرِفَةِ الْحَقَائِقِ، وَانْضَمَّ إِلَى صُفُوفِ الأَبَالِسَةِ الْمَخْذُولِينَ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ ـ غافر ٦٥ ـ وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ ـ الفرقان ٥٨ ـ

صِفَةُ السَّمْعِ لِلَّهِ تَعَالَى

السَّمْعُ صِفَةٌ أَزَلِيَّةٌ لِلَّهِ تَعَالَى، قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ، مُنَزَّهَةٌ عَنْ أَنْ تَكُونَ بِآلَةٍ أَوْ أَدَاةٍ، فَالْجَارِحَةُ مُنْتَفِيَةٌ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ، فَلَا يَسْمَعُ بِأُذُنٍ كَخَلْقِهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا. فَيَسْمَعُ كُلًّا مِنَ الْأَصْوَاتِ وَالْحُرُوفِ، مِنْ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَعَلَى اخْتِلَافِ اللُّغَاتِ، وَيَسْمَعُ زَئِيرَ الْوُحُوشِ وَيَعْلَمُ مَا تُرِيدُ، وَيَسْمَعُ تَمْتَمَةَ الْأَلْسُنِ وَأَنِينَ الْأَنْفُسِ وَشَكْوَى الْقُلُوبِ، فَلَا يَخْفَى عَنْ سَمْعِهِ مَسْمُوعٌ وَإِنْ خَفِيَ فِي أَعْمَاقِ النُّفُوسِ وَالصُّدُورِ، تَحْتَ الرِّمَالِ وَفَوْقَ السَّحَابِ. وَلَا يَحْجُبُ سَمْعَهُ بُعْدُ الْمَسَافَاتِ وَطُولُ الْأَبْعَادِ وَقَاعُ الْبِحَارِ، وَلَا شِدَّةُ الْعَوَاصِفِ وَأَصْوَاتُ الزَّوَابِعِ. فَيَسْمَعُ اللَّهُ تَعَالَى مَا خَفَّ وَدَقَّ مِنَ الْأَصْوَاتِ، حَتَّى هَمَسَاتِ الْجَنِينِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَيَسْمَعُ تَسْبِيحَ الْأَسْمَاكِ فِي قَاعِ الْبِحَارِ، وَحَفِيفَ أَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ، وَالنَّجْوَى (أَيِ الْحَدِيثَ بِصَوْتٍ خَافِتٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ) وَالْهَمْسَ وَدَقَّاتِ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَلَا يَخْفَى عَنْ سَمْعِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ، وَلَا يَجُوزُ فِي حَقِّهِ النُّقْصَانُ. وَأَمَّا سَمَاعُ الْإِنْسَانِ لِلْأَصْوَاتِ فَبِأُذُنٍ مَخْلُوقَةٍ وَضِمْنَ مَسَافَاتٍ مَعْلُومَةٍ.

قَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ الْقَارِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بِالْأَصْوَاتِ وَالْحُرُوفِ وَالْكَلِمَاتِ بِسَمْعِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ لَهُ فِي الْأَزَلِ ... فَلَا يَحْدُثُ لَهُ سَمْعٌ بِحُدُوثِ مَسْمُوعٍ ... فَالسَّمْعُ صِفَةٌ تَتَعَلَّقُ بِالْمَسْمُوعَاتِ". ـ الفقه الأكبر

صِفَةُ الْبَصَرِ لِلَّهِ تَعَالَى

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَصِيرٌ، وَلَا يَخْفَى عَنْ بَصَرِهِ هَوَاجِسُ الضَّمِيرِ وَخَفَايَا الْوَهْمِ وَالتَّفْكِيرِ، الدَّقِيقِ مِنْهُ وَالرَّقِيقِ. فَيُبْصِرُ الْأَشْكَالَ وَالْأَلْوَانَ، وَالْحُرُوفَ وَالْأَصْوَاتَ وَالْكَلِمَاتِ، وَإِنْ دَقَّتْ وَرَقَّتْ. وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَلَا يَغِيبُ عَنْ رُؤْيَتِهِ مَرْئِيٌّ وَإِنْ دَقَّ وَاحْتَجَبَ عَنِ الْأَنْظَارِ، فَيَرَى مَا فِي النُّفُوسِ مِنْ هَوَاجِسَ رَقِيقَةٍ، وَمَا

فِي ٱلصُّدُورِ مِنْ خَوَاطِرَ دَقِيقَةٍ، وَلَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ. وَٱلْبَصَرُ صِفَةٌ قَدِيمَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ، وَإِبْصَارُهُ مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ يَكُونَ بِآلَةٍ وَأَدَاةٍ، فَهُوَ ٱلْعَالِمُ بِخَفِيَّاتِ ٱلْأُمُورِ، وَيَرَى مَا لَا تَرَاهُ ٱلْعُيُونُ، وَيَرَى ٱلْأَرْوَاحَ ٱلْمَكْنُونَةَ وَٱلْأَسْرَارَ ٱلْمَخْزُونَةَ. وَأَمَّا مَنْ يُوصَفُ بِٱلْبَصَرِ ٱلْمَحْدُودِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ رُؤْيَةَ مَا وَرَاءَ ٱلسُّدُودِ، فَهُوَ مَخْلُوقٌ مُحْتَاجٌ لِلْمَعْبُودِ، وَٱللَّهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ تَكُونَ لَهُ عُيُونٌ كَأَعْيُنِ خَلْقِهِ، تَعَالَى ٱللَّهُ عَمَّا يَدَّعِي ٱلْمُشَبِّهُونَ وَٱلْمُشْرِكُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

قَالَ ٱلْخَطَّابِيُّ: «ٱلْبَصِيرُ هُوَ ٱلْمُبْصِرُ، وَيُقَالُ: ٱلْعَالِمُ بِخَفِيَّاتِ ٱلْأُمُورِ».

قَالَ ٱلشَّيْخُ ٱبْنُ عَرَبِيٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ بَصَرَهُ سُبْحَانَهُ لَا بِتَنَاهِي مَبْصُورَاتِهِ»، وَلَا يَحْجُبُهُ عَنْ خَلْقِهِ حِجَابٌ". رد معاني الآيات المتشابهات ١٣-(١٥ تَنَاهِي: ٱنْتِهَاءُ، مَبْصُورَاتِهِ: مَا يَرَاهُ سُبْحَانَهُ، وَٱلْمَعْنَى: لَيْسَ لِبَصَرِهِ سُبْحَانَهُ نِهَايَةٌ وَلَا حُدُودٌ).

صِفَةُ ٱلْكَلَامِ لِلَّهِ تَعَالَى

كَلَامُ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ صِفَتُهُ، وَصِفَةُ ٱللَّهِ قَدِيمَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ، وَاحِدَةٌ فِي حَقِيقَتِهِ، مُنَزَّهَةٌ عَنِ ٱلْأَوْقَاتِ وَٱلْأَزْمَانِ وَٱلْأَرْقَامِ، وَتَتَقَدَّسُ عَنِ ٱلْحُدُوثِ. فَكَلَامُ ٱلْمُقَدَّسِ لَا يُشْبِهُ كَلَامَ خَلْقِهِ، كَمَا أَنَّ وُجُودَهُ لَا يُشْبِهُ وُجُودَ خَلْقِهِ. فَكَلَامُ ٱلْبَشَرِ يَصْدُرُ بِوَاسِطَةِ لِسَانٍ وَصَوْتٍ وَحَرْفٍ، وَٱللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ ٱلْجَوَارِحِ ٱلْمُحْدَثَةِ.

قَالَ ٱلشَّيْخُ مُحَمَّدُ أَمِينُ ٱلْكُرْدِيُّ ٱلْإِرْبِيلِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «فَلَيْسَ كَلَامُهُ تَعَالَى بِحَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ، وَلَا يُوصَفُ بِتَقْدِيمٍ وَلَا تَأْخِيرٍ، وَلَا يَطْرَأُ عَلَيْهِ سُكُوتٌ وَلَا آفَةٌ تَمْنَعُ مِنْهُ».

وَقَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلْغَزَالِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى مُتَكَلِّمٌ، آمِرٌ، نَاهٍ، وَاعِدٌ مُتَوَعِّدٌ، بِكَلَامٍ أَزَلِيٍّ قَدِيمٍ قَائِمٍ بِذَاتِهِ، لَا يُشْبِهُ كَلَامَ ٱلْخَلْقِ، فَلَيْسَ بِصَوْتٍ يَحْدُثُ مِنِ ٱنْسِلَالِ ٱلْهَوَاءِ (أَيِ ٱنْطِلَاقِهِ فِي ٱسْتِخْفَاءٍ) أَوِ ٱصْطِكَاكِ ٱلْأَجْرَامِ (أَيِ ٱحْتِكَاكِهَا)، وَلَا بِحَرْفٍ يَنْقَطِعُ بِإِطْبَاقِ شَفَةٍ أَوْ تَحْرِيكِ لِسَانٍ"... إحياء علوم الدين ١/٨١.

قَالَ ٱلْعَلَّامَةُ ٱلشَّيْخُ حَسَنُ أَفَنْدِي ٱلْجِسْرُ: «هِيَ صِفَةٌ

قَدِيمَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى، لَيْسَتْ بِحَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ، تَدُلُّ عَلَى الْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحِيلَاتِ وَالْجَائِزَاتِ، مَا كَانَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ، يُفْهِمُ بِهَا سُبْحَانَهُ مَا يُرِيدُ إِفْهَامَهُ لِأَحَدٍ عِبَادِهِ". الحصون الحميدية، ٢. فَيَسْمَعُ كَلَامَ اللَّهِ الْمُبَارَكَ الْمُقَدَّسَ مَنْ شَاءَ لَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ.

لَا نِهَايَةَ لِكَلَامِ اللَّهِ إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ حُدُودٌ زَمَانِيَّةٌ أَوْ مَكَانِيَّةٌ، وَلَا يَلْحَقُهُ فَنَاءٌ أَوْ نِهَايَةٌ، لِأَنَّ الْكَلَامَ الَّذِي يَلْحَقُهُ الْفَنَاءُ وَالنَّفَادُ يَكُونُ مَخْلُوقًا، وَيَطْرَأُ عَلَيْهِ السُّكُوتُ وَالْآفَاتُ، وَكَلَامُ اللَّهِ لَا يَنْتَهِي إِلَى حَدٍّ وَلَا يَنْحَصِرُ فِي بُعْدٍ. وَاللَّهُ مُتَكَلِّمٌ فِي الْأَزَلِ وَإِلَى الْأَبَدِ بِكَلَامٍ وَاحِدٍ، فَهُوَ آمِرٌ، نَاهٍ، مُخْبِرٌ بِهِ. وَقَدْ نَفَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ كَلَامِهِ النَّفَادَ (أَيِ الِانْتِهَاءَ)، كَمَا نَفَى عَنْ ذَاتِهِ الْهَلَاكَ. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي كَلَامِهِ تَعَالَى عَيْبٌ أَوْ نَقْصٌ كَمَا فِي كَلَامِ خَلْقِهِ مِنَ الْبَشَرِ.

قَالَ الْإِمَامُ الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ـ الكهف ١٠٩. فَلَوْ كَانَتِ الْبِحَارُ مِدَادًا (أَيْ حِبْرًا) كُتِبَتْ (بِهَا كَلِمَاتُ رَبِّي) لَنَفِدَتِ الْبِحَارُ وَتَكَسَّرَتِ الْأَقْلَامُ، وَلَمْ يَلْحَقِ الْفَنَاءُ كَلِمَاتِ رَبِّي، كَمَا لَا يَلْحَقُ الْفَنَاءُ عِلْمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ فَنِيَ كَلَامُهُ لَحِقَتْهُ الْآفَاتُ وَجَرَى عَلَيْهِ السُّكُوتُ، فَلَمَّا لَمْ يَجُزْ ذَلِكَ عَلَى رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ، صَحَّ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا، لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مُتَكَلِّمًا، وَجَبَ السُّكُوتُ وَالْآفَاتُ.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْبَاقِلَّانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ الَّذِي يُخَاطِبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ كَلَامِ الْآدَمِيِّينَ، وَلَا مُشْبِهًا لِكَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ، بَلْ هُوَ مُخَالِفٌ لِسَائِرِ الْأَجْنَاسِ وَالْأَصْوَاتِ وَأَبْنِيَةِ اللُّغَاتِ وَإِنْ كَانَ مَسْمُوعًا... لِمَا قَامَ عِنْدَنَا مِنَ الدَّلِيلِ عَلَى قِدَمِهِ وَاسْتِحَالَةِ خَلْقِهِ" وَأَنَّهُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِ الْمُتَكَلِّمِ بِهِ تَعَالَى".

(١) أَيْ أَنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

ـ كتاب التمهيد ١٨ ـ

فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ قَادِرٌ أَنْ يُسْمِعَ مَا يُرِيدُ لِمَنْ يُرِيدُ، كَيْفَ يَشَاءُ وَيُرِيدُ، وَعَلَيْنَا الِاكْتِفَاءُ بِذَلِكَ بِلَا مَزِيدٍ، لِأَنَّ سَمَاعَ كَلَامِهِ مِنْ بَابِ الْمُعْجِزَاتِ. فَعَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ التَّنْزِيهُ وَالتَّسْلِيمُ، إِذَا أَرَادَ النَّجَاةَ مِنْ مَزَالِقِ إِبْلِيسَ الرَّجِيمِ.

الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ قَالَ الْإِمَامُ الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "الْقُرْآنُ يُقْرَأُ فِي الْحَقِيقَةِ وَيُتْلَى، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: يُلْفَظُ بِهِ، لِأَنَّ الْقَائِلَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: إِنَّهُ كَلَامٌ مَلْفُوظٌ بِهِ، لِأَنَّ الْعَرَبَ إِذَا قَالَ قَائِلُهُمْ: لَفَظْتُ بِاللُّقْمَةِ مِنْ فَمِي، مَعْنَاهُ: رَمَيْتُ بِهَا، وَكَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُقَالُ: يُلْفَظُ بِهِ، وَإِنَّمَا يُقَالُ: يُقْرَأُ وَيُتْلَى وَيُكْتَبُ وَيُحْفَظُ". ـ الإبانة ٨١ ـ

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى صَانِعُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ

إِنَّ مَا نُشَاهِدُهُ عَلَى أَرْضِ الْحَيَاةِ مِنْ مَبَانٍ مُرْتَفِعَةٍ، مُنَظَّمَةٍ وَضَخْمَةٍ فَإِنَّهَا مِنْ صُنْعِ الْبَنَّاءِ الَّذِي بَنَاهَا. وَمَا نُشَاهِدُهُ مِنْ طَائِرَاتٍ وَبَوَاخِرَ وَسَيَّارَاتٍ وَبَاقِي الصِّنَاعَاتِ الَّتِي ظَهَرَتْ لَنَا، قَدْ صُنِعَتْ بِأَيْدِي الْعُمَّالِ وَالْمُهَنْدِسِينَ فِي الْمَصَانِعِ، وَلَمْ تُوجَدْ بِطَرِيقَةِ الصُّدْفَةِ، إِذْ يَسْتَحِيلُ عَقْلًا أَنْ يَرْتَفِعَ مَبْنًى بِدُونِ بَانٍ، وَأَنْ تَظْهَرَ الْبَوَاخِرُ وَالسَّيَّارَاتُ بِطَرِيقِ الصُّدْفَةِ وَالْفَوْضَى، لِأَنَّ الصُّدْفَةَ وَالْفَوْضَى لَا يَبْنِيَانِ نِظَامًا عَظِيمًا. وَكَذَلِكَ الْكَوْنُ الْعَظِيمُ، بِأَرْضِهِ الْوَاسِعَةِ وَجِبَالِهِ الْمُرْتَفِعَةِ وَمُحِيطَاتِهِ وَبِحَارِهِ الْمُمْتَدَّةِ، الْمُحَاطُ فِي سَمَائِهِ وَالْمُضَاءُ بِشَمْسِهِ وَقَمَرِهِ وَكَوَاكِبِهِ. بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْإِنْسَانِ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ عَجَائِبَ صُنْعِهِ مِنْ بَصَرٍ وَسَمْعٍ وَحُسْنِ تَكْوِينٍ، وَقَدَّرَ لَهُ مَا يَحْتَاجُ مِنْ طَعَامٍ وَمَلَذَّاتٍ، وَسَخَّرَ لَهُ الْأَنْعَامَ لِيَأْكُلَ مِنْهَا مَا يَشَاءُ؛ ذَلِكَ كُلُّهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ بِطَرِيقَةِ الصُّدْفَةِ، وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى خَالِقٍ عَظِيمٍ، أَوْجَدَ الْمَوْجُودَاتِ مِنَ الْعَدَمِ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ. وَلَئِنْ كَانَ وُجُودُ الْإِنْسَانِ صُدْفَةً، لَكَانَ مِنَ الْأَوْلَى أَنْ تَكُونَ مَصْنُوعَاتُهُ مِنْ سَيَّارَاتٍ وَطَائِرَاتٍ

وَالآتٍ قَدْ وُجِدَتْ عَنْ طَرِيقِ الصَّدْفَةِ، وَهَذَا مَا يَرْفُضُهُ الْعَقْلُ. قَالَ تَعَالَى:
﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ـ غافر ٦٢ ـ وَقَالَ تَعَالَى:
﴿ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ـ الرعد ١٦ ـ فَنَفَى تَعَالَى أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ خَالِقٌ غَيْرُهُ، وَنَفَى أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ سِوَاهُ غَيْرَ مَخْلُوقٍ، وَفِي هَذَا رَدٌّ صَرِيحٌ عَلَى الَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّ الْإِنْسَانَ خَالِقُ أَفْعَالِهِ، فَلَوْ كَانَتِ الْأَفْعَالُ غَيْرَ مَخْلُوقَةٍ لِلَّهِ، لَكَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَالِقَ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ دُونَ جَمِيعِهَا، وَهَذَا خِلَافُ الْآيَةِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْأَفْعَالَ أَكْثَرُ مِنَ الْأَعْيَانِ (أَيْ مِنْ فَاعِلِيهَا)، فَلَوْ كَانَ اللَّهُ خَالِقَ الْأَعْيَانِ، وَالنَّاسُ خَالِقِي الْأَفْعَالِ، لَكَانَ خَلْقُ النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْ خَلْقِهِ تَعَالَى، وَلَكِنَّنَا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ـ الصافات ٩٦ ـ فَأَخْبَرَ أَنَّ أَعْمَالَهُمْ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ـ الأنعام ١٠١ ـ وَقَالَ حَضْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى صَانِعُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ ﴾ ـ رَوَاهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ، الفتح الكبير ٣/٣٠٣ ـ فَأَفْعَالُ الْعِبَادِ مُضَافَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى خَلْقًا وَإِيجَادًا، وَإِلَى الْعَبْدِ كَسْبًا، لِيُثَابَ عَلَى الطَّاعَةِ وَيُعَاقَبَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ.

وَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ فِعْلَ اللَّهِ تَعَالَى غَيْرُ مَخْلُوقٍ، بَلْ هُوَ أَزَلِيٌّ، وَإِنِ انْكَشَفَ لَنَا بَعْدَ أَنْ كُنَّا عَنْهُ مَحْجُوبِينَ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُحْدَثًا مَخْلُوقًا. وَوَرَدَ فِي مَتْنِ الْعَقَائِدِ لِعُمَرَ النَّسَفِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَلَهُ صِفَاتٌ أَزَلِيَّةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ... وَهِيَ: الْعِلْمُ، وَالْقُدْرَةُ، وَالْحَيَاةُ، وَالسَّمْعُ، وَالْبَصَرُ، وَالْإِرَادَةُ، وَالْمَشِيئَةُ، وَالْفِعْلُ وَالتَّخْلِيقُ، وَالتَّرْزِيقُ، وَالْكَلَامُ". ـ شرح العقائد النسفية، ص ١٠٥ ـ

فَفِعْلُ الْمَخْلُوقِ مَخْلُوقٌ وَفِعْلُ الْخَالِقِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَإِلَّا لَلَزِمَ أَنْ يَسْبِقَ فِعْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ الْعَدَمُ، وَهَذَا خِلَافُ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، لِأَنَّ الْفِعْلَ الْإِلَهِيَّ لَيْسَ لَهُ ابْتِدَاءٌ بَلْ هُوَ أَزَلِيٌّ، وَلَا يُوصَفُ بِالِانْتِهَاءِ بَلْ هُوَ أَبَدِيٌّ.

قَوْلُ الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ فِي أَفْعَالِ اللهِ

قَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "إِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا مَوْجُودَ سِوَاهُ إِلَّا وَهُوَ حَادِثٌ بِفِعْلِهِ، وَفَائِضٌ مِنْ عَدْلِهِ عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ وَأَكْمَلِهَا وَأَتَمِّهَا وَأَعْدَلِهَا. حَكِيمٌ فِي أَفْعَالِهِ، عَادِلٌ فِي أَقْضِيَتِهِ، لَا يُقَاسُ عَدْلُهُ بِعَدْلِ الْعِبَادِ، إِذِ الْعَبْدُ يُتَصَوَّرُ مِنْهُ الظُّلْمُ بِتَصَرُّفِهِ فِي مُلْكِ غَيْرِهِ. وَلَا يُتَصَوَّرُ الظُّلْمُ مِنَ اللهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ لَا يُصَادِفُ لِغَيْرِهِ مُلْكًا حَتَّى يَكُونَ تَصَرُّفُهُ فِيهِ ظُلْمًا. فَكُلُّ مَا سِوَاهُ مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ، وَمَلَكٍ وَشَيْطَانٍ وَسَمَاءٍ وَأَرْضٍ، وَحَيَوَانٍ وَنَبَاتٍ وَجَمَادٍ، وَجَوْهَرٍ وَعَرَضٍ، وَمُدْرَكٍ وَمَحْسُوسٍ، حَادِثٌ اخْتَرَعَهُ بِقُدْرَتِهِ بَعْدَ الْعَدَمِ اخْتِرَاعًا وَأَنْشَأَهُ إِنْشَاءً بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا، إِذْ كَانَ مَوْجُودًا وَحْدَهُ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ غَيْرُهُ، فَأَحْدَثَ الْخَلْقَ بَعْدَ ذَلِكَ إِظْهَارًا لِقُدْرَتِهِ وَتَحْقِيقًا لِمَا سَبَقَ مِنْ إِرَادَتِهِ، وَلِمَا حَقَّ فِي الْأَزَلِ مِنْ كَلِمَتِهِ، لَا لِافْتِقَارِهِ إِلَيْهِ وَحَاجَتِهِ.

وَإِنَّهُ مُتَفَضِّلٌ بِالْخَلْقِ وَالِاخْتِرَاعِ وَالتَّكْلِيفِ (أَيْ تَكْلِيفِ الْعِبَادِ بِالطَّاعَاتِ وَالْوَاجِبَاتِ) لَا عَنْ وُجُوبٍ (أَيْ إِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ لَيْسَ بِوَاجِبٍ عَلَى اللهِ إِنَّمَا هُوَ مَحْضُ فَضْلٍ مِنْهُ)، وَمُتَطَوِّلٌ بِالْإِنْعَامِ وَالْإِصْلَاحِ لَا عَنْ لُزُومٍ (أَيْ لَا عَنْ وُجُوبٍ)، فَلَهُ الْفَضْلُ وَالْإِحْسَانُ وَالنِّعْمَةُ وَالِامْتِنَانُ، إِذْ كَانَ قَادِرًا عَلَى أَنْ يَصُبَّ عَلَى عِبَادِهِ أَنْوَاعَ الْعَذَابِ، وَيَبْتَلِيَهُمْ بِضُرُوبِ الْآلَامِ وَالْأَوْصَابِ (أَيِ الْأَوْجَاعِ)، وَلَوْ فَعَلَ ذَلِكَ لَكَانَ مِنْهُ عَدْلًا، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ قَبِيحًا وَلَا ظُلْمًا. وَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُثَبِّتُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الطَّاعَاتِ بِحُكْمِ الْكَرَمِ وَالْوَعْدِ، لَا بِحُكْمِ الِاسْتِحْقَاقِ وَاللُّزُومِ لَهُ، إِذْ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ لِأَحَدٍ فِعْلٌ، وَلَا يُتَصَوَّرُ مِنْهُ ظُلْمٌ، وَلَا يَجِبُ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ حَقٌّ، وَإِنَّ حَقَّهُ فِي الطَّاعَاتِ وَجَبَ عَلَى الْخَلْقِ بِإِيجَابِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ أَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَا بِمُجَرَّدِ الْعَقْلِ، وَلَكِنَّهُ بَعَثَ الرُّسُلَ وَأَظْهَرَ صِدْقَهُمْ بِالْمُعْجِزَاتِ الظَّاهِرَةِ، فَبَلَّغُوا أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَوَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ، فَوَجَبَ عَلَى الْخَلْقِ تَصْدِيقُهُمْ فِيمَا جَاؤُوا بِهِ". - إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ١/٨٩

اللهُ سُبْحَانَهُ لَا يُعِينُ الْكَافِرِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ

سَأَلَنَا بَعْضُ الْأَحْبَابِ أَنْ نُبَيِّنَ لَهُ مَوْضُوعًا مُهِمًّا فِي الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَقَالَ: هَلْ يُعِينُ اللهُ الْكَافِرِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ كَمَا يُعِينُ أَهْلَ التُّقَى وَالْإِيمَانِ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؟ وَهَلْ يُعِينُ سُبْحَانَهُ النَّاسَ عَلَى الْمَعَاصِي وَالزِّنَا وَالْقَتْلِ وَاقْتِرَافِ الْمُحَرَّمَاتِ؟... وَأَلَحَّ فِي طَلَبِ تَفْسِيرِ بَعْضِ الْآيَاتِ الَّتِي اشْتَبَهَ عَلَى كَثِيرِينَ فَهْمُ مَعْنَاهَا، فَظَنُّوا بِأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللهَ يُعِينُ الْكَافِرِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ. فَفَزِعْنَا إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَا قَالَتْهُ أَفَاضِلُ الْأَئِمَّةِ أَصْحَابُ مَذْهَبِ أَهْلِ الْحَقِّ الْمَشْهُودِ لَهُمْ فِي مَيْدَانِ التَّفْسِيرِ وَالتَّوْحِيدِ، وَنُورِدُ لِلْقُرَّاءِ بِالتَّفْصِيلِ مَا جَمَعْنَاهُ عَنْ أَعْمَالِ الْعَبْدِ وَكَسْبِهِ وَاخْتِيَارِهِ لِلْإِيمَانِ أَوِ الْكُفْرِ بِدُونِ سَابِقِ إِجْبَارٍ مِنَ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ.

قَوْلُ الْعُلَمَاءِ فِي النُّصْرَةِ وَالْإِعَانَةِ

• قَالَ الْإِمَامُ اللَّقَانِي •

فَخَالِقٌ لِعَبْدِهِ وَمَا عَمِلْ ... مُوَفِّقٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِلْ

وَخَاذِلٌ لِمَنْ أَرَادَ بُعْدَهُ ... وَمُنْجِزٌ لِمَنْ أَرَادَ وَعْدَهُ

قَالَ الْإِمَامُ الْبَيْجُورِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ ذَلِكَ: "قَوْلُهُ «مُوَفِّقٌ» مَأْخُوذٌ مِنَ التَّوْفِيقِ... وَهُوَ شَرْعًا: خَلْقُ قُدْرَةِ الطَّاعَةِ فِي الْعَبْدِ... فَيَحْتَاجُ لِمَا ذُكِرَ لِإِخْرَاجِ الْكَافِرِ[1] فَإِنَّهُ لَيْسَ مُوَفَّقًا، مَعَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ فِيهِ قُدْرَةَ الطَّاعَةِ... وَ«خَاذِلٌ» مِنَ الْخِذْلَانِ، وَمَعْنَاهُ لُغَةً: تَرْكُ النُّصْرَةِ وَالْإِعَانَةِ". شرح جوهرة التوحيد

أَخِي السَّائِلَ، قَدْ يُؤَدِّي الْقَوْلُ بِأَنَّ اللهَ يُعِينُ الْكَافِرِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ إِلَى إِثَارَةِ الشُّكُوكِ حَوْلَ صِفَةِ الْعَدْلِ لِلَّهِ تَعَالَى، كَأَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: إِذَا كَانَ اللهُ يُعِينُ الْكَافِرَ عَلَى كُفْرِهِ وَعِصْيَانِهِ، فَلِمَاذَا يُحَاسِبُهُ عَلَى مَا أَعَانَهُ عَلَى فِعْلِهِ؟ وَالْحَقُّ أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ لِلْإِنْسَانِ، مُؤْمِنًا كَانَ أَوْ كَافِرًا، الْقُدْرَةَ عَلَى السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْكَلَامِ وَالْمَشْيِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَأَمَرَهُ بِاسْتِعْمَالِهَا فِي طَاعَتِهِ

[1] لِإِخْرَاجِ الْكَافِرِ: أَيْ لَيْسَ الْكَافِرُ مِمَّنْ وَفَّقَهُ اللهُ لِلطَّاعَةِ.

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ لَهُ طَرِيقَ الْخَيْرِ وَطَرِيقَ الشَّرِّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ -الانسان ٣-، أَيْ: بَيَّنَّا لَهُ وَعَرَّفْنَاهُ طَرِيقَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ -البلد ١٠-، قَالَ مُجَاهِدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَيْ بَيَّنَّا السَّبِيلَ إِلَى الشَّقَاءِ وَالسَّعَادَةِ" -فتح القدير ٥/٣٤٩-. وَقَالَ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قَرَأَ أَبُو السَّمَّالِ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ فِي «أَمَّا»، وَالْمَعْنَى: أَمَّا شَاكِرًا فَبِتَوْفِيقِنَا، وَأَمَّا كَفُورًا فَبِخِذْلَانِنَا» -تفسير الفخر الرازي ٣٢/٢٠-. وَكَذَلِكَ وَرَدَ فِي كِتَابِ "مَرَاحُ لَبِيدٍ، تَفْسِيرُ النَّوَوِيِّ" قَوْلُهُ: «أَمَّا شَاكِرًا فَبِتَوْفِيقِنَا، وَأَمَّا كَفُورًا فَبِسُوءِ اخْتِيَارِهِ لَا بِمُجَرَّدِ إِجْبَارِنَا مِنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ مِنْ قِبَلِهِ» -مراح لبيد تفسير النووي ٢/٤١٧-.

فَإِذَا خَالَفَ الْإِنْسَانُ أَوَامِرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَسَارَ إِلَى أَمَاكِنِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، أَوِ اسْتَمَعَ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَهُ سَمَاعُهُ، أَوْ نَظَرَ إِلَى مَا لَا يُرْضِي اللَّهَ تَعَالَى، أَوْ نَطَقَ بِمَا يُغْضِبُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ، فَيَكُونُ بِذَلِكَ قَدْ ضَيَّعَ عَلَى نَفْسِهِ الطَّاعَةَ. فَالْمُؤْمِنُ الَّذِي اسْتَعْمَلَ الْأَقْدَامَ، الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا قُدْرَةً لِلْمَشْيِ، فِي الذَّهَابِ إِلَى الْمَسْجِدِ طَاعَةً لِلَّهِ، فَقَدِ اسْتَعْمَلَهَا بِاخْتِيَارِهِ، بِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا اسْتَعْمَلَهَا الْكَافِرُ لِلذَّهَابِ إِلَى أَمَاكِنِ الْكُفْرِ. وَلَيْسَ مَرَدُّ الْكُفْرِ فَقَطْ إِلَى عَمَلِ الْجَوَارِحِ، إِنَّمَا يَنْعَقِدُ بِالنِّيَّةِ وَالْعَزْمِ، وَمَصْدَرُهُمَا الْقَلْبُ وَالْفِكْرُ، فَإِنَّ الْكَافِرَ الْكَسِيحَ (أَيِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى الْمَشْيِ) الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الذَّهَابَ إِلَى أَمَاكِنِ الْكُفْرِ، يَتَوَصَّلُ إِلَى أَعْمَالٍ وَمَرَاتِبِ الْكُفْرَةِ بِاعْتِقَادِهِ الْفَاسِدِ.

وَهُنَا لَا بُدَّ مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَى سُؤَالٍ وَرَدَ إِلَى حَضْرَةِ الشَّيْخِ الْعَالِمِ بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَالدِّينِ "مُحَمَّد عُثْمَان سِرَاج الدِّين الثَّانِي"، مِنْ أَحَدِ مَشَايِخِ بَيْرُوتَ يَسْأَلُهُ: هَلْ يَجُوزُ لِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَنْ يَحْمِلَ أَبَاهُ النَّصْرَانِيَّ الْمُقْعَدَ إِلَى بَابِ الْهَيْكَلِ فَقَطْ لِيُؤَدِّيَ طُقُوسَهُ الْكَهْنُوتِيَّةَ دُونَ أَنْ يَدْخُلَ مَعَهُ إِلَيْهَا، فَقَالَ حَضْرَةُ الشَّيْخِ سِرَاج الدِّين: "لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ هَذَا الْعَمَلُ لِأَنَّهُ إِعَانَةٌ عَلَى الْإِثْمِ". وَفِي هَذَا الْجَوَابِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَا يُعِينُ الْكَافِرِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ،

إِذْ لَوْ كَانَ سُبْحَانَهُ يُعِينُ ٱلْكَافِرِينَ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ لَجَازَ لِلْمُسْلِمِ ٱلْإِعَانَةُ عَلَى ٱلْإِثْمِ، أَيِ ٱلْكُفْرِ.

قَالَ ٱلْإِمَامُ عَلِيٌّ ٱلْقَارِي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي شَرْحِ مَا وَرَدَ عَنِ ٱلْإِمَامِ ٱلْأَعْظَمِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "خَلَقَ، أَيِ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ .... ٱلْخَلْقَ .... سَلِيمًا مِنَ ٱلْكُفْرِ وَٱلْإِيمَانِ" ... بِأَنْ جَعَلَهُمْ قَابِلِينَ لِأَنْ يَقَعَ مِنْهُمُ ٱلْعِصْيَانُ وَٱلْإِحْسَانُ ... "وَأَمَرَهُمْ" أَيْ بِٱلْإِيمَانِ وَٱلطَّاعَةِ "وَنَهَاهُمْ" أَيْ عَنِ ٱلْكُفْرِ وَٱلْمَعْصِيَةِ "فَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ بِفِعْلِهِ" أَيْ بِٱخْتِيَارِهِ "وَإِنْكَارِهِ" أَيْ مَعَ جَهْلِهِ وَإِصْرَارِهِ "وَجُحُودِهِ" أَيْ مَعَ عِنَادِهِ وَٱسْتِكْبَارِهِ، "بِخِذْلَانِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ" أَيْ بِتَرْكِ نُصْرَتِهِ سُبْحَانَهُ إِيَّاهُ، وَعَدَمِ تَوْفِيقِهِ لِمَا يَرْضَاهُ وَهُوَ مُقْتَضَىٰ عَدْلِهِ ... "وَآمَنَ مَنْ آمَنَ بِفِعْلِهِ" أَيْ بِٱنْقِيَادِهِ وَإِذْعَانِهِ "وَإِقْرَارِهِ" أَيْ بِلِسَانِهِ "وَتَصْدِيقِهِ" أَيْ بِجَنَانِهِ - أَيْ قَلْبِهِ - عَلَىٰ وَفْقِ أَمْرِ ٱللَّهِ وَمُرَادِهِ، "بِتَوْفِيقِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ إِيَّاهُ وَنُصْرَتِهِ لَهُ، أَيْ قَدَّرَهُ وَقَضَاهُ بِمُقْتَضَىٰ فَضْلِهِ" ... ٱلْفِقْهُ ٱلْأَكْبَرُ ١ - وَهُنَا لَا بُدَّ لَنَا مِنَ ٱلتَّحَدُّثِ عَنْ خَلْقِ ٱللَّهِ لِلْفِعْلِ، وَكَسْبِ ٱلْعَبْدِ لَهُ.

أَفْعَالُ ٱلْعِبَادِ مُكْتَسَبَةٌ

وَكَيْ لَا تَقَعَ يَا أَخِي ٱلسَّائِلُ ٱلْمُسْلِمُ فِي شُبْهَةٍ فِي ٱلْعَقِيدَةِ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ ٱللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ خَالِقُ ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ، إِلَّا أَنَّ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ لَا يَخْلُقُ ٱلطَّاعَةَ وَٱلْمَعْصِيَةَ فِي قَلْبِ ٱلْعَبْدِ بِطَرِيقِ ٱلْجَبْرِ وَٱلْغَلَبَةِ، بَلْ يَخْلُقُهُمَا فِي قَلْبِهِ مَقْرُونَيْنِ بِٱخْتِيَارِ ٱلْعَبْدِ وَكَسْبِهِ. وَغَايَةُ ٱلْأَمْرِ أَنَّ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ بِفَضْلِهِ حَبَّبَ إِلَيْنَا ٱلْإِيمَانَ، وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِنَا ٱلْإِحْسَانَ، وَكَرَّهَ إِلَيْنَا ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ، وَبِعَدْلِهِ تَرَكَ هِدَايَةَ أَهْلِ ٱلْكُفْرِ لِعِنَادِهِمْ فِي ٱخْتِيَارِهِمْ، وَإِصْرَارِهِمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ. فَٱلْإِيمَانُ وَٱلْكُفْرُ فِعْلُ ٱلْعِبَادِ بِحَسَبِ ٱخْتِيَارِهِمْ لَا عَلَىٰ وَجْهِ ٱضْطِرَارِهِمْ. فَقَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ٱلْإِنْسَانِ قُوَّةً وَقُدُرَاتٍ، وَٱلْإِنْسَانُ بِدَوْرِهِ إِمَّا أَنْ يَسْتَعْمِلَهَا فِي ٱلْخَيْرِ فَيَسْعَدَ، أَوْ فِي ٱلشَّرِّ فَيَشْقَىٰ. فَمَنْ آمَنَ، فَقَدْ آمَنَ بِعَوْنِ ٱللَّهِ وَرِضَاهُ مَعَ ٱلْأَجْرِ وَٱلثَّوَابِ عَلَىٰ قَدْرِ ٱجْتِهَادِهِ،

وَأَمَّا مَنْ كَفَرَ فَقَدْ مَالَ إِلَى ٱلْازْدِيَادِ مِنَ ٱلْكُفْرِ بِٱخْتِيَارِهِ، وَغَاصَ فِي ظُلُمَاتِ غَضَبِ ٱللَّهِ تَعَالَى، وَذَٰلِكَ بِوَاسِطَةِ ٱلْقُوَّةِ ٱلَّتِي أَوْدَعَهَا ٱللَّهُ فِي جَسَدِهِ وَعَقْلِهِ وَرُوحِهِ، فَٱسْتَعْمَلَهَا ٱلْكَافِرُ لِلْكُفْرِ وَٱلضَّلَالِ، فَعِنْدَ ذَٰلِكَ يُخْلِي ٱللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا ٱخْتَارَهُ بِسَبَبِ عِنَادِهِ وَجُحُودِهِ وَلْنَنْظُرْ يَا أَخِي ٱلسَّائِلَ إِلَى قَوْلِ ٱلْإِمَامِ ٱلْبَيْهَقِيِّ فِي خَلْقِ ٱلْفِعْلِ وَكَسْبِهِ.

قَوْلُ ٱلْإِمَامِ ٱلْبَيْهَقِيِّ فِي خَلْقِ ٱللَّهِ لِلْفِعْلِ وَكَسْبِ ٱلْعَبْدِ لَهُ

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلْبَيْهَقِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "ٱلْأَفْعَالُ مِنَ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ خَلْقٌ عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ هُوَ ٱلَّذِي ٱخْتَرَعَهَا بِقُدْرَتِهِ ٱلْقَدِيمَةِ، وَهِيَ مِنْ عِبَادِهِ كَسْبٌ عَلَى مَعْنَى تَعَلُّقِ قُدْرَةٍ حَادِثَةٍ بِمُبَاشَرَتِهِمُ ٱلَّتِي هِيَ أَكْسَابُهُمْ ... وَكَانَ ٱلْإِمَامُ أَبُو ٱلطَّيِّبِ سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ يُعَبِّرُ عَنْ هَٰذَا بِعِبَارَةٍ حَسَنَةٍ فَيَقُولُ: فِعْلُ ٱلْقَادِرِ ٱلْقَدِيمِ خَلْقٌ، وَفِعْلُ ٱلْقَادِرِ ٱلْمُحْدَثِ كَسْبٌ. فَتَعَالَى ٱلْقَدِيمُ عَنِ ٱلْكَسْبِ وَجَلَّ، وَصَغُرَ ٱلْمُحْدَثُ عَنِ ٱلْخَلْقِ وَذَلَّ". ـ الاعتقاد ١٤٣/١٤٤ـ

فَأَفْعَالُ ٱلْعِبَادِ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى، وَهُمْ مُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا، كُفْرًا كَانَتْ أَوْ إِيمَانًا، لِأَنَّهُمُ ٱكْتَسَبُوهَا بِٱخْتِيَارِهِمْ.

ٱلْكَسْبُ هُوَ صَرْفُ ٱلْقُدْرَةِ

خَلَقَ ٱللَّهُ لِلْإِنْسَانِ ٱلْقُدْرَةَ وَمَكَّنَهُ أَنْ يَسْتَعْمِلَهَا حَسَبَ ٱخْتِيَارِهِ، وَهَٰذَا هُوَ ٱلْكَسْبُ. وَفِي ذَٰلِكَ قَالَ ٱلْإِمَامُ عَلِيٌّ ٱلْقَارِي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "إِنَّ صَرْفَ ٱلْعَبْدِ قُدْرَتَهُ أَوْ إِرَادَتَهُ إِلَى ٱلْفِعْلِ، كَسْبٌ. وَإِيجَادُ ٱللَّهِ تَعَالَى ٱلْفِعْلَ عَقِيبَ ذَٰلِكَ خَلْقٌ. فَٱللَّهُ تَعَالَى خَالِقٌ، وَٱلْعَبْدُ كَاسِبٌ. وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَزْعُمُ أَنَّ ٱللَّهَ شَاءَ ٱلْإِيمَانَ مِنَ ٱلْكَافِرِ، وَٱلطَّاعَةَ مِنَ ٱلْفَاجِرِ، وَٱلْكَافِرُ شَاءَ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفَاجِرُ شَاءَ ٱلْفُجُورَ (أَيْ أَرَادَهُ) فَغَلَبَتْ مَشِيئَتُهُمَا مَشِيئَةَ ٱللَّهِ". ـ الفقه الأكبر ٣٨ـ

وَقَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلْغَزَالِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "إِنَّ فِعْلَ ٱلْعَبْدِ، وَإِنْ كَانَ كَسْبًا لِلْعَبْدِ، فَلَا يَخْرُجُ عَنْ كَوْنِهِ مُرَادًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ،

فَلَا يَجْرِي فِي الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ طَرْفَةُ عَيْنٍ وَلَا لَفْتَةُ خَاطِرٍ وَلَا فَلْتَةُ نَاظِرٍ إِلَّا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ، وَبِإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ". إحياء علوم الدين ١/١١١.

صِفَةُ الِاسْتِطَاعَةِ قَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ الْقَارِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي شَرْحِ صِفَةِ الِاسْتِطَاعَةِ: "إِنَّ الِاسْتِطَاعَةَ صِفَةٌ يَخْلُقُهَا اللَّهُ عِنْدَ قَصْدِ اكْتِسَابِ الْفِعْلِ بَعْدَ سَلَامَةِ الْأَسْبَابِ وَالْآلَاتِ، فَإِنْ قَصَدَ فِعْلَ الْخَيْرِ خَلَقَ اللَّهُ قُدْرَةَ فِعْلِ الْخَيْرِ، وَإِنْ قَصَدَ الْعَبْدُ فِعْلَ الشَّرِّ، خَلَقَ اللَّهُ قُدْرَةَ فِعْلِ الشَّرِّ، فَكَانَ الْعَبْدُ هُوَ الْمُصَيِّرُ لِقُدْرَةِ فِعْلِ الْخَيْرِ، فَيَسْتَحِقُّ الذَّمَّ وَالْعِقَابَ، وَلِذَا ذَمَّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ بِأَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ، أَيْ لَا يَقْصِدُونَ اسْتِمَاعَ كَلَامِ الرَّسُولِ عَلَى وَجْهِ التَّأَمُّلِ وَطَلَبِ الْحَقِّ حَتَّى يَعْلَمُوا وَيَعْمَلُوا بِهِ، بَلْ يَسْتَمِعُونَ عَلَى وَجْهِ الْإِنْكَارِ... وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ الْقُدْرَةَ صَالِحَةٌ لِلضِّدَّيْنِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ، حَتَّى أَنَّ الْقُدْرَةَ الْمَصْرُوفَةَ إِلَى الْكُفْرِ هِيَ بِعَيْنِهَا الْقُدْرَةُ الَّتِي تُصْرَفُ إِلَى الْإِيمَانِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمَا إِلَّا فِي التَّعَلُّقِ، وَهُوَ لَا يُوجِبُ الِاخْتِلَافَ فِي نَفْسِ الْقُدْرَةِ، فَالْكَافِرُ قَادِرٌ عَلَى الْإِيمَانِ الْمُكَلَّفِ بِهِ إِلَّا أَنَّهُ صَرَفَ قُدْرَتَهُ إِلَى الْكُفْرِ، وَضَيَّعَ بِاخْتِيَارِهِ صَرْفَهَا إِلَى الْإِيمَانِ، فَاسْتَحَقَّ الذَّمَّ وَالْعِقَابَ مِنْ هَذَا الْبَابِ". الفقه الأكبر ٤٩.

وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّعْرَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إِنَّا نَقُولُ: الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ إِنَّمَا هُوَ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْعَبْدِ الْفِعْلَ الْمَخْلُوقَ لَا عَلَى أَصْلِ الْخَلْقِ، فَيُعَاقَبُ عَلَيْهِ لِصَرْفِ الِاسْتِطَاعَةِ الَّتِي تَصْلُحُ لِلطَّاعَةِ إِلَى الْمَعْصِيَةِ، لَا عَلَى إِحْدَاثِ الِاسْتِطَاعَةِ". اليواقيت والجواهر ١/١٤٣.

مُرَاعَاةُ الْأَدَبِ فِي نِسْبَةِ الْفِعْلِ إِلَى اللَّهِ

قَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ الْقَارِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "الطَّاعَةُ تُنْسَبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهَا مَحْضُ خَيْرٍ، وَالسَّيِّئَةُ لَا تُنْسَبُ إِلَى اللَّهِ تَأَدُّبًا، لِكَوْنِهَا فِي صُورَةِ شَرٍّ، وَالْكُلُّ مِنْ عِنْدِ

اللهِ خَلْقًا . فَخَلْقُ الطَّاعَةِ فَضْلٌ، وَخَلْقُ الْمَعْصِيَةِ عَدْلٌ". الفقه الأكبر.

وَقَالَ الشَّيْخُ الْبَيْجُورِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "وَمَعَ أَنَّ الْفِعْلَ، خَيْرَهُ وَشَرَّهُ لِلَّهِ، فَالْأَدَبُ أَنْ لَا يُنْسَبَ لَهُ إِلَّا الْحُسْنُ، فَيُنْسَبُ الْخَيْرُ لِلَّهِ، وَالشَّرُّ لِلنَّفْسِ كَسْبًا، وَإِنْ كَانَ مَنْسُوبًا لِلَّهِ إِيجَادًا. قَالَ تَعَالَى: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ النساء. أَيْ كَسْبًا، كَمَا يُفَسِّرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ الشورى. شرح جوهرة التوحيد.

﴿مَا تَشَابَهَ عَلَى الْبَعْضِ فَهْمُهُ مِنَ الْآيَاتِ﴾ وَأَمَّا الْآيَاتُ الَّتِي طَلَبْتَ مِنَّا، يَا أَخِي السَّائِلَ، أَنْ نُظْهِرَ لَكَ تَفْسِيرَهَا مِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ الْأَفَاضِلِ، لِأَنَّ الْبَعْضَ يَظُنُّ بِأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللهَ يُعِينُ الْكَافِرِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَيُعِينُ عَلَى الضَّلَالِ وَالْفَسَادِ، فَسَنُورِدُهَا لَكَ بِتَوْفِيقِ اللهِ وَبَرَكَةِ فَضْلِهِ عَلَى عُلَمَاءِ دِينِهِ.

• الْآيَةُ الْأُولَى الَّتِي طَلَبْتَ تَفْسِيرَهَا وَهِيَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الأنعام. وَقُلْتَ: إِنَّ ظَاهِرَهَا يُوهِمُ بِأَنَّ اللهَ يُعِينُ الْكَافِرِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ، فَقَدْ وَرَدَ عَنِ الْأَئِمَّةِ الْكِرَامِ فِي تَفْسِيرِ مَعْنَاهَا مَا يَشْفِي الْقَلْبَ، وَيَنْشَرِحُ لَهُ الصَّدْرُ، وَتَطْمَئِنُّ بِهِ الرُّوحُ.

قَالَ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِهَا: "قَالَ عَطَاءٌ: نَخْذُلُهُمْ وَنَدَعُهُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ يَتَمَادَوْنَ". معالم التنزيل في التفسير والتأويل ٢/١٠٥.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْخَازِنُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "وَنَتْرُكُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ سَبَقَ عِلْمُ اللهِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ... يَتَرَدَّدُونَ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ". تفسير الخازن ٢/١٧٢، وَكَمَا تَرَى يَا أَخِي السَّائِلَ لَمْ تُفَسَّرْ هَذِهِ الْآيَةُ بِإِعَانَةِ اللهِ لِلْكَافِرِينَ.

• وَأَمَّا الْآيَةُ الثَّانِيَةُ، يَا أَخِي السَّائِلَ، الَّتِي قَدْ يَظُنُّ الْبَعْضُ أَنَّ ظَاهِرَهَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللهَ يُعِينُ الْكَافِرِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ، فَلْتَقَرَّ عُيُونُنَا، وَلْتَرْتَحْ صُدُورُنَا مِنَ الشُّكُوكِ بِقَوْلِ الْإِمَامِ الشَّوْكَانِي وَبَعْضِ إِخْوَتِهِ مِنْ عُلَمَاءِ التَّفْسِيرِ، فِي تَفْسِيرِهِمُ الْمُنِيرِ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي

طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿البقرة ١٥﴾ وَفِيمَا يَلِي تَفْسِيرُ أَفَاضِلِ الْعُلَمَاءِ لِلْآيَةِ الْكَرِيمَةِ

قَالَ الْإِمَامُ الشَّوْكَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ أَيْ: يُنْزِلُ بِهِمُ الْهَوَانَ وَالْحَقَارَةَ وَيَنْتَقِمُ مِنْهُمْ وَيَسْتَخِفُّ بِهِمُ انْتِصَافًا مِنْهُمْ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ... وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ، قَالَ الْأَخْفَشُ: مَدَدْتُ لَهُ إِذَا تَرَكْتُهُ ... وَالْمُرَادُ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُطِيلُ لَهُمُ الْمُدَّةَ وَيُمْهِلُهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا" ﴿آل عمران ١٧٨﴾ فتح القدير

وَقَالَ الْإِمَامُ الْخَازِنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ، أَيْ: يُجَازِيهِمْ جَزَاءَ اسْتِهْزَائِهِمْ بِالْمُؤْمِنِينَ فَيُسَمَّى الْجَزَاءُ بِاسْمِهِ لِأَنَّهُ فِي مُقَابَلَتِهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "يُفْتَحُ لَهُمْ بَابُ الْجَنَّةِ، فَإِذَا انْتَهَوْا إِلَيْهِ سُدَّ عَنْهُمْ وَرُدُّوا إِلَى النَّارِ". وَيَمُدُّهُمْ أَيْ يَتْرُكُهُمْ وَيُمْهِلُهُمْ. وَالْمَدُّ وَالْإِمْدَادُ وَاحِدٌ، وَأَصْلُهُ الزِّيَادَةُ، وَأَكْثَرُ مَا يَأْتِي الْمَدُّ فِي الشَّرِّ، وَالْإِمْدَادُ فِي الْخَيْرِ. فِي طُغْيَٰنِهِمْ أَيْ فِي ضَلَالِهِمْ وَأَصْلُ الطُّغْيَانِ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ. يَعْمَهُونَ أَيْ يَتَرَدَّدُونَ فِي الضَّلَالَةِ مُتَحَيِّرِينَ" تفسير الخازن.

● وَأَمَّا الْآيَةُ الثَّالِثَةُ يَا أَخِي السَّائِلَ الَّتِي يَشْتَبِهُ بِهَا الْبَعْضُ فَيَظُنُّ أَنَّهَا تَقُولُ بِأَنَّ اللَّهَ يُعِينُ عَلَى الْكُفْرِ، وَهِيَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿الاسراء ٢٠﴾ فَانْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ الْإِمَامُ الْجَلِيلُ الشَّوْكَانِي لِتُخَلِّصَ ضَمِيرَكَ مِنَ التَّشْوِيشِ.

قَالَ الْإِمَامُ الشَّوْكَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: "نَزِيدُهُ مِنْ عَطَائِنَا عَلَى تَلَاحُقٍ مِنْ غَيْرِ انْقِطَاعٍ، نَرْزُقُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكُفَّارَ وَأَهْلَ الطَّاعَةِ وَأَهْلَ الْمَعْصِيَةِ، لَا تُؤَثِّرُ مَعْصِيَةُ الْعَاصِي فِي قَطْعِ رِزْقِهِ. وَمَا بِهِ الْإِمْدَادُ، هُوَ مَا عَجَّلَهُ لِمَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا، وَمَا أَنْعَمَ بِهِ فِي الْأُولَى وَالْأُخْرَى عَلَى مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ. وَفِي قَوْلِهِ: مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ بِمَحْضِ التَّفَضُّلِ" فتح القدير

وَقَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدٌ الرَّازِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَيْ إِنَّهُ تَعَالَى يُمِدُّ الْفَرِيقَيْنِ بِالْأَمْوَالِ وَيُوَسِّعُ عَلَيْهِمَا فِي الرِّزْقِ مِثْلَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَسْبَابِ الْعِزِّ وَالزِّينَةِ فِي الدُّنْيَا، لِأَنَّ عَطَاءَنَا لَيْسَ يَضِيقُ عَنْ أَحَدٍ، مُؤْمِنًا كَانَ أَوْ كَافِرًا،

لِأَنَّ الْكُلَّ مَخْلُوقُونَ فِي دَارِ الْعَمَلِ، فَوَجَبَ إِزَالَةُ الْعُذْرِ وَإِزَالَةُ الْعِلَّةِ عَنِ الْكُلِّ، وَإِيصَالُ مَتَاعِ الدُّنْيَا إِلَى الْكُلِّ، عَلَى الْقَدْرِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ الصَّلَاحُ، فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ عَطَاءَهُ لَيْسَ بِمَحْظُورٍ، أَيْ غَيْرُ مَمْنُوعٍ". تفسير الفخر الرازي ٣٠/١٨٢ -

وَمِنْ هَذَا نَعْلَمُ أَنَّ الْمَقْصُودَ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: الْإِمْدَادُ بِالرِّزْقِ وَالْمَعَاشِ وَلَيْسَ إِعَانَةَ الْكَافِرِ عَلَى كُفْرِهِ كَمَا أَشْتَبَهَ ذَلِكَ عَلَى الْبَعْضِ. وَمَعْنَى الْفَرِيقَيْنِ: فَرِيقُ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَفَرِيقُ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْفُجُورِ وَالضَّلَالِ.

• وَأَمَّا الْآيَةُ الرَّابِعَةُ يَا أَخِي الْكَرِيمَ، وَهِيَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ حَضْرَةِ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ﴾ الأعراف ١٥٥. وَالَّتِي قَدْ تَظُنُّ يَا أَخِي السَّائِلَ أَنَّ ظَاهِرَهَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يُعِينُ الْكَافِرِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ، فَانْظُرْ يَا أَخِي إِلَى قَوْلِ حَضَرَاتِ أَئِمَّةِ التَّفْسِيرِ تَرَ فِيهِ شِفَاءً لِحَيْرَتِكَ وَدَوَاءً لِتَرَدُّدِكَ.

قَالَ الْإِمَامُ الشَّوْكَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "مَا الْفِتْنَةُ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا هَؤُلَاءِ السُّفَهَاءُ (أَيِ السَّامِرِيُّ وَأَصْحَابُهُ) إِلَّا فِتْنَتُكَ الَّتِي تَخْتَبِرُ بِهَا مَنْ شِئْتَ وَتَمْتَحِنُ بِهَا مَنْ أَرَدْتَ". فتح القدير ٢/٢٥٣ - أَيْ إِنَّ الْعَبْدَ اخْتَارَ الضَّلَالَ بِمَحْضِ إِرَادَتِهِ، فَشَاءَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا اخْتَارَ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ إِجْبَارٌ.

• وَأَمَّا الْآيَةُ الْخَامِسَةُ، يَا أَخِي السَّائِلَ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا • فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ الشمس ٧-٨. فَالْجَأْ يَا أَخِي إِلَى أَقْوَالِ حَضَرَاتِ أَئِمَّةِ التَّفْسِيرِ، يَنْكَشِفْ لَكَ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو السُّعُودِ الْعِمَادِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا أَيْ أَفْهَمَهَا إِيَّاهُمَا وَعَرَّفَهَا حَالَهُمَا مِنَ الْحُسْنِ وَالْقُبْحِ وَمَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ كُلٌّ مِنْهُمَا، وَمَكَّنَهَا مِنَ اخْتِيَارِ أَيِّهِمَا شَاءَتْ". تفسير أبي السعود ٩/١١٤.

وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّوْكَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا... قَالَ مُجَاهِدٌ: عَرَّفَهَا طَرِيقَ الْفُجُورِ وَالتَّقْوَى وَالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ. قَالَ الْفَرَّاءُ: فَأَلْهَمَهَا عَرَّفَهَا طَرِيقَ الْخَيْرِ وَطَرِيقَ الشَّرِّ، كَمَا قَالَ: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ البلد ١٠. فتح القدير ٥/٤٨٠

• وَأَمَّا الْآيَةُ السَّادِسَةُ الَّتِي تَسْأَلُ عَنْهَا، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت] فَقَدْ تَظُنُّ يَا أَخِي أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَعَانَ فِرْعَوْنَ لِيَقُولَ مَقَالَتَهُ الشَّنِيعَةَ ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات] مُسْتَدِلًّا بِالْآيَةِ: ﴿أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت] فَنَقُولُ لَكَ الْحَقَّ وَالْحَقِيقَةَ يَا أَخِي السَّائِلَ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ قَدْ وَرَدَتْ فِي وَصْفِ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِ الْحِسَابِ، فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ يُظْهِرُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَنَا عَظِيمَ قُدْرَتِهِ بِإِنْطَاقِ الْجُلُودِ بِحَيْثُ تَبُوحُ وَتُظْهِرُ أَعْمَالَ صَاحِبِهَا، وَتَفْضَحُ أَسَالِيبَهُ الْمَكَّارَةَ مِنْ شِرْكٍ وَكُفْرٍ وَزِنًى وَضَلَالٍ وَسَرِقَةٍ وَقَتْلٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَهُوَ مِنْ بَابِ إِثْبَاتِ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَتَنْطِقُ الْجُلُودُ بِطَرِيقَةِ الْأَمْرِ وَالْإِجْبَارِ لِأَنَّهَا لَيْسَ لَهَا اخْتِيَارٌ بَعْدَ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ فِيهَا الْقُدْرَةَ عَلَى النُّطْقِ، كَمَا جَعَلَهَا مِنْ قَبْلُ لِلْأَلْسِنَةِ. وَهَذِهِ مِنْ أُمُورِ وَأَحْوَالِ السُّؤَالِ يَوْمَ الْحِسَابِ، وَلَيْسَ فِيهَا أَيُّ شَاهِدٍ أَوْ دَلِيلٍ عَلَى إِعَانَةِ الْكُفَّارِ فِي الدُّنْيَا عَلَى كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ. فَإِنْطَاقُ الْجُلُودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْتَلِفُ اخْتِلَافًا كَبِيرًا عَنْ نُطْقِ الْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا، لِأَنَّ إِنْطَاقَ الْجُلُودِ إِنْطَاقُ شُهُودٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَمْرٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَتَكُونُ مُجْبَرَةً عَلَى ذَلِكَ، وَهُوَ مِنْ بَابِ عَدْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي مُحَاسَبَةِ عِبَادِهِ عَلَى خَفَايَا الْأُمُورِ. وَأَمَّا مَا يَنْطِقُ بِهِ الْإِنْسَانُ فِي حَالِ الدُّنْيَا فَلَيْسَ فِيهِ إِجْبَارٌ وَأَمْرٌ، إِنَّمَا يَكُونُ بِطَرِيقَةِ كَسْبِهِ وَاخْتِيَارِهِ، وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْجَبْرِ وَالِاخْتِيَارِ.

﴿قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدٌ الرَّازِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ﴾ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ: "اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي كَيْفِيَّةِ شَهَادَةِ الْجُلُودِ، وَفِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

• أَحَدُهَا: أَنَّهُ تَعَالَى يَخْلُقُ الْقُدْرَةَ وَالنُّطْقَ فِيهَا، فَتَشْهَدُ كَمَا يَشْهَدُ الرَّجُلُ عَلَى مَا يَعْرِفُهُ.

• وَالثَّانِي: أَنَّهُ تَعَالَى يَخْلُقُ فِي تِلْكَ الْأَعْضَاءِ الْأَصْوَاتَ وَالْحُرُوفَ الدَّالَّةَ عَلَى تِلْكَ الْمَعَانِي كَمَا خَلَقَ الْكَلَامَ فِي الشَّجَرَةِ.

• وَالثَّالِثُ: أَنْ تُظْهِرَ تِلْكَ الْأَعْضَاءُ أَحْوَالًا تَدُلُّ عَلَى صُدُورِ تِلْكَ الْأَعْمَالِ مِنْ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ، وَتِلْكَ الْإِمَارَاتُ تُسَمَّى

شَهَادَاتٌ كَمَا يُقَالُ: يَشْهَدُ هٰذَا ٱلْعَالَمُ بِتَغَيُّرَاتِ أَحْوَالِهِ عَلَىٰ حُدُوثِهِ"(١). تفسير الفخر الرازي ٢٧/٧.

وَقَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلْخَازِنُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "مَعْنَاهُ أَنَّ ٱلْجَوَارِحَ تَنْطِقُ بِمَا كَتَمَتِ ٱلْأَلْسُنُ مِنْ عَمَلِهِمْ. عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَحِكَ. فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟ قُلْنَا: ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: مِنْ مُخَاطَبَةِ ٱلْعَبْدِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ ٱلظُّلْمِ؟ قَالَ: فَيَقُولُ بَلَىٰ. فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ ٱلْيَوْمَ عَلَىٰ نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي. قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا، وَبِٱلْكِرَامِ ٱلْكَاتِبِينَ عَلَيْكَ شُهُودًا. قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ (أَيْ فَمِهِ) وَيُقَالُ لِأَعْضَائِهِ: ٱنْطِقِي، فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ ثُمَّ يُخَلَّىٰ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْكَلَامِ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ. (وَقَالُوا) يَعْنِي ٱلْكُفَّارَ ٱلَّذِينَ يُجَرُّونَ إِلَى ٱلنَّارِ، لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ مَعْنَاهُ أَنَّ ٱلْقَادِرَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فِي ٱلدُّنْيَا وَأَنْطَقَكُمْ ثُمَّ أَعَادَكُمْ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ، قَادِرٌ عَلَىٰ إِنْطَاقِ ٱلْأَعْضَاءِ وَٱلْجَوَارِحِ". تفسير الخازن ٦/١٠٤.. فَيَا أَخِي ٱلسَّائِلَ، قَدْ بَيَّنَّا لَكَ فِي مَا سَبَقَ، أَنَّ ٱلْكُفْرَ لَيْسَ عِبَادَةً حَتَّىٰ يُعِينَ ٱللَّهُ ٱلْكَافِرَ عَلَىٰ كُفْرِهِ وَضَلَالِهِ، وَٱلْعَاصِيَ عَلَىٰ عِصْيَانِهِ وَفِسْقِهِ. وَفِي مَا أَوْرَدْنَا لَكَ مِنْ شُرُوحَاتٍ وَأَقْوَالٍ لِلْأَئِمَّةِ ٱلْعُلَمَاءِ شِفَاءٌ لِلصُّدُورِ، وَتِرْيَاقٌ لِلْقُلُوبِ، وَرَاحَةٌ لِلنُّفُوسِ.

ٱلْخَاتِمَةُ وَبِهٰذَا يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا يُعِينُ أَهْلَ ٱلْكُفْرِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، وَلَا يُعِينُ ٱلسَّارِقِينَ عَلَى ٱلسَّرِقَةِ، وَلَا يُعِينُ ٱلْمُجْرِمِينَ عَلَى ٱلْقَتْلِ، وَلَا يُعِينُ ٱلزُّنَاةَ عَلَى ٱلزِّنَا، وَلَا يُعِينُ ٱلظَّالِمِينَ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ، بَلْ هُمْ يَسْتَخْدِمُونَ مَا أَوْدَعَ ٱللَّهُ فِيهِمْ مِنَ ٱلْقُدُرَاتِ عَلَىٰ كَسْبِ أَعْمَالِهِمْ، فَيَسْتَعِينُونَ بِهَا عَلَىٰ فِعْلِ مَا لَا يَرْضَى ٱللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدٌ: لَوْلَا أَنْ أَعَانَنِي ٱللَّهُ عَلَىٰ تَحْرِيكِ يَدَيَّ لَمَا ضَرَبْتُ فُلَانًا. فَٱلضَّارِبُ إِنَّمَا ضَرَبَ بِٱخْتِيَارِهِ وَٱسْتَعَانَ بِٱلْقُوَّةِ وَٱلْقُدْرَةِ ٱلَّتِي جَعَلَهَا ٱللَّهُ تَعَالَىٰ فِيهِ.

(١) أَيْ إِنَّ دَوَامَ حُدُوثِ ٱلتَّغَيُّرَاتِ فِي ٱلْعَالَمِ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ ٱلْعَالَمَ مَخْلُوقٌ.

فَيَا أَخِي السَّائِلَ إِنْ قُلْنَا إِنَّ اللَّهَ يُعِينُ عَلَى الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ فَنَكُونُ بِذَلِكَ قَدْ خَالَفْنَا جَمِيعَ أَئِمَّةِ التَّفْسِيرِ الْحَنِيفِ، وَلَأَقْدَمَ عَوَامُّ النَّاسِ عَلَى الزِّنَى، وَالْقَتْلِ وَالسَّرِقَةِ وَالْفَوَاحِشِ بِلَا رَادِعٍ، نَاسِبِينَ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى إِعَانَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لَهُمْ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَإِذَا سَلَّمْنَا بِإِعَانَةِ اللَّهِ لِلْكَافِرِينَ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ إِعَانَتُهُ سُبْحَانَهُ لَهُمْ عَلَى الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، إِنَّمَا عَلَى تَرْكِ الْكُفْرِ إِذَا طَلَبُوا الْإِيمَانَ، وَعَلَى الْإِقْلَاعِ عَنِ الشِّرْكِ إِذَا نَزَهُوا الرَّحْمَنَ، وَعَلَى التَّخَلُّصِ مِنَ الْمَعَاصِي إِذَا أَنَابُوا لِلْوَاحِدِ الدَّيَّانِ.

هَكَذَا نَفْهَمُ إِعَانَةَ اللَّهِ لِلْكَافِرِينَ، لَا أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُعِينُهُمْ عَلَى الْكُفْرِ، أَوْ يُلْهِمُهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا، أَوْ يُجْبِرُهُمْ عَلَى الْكُفْرِ، فَهَذَا لَا صِحَّةَ لَهُ، وَلَا نُسَلِّمُ بِهِ أَبَدًا.

اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ

يُخْطِئُ الْبَعْضُ فِي فَهْمِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ الإسراء ١٦. فَيَظُنُّونَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَأْمُرُ النَّاسَ بِالْمَعْصِيَةِ، وَبَعْدَ أَنْ يَعْصُوا اللَّهَ يُدَمِّرُ قُرَاهُمْ تَدْمِيرًا، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

فَهَذَا الْقَوْلُ مَرْدُودٌ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَأْمُرُ عِبَادَهُ بِاقْتِرَافِ الْمَعَاصِي، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ النحل ٩٠.

وَالْمُرَادُ مِنَ الْمُتْرَفِينَ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَيْ: "الْمُتَنَعِّمِينَ الْمُتَعَزِّزِينَ الظَّانِّينَ أَنَّ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَنْصَارَهُمْ تَرُدُّ عَنْهُمْ بَأْسَنَا" أَيْ بَأْسَ اللَّهِ تَعَالَى. تفسير الفخر الرازي ٢٠/١٧٧.

وَأَمَّا مَعْنَى الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ كَمَا جَاءَ عَنْ بَعْضِ الْمُفَسِّرِينَ:

قَالَ الإِمَامُ مُحَمَّدٌ الرَّازِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "قَالَ الأَكْثَرُونَ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ تَعَالَى يَأْمُرُهُمْ بِالطَّاعَاتِ وَالْخَيْرَاتِ، ثُمَّ إِنَّهُمْ يُخَالِفُونَ ذَلِكَ الأَمْرَ وَيَفْسُقُونَ". المرجع السابق.

وَقَالَ أَبُو حَيَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "ذَهَبَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى أَنَّ التَّقْدِيرَ: أَمَرْنَاهُمْ بِالطَّاعَةِ فَعَصَوْا وَفَسَقُوا". تفسير البحر المحيط ٦/١٧.

وَخَيْرُ مَا يُرَدُّ دَعْوَى أُولَئِكَ الْجَهَلَةِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف ٢٨.

مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ"

إِنَّ بَعْضَ الْمُغْرِضِينَ مِنْ تَلَامِذَةِ سُلْمَانَ رُشْدِي الْمَنْبُوذِ يَقُولُونَ: "إِنَّ رَسُولَكُمْ مُحَمَّدًا لَمْ يَصِلْ إِلَى كَمَالِ الْهِدَايَةِ كَمَا تَدَّعُونَ، وَإِثْبَاتًا لِذَلِكَ إِنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الفاتحة. "وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ الْمُشِينِ الَّذِي لَا يُمْكِنُ أَنْ يَصْدُرَ إِلَّا مِنَ الْجَهَلَةِ أَهْلِ الضَّلَالِ الْمُبِينِ. لَقَدْ تَنَاسَى هَؤُلَاءِ السَّفَهَةُ مَا قَالَهُ سُبْحَانَهُ فِي حَقِّ حَبِيبِهِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عِدَّةِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَصِفُهُ فِيهَا بِأَزْكَى الصِّفَاتِ، بَلْ وَيَصِفُهُ بِالْهَادِي بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ • صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الشورى ٥٢/٥٣. "وَمَعْنَى "صِرَاطِ اللَّهِ"، كَمَا قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: "أَيْ شَرْعُهُ الَّذِي أَمَرَ بِهِ اللَّهُ". تفسير القرآن العظيم، ابن كثير. "وَمِنْهُ الْهِدَايَةُ إِلَى مَعْرِفَةِ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا يَجُوزُ عَلَيْهِ وَمَا لَا يَجُوزُ مِنْ أُمُورِ دُرَرِ التَّوْحِيدِ وَالتَّنْزِيهِ وَالْعِبَادَةِ، وَغَيْرِهَا مِنْ أُمُورِ الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ.

وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُغْرِضِينَ لَوْ أَحْسَنُوا قِرَاءَةَ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ وَفَهِمُوا مَعْنَى آيَاتِهَا، لَوَجَدُوا أَنَّ قَبْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ آيَاتٌ كَرِيمَةٌ تَدُلُّ عَلَى إِيمَانِ قَائِلِهَا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، رَسُولًا كَانَ أَوْ مُؤْمِنًا عَادِيًّا، وَهِيَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ؛ أَيِ الشُّكْرُ وَالثَّنَاءُ خَالِصًا لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا دُونَ سَائِرِ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ؛ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَيْ: رَبِّ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ، وَرَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ؛ الرَّحْمَنِ، أَيِ: الْمَوْصُوفِ بِعُمُومِ الرَّحْمَةِ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ؛ الرَّحِيمِ، أَيِ: الْمَوْصُوفِ بِخُصُوصِ الرَّحْمَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ؛ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، أَيْ: مَالِكِ حِسَابِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، أَيْ: لَكَ اللَّهُمَّ نَخْشَعُ وَنَذِلُّ وَنَسْتَكِينُ (أَيْ نَخْضَعُ) لَا لِغَيْرِكَ؛ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، أَيْ: وَإِيَّاكَ رَبَّنَا نَسْتَعِينُ عَلَى عِبَادَتِنَا وَطَاعَتِنَا فِي جَمِيعِ أُمُورِنَا". ـ مختصر تفسير الطبري ـ. وَهَذَا كُلُّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَصْدُرَ إِلَّا مِمَّنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ تَعَالَى وَبِصِفَاتِهِ. وَأَمَّا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ "أَيْ: وَفِّقْنَا لِلثَّبَاتِ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي وَفَّقْتَ لَهُ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِكَ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ هُوَ الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادِ غَيْرَهُ". ـ مختصر تفسير الطبري ـ. وَبِهَذَا يَكُونُ طَلَبُ الْهِدَايَةِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بِمَعْنَى: كَسْبِ الْمَزِيدِ مِنَ الْعُلُومِ وَالْأَسْرَارِ وَالْبَرَكَاتِ، وَبُلُوغِ أَقْصَى غَايَاتِ الْقُرْبِ الْمَعْنَوِيِّ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا شَأْنُ حَضْرَةِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ﷺ وَإِخْوَانِهِ مِنْ حَضَرَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، الَّذِينَ كَانُوا يَتَنَعَّمُونَ بِرِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ، وَيَتَلَقَّوْنَ الْوَحْيَ الرَّبَّانِيَّ الْعَظِيمَ. فَإِنَّ عَطَاءَ اللَّهِ وَهِدَايَتَهُ وَكَمَالَ مَعْرِفَتِهِ وَعِلْمَهُ وَإِحْسَانَهُ وَفَضْلَهُ وَرَحْمَتَهُ وَفَيْضَهُ، لَا نِهَايَةَ لَهَا. وَقَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾، دُعَاءٌ وَطَلَبٌ مِنَ اللَّهِ بِزِيَادَةِ الْهِدَايَةِ، مَعَ مَا أَفَاضَ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ وَالْبَرَكَاتِ وَأَنْوَارِ الْهِدَايَةِ، وَإِظْهَارٌ لِسَعَةِ بِحَارِ عُلُومِ اللَّهِ الَّتِي لَا تَنْفَدُ، وَكَأَنَّهُ يُعَلِّمُ أُمَّتَهُ بِأَنَّهُ مَهْمَا نَالَ الرَّسُولُ أَوِ النَّبِيُّ مِنْ رَبِّهِ مِنْ فَضَائِلَ وَنِعَمٍ، فَإِنَّ عِنْدَ اللَّهِ الْمَزِيدَ. فَعَلَى الْعَبْدِ دَائِمًا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ فَضْلَهُ وَإِحْسَانَهُ. هَذَا بِالنِّسْبَةِ لِحَضَرَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِغَيْرِهِمْ مِنَ الْبَشَرِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ الْمُؤْمِنَ مَهْمَا بَلَغَ مِنْ عُلُومِ عِرْفَانِيَّةٍ

وَأَسْرَارِ نُورَانِيَّةٍ، فَيَتَوَجَّبُ عَلَيْهِ أَنْ يَبْقَى دَائِمًا خَائِفًا حَذِرًا طَالِبًا مِنَ اللهِ الثَّبَاتَ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الِابْتِلَاءِ وَالِامْتِحَانَاتِ مَا يَعْجَزُ عَنِ اجْتِيَازِهَا أَرْجَحُ النَّاسِ عَقْلًا وَأَكْثَرُهُمْ عِلْمًا. فَإِنَّ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمًا. وَيَنْبَغِي عَلَى الْعَاقِلِ أَلَّا يَنْسَى مَا حَدَثَ لِإِبْلِيسَ اللَّعِينِ، فَقَدْ كَانَ أَكْثَرَ الْجِنِّ عِبَادَةً وَعِلْمًا وَمَعْرِفَةً وَلَكِنَّهُ عِنْدَمَا أَبَى السُّجُودَ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَوَى فِي ظَلَامِ الْغَضَبِ الْإِلَهِيِّ.

وَكَمْ مِنْ كَبِيرِ قَوْمٍ تَمَكَّنَتِ الشُّبْهَةُ الْبَسِيطَةُ مِنَ السَّيْطَرَةِ عَلَى قَلْبِهِ، فَزَاغَ وَذَلَّ وَانْحَرَفَ عَنِ النَّهْجِ الْقَوِيمِ. فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَطْلُبَ دَائِمًا مِنْ رَبِّهِ أَنْ يَهْدِيَهُ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، أَيْ: أَنْ يُثَبِّتَهُ وَيَحْفَظَ قَلْبَهُ عَلَى الْإِيمَانِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران ٨]. وَهَذَا الْأَمْرُ لِغَيْرِ حَضَرَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ لَهُمْ زَيْغٌ أَوِ انْحِرَافٌ أَوْ رِدَّةٌ عَنْ دِينِ اللهِ تَعَالَى.

قَوْلُ الْبَعْضِ: لَا حَرَكَةَ وَلَا سُكُونَ إِلَّا بِأَمْرِ اللهِ تَكُونُ

مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ: لَا حَرَكَةَ وَلَا سُكُونَ إِلَّا بِأَمْرِ اللهِ تَكُونُ وَهَذَا تَعْبِيرٌ فَاسِدٌ لَا يَصِحُّ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى، لِأَنَّ مَعْنَاهُ: إِذَا زَنَى الزَّانِي أَوْ كَفَرَ الْكَافِرُ أَوْ سَرَقَ السَّارِقُ، فَجَمِيعُ هَذِهِ الْأُمُورِ تَكُونُ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى، أَيْ: إِنَّ الْإِنْسَانَ مُجْبَرٌ عَلَى فِعْلِهَا طَاعَةً لِأَوَامِرِ اللهِ تَعَالَى، كَمَا يَدَّعُونَ. وَهَذَا قَوْلُ مَنْ جَهِلَ تَعَالِيمَ دِينِنَا الْحَنِيفِ، لِأَنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِتَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ فِيمَا جَاءُوا بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ، وَيَنْهَى سُبْحَانَهُ عَنِ الْإِشْرَاكِ وَالْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الأعراف ٢٨]. فَالْقَوْلُ الصَّحِيحُ هُوَ: لَا حَرَكَةَ وَلَا سُكُونَ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ تَكُونُ.

مَعْنَى الآيَةِ الكَرِيمَةِ: "وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"

ذَهَبَ بَعْضُ المُنْحَرِفِينَ إِلَى القَوْلِ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ يَغْفِرُ الشِّرْكَ وَالكُفْرَ، لِأَنَّ حَضْرَةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ - ابراهيم ٣٦ - وَالعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذَا الضَّلَالِ المُبِينِ. وَقَدْ جَعَلَهُمْ تَفْسِيرُهُمْ هَذَا لِظَنِّهِمْ أَنَّ الكَلَامَ مُوَجَّهٌ لِفَرِيقَيْنِ:

- فَرِيقٌ آمَنَتْ بِاللَّهِ وَاتَّبَعَتْ مَا جَاءَ بِهِ حَضْرَةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
- وَفَرِيقٌ رَفَضَتِ الإِيمَانَ وَبَقِيَتْ مُصِرَّةً عَلَى الكُفْرِ، فَطَلَبَ حَضْرَةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهَا وَيَرْحَمَهَا، وَهَذَا جَهْلٌ مُبِينٌ. فَالكَلَامُ هُوَ فَقَطْ فِي حَقِّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَطَلَبُ المَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ إِنَّمَا هُوَ لِمَنْ قَدْ يَقَعُ مِنْهُمْ فِي بَعْضِ الكَبَائِرِ غَيْرِ المُخْرِجَةِ عَنِ المِلَّةِ. إِذْ كَيْفَ يُمْكِنُ لِخَلِيلِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَطْلُبَ المَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ لِلْكَافِرِينَ وَهُوَ يَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ؟ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ - النساء ٤٨ -. وَمِنْ هُنَا، يَتَوَجَّبُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ كُفْرَ الكَافِرِ وَلَا إِشْرَاكَ المُشْرِكِ إِذَا هُوَ مَاتَ عَلَى كُفْرِهِ وَإِشْرَاكِهِ. أَمَّا مَعْنَى الآيَةِ الكَرِيمَةِ كَمَا جَاءَ عَنْ حَضْرَةِ الإِمَامِ الرَّازِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

"فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي، يَعْنِي: مَنْ تَبِعَنِي فِي دِينِي وَاعْتِقَادِي فَإِنَّهُ مِنِّي، أَيْ جَارٍ مَجْرَى بَعْضِي لِفَرْطِ اخْتِصَاصِهِ بِي وَقُرْبِهِ مِنِّي، وَمَنْ عَصَانِي فِي غَيْرِ الدِّينِ فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَاحْتَجَّ أَصْحَابُنَا بِهَذِهِ الآيَةِ عَلَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَكَرَ هَذَا الكَلَامَ وَالغَرَضُ مِنْهُ الشَّفَاعَةُ فِي حَقِّ أَصْحَابِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِهِ وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّ قَوْلَهُ ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ - ابراهيم ٣٦ - صَرِيحٌ فِي طَلَبِ المَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ لِأُولَئِكَ العُصَاةِ". - تفسير الفخر الرازي ١٩/١٣٦.

مَعْنَى قَوْلِ الْبَعْضِ: "لِلَّهِ رِجَالٌ إِذَا أَرَادُوا، أَرَادَ ..."

قَالَ بَعْضُ زُهَّادِ الْمُسْلِمِينَ فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْقَوْلِ: إِنَّ الرِّجَالَ، أَيْ عَامَّةَ الْبَشَرِ أَقْسَامٌ فِي تَقَبُّلِ الْإِيمَانِ وَرَفْضِهِ:

• فَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا أَرَادَ تَرْكَ الْكُفْرِ وَالْإِشْرَاكِ، أَرَادَ اللَّهُ لَهُ الْقَبُولَ لِسُلُوكِ الْهِدَايَةِ، وَسَهَّلَ لَهُ مَعْرِفَةَ الْإِيمَانِ.

• وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا أَرَادَ تَرْكَ الْمَعْصِيَةِ، أَرَادَ لَهُ قَبُولَ التَّوْبَةِ وَغُفْرَانَ الذَّنْبِ.

• وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا أَرَادَ الطَّاعَةَ، أَرَادَ لَهُ الْعَوْنَ لِلْوُصُولِ إِلَى الْإِحْسَانِ وَالثَّوَابِ.

فَلَا يَجُوزُ أَنْ نَعْتَقِدَ أَنَّ إِرَادَةَ الْمَخْلُوقِ غَالِبَةٌ عَلَى إِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، بَلِ اللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ.

مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: "كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ"

كَثِيرٌ مِنَ الْجُهَلَاءِ يُفْسِدُونَ اعْتِقَادَ النَّاسِ بِتَفْسِيرَاتِهِمُ الْعَلِيلَةِ، فَهُمْ يَتِيهُونَ فِي بِحَارِ الضَّلَالِ وَأَمْوَاجِ الْفَسَادِ. وَقَدِ ادَّعَى بَعْضُ هَؤُلَاءِ أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن ٢٩]. يَدُلُّ عَلَى أَنَّ إِرَادَةَ اللَّهِ وَقَضَاءَهُ هُمَا فِي تَغَيُّرٍ مُسْتَمِرٍّ كُلَّ يَوْمٍ، تَنَزَّهَ سُبْحَانَهُ عَنْ تِلْكَ النَّقَائِصِ، وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا. وَلِكَشْفِ اللِّثَامِ عَمَّا خَفِيَ عَنِ الْأَنَامِ، نُورِدُ أَقْوَالَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ:

أَوْرَدَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ: "... عَنْ مُنِيبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مُنِيبٍ الْأَزْدِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا ذَاكَ الشَّأْنُ؟ قَالَ: أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا، وَيُفَرِّجَ كَرْبًا، وَيَرْفَعَ قَوْمًا، وَيَضَعَ آخَرِينَ". - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/٤٣٠.

وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّوْكَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: مِنْ شَأْنِهِ أَنَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَيَرْزُقُ وَيُفْقِرُ، وَيُعِزُّ وَيُذِلُّ، وَيُمْرِضُ وَيُشْفِي، وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ، وَيَغْفِرُ وَيُعَاقِبُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُحْصَى". - فتح القدير، ٥/١٢٦.

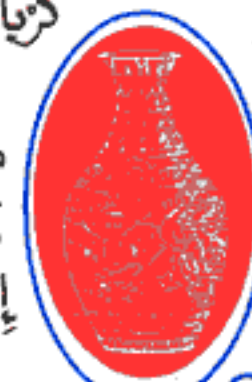

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ

آل عمران ٧.

تَوْحِيدُ الْغَفَّارِ وَالنَّجَاةُ مِنَ النَّارِ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ، فَاحْذَرُوهُمْ

صحيح البخاري ٪

كَيْفَ ظَهَرَ التَّأْوِيلُ فِي الشَّرِيعَةِ وَالدِّينِ

لَمَّا ظَهَرَتِ الْبِدَعُ، وَانْتَشَرَتِ الْفِتَنُ فِي الدِّينِ بَعْدَ السَّنَوَاتِ الثَّلَاثِ مِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ، وَاخْتِفَاءِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَنِ الدُّنْيَا، انْفَتَحَتْ أَبْوَابٌ كَثِيرَةٌ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ كَانَتْ مِنْ قَبْلُ مُغْلَقَةً، فَظَهَرَ التَّكَلُّمُ فِي أَوْصَافِ اللَّهِ تَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَذَهَبَ الْمَأْجُورُونَ وَالْمُتَسَتِّرُونَ بِالْهِدَايَةِ، إِلَى ادِّعَاءِ تَفَاسِيرَ لَا تُرْضِي اللَّهَ تَعَالَى. وَانْقَسَمَ النَّاسُ إِلَى مِلَلٍ وَمَذَاهِبَ، كُلٌّ أَخَذَ بِرَأْيِ فِرْقَتِهِ فِي تَفْسِيرِهِمْ وَتَأْوِيلِهِمْ، مُعْتَقِدًا أَنَّهُ هُوَ الْأَصْوَبُ. فَشَاعَ الْجِدَالُ وَالْقِيلُ وَالْقَالُ، حَتَّى كَثُرَ التَّكَلُّمُ بَيْنَ النَّاسِ بِأُمُورٍ لَا تُرِيحُ الْقَلْبَ، وَلَا تُسَرُّ بِهَا النَّفْسُ، وَكَانَ نَتِيجَةَ ذَلِكَ أَنْ بَرَزَ النُّفُورُ وَالتَّضَادُّ فِي الْآرَاءِ، وَظَهَرَ الِانْقِسَامُ فِي الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَصَارَ الْمُسْلِمُونَ فِرَقًا مُتَنَاحِرَةً مُتَنَافِرَةً. إِزَاءَ هَذِهِ الْأَوْضَاعِ، عَمَدَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَفَاضِلِ الْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ التَّأْوِيلِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، الْمُلْهَمِينَ مِنْ رَبِّهِمْ، إِلَى تَأْوِيلِ جَمِيعِ الْمُتَشَابِهِ، وَصَرْفِهِ عَنْ ظَاهِرِهِ الَّذِي اعْتَمَدَتْ عَلَيْهِ الْفِرَقُ الضَّالَّةُ لِإِفْسَادِ عَقَائِدِ الْعِبَادِ بُغْيَةَ النَّيْلِ مِنَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ. فَقَامَ الْعُلَمَاءُ الْكِرَامُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِرَدِّ التَّشْبِيهِ وَالنَّقَائِصِ وَالتَّعْطِيلِ وَالتَّجْسِيدِ، وَذَلِكَ بِتَنْزِيهِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَاحْتِيَاجٍ. وَقَدْ تَصَدَّرَ لِهَذَا النَّوْعِ مِنَ الْعُلُومِ مَنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ مِنْ أَنْوَارِهِ وَإِلْهَامِهِ الْمُبَارَكِ، وَكَانَ مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، لِأَنَّ التَّأْوِيلَ وَالتَّفْسِيرَ لَا يَأْتِي بِالْوَهْمِ وَالتَّخَيُّلِ وَالِاسْتِسْلَامِ لِهَوَى النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ، وَلَكِنَّهُ يَصْدُرُ مِمَّنْ زَكَّى اللَّهُ لَهُ نَفْسَهُ، فَاسْتَنَارَ قَلْبُهُ بِأَنْوَارِ رَحَمَاتِ مَوْلَاهُ وَأَصْبَحَ يَعْلَمُ السَّوَادَ مِنَ الْبَيَاضِ وَمَا تُخْفِيهِ عَفَارِيتُ الْإِلْحَادِ، وَنَجَّاهُ اللَّهُ مِنْ سُلُوكِ طُرُقِ الْهَوَى وَمُيُولِ الرُّعُونَاتِ الْقَلْبِيَّةِ، وَأَصْبَحَ صَاحِبَ قَدَمِ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِ، كَأَمْثَالِ سَيِّدِنَا ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الَّذِي نُقِلَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: "الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَ

ٱلْمُتَشَابِهِ، وَأَنَا مِمَّنْ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ" ـ أسرار الشريعة ١٦٦ ـ. وَقَدْ وُجِدَ فِي هَٰذَا ٱلْعَصْرِ وَلِلْأَسَفِ ٱلشَّدِيدِ جَمَاعَاتٌ يَضَعُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَىٰ قَدَمِ ٱلْمُسَاوَاةِ مَعَ حَبْرِ هَٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ حَضْرَةِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ٱلَّذِي تَشَرَّفَ بِدُعَاءِ حَضْرَةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ ٱللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي ٱلدِّينِ وَعَلِّمْهُ ٱلتَّأْوِيلَ ﴾ مسند الإمام أحمد ١/٢٦٦ فَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ، وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ حَضْرَةَ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وَأَمْثَالَهُ مِنَ ٱلرِّجَالِ ٱلْكِرَامِ قَدْ دَعَوُا ٱلنَّاسَ إِلَى ٱلْإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا وَصَفَ ٱللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ حَسَبِ ٱلْمَعْنَى ٱلْحَقِيقِيِّ لِذَٰلِكَ ٱلْوَصْفِ، وَفْقَ قِيَاسِ تَنْزِيهِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَنَقْصٍ، وَمِيزَانِ عَدَمِ تَشْبِيهِهِ سُبْحَانَهُ بِأَحَدٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، عَمَلًا بِٱلْآيَةِ ٱلْكَرِيمَةِ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ـ الشورى ١١ ـ، لَا عَلَىٰ حَسَبِ ٱلْمَعْنَى ٱلَّذِي قَدْ تَتَخَيَّلُهُ وَتَتَوَهَّمُهُ ٱلْعُقُولُ ٱلضَّعِيفَةُ مِنْ تَشْبِيهٍ وَتَجْسِيمٍ.

إِنَّ أَعْدَاءَ ٱلْإِسْلَامِ وَٱلْحَاقِدِينَ عَلَىٰ أَهْلِهِ قَدْ شَغَلُوا أَصْحَابَ ٱلْعُقُولِ ٱلضَّعِيفَةِ بِكَثْرَةِ ٱلْجِدَالِ وَٱلْقِيلِ وَٱلْقَالِ، وَإِشْعَالِ نَارِ ٱلْفِتَنِ وَٱلتَّخَاصُمِ وَٱلتَّنَافُرِ وَٱلتَّنَاحُرِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَدَسُّوا سُمُومَهُمْ وَخُبْثَهُمْ فِي بَعْضِ كُتُبِ ٱلْعِلْمِ، قَاصِدِينَ رَسْمَ صُورَةٍ خَاطِئَةٍ عَنِ ٱلْإِسْلَامِ، لِتَشْوِيهِ تَعَالِيمِهِ وَتُرَاثِهِ ٱلْحَضَارِيِّ. ثُمَّ كَانُوا يُثِيرُونَ ٱلضَّجَّةَ وَٱلْفَوْضَىٰ فِي كُلِّ مَكَانٍ خَوْفًا مِنِ ٱنْكِشَافِ خُبْثِهِمْ وَأَلَاعِيبِهِمْ فِي دِينِ ٱللَّهِ، وَيُسَارِعُونَ إِلَىٰ إِصْدَارِ ٱلْكُتُبِ ٱلْمُحَرَّفَةِ وَنَشْرِهَا بِسُرْعَةٍ كَٱلْبَرْقِ، وَتَوْزِيعِهَا مَجَّانًا، قَاصِدِينَ إِطْفَاءَ نُورِ ٱلْحَقِيقَةِ بِظَلَامِ أَقْلَامِهِمْ، وَقَدْ مُلِئَتْ كُتُبُهُمْ بِعِبَارَاتٍ وَرُمُوزٍ مَصْبُوغَةٍ بِأَلْوَانِ ٱلضَّلَالِ وَٱلِٱفْتِرَاءِ، فَيَنْسُبُونَ إِلَى ٱللَّهِ تَعَالَىٰ ٱلْجِهَةَ وَٱلصُّورَةَ وَٱلْجِسْمَ وَٱلْفَوْقِيَّةَ ٱلْحِسِّيَّةَ وَٱلْمُمَاسَّةَ، وَٱلنُّزُولَ بِٱلْحَرَكَةِ وَٱلِٱنْتِقَالِ، وَٱلْجُلُوسَ بِٱلْأَطْرَافِ وَٱلْجَوَارِحِ، وَٱلْحُلُولَ فِي خَلْقِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَيُطْلِقُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ ٱلْمَخْلُوقِينَ، وَهُمْ مَعَ ذَٰلِكَ يَتَظَاهَرُونَ بِٱلتَّمَسُّكِ بِٱلْإِسْلَامِ وَٱلْهِدَايَةِ، وَيَتَجَاهَلُونَ مَا وَرَدَ فِيهِمَا مِنْ أَوْصَافِ ٱلتَّنْزِيهِ وَٱلتَّقْدِيسِ لَهُ سُبْحَانَهُ. وَكَانَ مِنْ جَزَاءِ

ذَلِكَ أَنْ أَصْبَحَ النَّاسُ فِرْقَتَيْنِ:

• فِرْقَةٌ تَمِيلُ لِإِرَائِهَا الْفَاسِدَةِ، فَانْحَرَفَتْ وَانْجَرَفَتْ لِكَثْرَةِ عِنَادِهَا، وَاسْتَسْلَمَتْ لِأَهْوَاءِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ. فَخَسِرَ أَصْحَابُ هَذِهِ الْفِرْقَةِ أَجْرَ الدُّنْيَا وَنَعِيمَ الْآخِرَةِ، وَأَظْهَرُوا عِلَلَهُمُ الْمُسْتَوْرَدَةَ مِنْ وَسَاوِسِ شَيَاطِينِهِمُ الظُّلْمَانِيَّةِ، وَرَكِبُوا مَوْجَةً طَائِشَةً تَسْتَشْنِعُهَا النُّفُوسُ السَّلِيمَةُ.

• وَفِرْقَةٌ سَارَتْ مَعَ أَهْلِ الْحَقِّ وَالتَّنْزِيهِ، وَسَلَّمُوا الْأَمْرَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، وَتَمَسَّكُوا بِظَوَاهِرِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي صِحَّةِ إِطْلَاقِ مَا فِيهِمَا مِنْ حَيْثُ الْقَوْلِ، لَا مِنْ حَيْثُ الْفَهْمِ النَّفْسِيِّ الْمَوْهُومِ، لِأَنَّهُمْ يَعْتَرِفُونَ بِعَجْزِ أَنْفُسِهِمْ عَنْ عِلْمِ مَعَانِي كَلَامِ اللَّهِ وَحَدِيثِ رَسُولِهِ ﷺ، عَلَى حَسَبِ مَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُهُ رَسُولُهُ ﷺ مِنَ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيِّ، لِأَنَّهُمْ ذَاقُوا مِنْ أَسْرَارِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ ـ الكهف ـ وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَذَوْا حَذْوَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَالْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ الْكِرَامِ مِنْ أَئِمَّةِ هَذِهِ الْفِرْقَةِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ لِإِضْلَالِ النَّاسِ: ﴿فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ، فَاحْذَرُوهُمْ﴾ ـ صحيح البخاري ـ أَيْ أُولَئِكَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ ـ آل عمران ٧ ـ

فَاعْلَمْ يَا أَخِي أَنَّ جَمِيعَ مَا وَصَفَ الْحَقُّ تَعَالَى بِهِ نَفْسَهُ مِنْ خَلْقٍ وَإِحْيَاءٍ وَإِمَاتَةٍ، وَمَنْعٍ وَعَطَاءٍ، وَمَكْرٍ وَاسْتِهْزَاءٍ وَكَيْدٍ، وَفَرَحٍ وَتَعَجُّبٍ وَغَضَبٍ وَقَدَمٍ وَيَدٍ وَيَدَيْنِ وَأَيْدٍ، وَعَيْنٍ وَأَعْيُنٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، كُلُّهُ وَصْفٌ صَحِيحٌ لِرَبِّنَا، فَإِنَّنَا مَا وَصَفْنَاهُ بِهِ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِنَا، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَالَى الَّذِي وَصَفَ بِذَلِكَ نَفْسَهُ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ قَبْلَ وُجُودِنَا، وَهُوَ تَعَالَى الصَّادِقُ وَهُمُ الصَّادِقُونَ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ كَمَا يَعْلَمُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَبِالْمَعْنَى الَّذِي تَقْبَلُهُ ذَاتُهُ، وَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، لَا يَجُوزُ لَنَا رَدُّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا تَكْيِيفُهُ،

فَهُوَ مُنَزَّهٌ بِصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ عَنْ صِفَاتِ وَأَفْعَالِ خَلْقِهِ، فَعَلَيْنَا التَّوَقُّفُ عَنِ الْخَوْضِ وَالْبَحْثِ بِأُمُورِ ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، فَكُلُّ مَا يَقَعُ بِالْقَلْبِ مِنْ تَشْبِيهٍ وَتَمْثِيلٍ وَتَعْطِيلٍ، فَاللَّهُ بِخِلَافِهِ، إِذْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ. وَفِيمَا يَلِي نَعْرِضُ طَائِفَةً مِنْ أَقْوَالِ حَضَرَاتِ الْعُلَمَاءِ الْأَفَاضِلِ مُفَسَّرَةً تَفْسِيرًا جَلِيًّا، وَذَلِكَ كَيْ لَا يَقَعَ أَحَدٌ فِي مَتَاهَاتِ وَمُهْلِكَاتِ التَّشْبِيهِ

قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "كُلُّ مَا يَقَعُ فِي الْقَلْبِ، فَاللَّهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ، لِأَنَّ كُلَّ مَا يَقَعُ فِي الْقَلْبِ إِنَّمَا هُوَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ فَكَيْفَ يُشْبِهُ الْخَالِقُ الْمَخْلُوقَ". - بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها، ١/٥٤.

وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِمَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ، عَلَى مُرَادِ اللَّهِ، وَآمَنْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ، وَبِمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى مُرَادِ رَسُولِ اللَّهِ".

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ قُدَامَةَ الْمَقْدِسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وَعَلَى هَذَا دَرَجَ السَّلَفُ وَأَئِمَّةُ الْخَلَفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى الْإِقْرَارِ وَالْإِمْرَارِ وَالْإِثْبَاتِ لِمَا وَرَدَ مِنَ الصِّفَاتِ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِتَأْوِيلِهِ".

وَذَكَرَ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّ الْأَوْلَى فِي الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَاتِ: "أَنْ يُؤْمِنَ الْإِنْسَانُ بِظَاهِرِهَا وَيَكِلَ عِلْمَهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ يَعْتَقِدَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ اسْمُهُ مُنَزَّهٌ عَنْ سِمَاتِ الْحُدُوثِ، عَلَى ذَلِكَ مَضَتْ أَئِمَّةُ السَّلَفِ وَعُلَمَاءُ السُّنَّةِ". لمعة الاعتقاد

وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: "هَذَا مِنَ الْمَكْتُومِ الَّذِي لَا يُفَسَّرُ. وَكَانَ مَكْحُولٌ وَالزُّهْرِيُّ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَمَالِكٌ وَابْنُ الْمُبَارَكِ وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَاللَّيْثُ ابْنُ سَعْدٍ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ يَقُولُونَ فِيهِ وَفِي أَمْثَالِهِ: أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَ بِلَا كَيْفٍ".

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "كُلُّ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ فَتَفْسِيرُهُ قِرَاءَتُهُ وَالسُّكُوتُ عَلَيْهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُفَسِّرَهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ". - معالم التنزيل، ١/٢٧٠.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِ حَضْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا... أَوْ إِنَّ اللَّهَ يُرَى فِي الْقِيَامَةِ، وَمَا أَشْبَهَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ نُؤْمِنُ بِهَا،

وَنُصَدِّقُ بِهَا، لَا كَيْفَ، وَلَا مَعْنَىٰ، وَلَا نَرُدُّ شَيْئًا مِنْهَا، وَنَعْلَمُ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ حَقٌّ، وَلَا نَرُدُّ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (أَيْ لَا نَرْفُضُ مَا جَاءَ بِهِ)، وَلَا نَصِفُ اللَّهَ بِأَكْثَرَ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ بِلَا حَدٍّ وَلَا غَايَةٍ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وَنَقُولُ كَمَا قَالَ، وَنَصِفُهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، لَا نَتَعَدَّىٰ ذَٰلِكَ، وَلَا يَبْلُغُهُ وَصْفُ الْوَاصِفِينَ، نُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ كُلِّهِ، مُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَلَا نُزِيلُ عَنْهُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ لِشَنَاعَةٍ شَنَعَتْ (أَيْ لِافْتِرَاءٍ قَبِيحٍ افْتُرِيَ بِحَقِّ صِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ)، وَلَا نَتَعَدَّىٰ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ، وَلَا نَعْلَمُ كَيْفَ كُنْهُ ذَٰلِكَ (أَيْ حَقِيقَتُهُ) إِلَّا بِتَصْدِيقِ الرَّسُولِ ﷺ وَتَثْبِيتِ الْقُرْآنِ". ـ لمعة الاعتقاد ص٧.

وَقَالَ الشَّهْرِسْتَانِيُّ: "فَأَمَّا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَدَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَصْفَهَانِيُّ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَئِمَّةِ السَّلَفِ فَجَرَوْا عَلَىٰ مِنْهَاجِ السَّلَفِ الْمُتَقَدِّمِينَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ مِثْلِ: مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَمُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ، وَسَلَكُوا طَرِيقَ السَّلَامَةِ فَقَالُوا: نُؤْمِنُ بِمَا وَرَدَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَلَا نَتَعَرَّضُ لِلتَّأْوِيلِ بَعْدَ أَنْ نَعْلَمَ قَطْعًا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَأَنَّ كُلَّ مَا تَمَثَّلَ فِي الْوَهْمِ فَإِنَّهُ خَالِقُهُ وَمُقَدِّرُهُ. وَكَانُوا يَحْتَرِزُونَ عَنِ التَّشْبِيهِ إِلَىٰ غَايَةِ أَنْ قَالُوا: مَنْ حَرَّكَ يَدَهُ عِنْدَ قِرَاءَةِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ أَوْ أَشَارَ بِإِصْبَعَيْهِ عِنْدَ رِوَايَتِهِ ﴿قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَٰنِ﴾ وَجَبَ قَطْعُ يَدِهِ وَقَلْعُ إِصْبَعَيْهِ". ـ الملل والنحل.

هَٰذَا وَقَدِ اضْطَرَّ حَضَرَاتُ الْعُلَمَاءِ الْأَفَاضِلِ الَّذِينَ نَوَّرَ اللَّهُ بَصَرَهُمْ وَبَصِيرَتَهُمْ إِلَى الْخَوْضِ فِي تَأْوِيلِ بَعْضِ هَٰذِهِ الْآيَاتِ، لَمَّا كَثُرَتْ فِرَقُ الضَّلَالِ وَالتَّشْوِيشِ حِرْصًا مِنْهُمْ عَلَىٰ عَقِيدَةِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَعْصِفَ بِهَا رِيحُ التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ.

جَزَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْ أُمَّةِ حَضْرَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ الْجَزَاءِ وَنَوَّرَ سُبْحَانَهُ أَضْرِحَتَهُمْ بِفَيْضِ رَحْمَتِهِ وَبَرَكَاتِ رِضَائِهِ، آمِينَ.

وَرَغْمَ الْجُهُودِ الْجَبَّارَةِ لِعُلَمَائِنَا الْأَفَاضِلِ فِي هَذَا السَّبِيلِ، فَإِنَّ رِيَاحَ الْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ لَا تَزَالُ تَهُبُّ بَيْنَ حِينٍ وَآخَرَ، يَتَعَاوَنُ فِيهَا شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ لِيَدْفَعُوا الْبُسَطَاءَ مِنْ أَصْحَابِ النَّوَايَا الطَّيِّبَةِ لِسُلُوكِ مَتَاهَاتِ التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ وَالْوُقُوعِ بِالْإِشْرَاكِ.

فَسَبَبُ طَبْعِ هَذَا الْكِتَابِ هُوَ السَّعْيُ لِلدِّفَاعِ عَنْ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلِتَصْحِيحِ مَا يَتَلَفَّظُ بِهِ الْبَعْضُ مِنْ كُفْرٍ وَإِشْرَاكٍ وَتَشْبِيهِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ فِي أَفْعَالِهِ وَصِفَاتِهِ. فَقَدْ أَشْكَلَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فَهْمُ بَعْضِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الْمُتَشَابِهَةِ، فَوَقَعَ مَنْ وَقَعَ، لِعَدَمِ رُجُوعِهِ إِلَى عُلَمَائِنَا الْأَفَاضِلِ فِي الْأَزْهَرِ الشَّرِيفِ لِيَطْلُبَ الْحُصُولَ مِنْهُمْ عَلَى الْجَوَابِ الشَّافِي. وَقَدِ انْتَشَرَتْ أَمْرَاضُ الْأَلْفَاظِ وَالْأَفْكَارِ الْفَاسِدَةِ وَتَلَوَّثَ مُعْتَقَدُ الْبَعْضِ بِوَثَنِيَّةِ التَّشْخِيصِ لِلْخَالِقِ، فَفِرْقَةٌ ادَّعَتْ أَنَّ لِلَّهِ وَلَدًا، وَفِرْقَةٌ قَالَتْ: إِنَّ حَضْرَةَ الرَّسُولِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ اللَّهُ، وَفِرْقَةٌ ادَّعَتْ لِلَّهِ الْجَارِحَةَ مِنْ يَدٍ وَرِجْلٍ وَعَيْنٍ، لِمُجَرَّدِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَأَطْلَقُوا عَلَى الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ تَفَاسِيرَهُمُ السَّقِيمَةَ وَآخَرُونَ أَصَرُّوا عَلَى تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿طه﴾ بِالِاسْتِيلَاءِ، أَيِ: اسْتَوْلَى عَلَى عَرْشِهِ كَمَا يَسْتَوْلِي الْمُلُوكُ عَلَى مَفَاتِيحِ الْمُلْكِ، أَوْ كَمَا اسْتَوْلَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ، وَأَرْدَفُوا قَوْلَهُمْ هَذَا بِقَوْلٍ أَفْظَعَ مِنْهُ، وَهُوَ زَعْمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُرْسِلَ مَلَائِكَتَهُ لِيَسْتَوْلُوا عَلَى الْعَرْشِ، وَلَكِنْ بَعْدَهَا أَظْهَرَ قُوَّتَهُ وَقَهَرَ الْعَرْشَ بِنَفْسِهِ. وَفِرْقَةٌ ادَّعَتْ أَنَّ مَعْنَى الِاسْتِوَاءِ أَنَّ اللَّهَ ارْتَفَعَ وَقَصَدَ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمَتَاهَاتِ فَشَبَّهُوا أَفْعَالَ الْخَالِقِ بِالْمَخْلُوقِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ، وَفَسَّرَهُ بِمَجِيءِ انْتِقَالٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، مُعْتَبِرًا أَنَّ هَذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ﴿الفجر﴾. وَآخَرُ يَقُولُ: اللَّهُ يُصَلِّي عَلَى رَسُولِهِ صَلَاةً ذَاتَ رُكُوعٍ وَسُجُودٍ كَمَا نُصَلِّي نَحْنُ، مُعْتَمِدًا عَلَى تَفْسِيرِهِ الشَّخْصِيِّ لِقَوْلِ اللَّهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ

وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴿الأحزاب: ٥٦﴾ ... وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ ٱللَّهَ يَنْسَىٰ كَمَا يَنْسَى ٱلْإِنْسَانُ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ ﴿الأعراف: ٥١﴾ ... وَلَوْ أَرَدْنَا جَمْعَ مِثْلِ هَٰذِهِ ٱلْأَقْوَالِ ٱلْفَاسِدَةِ، ٱلَّتِي يَطْلِقُهَا مَنْ لَيْسَ لَهُ نَصِيبٌ فِي عَقِيدَةِ ٱلتَّنْزِيهِ، لَجَمَعْنَا قَامُوسًا مِنْ أَلْفَاظِ ٱلْكُفْرِ وَٱلضَّلَالِ. فَلِأَجْلِ هَٰذَا ٱلْخَطَرِ ٱلْعَظِيمِ ٱلْمُحْدِقِ بِعَوَامِّ ٱلْمُسْلِمِينَ، قُمْنَا بِجَمْعِ مَا وَرَدَ مِنْ تَفْسِيرَاتٍ لِلْآيَاتِ ٱلْمُتَشَابِهَاتِ ضِمْنَ قَوَاعِدِ ٱلتَّنْزِيهِ وَعَدَمِ ٱلتَّشْبِيهِ، لِحَضَرَاتِ ٱلْأَئِمَّةِ ٱلْعُلَمَاءِ، لِمُوَاجَهَةِ وَرَدْعِ مَا يَسْعَىٰ إِلَيْهِ ٱلْبَعْضُ مِنِ ٱتِّخَاذِ هَٰذِهِ ٱلْآيَاتِ كَتَبْرِيرٍ لِتَشْخِيصِ ٱلْإِلَٰهِ، وَتَشْبِيهِهِ بِخَلْقِهِ، وَذَٰلِكَ لِيُضِلُّوا بِهِ بَعْضَ ٱلْجَهَلَةِ وَضُعَفَاءَ ٱلْقُلُوبِ.

ثُمَّ هُنَاكَ بَعْضُ ٱلْكُفَّارِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مِنْ مُشَبِّهِي ٱلْخَالِقِ بِٱلْمَخْلُوقِ، ٱلَّذِينَ وَقَعُوا بِضَلَالَاتِ زُعَمَائِهِمُ ٱلْقَبَلِيَّةِ وَرُؤَسَائِهِمُ ٱلْجَهَلَةِ، ٱلرَّافِضِينَ لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ، وَٱلْمُنْكِرِينَ لِآيَاتِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ، يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلْعَقِيدَةَ ٱلصَّحِيحَةَ ٱلْمُنْجِيَةَ، وَلَٰكِنَّ ٱلْحَقِيقَةَ أَنَّ أَقْوَالَهُمْ وَعُلُومَهُمْ وَتَعَالِيمَهُمْ لَا تَمُتُّ إِلَى ٱلْعَقِيدَةِ ٱلصَّحِيحَةِ بِأَيَّةِ صِلَةٍ، بَلْ هِيَ مَلِيئَةٌ بِٱلْكُفْرِ وَٱلضَّلَالِ ٱلْمُهِينِ...

إِنَّ أَفْكَارَهُمْ وَآرَاءَهُمْ وَمُعْتَقَدَاتِهِمْ تَجْتَمِعُ عَلَى ٱلْقَوْلِ بِأَنَّ حَضْرَةَ ٱلرَّسُولِ عِيسَى ٱلْمَسِيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هُوَ ٱلْإِلَٰهُ ٱلرَّبُّ ٱلَّذِي تَجَسَّدَ وَحَلَّ بِصُورَةِ إِنْسَانٍ مَحَبَّةً بِٱلنَّاسِ، وَتَخْلِيصًا لَهُمْ مِنَ ٱلذُّنُوبِ وَٱلْمَعَاصِي وَٱلْمَآسِي، تَعَالَى ٱللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا. فَهُمْ بِذَٰلِكَ يَنْسُبُونَ إِلَى حَضْرَةِ عِيسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٱلرُّبُوبِيَّةَ، وَيَدَّعُونَ أَنَّهُ مَاتَ لِأَجْلِ تَخْلِيصِ ٱلْبَشَرِيَّةِ ثُمَّ دُفِنَ، ثُمَّ قَامَ مِنْ قَبْرِهِ وَصَعِدَ إِلَى ٱلسَّمَاءِ. أَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ مَنْ يُضْرَبُ وَيُوضَعُ عَلَى خَشَبَةٍ وَيُقْتَلُ صَلْبًا، كَمَا يَدَّعُونَ، يَكُونُ مَغْلُوبًا عَلَى أَمْرِهِ؟ وَهُمْ بِقَوْلِهِمْ وَٱدِّعَائِهِمْ هَٰذَا يَزْعُمُونَ أَنَّ ٱلْخَلْقَ قَادِرُونَ عَلَى قَهْرِ رَبِّهِمْ وَقَتْلِهِ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ إِلَٰهًا؟ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ، تَعَالَى ٱللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا...

إِنَّ هَٰذِهِ ٱلْأَفْكَارَ تُؤَدِّي بِمُعْتَقِدِيهَا إِلَى ٱلْخُلُودِ ٱلْأَبَدِيِّ فِي

عَذَابِ ٱلنَّارِ، فَلَا نَصِيبَ لَهُمْ مِنَ ٱلْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا، إِنَّمَا هُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ، لِأَنَّهُمْ بِٱعْتِقَادِهِمْ هَٰذَا قَدْ عَبَدُوا رَسُولًا بَشَرًا مَخْلُوقًا قَابِلًا لِلْمَوْتِ وَٱلْحَيَاةِ وَٱلْمَرَضِ وَٱلشِّفَاءِ، وَقَدْ وُجِدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ٱلْبَتُولِ بِلَا أَبٍ بِمُعْجِزَةِ ٱلرَّبِّ، وَكَانَ يَتَكَوَّنُ فِي بَطْنِهَا كَمَا هُوَ حَالُ كُلِّ جَنِينٍ، فَيَأْخُذُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِيَنْمُوَ وَيَكْبَرَ، حَتَّىٰ وَلَدَتْهُ كَمَا تَلِدُ ٱلنِّسَاءُ أَبْنَاءَهُنَّ، وَكَانَ يَحْتَاجُ لِلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ وَٱلْعِنَايَةِ كَسَائِرِ ٱلْمَخْلُوقَاتِ ٱلْبَشَرِيَّةِ. ثُمَّ إِنَّ مَعْنَىٰ رَفْعِ ٱللَّهِ حَضْرَةَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إِلَيْهِ، أَيْ رَفَعَهُ إِلَىٰ مَكَانِ ٱلتَّشْرِيفِ وَٱلتَّعْظِيمِ وَٱلتَّكْرِيمِ، وَلَيْسَ كَمَا يَدَّعِي ٱلْبَعْضُ إِلَىٰ مَكَانِ وُجُودِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ، ظَانِّينَ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُ مَكَانٌ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَىٰ عَرْشِهِ، فَهَٰذَا مِنَ ٱلْأَبَاطِيلِ، لِأَنَّ مَنْ يَجْلِسُ عَلَىٰ عَرْشٍ يَكُونُ مُحْتَاجًا لَهُ وَمُتَّصِفًا بِٱلْأَطْرَافِ ٱلَّتِي يُجْلَسُ عَلَيْهَا، وَهَٰذَا مُسْتَحِيلٌ فِي حَقِّ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ كَانَ وَلَا مَكَانَ، وَهُوَ ٱلْآنَ عَلَىٰ مَا عَلَيْهِ كَانَ. وَأَمَّا حَضْرَةُ عِيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فَسَيَعُودُ إِلَىٰ هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا آخِرَ ٱلزَّمَانِ كَمَا أَخْبَرَ حَضْرَةُ ٱلرَّسُولِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَكْثَرَ مِنْ حَدِيثٍ، فَيُظْهِرُ ٱلْحَقَّ، وَيَنْصُرُ ٱلْمَظْلُومَ، وَيَدْعُو ٱلنَّاسَ إِلَىٰ عِبَادَةِ ٱللَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْأَحَدِ. فَعَلَى ٱلْمُحِبِّ لِسَيِّدِنَا عِيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ مَحَبَّةِ ٱللَّهِ ٱلْخَالِقِ وَمَحَبَّةِ ٱلرَّسُولِ ٱلْمَخْلُوقِ، وَلَا يَصِفَهُ بِمَا لَا يَلِيقُ بِٱلْعَقِيدَةِ فَيَخْسَرُ بِذَٰلِكَ نَصِيبَهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ. فَهَٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ يَدَّعُونَ تَعْلِيمَ ٱلنَّاسِ ٱلْعَقِيدَةَ ٱلسَّلِيمَةَ هُمْ أَحْوَجُ ٱلنَّاسِ لِمَنْ يُعَلِّمُهُمْ أُصُولَ وَفُنُونَ عُلُومِ ٱلْعَقِيدَةِ وَٱلتَّوْحِيدِ وَتَنْزِيهِ ٱلْإِلَٰهِ ٱلْمُعَظَّمِ ٱلْمُقَدَّسِ. وَقَدْ جَاءَ إِلَيْنَا رَجُلٌ مِنْ أَتْبَاعِ هَٰذِهِ ٱلْجَمَاعَاتِ، وَقَالَ لَنَا: كَيْفَ تَقُولُونَ إِنَّ عِيسَىٰ لَيْسَ ٱللَّهَ لِأَنَّهُ إِنْسَانٌ وَلَهُ يَدٌ وَرِجْلٌ وَعَيْنٌ وَغَيْرُ ذَٰلِكَ مِنْ صِفَاتِ ٱلْإِنْسَانِ، وَقَدْ جَاءَ فِي قُرْآنِكُمْ إِنَّ لِلَّهِ يَدًا وَرِجْلًا وَعَيْنًا، وَهُوَ يَجِيءُ وَيَغْضَبُ وَغَيْرُ ذَٰلِكَ مِنَ ٱلصِّفَاتِ ٱلْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ ٱلْإِنْسَانِ. وَقَالَ نَبِيُّكُمْ ﴿مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِٱثْنَيْنِ ٱللَّهُ ثَالِثُهُمَا﴾[1] أَيْ إِنَّهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ. وَقَدْ عَيَّنَ ٱللَّهُ فِي كِتَابِكُمْ لِنَفْسِهِ خَلِيفَةً فِي

(1) مسند الإمام أحمد، ١/٤٠.

الأَرْضِ، وَالْخَلِيفَةُ عَادَةً يَكُونُ مِنْ جِنْسِ الَّذِي خَلَفَهُ (أَيْ إِنَّ آلِهَةَ إِنْسَانٌ)، كَمَا أَنَّ مُحَمَّدًا كَانَ لَهُ خُلَفَاءُ كَثِيرُونَ، فَهُوَ وَخُلَفَاؤُهُ مِنَ الْبَشَرِ، فَكَيْفَ تَتَجَرَّؤُونَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى رَفْضِ فِكْرَتِنَا الْقَائِلَةِ بِتَجَسُّدِ اللهِ بِصُورَةِ إِنْسَانٍ؟ فَنَحْنُ بِدَوْرِنَا إِظْهَارًا لِلاِعْتِقَادِ الصَّحِيحِ بِاللهِ الْخَالِقِ، وَخِدْمَةً لِكُلِّ مَنْ يُحِبُّ اللهَ مِنْ قَلْبِهِ بِحَقٍّ وَيَطْلُبُ حَيَاةً سَارَّةً وَسَعِيدَةً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَرَفْعًا لِكُلِّ اشْتِبَاهٍ، وَتَحْذِيرًا لِلنَّاسِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي مَهَالِكِ الضَّلَالِ، وَمُسَاعَدَةً لَهُمْ لِلنَّجَاةِ مِنَ الْمُعْتَقَدَاتِ الْفَاسِدَةِ الَّتِي يَسْعَى أَعْدَاءُ سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِإِيقَاعِهِمْ بِهَا، بَعْدَ أَنْ قَامُوا بِتَحْرِيفِ الإِنْجِيلِ الْمُبَارَكِ الْمُقَدَّسِ، أَحْبَبْنَا أَنْ نُبَيِّنَ لِجَمِيعِ مُحِبِّي سَيِّدِنَا عِيسَى الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْحَقِيقَةَ. وَقَدِ اسْتَعَنَّا بِعَمَلِنَا هَذَا بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُتُبِ حَضَرَاتِ الْعُلَمَاءِ الأَفَاضِلِ لِنُبَيِّنَ لِلْجَمِيعِ الْحَقَائِقَ مِنْ خِلَالِ الْبَرَاهِينِ الدَّالَّةِ عَلَى بُطْلَانِ اعْتِقَادِ الْمُجَسِّمَةِ وَالْمُشَبِّهَةِ. وَأَمَّا مَنْ رَفَضَ الْحَقِيقَةَ فَهُوَ مَغْرُورٌ وَاقِعٌ تَحْتَ قَبْضَةِ شَيْطَانِهِ وَهَوَاهُ وَجَهْلِهِ، وَسَاعٍ إِلَى الضَّلَالِ وَالْكُفْرِ الْمُبِينِ. هَذَا وَإِنَّنَا نُهْدِي عَمَلَنَا هَذَا إِلَى كُلِّ طَالِبِ حَقٍّ وَحَقِيقَةٍ، وَخُصُوصًا الَّذِينَ يُحِبُّونَ بِصِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ حَضْرَةَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا ثَبَتَ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى مِنْ تَنْزِيهِهِ عَنْ مُشَابَهَةِ خَلْقِهِ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ يُثْبِتُ كَوْنَ حَضْرَةِ عِيسَى وَأُمِّهِ مَرْيَمَ الصِّدِّيقَةِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَبْدَيْنِ مَخْلُوقَيْنِ أَوْجَدَهُمَا اللهُ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُونَا، وَخَصَّهُمَا بِالطَّهَارَةِ وَالشَّرَفِ وَالْعِفَّةِ وَالاِصْطِفَاءِ. نَجَّانَا الرَّبُّ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْمُهْلِكَاتِ الْمُرْدِيَاتِ. فَيَا مَنْ تُحِبُّ الْحَقَّ وَالْحَقِيقَةَ وَكُنْتَ مِنْ إِحْدَى هَذِهِ الْفِئَاتِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، اقْرَأْ هَذَا الْكِتَابَ لِتَعْلَمَ صِفَاتِ رَبِّكَ، وَمَا يَجِبُ فِي حَقِّهِ، وَمَا لَا يَجُوزُ، لِتَعْلَمَ بِأَيِّ مُسْتَنْقَعٍ تَقِفُ وَأَيِّ ضَلَالٍ تَنْتَمِي إِلَيْهِ، وَأَيِّ إِشْرَاكٍ وَكُفْرٍ تَرْتَعُ بِهِمَا وَأَنْتَ لَا تَدْرِي. فَأَسْرِعْ إِلَى التَّمَسُّكِ بِعَقِيدَةِ التَّنْزِيهِ وَالتَّوْحِيدِ الَّتِي جَاءَ بِهَا حَضَرَاتُ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ لِتَنْجُوَ مِنَ الْهَلَاكِ الأَبَدِيِّ وَتَحْظَى بِرِضَا الرَّبِّ الْمَعْبُودِ.

مَا هُوَ التَّشْبِيهُ ؟

قَالَ الْإِمَامُ عَبْدُ الْغَنِيِّ النَّابُلُسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «التَّشْبِيهُ هُوَ الِاعْتِقَادُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ خَلْقِهِ، كَالَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جِسْمٌ فَوْقَ الْعَرْشِ، أَوْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ لَهُ يَدَيْنِ بِمَعْنَى الْجَارِحَتَيْنِ، وَأَنَّ لَهُ الصُّورَةَ الْفُلَانِيَّةَ أَوْ عَلَى الْكَيْفِيَّةِ الْفُلَانِيَّةِ، أَوْ أَنَّهُ نُورٌ يَتَصَوَّرُهُ الْعَقْلُ أَوْ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ، أَوْ فِي جِهَةٍ مِنَ الْجِهَاتِ السِّتِّ، أَوْ أَنَّهُ فِي مَكَانٍ مِنَ الْأَمَاكِنِ أَوْ فِي جَمِيعِ الْأَمَاكِنِ، أَوْ أَنَّهُ مِلْءُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَوْ أَنَّهُ لَهُ الْحُلُولُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، أَوْ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، أَوْ أَنَّهُ مُتَّحِدٌ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَوْ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ؛ أَوْ أَنَّ الْأَشْيَاءَ مُنْجَلِيَةٌ مِنْهُ أَوْ شَيْئًا مِنْهَا. وَجَمِيعُ ذَلِكَ كُفْرٌ صَرِيحٌ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، وَسَبَبُهُ الْجَهْلُ بِمَعْرِفَةِ الْأَمْرِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ» - أسرار الشريعة ١٨٠ -

تَنْزِيهُ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ التَّشْخِيصِ وَالتَّجْسِيمِ

إِنَّ بَعْضَ الْجَهَلَةِ قَدْ يَسْتَعْمِلُونَ كَلِمَةَ شَخْصٍ أَوْ جِسْمٍ بِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، كَأَنْ يَقُولُوا: اللَّهُ شَخْصِيَّةٌ عَظِيمَةٌ أَوِ: اللَّهُ جِسْمٌ عَظِيمٌ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ الِاعْتِقَادِ الْفَاسِدِ، إِذْ كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ صَانِعُ الْعَالَمِ شَخْصًا أَوْ جِسْمًا، وَالشَّخْصُ وَالْجِسْمُ مِنَ الْأُمُورِ الْمُحْدَثَةِ (أَيِ الْمَخْلُوقَةِ) وَهُمَا بِحَاجَةٍ لِمَنْ يَخْلُقُهُمَا، وَيَصْدُرُ مِنْهُمَا الْحَرَكَةُ وَالتَّنَقُّلُ وَالْحَوَادِثُ، وَهُمَا مُؤَلَّفَانِ مِنْ أَعْضَاءٍ وَجَوَارِحَ يُسْتَعَانُ بِهَا عَلَى قَضَاءِ الْحَوَائِجِ. وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لِلْجِسْمِ وَالشَّخْصِ عَرْضٌ وَارْتِفَاعٌ، وَطُولٌ وَقِصَرٌ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ يُوصَفَ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ النَّاقِصَةِ الْقَاضِيَةِ بِتَشْبِيهِ الْخَالِقِ بِالْمَخْلُوقِ. ثُمَّ إِنَّ الْجِسْمَ أَوِ الشَّخْصَ لَيْسَا مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى، وَلَمْ يَرِدْ عَنْهُ سُبْحَانَهُ وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ

جَوَازُ إِطْلَاقِهِمَا عَلَى اللهِ تَعَالَى. فَمَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ جِسْمٌ أَوْ شَخْصٌ، فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ قَدِ اسْتَحَقُّوا الْخُلُودَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، لِأَنَّ كُلَّ جِسْمٍ مُرَكَّبٌ، وَكُلُّ مُرَكَّبٍ حَادِثٌ (أَيْ مَخْلُوقٌ)، وَاللهُ تَعَالَى أَزَلِيٌّ قَدِيمٌ بِإِجْمَاعِ الْعُقَلَاءِ، وَالْأَئِمَّةِ الْفُضَلَاءِ، وَالْعُلَمَاءِ النُّجَبَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "إِطْلَاقُ الشَّخْصِ فِي صِفَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ غَيْرُ جَائِزٍ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الشَّخْصَ لَا يَكُونُ إِلَّا جِسْمًا مُؤَلَّفًا، وَإِنَّمَا سُمِّيَ شَخْصًا مَا كَانَ لَهُ شُخُوصٌ وَارْتِفَاعٌ، وَمِثْلُ هَذَا النَّعْتِ مَنْفِيٌّ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى". ـ الأسماء والصفات ٣٦٥.

مَعْنَى قَوْلِ "اللهُ أَكْبَرُ" وَأَمَّا قَوْلُ: "اللهُ أَكْبَرُ"، فَلَيْسَ بِمَعْنَى كِبَرِ الْحَجْمِ، لِأَنَّهُ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ تَعَالَى حَجْمٌ كَخَلْقِهِ تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَلَكِنَّ الْمَعْنَى الْمَقْصُودَ هُوَ كِبَرُ الْقَدْرِ.

مِمَّا وَرَدَ عَنْ نَفْسِ اللهِ تَعَالَى

إِنَّ الْمُفْسِدِينَ أَصْحَابَ بِدْعَةِ التَّشْبِيهِ، الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ اللهَ تَعَالَى بِخَلْقِهِ، يَحْتَجُّونَ فِي إِثْبَاتِ نَظَرِيَّاتِهِمْ وَضَلَالَاتِهِمْ بِقَوْلِهِمْ: لِمَاذَا تَقُولُونَ: إِنَّ اللهَ لَيْسَ نَفْسًا وَلَا جِسْمًا وَقَدْ قَالَ اللهُ إِخْبَارًا عَنْ عِيسَى الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ ـ المائدة ١١٦ ـ وَمَا هَذَا إِلَّا افْتِرَاءٌ وَجَهْلٌ مُبِينٌ. فَاللهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ بِنَفْسٍ بَشَرِيَّةٍ مُجَسَّمَةٍ، فَهُوَ لَا يُشْبِهُ خَلْقَهُ، تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُفَسِّرُهُ الْجَاهِلُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا، إِذْ مَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ بَشَرِيَّةٍ فَهُوَ مُتَّصِفٌ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، قَابِلٌ لِلْفَنَاءِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ لَا يَفْنَى وَلَا يَبِيدُ، وَلَا تَجْرِي عَلَيْهِ الْحَوَادِثُ. أَمَّا مَا وَرَدَ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ ـ المائدة ١١٦ ـ

قَالَ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ مَعْنَاهُ: "تَعْلَمُ مَا أُكِنُّهُ (أَيْ أُسِرُّهُ) وَأُسِرُّهُ، وَلَا عِلْمَ لِي بِمَا تَسْتُرُهُ عَنِّي وَتُغَيِّبُهُ، وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَيْنَاهُ عَنْهُ ... فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي أَيْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ وَلَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ". الأسماء والصفات ٢٦٤

وَقَالَ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْحَدِيثِ: فَالْمُرَادُ إِنْ ذَكَرَنِي بِحَيْثُ لَا يَطَّلِعُ غَيْرُهُ عَلَى ذَلِكَ ذَكَرْتُهُ بِإِنْعَامِي وَإِحْسَانِي مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ عَبِيدِي. وَأَمَّا قَوْلُهُ: سُبْحَانَ اللَّهِ زِنَةَ عَرْشِهِ وَرِضَاءَ نَفْسِهِ فَالْمُرَادُ: مَا يَرْتَضِيهِ اللَّهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ وَلِذَاتِهِ، أَيْ تَسْبِيحًا يَلِيقُ بِهِ". أساس التقديس، ٩٣/٩٤.

ادِّعَاءُ الْبَعْضِ الصُّورَةَ لِلَّهِ تَعَالَى

مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ مَنْ كَانَتْ لَهُ صُورَةٌ فَهُوَ مُحْتَاجٌ لِمَنْ يُخَصِّصُهُ عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ، وَبِالتَّالِي فَهُوَ مَخْلُوقٌ مُحْدَثٌ قَابِلٌ لِلْفَنَاءِ، وَتَتَعَرَّضُ صُورَتُهُ إِلَى النَّمُوِّ وَالتَّغَيُّرِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ. أَمَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ، فَهُوَ لَيْسَ بِذِي صُورَةٍ، وَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْ صِفَاتِ خَلْقِهِ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُصْرَفَ ذَلِكَ الْمَعْنَى إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، وَلَا أَنْ يَكُونَ لَهُ صُورَةٌ كَخَلْقِهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ شَبَهِ الْمَخْلُوقِينَ عُلُوًّا كَبِيرًا. فَمِمَّا يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ مَعْرِفَتُهُ أَنَّ رَبَّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَيْسَ بِذِي صُورَةٍ وَلَا هَيْئَةٍ، وَلَا مِنَ الْأَنْوَاعِ وَالْأَشْكَالِ الْمَخْلُوقَةِ. فَالصُّورَةُ وَالْأَشْكَالُ وَالْهَيْئَاتُ تَقْتَضِي الْكَيْفِيَّةَ، وَهِيَ عَنِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ مَنْفِيَّةٌ. وَأَمَّا مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى صُورَةً تُشْبِهُ صُورَةَ حَضْرَةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مُحْتَجًّا بِالْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ الْمَرْوِيِّ «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ

ذِرَاعًا... ﴿الحديث - الأسماء والصفات ٢٦٩ - فَهُوَ مِمَّنْ غَفَلَ عَنْ مَعْنَى الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، وَبَعُدَ عَنْ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ. وَمَنْ يَعْتَقِدْ بِالصُّورَةِ الشَّخْصِيَّةِ وَالْجِسْمَانِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ مِمَّنْ شَارَكَ وَتَبَنَّى عَقَائِدَ النَّصَارَى الَّذِينَ يَقُولُونَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ تَجَسَّدَ فِي شَخْصِيَّةِ حَضْرَةِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيَقُومُونَ بِرَسْمِ صُورَتِهِ مِنْ نَسْجِ أَهْوَائِهِمْ وَتَخَيُّلَاتِهِمْ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْافْتِرَاءَاتِ الْكُفْرِيَّةِ، الْمُسْتَوْرَدَةِ مِنَ الْخَوَاطِرِ الشَّيْطَانِيَّةِ وَالَّتِي هِيَ عَمَّنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ مُنَزَّهٌ.

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "قَوْلُهُ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، الْهَاءُ (أَيْ فِي صُورَتِهِ) وَقَعَتْ كِنَايَةً بَيْنَ اسْمَيْنِ ظَاهِرَيْنِ فَلَمْ تَصْلُحْ أَنْ تُصْرَفَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِقِيَامِ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِذِي صُورَةٍ سُبْحَانَهُ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فَكَانَ مَرْجِعُهَا إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَالْمَعْنَى أَنَّ ذُرِّيَّةَ آدَمَ إِنَّمَا خُلِقُوا أَطْوَارًا، كَانُوا فِي مَبْدَأِ الْخِلْقَةِ نُطْفَةً، ثُمَّ عَلَقَةً، ثُمَّ مُضْغَةً، ثُمَّ صَارُوا صُوَرًا أَجِنَّةً إِلَى أَنْ تَتِمَّ مُدَّةُ الْحَمْلِ، فَيُولَدُونَ أَطْفَالًا، وَيَنْشَأُونَ صِغَارًا، إِلَى أَنْ يَكْبَرُوا فَتَطُولَ أَجْسَامُهُمْ، يَقُولُ: إِنَّ آدَمَ لَمْ يَكُنْ خَلْقُهُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، لَكِنَّهُ أَوَّلُ مَا تَنَاوَلَتْهُ الْخِلْقَةُ وُجِدَ خَلْقًا تَامًّا، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا". الاسماء والصفات ٣٧٠.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مَخْلُوقًا عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا بَعْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الْجَنَّةِ، لَمْ تُشَوَّهْ صُورَتُهُ، وَلَمْ تُغَيَّرْ خِلْقَتُهُ. وَأَمَّا الْحَدِيثُ الْمَرْوِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ﴿إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ...﴾ إِنَّمَا أَرَادَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ هَذَا الْمَضْرُوبِ". الاسماء والصفات ٣٧٠/٣٧١.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ - آل عمران ٦ -

مِمَّا وَرَدَ عَنْ وَجْهِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ

لَقَدْ مَرَقَ مِنَ ٱلدِّينِ أُلُوفٌ مِنَ ٱلْبَشَرِ بِٱدِّعَائِهِمْ أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَىٰ وَجْهًا كَوَجْهِ ٱلْإِنْسَانِ، وَشَبَّهَهُ ٱلْبَعْضُ بِوَجْهِ حَضْرَةِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. وَقَدْ غَابَ عَنْهُمْ أَنَّ ٱلْوَجْهَ عُضْوٌ مِنَ ٱلْأَعْضَاءِ ٱلْمَخْلُوقَةِ مِنَ ٱلْعَدَمِ وَٱلْقَابِلَةِ لِلْفَنَاءِ، وَكَيْفَ يَكُونُ لِلْإِلَٰهِ ٱلْعَظِيمِ ٱلْخَالِقِ وَجْهٌ كَوُجُوهِ خَلْقِهِ، وَقَدْ تَضَافَرَتِ ٱلْأَدِلَّةُ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ يَتَوَهَّمُ فِي مَعْبُودِهِ ٱلْأَعْضَاءَ فَهُوَ عَلَىٰ ٱلْوَثَنِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَإِنْ تَظَاهَرَ بِٱلِٱهْتِدَاءِ. فَمَا وَرَدَ عَنْ وَجْهِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ لَا يَجُوزُ صَرْفُهُ إِلَىٰ مَعْنَى ٱلتَّشْبِيهِ بِوُجُوهِ ٱلْمَخْلُوقَاتِ. أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ -الرحمن ٢٧- فَفِيمَا يَلِي أَقْوَالُ بَعْضِ ٱلْعُلَمَاءِ فِيهِ

قَالَ ٱبْنُ ٱلْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي دَفْعِ ٱلشَّبَهِ: قَالَ ٱلْمُفَسِّرُونَ: يَبْقَىٰ رَبُّكَ، وَكَذَا قَالُوا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، أَيْ: يُرِيدُونَهُ.

وَقَالَ ٱلضَّحَّاكُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ: "كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ"[1] أَيْ إِلَّا هُوَ.

وَقَالَ ٱبْنُ حَزْمٍ: "وَجْهُ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ إِنَّمَا يُرَادُ بِهِ ٱللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهَٰذَا هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلَّذِي قَامَ ٱلْبُرْهَانُ بِصِحَّتِهِ لِبُطْلَانِ ٱلْقَوْلِ بِٱلتَّجْسِيمِ". حاشية الأسماء والصفات ٣٨٣

وَقَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلرَّازِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "لَفْظُ ٱلْوَجْهِ قَدْ يُجْعَلُ كِنَايَةً عَنِ ٱلذَّاتِ تَارَةً، وَعَنِ ٱلرِّضَا أُخْرَىٰ... أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ فَٱلْمُرَادُ مِنْهُ ٱلذَّاتُ، وَٱلْمَقْصُودُ مِنْ ذِكْرِهِ ٱلتَّأْكِيدُ وَٱلْمُبَالَغَةُ...

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[2]، ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾[3]، ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[4] فَٱلْمُرَادُ مِنَ ٱلْكُلِّ: رِضَىٰ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ". أساس التقديس ١١٩/١٢٠.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ قَالَ: "قِبْلَةُ ٱللَّهِ، فَأَيْنَمَا كُنْتَ فِي شَرْقٍ أَوْ غَرْبٍ فَلَا تَوَجَّهَنَّ إِلَّا إِلَيْهَا". الأسماء والصفات، ٣٩١.

(١) القصص ٨٨ - (٢) البقرة ١١٥ - (٣) الإنسان ٩ - (٤) الليل ٢٠.

مِمَّا وَرَدَ عَنْ عَيْنِ اللهِ تَعَالَى

إِنَّ أَهْلَ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ وَالتَّجْسِيدِ لَا يَمُرُّونَ بِآيَةٍ مِنَ الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَاتِ إِلَّا وَضَعُوا أَمَامَهَا رِجَالَهُمْ، وَعَرَضُوا بَضَائِعَهُمُ الْفَاسِدَةَ. وَمِنْ ضَلَالَاتِهِمْ وَجَهْلِهِمْ أَنْ نَسَبُوا لِلَّهِ تَعَالَى الْجَارِحَةَ، فَقَالُوا: إِنَّ لِلَّهِ عَيْنًا كَأَعْيُنِ خَلْقِهِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لَمَا قَالَ اللهُ فِي كِتَابِهِ ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ الطور ٤٨. فَنَقُولُ لَهُمْ: لَا يَجُوزُ عَلَى اللهِ تَعَالَى مَا يَجُوزُ عَلَى خَلْقِهِ مِنَ الِاتِّصَافِ بِالْجَوَارِحِ وَالتَّعَرُّضِ لِلْآفَاتِ وَالنَّقَائِصِ. فَالْعَيْنُ الْمَخْلُوقَةُ قَدْ تَفْقِدُ النَّظَرَ تَارَةً، وَتَسْتَعِيدُهُ تَارَةً أُخْرَى، ثُمَّ إِنَّ قُدْرَتَهَا مَحْدُودَةٌ ضِمْنَ أَبْعَادٍ وَقِيَاسَاتٍ مُعَيَّنَةٍ. فَهِيَ عَاجِزَةٌ عَنْ رُؤْيَةِ مَا يَجْرِي فِي قَاعِ الْبِحَارِ أَوْ فَوْقَ السَّمَوَاتِ، وَلَا تُبْصِرُ الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَهُوَ ذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى.

أَمَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَبَصِيرٌ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ، أَحْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، حَيَاتِهِمْ وَمَمَاتِهِمْ، أَرْزَاقِهِمْ وَأَمْرَاضِهِمْ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ خَافِيَةٌ. وَلَا يَظُنَّنَّ أَحَدٌ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَرَى كَمَا تَرَى مَخْلُوقَاتُهُ، وَأَنَّ رُؤْيَتَهُ تَقْتَصِرُ عَلَى جِهَةٍ دُونَ أُخْرَى.

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ اللهُ: "لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَصِفَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّ لَهُ عَيْنَيْنِ، لِأَنَّ النَّصَّ لَمْ يَأْتِ بِذَلِكَ". حاشية الأسماء والصفات.

وَقَالَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ بْنُ عَرَبِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "وَأَمَّا نِسْبَةُ الْعَيْنِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فَهِيَ اسْمٌ لِآيَاتِهِ الْمُبْصِرَةِ، فَنِسْبَةُ الْبَصَرِ لِلْآيَاتِ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ تَحْقِيقًا، لِأَنَّهَا الْمُرَادُ بِالْعَيْنِ الْمَنْسُوبَةِ إِلَيْهِ... وَعَلَى هَذَا يُنْزَلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أَيْ بِآيَاتِنَا". رد معاني الآيات المتشابهات.

وَقَدْ أَشَارَ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى أَنَّ الْجَمْعَ فِيهَا (يَعْنِي بِقَوْلِ اللهِ: بِأَعْيُنِنَا) عَلَى مَعْنَى التَّعْظِيمِ. الأسماء والصفات ٢٩٦.

وَفِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ طه ٣٩.

قَالَ الْقَفَّالُ: "وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي أَيْ عَلَى وَفْقِ

إِرَادَتِي - وَقِيلَ: الْمُرَادُ مِنَ الْعَيْنِ: الْعِلْمُ، أَيْ تَرَى عَلَى عِلْمٍ مِنِّي". تفسير الفخر الرازي ٢٢/٥٣-٥٤.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُخَاطِبًا حَضْرَةَ نُوحٍ ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ هود ٣٧

قَالَ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إِنَّ مَعْنَى بِأَعْيُنِنَا أَيْ بِعَيْنِ الْمَلَكِ الَّذِي كَانَ يُعَرِّفُهُ كَيْفَ يَتَّخِذُ السَّفِينَةَ... وَقَالَ الْمُفَسِّرُونَ: مَعْنَاهُ بِحِفْظِنَا إِيَّاكَ حِفْظَ مَنْ يَرَاكَ وَيَمْلِكُ دَفْعَ السُّوءِ عَنْكَ". تفسير الفخر الرازي ١٧/٢٦.

وَقَالَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ بْنُ عَرَبِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "قَالَ تَعَالَى فِي سَفِينَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا أَيْ بِآيَاتِنَا. بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا - هود ٤١

وَقَالَ تَعَالَى فِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ طه ٣٩.

أَيْ عَلَى حُكْمِ آيَتِي الَّتِي أَوْحَيْتُهَا إِلَى أُمِّكَ ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ القصص ٧. رد معاني الآيات المتشابهات ٢٢.

مِمَّا وَرَدَ عَنْ نَظَرِ اللَّهِ تَعَالَى

اشْتَبَهَ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ لَيْسَ لَهُمْ عِلْمٌ وَلَا مَعْرِفَةٌ فِي فَنِّ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَفَهْمِهَا، فَذَهَبُوا إِلَى حَمْلِ مَعْنَى قَوْلِ حَضْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: الْمُسْبِلُ إِزَارَهُ، وَالْمَنَّانُ الَّذِي لَا يُعْطِي شَيْئًا إِلَّا مَنَّهُ، وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ﴾ رواه الإمام أحمد ومسلم، الفتح الكبير ٢/٥٠٣ - عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهِ، فَظَنُّوا أَنَّ النَّظَرَ الْمُرَادَ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى كَنَظَرِ الْإِنْسَانِ إِلَى الْأَشْيَاءِ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا. وَفِي تَفْسِيرِ مَعْنَاهُ

قَالَ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَيْ لَا يَرْحَمُهُمْ، وَالنَّظَرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ رَحْمَتُهُ لَهُمْ، وَرَأْفَتُهُ بِهِمْ، وَعَائِدَتُهُ عَلَيْهِمْ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ

ٱلْقَائِلِ: ٱنْظُرْ إِلَيَّ نَظَرَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ، أَيْ: ٱرْحَمْنِي رَحِمَكَ ٱللَّهُ" الأسماء والصفات ٦٠٧/٦٠٨-
وَلَيْسَ ٱلْمَقْصُودُ أَنَّ رَحْمَةَ ٱلْعَبْدِ هِيَ كَرَحْمَةِ رَبِّهِ إِنَّمَا مَعْنَاهَا: ٱعْفُ عَنِّي عَفَا ٱللَّهُ عَنْكَ
قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا
أُولَٰئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ -آل عمران ٧٧-
قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلرَّازِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "قَالَ ٱلْقَفَّالُ: ٱلْمَقْصُودُ مِنْ كُلِّ هَٰذِهِ
ٱلْكَلِمَاتِ بَيَانُ شِدَّةِ سَخَطِ ٱللَّهِ عَلَيْهِمْ ... وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: ... وَلَا يُكَلِّمُ
هَٰؤُلَاءِ ٱلْكَفَرَةَ وَٱلْفُسَّاقَ، وَتَكُونُ ٱلْمُحَاسَبَةُ مَعَهُمْ بِكَلَامِ ٱلْمَلَائِكَةِ،
وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: مَعْنَىٰ هَٰذِهِ ٱلْآيَةِ أَنَّهُ تَعَالَىٰ لَا يُكَلِّمُهُمْ بِكَلَامٍ يَسُرُّهُمْ وَيَنْفَعُهُمْ.
وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ، فَٱلْمُرَادُ أَنَّهُ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ بِٱلْإِحْسَانِ ... وَلَا
يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ٱلْمُرَادُ مِنْ هَٰذَا ٱلنَّظَرِ ٱلرُّؤْيَةَ، لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ يَرَاهُمْ كَمَا يَرَىٰ غَيْرَهُمْ،
وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ٱلْمُرَادُ مِنَ ٱلنَّظَرِ تَقْلِيبَ ٱلْحَدَقَةِ (أَيْ سَوَادَ ٱلْعَيْنِ) إِلَىٰ جَانِبِ
ٱلْمَرْئِيِّ ٱلْتِمَاسًا لِرُؤْيَتِهِ لِأَنَّ هَٰذَا مِنْ صِفَاتِ ٱلْأَجْسَامِ، وَتَعَالَىٰ إِلَٰهُنَا عَنْ
أَنْ يَكُونَ جِسْمًا" - تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ٨/١١٣

مِمَّا وَرَدَ عَنْ قَدَمِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ

أَشْتَبَهَ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ ضُعَفَاءِ ٱلْإِدْرَاكِ
مَا وَرَدَ عَنْ حَضْرَةِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ
رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
﴿ لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَىٰ فِيهَا وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّىٰ يَضَعَ
فِيهَا رَبُّ ٱلْعِزَّةِ قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَطِ قَطِ ﴾
- رواه الامام أحمد والبخاري ومسلم، الفتح الكبير ٢/٢٤١- فَفَهِمَ بَعْضُ أَصْحَابِ
ٱلْعُقُولِ ٱلْقَاصِرَةِ مِنْهُ أَنَّ لِلَّهِ قَدَمًا كَأَقْدَامِ خَلْقِهِ بِمَعْنَى ٱلْجَارِحَةِ
تَعَالَى ٱللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا. فَٱللَّهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنِ
ٱلْأَقْدَامِ وَٱلْجَوَارِحِ وَٱلْأَعْضَاءِ وَٱلْهَيْئَاتِ وَٱلْأَشْبَاهِ وَٱلْأَجْسَامِ
وَمَنْ كَانَ لَهُ قَدَمٌ يَجْرِي فِيهَا ٱلدَّمُ، وَفِيهَا عُرُوقٌ وَعِظَامٌ، فَهُوَ

مَخْلُوقٌ مُعَرَّضٌ لِلْمَهَالِكِ، وَيَسْتَحِيلُ فِي حَقِّ اللَّهِ تِلْكَ الْمَسَالِكُ، الَّتِي تُؤَدِّي بِمُعْتَنِقِهَا إِلَى أَخْطَرِ الْمَزَالِقِ. أَمَّا مَعْنَى الْقَدَمِ الْوَارِدَةِ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، فَقَدْ

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وَذِكْرُ الْقَدَمِ هُنَا يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ مَنْ قَدَّمَهُمُ اللَّهُ لِلنَّارِ مِنْ أَهْلِهَا، فَيَقَعُ بِهِمُ اسْتِيفَاءُ عَدَدِ أَهْلِ النَّارِ. وَكُلُّ شَيْءٍ قَدَّمْتَهُ فَهُوَ قَدَمٌ، كَمَا قِيلَ لِمَا هَدَمْتَهُ هَدْمٌ، وَلِمَا قَبَضْتَهُ قَبْضٌ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ -يونس ٢- أَيْ: مَا قَدَّمُوهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ"...

وَعَنِ النَّضْرِ بْنِ شُمَيْلٍ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ حَتَّى يَضَعَ الْجَبَّارُ قَدَمَهُ ﷺ "أَيْ مَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ... وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرُ وَهُوَ أَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ مِثَالٌ يُرَادُ بِهَا إِثْبَاتُ مَعَانٍ لَا حَظَّ لِظَاهِرِ الْأَسْمَاءِ فِيهَا مِنْ طَرِيقِ الْحَقِيقَةِ، وَإِنَّمَا أُرِيدَ بِوَضْعِ الرِّجْلِ عَلَيْهَا نَوْعٌ مِنَ الزَّجْرِ لَهَا وَالتَّسْكِينِ مِنْ غَرْبِهَا. (أَيْ مِنْ حِدَّتِهَا)" -الأسماء والصفات ٤٤٤/٢- وَفِي الْفَائِقِ: "وَضْعُ الْقَدَمِ عَلَى الشَّيْءِ مَثَلٌ لِلرَّدْعِ وَالْقَمْعِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: يَأْتِيهَا أَمْرُ اللَّهِ فَيَكُفُّهَا عَنْ طَلَبِ الْمَزِيدِ فَتَرْتَدِعُ" -هامش الأسماء والصفات ٤٤٥-

مِمَّا وَرَدَ عَنْ سَاقِ اللَّهِ تَعَالَى

تَخَيَّلَ الْبَعْضُ مِمَّنْ طَغَى عَلَيْهِمُ الْجَهْلُ أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى سَاقًا بِمَعْنَى الْجَارِحَةِ (أَيِ الْعُضْوِ كَالْيَدِ وَالرِّجْلِ) مُسْتَدِلِّينَ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ -القلم ٤٢- وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِمَّنْ ضَاعَ صَوَابُهُ، وَفَقَدَ رُشْدَهُ بِحَمْلِ السَّاقِ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَلَى مَعْنَى الْجَارِحَةِ.

قَالَ حَضْرَةُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي تَفْسِيرِ مَعْنَى السَّاقِ: "حِينَ يُكْشَفُ الْأَمْرُ وَتَبْدُو الْأَعْمَالُ، وَكَشْفُهُ: دُخُولُ الْآخِرَةِ وَكَشْفُ الْأَمْرِ عَنْهُ" -الأسماء والصفات ٤٢٨-.

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ

مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ ﴾ أَيْ عَنْ قُدْرَتِهِ الَّتِي تَنْكَشِفُ عَنِ الشِّدَّةِ وَالْمَعَرَّةِ". (أَيْ عَدَمِ الْمَسَرَّةِ) ـ الأسماء والصفات ٤٣٦ـ

وَقَالَ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "فِي تَفْسِيرِ السَّاقِ وُجُوهٌ: مِنْهَا أَنَّهُ الشِّدَّةُ، وَرُوِيَ أَنَّهُ سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ: ... هُوَ كَرْبٌ وَشِدَّةٌ، وَرَوَىٰ مُجَاهِدٌ عَنْهُ قَالَ: هُوَ أَشَدُّ سَاعَةٍ فِي الْقِيَامَةِ... فَمَعْنَىٰ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَىٰ: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، يَوْمَ يَشْتَدُّ الْأَمْرُ وَيَتَفَاقَمُ (أَيْ يَعْظُمُ) وَلَا كَشْفَ ثَمَّ وَلَا سَاقَ". تفسير الفخر الرازي ٣٠/٩٤. أَيْ لَيْسَ هُنَاكَ كَشْفٌ عَنْ سَاقٍ وَلَا حَتَّىٰ سَاقٌ، إِنَّمَا هُوَ تَعْبِيرٌ وَتَصْوِيرٌ لِهَوْلِ وَشِدَّةِ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ سَاقٌ، لِأَنَّ مَنْ لَهُ سَاقٌ كَالْخَلْقِ فَهُوَ مُحْدَثٌ مَخْلُوقٌ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنْ تِلْكَ النَّقِيصَةِ.

مِمَّا وَرَدَ عَنْ يَدِ اللَّهِ تَعَالَىٰ

وَرَدَتْ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ فِيهَا ذِكْرٌ لِلْيَدِ كَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا ﴾ يس ٧١ـ ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ ص ٧٥ـ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ الفتح ١٠ـ ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ المائدة ٦٤ـ وَغَيْرِهَا مِنَ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ وَالْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ، وَجَدَ فِيهَا الْمُبْتَدِعَةُ وَالْمُشَبِّهَةُ مَيْدَانًا خِصْبًا لِلِافْتِرَاءِ وَلِتَشْبِيهِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِخَلْقِهِ. فَمِنْ قَائِلٍ إِنَّ يَدَيْهِ كَأَيْدِينَا إِلَّا أَنَّهَا أَعْظَمُ وَأَقْوَىٰ ... وَمِنْ قَائِلٍ إِنَّ لِلَّهِ يَدًا نُورَانِيَّةً ... وَغَيْرُ ذَٰلِكَ مِنَ الِافْتِرَاءَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْجَهْلِ بِمَا لَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ. فَيَجِبُ الْعِلْمُ أَوَّلًا وَآخِرًا أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ يَتَّصِفَ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ أَوْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَبِيهٌ أَوْ شَرِيكٌ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَٰلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

لِذٰلِكَ فَإِنَّنَا سَنُحَاوِلُ أَنْ نَبْسُطَ الْمَسْأَلَةَ عَلَىٰ ضَوْءِ مَا قَرَّرَهُ عُلَمَاؤُنَا الْأَفَاضِلُ لِيَتَمَيَّزَ الْخَبِيثُ مِنَ الطَّيِّبِ، فَسَنَعْرِضُ أَوَّلًا أَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ فِي تَفْسِيرِ الْيَدِ، ثُمَّ نَذْكُرُ تَفَاسِيرَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ بِنَاءً عَلَىٰ هٰذِهِ الْأَقْوَالِ.

قَوْلُ بَعْضِ حَضَرَاتِ الْعُلَمَاءِ فِي مَعْنَىٰ يَدِ اللّٰهِ

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ: وَلَيْسَ مَعْنَى الْيَدِ عِنْدَنَا الْجَارِحَةَ، إِنَّمَا هُوَ صِفَةٌ جَاءَ بِهَا التَّوْقِيفُ، فَنَحْنُ نُطْلِقُهَا عَلَىٰ مَا جَاءَتْ وَلَا نُكَيِّفُهَا، وَنَنْتَهِي إِلَىٰ حَيْثُ انْتَهَىٰ بِنَا الْكِتَابُ وَالْأَخْبَارُ الْمَأْثُورَةُ الصَّحِيحَةُ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. ـ الأسماء والصفات، ٤١٩ـ

وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ فِي "الْقَوَاصِمِ وَالْعَوَاصِمِ": "قَالَ عُلَمَاؤُنَا الْمُتَقَدِّمُونَ: إِنَّ الْيَدَيْنِ صِفَةٌ ثَابِتَةٌ فِي الْقُرْآنِ لَيْسَ لَهَا كَيْفِيَّةٌ، وَحَمَلَهَا الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْ أَصْحَابِنَا عَلَى الْقُدْرَةِ". ـ هامش الاسماء والصفات ٢٩٩ـ

وَقَالَ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ: يَدُ اللّٰهِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ، كَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَالْوَجْهِ... وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِصِفَاتِهِ، فَعَلَى الْعِبَادِ فِيهَا الْإِيمَانُ وَالتَّسْلِيمُ وَقَالَ أَئِمَّةُ السَّلَفِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي هٰذِهِ الصِّفَاتِ: أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ". معالم التنزيل ٤٧٣/٤ـ

وَقَالَ الْإِمَامُ الْخَازِنُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ: "قَوْلُ جُمْهُورِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَأَهْلِ التَّأْوِيلِ فَإِنَّهُمْ قَالُوا: الْيَدُ تُذْكَرُ فِي اللُّغَةِ عَلَى وُجُوهٍ، أَحَدُهَا الْجَارِحَةُ... النِّعْمَةُ... الْقُدْرَةُ... الْمُلْكُ... أَمَّا الْجَارِحَةُ فَمُنْتَفِيَةٌ فِي صِفَةِ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِأَنَّ الْعَقْلَ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ يَمْتَنِعُ أَنْ تَكُونَ يَدُ اللّٰهِ عِبَارَةً عَنْ جِسْمٍ مَخْصُوصٍ وَعُضْوٍ مُرَكَّبٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ وَالْأَبْعَاضِ (جَمْعُ بَعْضٍ، وَبَعْضُ الشَّيْءِ: جُزْءٌ أَوْ قِسْمٌ مِنْهُ) تَعَالَى اللّٰهُ عَنِ الْجِسْمِيَّةِ وَالْكَيْفِيَّةِ وَالتَّشْبِيهِ عُلُوًّا كَبِيرًا، فَامْتَنَعَ بِذٰلِكَ أَنْ تَكُونَ يَدُ اللّٰهِ بِمَعْنَى الْجَارِحَةِ. وَأَمَّا سَائِرُ الْمَعَانِي الَّتِي فُسِّرَتِ الْيَدُ بِهَا فَحَاصِلَةٌ، لِأَنَّ أَكْثَرَ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ زَعَمُوا (أَيْ ذَهَبُوا إِلَىٰ) أَنَّ الْيَدَ فِي حَقِّ اللّٰهِ عِبَارَةٌ عَنِ الْقُدْرَةِ، وَعَنِ الْمُلْكِ، وَعَنِ النِّعْمَةِ". ـ تفسير الخازن ٧٠/٤ـ

أَقْوَالُ ٱلْعُلَمَاءِ فِي مَعْنَى ٱلْيَدِ ٱلْوَارِدَةِ فِي بَعْضِ ٱلْآيَاتِ

قَوْلُ ٱللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾ [يس: ٧١]

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلرَّازِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ ٱلْآيَةِ ٱلْكَرِيمَةِ: "مَا عَمِلْنَاهُ مِنْ غَيْرِ مُعِينٍ وَلَا ظَهِيرٍ، بَلْ عَمِلْنَاهُ بِقُدْرَتِنَا وَإِرَادَتِنَا". تفسير الفخر الرازي ٢٦/١٠٦.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلْخَازِنُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "أَيْ تَوَلَّيْتُ خَلْقَهُ". تفسير الخازن ٦/٦٥.

وَقَالَ أَبُو حَيَّانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي مَعْنَى ٱلْيَدَيْنِ: "عِبَارَةٌ عَنِ ٱلْقُدْرَةِ وَٱلْقُوَّةِ، وَعَبَّرَ بِٱلْيَدِ إِذْ كَانَ عِنْدَ ٱلْبَشَرِ مُعْتَادًا أَنَّ ٱلْبَطْشَ وَٱلْقُوَّةَ بِٱلْيَدِ". تفسير البحر المحيط.

وَقَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلرَّازِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي مَعْنَى ٱلْيَدَيْنِ: "لِلْعُلَمَاءِ فِيهِ قَوْلَانِ:

- ٱلْأَوَّلُ: إِنَّ ٱلْيَدَيْنِ صِفَتَانِ قَائِمَتَانِ بِذَاتِ ٱللَّهِ تَعَالَى يَحْصُلُ بِهِمَا ٱلتَّخَلُّقُ (أَيِ ٱلْخُلُقُ ٱلتَّامُّ) عَلَى وَجْهِ ٱلتَّكْرِيمِ وَٱلِٱصْطِفَاءِ كَمَا فِي حَقِّ آدَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ
- ٱلثَّانِي: إِنَّ ٱلْيَدَ هَهُنَا هِيَ ٱلْقُدْرَةُ ...". أساس التقديس، الرازي ١٤٧.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلرَّازِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ أَيْ نُصْرَتُهُ إِيَّاهُمْ أَقْوَى وَأَعْلَى مِنْ نُصْرَتِهِمْ إِيَّاهُ". تفسير الفخر الرازي، ٢٨/٨٧.

قَالَ حَضْرَةُ ٱبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: "يَدُ ٱللَّهِ بِٱلْوَفَاءِ لِمَا وَعَدَهُمْ مِنَ ٱلْخَيْرِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ".

وَقَالَ ٱلْكَلْبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "نِعْمَةُ ٱللَّهِ عَلَيْهِمْ فِي ٱلْهِدَايَةِ فَوْقَ مَا صَنَعُوا مِنَ ٱلْبَيْعَةِ". معالم التنزيل في التفسير والتأويل ٥/١٦٩.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلْبَغَوِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ وَعِكْرِمَةُ وَٱلضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ قَدْ بَسَطَ

الرِّزْقَ عَلَى الْيَهُودِ حَتَّى كَانُوا مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ مَالاً، وَأَخْصَبِهِمْ نَاحِيَةً، فَلَمَّا عَصَوُا اللَّهَ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ وَكَذَّبُوا بِهِ، كَفَّ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا بَسَطَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّعَةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ فِنْحَاصُ بْنُ عَازُورَاءَ: يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ، أَيْ مَحْبُوسَةٌ، مَقْبُوضَةٌ مِنَ الرِّزْقِ، نَسَبُوهُ إِلَى الْبُخْلِ ... فَلَمَّا لَمْ يَنْهَهُ الْآخَرُونَ وَرَضُوا بِقَوْلِهِ، أَشْرَكَهُمُ اللَّهُ فِيهَا". ـ معالم التنزيل ٤/٣٣

وَقَالَ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إِنَّ الْقَوْمَ جَعَلُوا قَوْلَهُمْ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ كِنَايَةً عَنِ الْبُخْلِ، فَأُجِيبُوا عَلَى وَفْقِ كَلَامِهِمْ، فَقِيلَ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ، أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا وَصَفْتُمُوهُ بِهِ مِنَ الْبُخْلِ، بَلْ هُوَ جَوَادٌ عَلَى سَبِيلِ الْكَمَالِ ... فَقِيلَ: نِعْمَتَاهُ، نِعْمَةُ الدِّينِ وَنِعْمَةُ الدُّنْيَا، أَوْ نِعْمَةُ الظَّاهِرِ وَنِعْمَةُ الْبَاطِنِ، أَوْ نِعْمَةُ النَّفْعِ وَنِعْمَةُ الدَّفْعِ، أَوْ نِعْمَةُ الشِّدَّةِ وَنِعْمَةُ الرَّخَاءِ". ـ تفسير الفخر الرازي ١٢/٤٦ ـ

فَلْيَنْظُرِ الْمُسْلِمُ الْخَائِفُ مِنْ رَبِّهِ كَيْفَ أَنَّ هَذَا الْيَهُودِيَّ كَانَ يَتَقَلَّبُ بِنَعِيمِ اللَّهِ وَرِزْقِهِ، فَابْتَلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى جَزَاءَ افْتِرَائِهِ وَتَكْذِيبِهِ لِنُبُوَّةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، فَحَرَمَهُ وَقَوْمَهُ مِنَ النَّعِيمِ. نَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ، أَنْ يَرْزُقَنَا مَحَبَّتَهُ وَمَحَبَّةَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَحَبَّةَ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ الصَّالِحِينَ.

قَوْلُ الْإِمَامِ الرَّازِيِّ فِي مَعْنَى الْيَدِ الْوَارِدَةِ فِي الْحَدِيثِ

قَالَ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ يَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ الْبَاقِي فَيَبْسُطُ يَدَهُ، فَالْمُرَادُ، إِفَاضَةُ النِّعْمَةِ، وَإِيصَالُ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ إِلَى الْمُحْتَاجِينَ.

• وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: الصَّدَقَةُ تَقَعُ فِي يَدِ الرَّحْمَنِ، فَالْمُرَادُ مِنْهُ: شِدَّةُ الْعِنَايَةِ لِقَبُولِ تِلْكَ الصَّدَقَاتِ وَتَكْثِيرِ الثَّوَابِ عَلَيْهِ.

• وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، فَالْمُرَادُ بِالْيَدِ هُنَا: الْقُدْرَةُ". ـ أساس التقديس في علم الكلام ١٢٩ ـ

مِمَّا وَرَدَ عَنْ يَمِينِ اللَّهِ تَعَالَى

وَرَدَ فِي حَدِيثٍ لِحَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ قَوْلُهُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ﴾ فَظَنَّ أَصْحَابُ الْعُقُولِ الْمُتَحَجِّرَةِ أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى يَدًا بِمَعْنَى الْجَارِحَةِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ لِلْإِنْسَانِ مِنَ الْعَدَمِ، وَذَلِكَ لِيَسْتَعْمِلَهَا فِي قَضَاءِ مَآرِبَ كَثِيرَةٍ وَحَاجَاتٍ جَمَّةٍ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ وَلَا شَبِيهٌ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ يَدٌ جِسْمَانِيَّةٌ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ خَالِقُ الْأَجْسَامِ وَالْأَجْسَادِ؟ وَإِنَّمَا أَرَادَ حَضْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ ﴿كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ﴾ التَّمَامَ وَالْكَمَالَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ الْفَرَّاءُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَعْنَى الْيَمِينِ: الْقُوَّةُ وَالْقُدْرَةُ. (الأسماء والصفات ٤١٨)

وَقَالَ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ يُرِيدُ بِهِ: ذَاهِبَاتٌ بِقَسَمِهِ، أَيْ أَقْسَمَ لَيُفْنِيَنَّهَا وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ أَيْ بِالْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ، أَيْ أَخَذْنَا قُدْرَتَهُ وَقُوَّتَهُ. وَقَالَ ابْنُ عَرَفَةَ: أَيْ لَأَخَذْنَا بِيَمِينِهِ، فَمَعْنَاهُ التَّصَرُّفُ".

(١) الزمر ٦٧ - (٢) الحاقة ٤٥.

مِمَّا وَرَدَ عَنْ سَاعِدِ اللَّهِ تَعَالَى

عَنْ أَبِي إِسْحَقَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْأَحْوَصِ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا قَشْفُ الْهَيْئَةِ (أَيْ بِهَيْئَةٍ رَثَّةٍ سَيِّئَةٍ) فَقَالَ: هَلْ لَكَ مَالٌ؟ قَالَ: قُلْتُ نَعَمْ. قَالَ: مِنْ أَيِّ الْمَالِ؟ قَالَ: قُلْتُ مِنْ كُلِّ الْمَالِ، مِنَ الْإِبِلِ وَالرَّقِيقِ وَالْخَيْلِ وَالْغَنَمِ، فَقَالَ: إِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالًا فَلْيُرَ عَلَيْكَ. ثُمَّ قَالَ: هَلْ تُنْتِجُ إِبِلُ قَوْمِكَ صِحَاحًا آذَانُهَا فَتَعْمِدُ إِلَى مُوسَى فَتَقْطَعُ آذَانَهَا، فَتَقُولُ: هَذِهِ بَحْرٌ (أَيْ مَشْقُوقَةُ الْأُذُنِ) وَتَشُقُّهَا، أَوْ تَشُقُّ جُلُودَهَا وَتَقُولُ: هَذِهِ صُرُمٌ (أَيْ مَقْطُوعَةٌ) وَتُحَرِّمُهَا عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِكَ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّ مَا آتَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكَ، وَسَاعِدُ اللَّهِ أَشَدُّ وَمُوسَى اللَّهِ أَحَدُّ، وَرُبَّمَا قَالَ: سَاعِدُ اللَّهِ أَشَدُّ

مِنْ سَاعِدِكَ ، وَمُوسَى ٱللَّهِ أَحَدُّ مِنْ مُوسَاكَ . قَالَ : فَقُلْتُ يَا رَسُولَ ٱللَّهِ أَرَأَيْتَ رَجُلًا نَزَلْتُ بِهِ فَلَمْ يُكْرِمْنِي وَلَمْ يُقْرِنِي ثُمَّ نَزَلَ بِي ، أَجْزِهِ بِمَا صَنَعَ أَمْ أَقْرِبِهِ؟ قَالَ : إِقْرِهِ . (أَيْ أَضِفْهُ) - مسند الامام أحمد بن حنبل ، ٣ / ٤٧٣ -

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلْبَيْهَقِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : "قَالَ بَعْضُ أَهْلِ ٱلنَّظَرِ فِي قَوْلِهِ سَاعِدُ ٱللَّهِ أَشَدُّ مِنْ سَاعِدِكَ ، مَعْنَاهُ : أَمْرُهُ أَنْفَذُ مِنْ أَمْرِكَ ، وَقُدْرَتُهُ أَتَمُّ مِنْ قُدْرَتِكَ ... يُوَضِّحُ ذَٰلِكَ قَوْلُهُ : وَمُوسَاهُ أَحَدُّ مِنْ مُوسَاكَ يَعْنِي قَطْعُهُ أَسْرَعُ مِنْ قَطْعِكَ ، فَعَبَّرَ عَنِ ٱلْقَطْعِ بِٱلْمُوسَى لَمَّا كَانَ سَبَبًا عَلَى مَذْهَبِ ٱلْعَرَبِ فِي تَسْمِيَةِ ٱلشَّيْءِ بِٱسْمِ مَا يُجَاوِرُهُ ، وَيَقْرُبُ مِنْهُ ، وَيَتَعَلَّقُ بِهِ" - الأسماء والصفات - ٤٣١/٤٣٢

مِمَّا وَرَدَ عَنْ كَفِّ ٱلرَّحْمَٰنِ

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلرَّازِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : "هَٰذَا ٱللَّفْظُ غَيْرُ وَارِدٍ فِي ٱلْقُرْآنِ ، لَٰكِنَّهُ مَذْكُورٌ فِي ٱلْخَبَرِ ... فَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ زِيَادَةِ ٱلِٱهْتِمَامِ بِذَٰلِكَ ٱلْفِعْلِ وَقُوَّةِ ٱلْعِنَايَةِ بِهِ" - أساس التقديس في علم الكلام ١٣٤/١٣٥

وَقَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلْبَيْهَقِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : "مَعْنَاهُ عِنْدَ أَهْلِ ٱلنَّظَرِ : فِي مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ" - الأسماء والصفات - ٤٨٩

مِمَّا وَرَدَ عَنْ قَبْضَةِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلْبَيْهَقِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : "ٱلنَّاسُ يَقُولُونَ ٱلْأَشْيَاءُ فِي قَبْضَةِ ٱللَّهِ ، يُرِيدُونَ فِي مُلْكِهِ وَقُدْرَتِهِ ، وَقَدْ يَكُونُ بِمَعْنَىٰ إِفْنَاءِ ٱلشَّيْءِ وَإِذْهَابِهِ ، يُقَالُ : فُلَانٌ قَبَضَهُ ٱللَّهُ بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ أَفْنَاهُ وَأَذْهَبَهُ مِنْ دَارِ ٱلدُّنْيَا . فَقَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ - الزمر ٦٧ - يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ٱلْمُرَادُ بِهِ : وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا ذَاهِبَةٌ فَانِيَةٌ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، بِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ إِفْنَائِهَا" - الأسماء والصفات ، البيهقي ٤١٨ -.

مِمَّا وَرَدَ عَنْ أَصَابِعِ اللهِ تَعَالَى

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عِنْدَمَا يَقْرَؤُونَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ شَاءَ ﴾ - رواه الإمام أحمد ومسلم، الفتح الكبير -

يَقُومُونَ بِتَفْسِيرِ الْحَدِيثِ حَسَبَ مَا تُمْلِيهِ عَلَيْهِمْ أَهْوَاؤُهُمْ، فَيَظُنُّونَ أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى أَصَابِعَ مُحْدَثَةً كَأَصَابِعِ الْإِنْسَانِ، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ، فَيَسْتَحِقُّونَ بِذَلِكَ عَذَابَ الْجَحِيمِ لِوُقُوعِهِمْ فِي التَّشْبِيهِ وَالتَّشْخِيصِ. فَاللهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنِ الْأَجْسَامِ وَالْمُحْدَثَاتِ. وَمِنَ الْمَعْرُوفِ أَنَّ الْأَصَابِعَ تَكُونُ أَعْضَاءً مُرَكَّبَةً مِنْ لَحْمٍ وَعَظْمٍ وَأَعْصَابٍ، وَتَشْتَمِلُ عَلَى الْأَنَامِلِ وَالْأَظَافِرِ، وَهِيَ نَابِتَةٌ فِي الْكَفِّ، مَخْلُوقَةٌ مُحْدَثَةٌ قَابِلَةٌ لِلْفَنَاءِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنِ التَّرْكِيبِ وَالْجَوَارِحِ. فَلَا يَجُوزُ فَهْمُ الْحَدِيثِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، بَلْ يَجِبُ تَأْوِيلُهُ بِمَا يَلِيقُ بِصِفَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَنْزِيهِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ صِفَاتِ خَلْقِهِ وَأَفْعَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَشْكَالِهِمْ وَجَوَارِحِهِمْ.

قَالَ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "إِنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: إِظْهَارُ قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى وَعِظَمِ شَأْنِهِ". الأسماء والصفات ٤٦٣.

وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "مَعْنَاهُ، تَحْتَ قُدْرَتِهِ وَمُلْكِهِ ... وَيُحْتَمَلُ أَنَّهَا بَيْنَ نِعْمَتَيِ النَّفْعِ وَالدَّفْعِ. أَوْ بَيْنَ أَثَرَيْهِ فِي الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ". الأسماء والصفات، البيهقي ٤٦٨/ ٤٦٩.

وَمَعْنَى، بَيْنَ أَثَرَيْهِ فِي الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ أَيِ الْأُمُورُ الْحَاصِلَةُ بِفَضْلِهِ وَالْأُمُورُ الْحَاصِلَةُ بِعَدْلِهِ.

فَطَالِبُ النَّجَاةِ، وَصَاحِبُ الْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ، وَمَنْ أَنَارَ اللهُ قَلْبَهُ بِالْهِدَايَةِ الْحَقَّةِ، يُعِينُهُ اللهُ تَعَالَى لِلتَّغَلُّبِ عَلَى تِلْكَ الْمَفَاسِدِ الْعَقَائِدِيَّةِ. فَلَا يَسْتَطِيعُ إِفْسَادَ عَقِيدَتِهِ مُنْحَرِفٌ أَوْ مُنْجَرِفٌ؛ لِأَنَّ النُّورَ إِذَا دَخَلَ قَلْبَ الْعَبْدِ أَخْرَجَ مِنْهُ وَسَاوِسَ الْكُفْرِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾ - الرعد ١٦ -

مِمَّا وَرَدَ عَنْ مُصَافَحَةِ اللهِ تَعَالَى

إِنَّ الْبَعْضَ عِنْدَ قِرَاءَتِهِمْ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيُخَاصِرُ رَبَّهُ مُخَاصَرَةً ... ﴾ الْحَدِيثَ (وَخَاصَرَهُ أَيْ أَخَذَ بِيَدِهِ فِي الْمَشْيِ)، يَظُنُّونَ أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى يَدًا يُصَافِحُ بِهَا عِبَادَهُ، كَمَا يُصَافِحُ الْمَرْءُ صَاحِبَهُ، تَعَالَى اللهُ عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ عُلُوًّا كَبِيرًا. فَاللهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْمَاسَّةِ، فَهُوَ لَيْسَ بِجِسْمٍ، وَلَيْسَتْ يَدُهُ بِجَارِحَةٍ. فَيَجِبُ عَلَيْنَا عِنْدَ قِرَاءَتِنَا لِمِثْلِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْمُتَشَابِهَةِ أَنْ نَتَوَقَّفَ عَنْ تَفْسِيرِهَا بِحَسَبِ آرَائِنَا وَعُقُولِنَا، وَأَنْ نُنَزِّهَ اللهَ تَعَالَى عَنْ صِفَاتِ الْمُحْدَثِينَ، وَنَنْفِيَ بِحَقِّهِ الْكَيْفَ وَالتَّشْبِيهَ. وَمِمَّا وَرَدَ فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْحَدِيثِ،

﴿ قَوْلُ الْإِمَامِ الْبَيْهَقِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ﴾: الْحَدِيثُ مَحْمُولٌ عَلَى مُخَاصَرَتِهِ مَلَائِكَةَ رَبِّهِ أَوْ نِعْمَةَ رَبِّهِ. وَالْمُخَاصَرَةُ: الْمُصَافَحَةُ، وَقَدْ مَضَى فِي الرُّكْنِ أَنَّهُ يَمِينُ اللهِ تَعَالَى الَّتِي يُصَافِحُ بِهَا خَلْقَهُ، فَلَا يُنْكَرُ أَنْ يَكُونَ فِي الْآخِرَةِ لِلْعَرْشِ أَوْ غَيْرِهِ رُكْنٌ أَوْ شَيْءٌ يُصَافِحُهُ عِبَادُ اللهِ تَعَالَى، كَمَا يُصَافِحُونَ الرُّكْنَ فِي الدُّنْيَا وَيَسْتَلِمُونَهُ، تَقَرُّبًا إِلَى اللهِ تَعَالَى". الأسماء والصفات.

﴿ وَقَالَ أَحَدُ الصَّالِحِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ﴾: "إِنَّ الْمُصَافَحَةَ الْوَارِدَةَ فِي الْحَدِيثِ هِيَ كِنَايَةٌ عَنْ رِضَا اللهِ تَعَالَى وَالْتِمَاسُ الْعَبْدِ مِنْهُ الْبَرَكَاتِ وَالرَّحَمَاتِ وَالْأَسْرَارَ". (وَالْتِمَاسُ الشَّيْءِ: طَلَبُهُ)

تَفْسِيرُ مَعْنَى كَوْنِ اللهِ سَمْعَ وَبَصَرَ وَيَدَ وَرِجْلَ الْمُؤْمِنِ

جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ ﴿ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ... ﴾ الْحَدِيثَ

صحيح البخاري بشرح القسطلاني وشيخ الاسلام، ٤/٨٧ - يُحاوِلُ البَعْضُ تَفْسِيرَ هٰذَا الحَدِيثِ بِأَلْفَاظٍ تُؤَدِّي إِلَى المَهَالِكِ، وَالعِيَاذُ بِاللهِ، فَيَقُولُ مَثَلاً: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ يَكُونَ اللهُ رِجْلَكَ وَيَدَكَ وَسَمْعَكَ وَبَصَرَكَ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِالطَّاعَاتِ وَالعِبَادَاتِ حَتَّى تُصْبِحَ مِمَّنْ أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ فِي هٰذَا الحَدِيثِ القُدْسِيِّ، وَالعِيَاذُ بِاللهِ مِنْ هٰذَا الاعْتِقَادِ المُهْلِكِ. فَمِمَّا وَرَدَ فِي تَفْسِيرِهِ

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "قَوْلُهُ وَكُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا؛ وَهٰذِهِ أَمْثَالٌ ضَرَبَهَا وَلِلْمَعْنَى، وَاللهُ أَعْلَمُ، تَوْفِيقُهُ فِي الأَعْمَالِ الَّتِي يُبَاشِرُهَا بِهٰذِهِ الأَعْضَاءِ، وَتَيْسِيرُ المَحَبَّةِ لَهُ فِيهَا فَيَحْفَظُ جَوَارِحَهُ عَلَيْهِ، وَيَعْصِمُهُ (أَيْ يَحْفَظُهُ) عَنْ مُوَاقَعَةِ مَا يَكْرَهُ اللهُ مِنْ إِصْغَاءٍ إِلَى اللَّهْوِ بِسَمْعِهِ، وَنَظَرٍ إِلَى مَا نُهِيَ عَنْهُ مِنَ اللَّهْوِ بِبَصَرِهِ، وَبَطْشٍ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَهُ بِيَدِهِ، وَسَعْيٍ فِي البَاطِلِ بِرِجْلِهِ". الأسماء والصفات ٦٤٤.

وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ الحِيرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ الحَدِيثِ: "مَعْنَاهُ: كُنْتُ أُسْرِعُ إِلَى قَضَاءِ حَوَائِجِهِ مِنْ سَمْعِهِ فِي الاسْتِمَاعِ، وَبَصَرِهِ فِي النَّظَرِ، وَيَدِهِ فِي اللَّمْسِ، وَرِجْلِهِ فِي المَشْيِ". - الأسماء والصفات، ٦٤٤ -

مِمَّا وَرَدَ عَنْ نِسْيَانِ اللهِ تَعَالَى

إِنَّ بَعْضَ فُقَرَاءِ الفَهْمِ، وَضُعَفَاءِ التَّفْسِيرِ، وَمُفْلِسِي التَّقْوَى فِي هٰذَا العَصْرِ المُظْلِمِ، قَدْ ذَهَبُوا فِي ضَلَالِهِمْ كُلَّ مَذْهَبٍ، وَشَوَّشُوا عَلَى النَّاسِ أَفْكَارَهُمْ وَمُعْتَقَدَاتِهِمْ عَبْرَ تَفْسِيرَاتِهِمُ السَّقِيمَةِ لِآيَاتِ القُرْآنِ الحَكِيمِ، فَادَّعَوْا أَنَّ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هٰذَا﴾ - الأعراف ٥١ - يُثْبِتُ صِفَةَ النِّسْيَانِ لِلّٰهِ تَعَالَى، وَالعِيَاذُ بِاللهِ. إِنَّ مَنْ يَنْسَى يَكُونُ مُتَّصِفًا بِصِفَاتِ المَخْلُوقِينَ الَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ الأَشْيَاءَ أَوْ يَنْسَوْنَهَا بِحَسَبِ قُوَّةِ الذَّاكِرَةِ المَخْزُونَةِ فِي مُخَيِّلَتِهِمْ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنْ تِلْكَ النَّقَائِصِ. فَمِنَ المَعْلُومِ أَنَّ النِّسْيَانَ صِفَةٌ

مُضَادَّةٌ لِلْعِلْمِ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ عَالِمٌ بِجَمِيعِ ٱلْأَشْيَاءِ، كُلِّيَّاتِهَا وَجُزْئِيَّاتِهَا، مُحِيطٌ بِهَا، مُدْرِكٌ لِجَمِيعِ أُمُورِهَا، وَهَٰذَا يُنَافِي صِفَةَ ٱلنِّسْيَانِ ٱلَّتِي هِيَ صِفَةُ نَقْصٍ مُسْتَحِيلَةٌ فِي حَقِّ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ.

قَالَ حَضْرَةُ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فِي تَفْسِيرِ مَعْنَىٰ ٱلنِّسْيَانِ ٱلْوَارِدِ فِي ٱلْآيَةِ: "نَتْرُكُهُمْ فِي ٱلنَّارِ كَمَا تَرَكُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا". ـ الأسماء والصفات ٦٢ ـ

مِمَّا وَرَدَ عَنْ مَلَلِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ

إِنَّ ٱلْمَلَلَ ٱلَّذِي يَطْرَأُ عَلَىٰ حَالِ ٱلْإِنْسَانِ أَثْنَاءَ ٱلْقِيَامِ بِعَمَلٍ مَا إِنَّمَا هُوَ مِنْ عَلَامَاتِ ضَعْفِ ٱلْإِنْسَانِ، وَعَجْزِهِ عَنْ مُعَالَجَةِ ٱلْأُمُورِ مُعَالَجَةً تَامَّةً، فَهُوَ إِذَا مَا دَاوَمَ عَلَىٰ عَمَلٍ مَا وَٱسْتَغْرَقَ فِيهِ وَقْتًا طَوِيلًا، فَيَغْلِبُ عَلَيْهِ ٱلتَّعَبُ وَٱلْمَلَلُ، وَيُؤَدِّي ذَٰلِكَ بِهِ إِلَىٰ عَدَمِ مُتَابَعَةِ ٱلْعَمَلِ. فَٱلْمَلَلُ إِذًا مِنْ صِفَاتِ ٱلْمَخْلُوقِينَ ٱلَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ ٱلنَّقْصِ وَٱلْعَيْبِ، وَهِيَ لَا تَجُوزُ فِي حَقِّ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ. أَمَّا قَوْلُ حَضْرَةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْكُمْ مِنَ ٱلْأَعْمَالِ بِمَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّىٰ تَمَلُّوا ـ رواه الطبراني، الفتح الكبير ٢/٤٥٩ فَقَدْ قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ ٱلْخَطَّابِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي هَٰذَا ٱلْمَجَالِ: "ٱلْمَلَالُ لَا يَجُوزُ عَلَىٰ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ بِحَالٍ، وَلَا يَدْخُلُ فِي صِفَاتِهِ بِوَجْهٍ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: أَنَّهُ لَا يَتْرُكُ ٱلثَّوَابَ وَٱلْجَزَاءَ عَلَىٰ ٱلْعَمَلِ مَا لَمْ تَتْرُكُوهُ، وَذَٰلِكَ أَنَّ مَنْ مَلَّ شَيْئًا تَرَكَهُ، فَكَنَّىٰ عَنِ ٱلتَّرْكِ بِٱلْمَلَالِ ٱلَّذِي هُوَ سَبَبُ ٱلتَّرْكِ". وَقَدْ قِيلَ: مَعْنَاهُ: أَنَّهُ لَا يَمَلُّ إِذَا مَلَلْتُمْ. ـ الأسماء والصفات ٦١١ ـ

مِمَّا وَرَدَ عَنْ فَرَاغِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ـ الرحمن ٣١ ـ

قَدْ يَظُنُّ ٱلْبَعْضُ مِمَّنْ نَقَصَتْ عِنْدَهُ مَلَكَةُ ٱلتَّفْسِيرِ وَٱلتَّأْوِيلِ، أَنَّ ٱللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَشْغُولٌ فِي أَمْرٍ مَا، وَعِنْدَ مَا يَنْتَهِي مِنْهُ سَوْفَ يَتَفَرَّغُ لِأُمُورِ ٱلْإِنْسِ وَٱلْجِنِّ، وَٱلْعِيَاذُ بِٱللَّهِ مِنْ أَمْثَالِ هَٰذِهِ ٱلنَّقَائِصِ ٱلَّتِي لَا تَلِيقُ بِحَقِّ ٱلْوَاحِدِ

ٱلْأَحَدِ، ٱلْفَرْدِ ٱلصَّمَدِ، لِمَا فِيهَا مِنْ تَشْبِيهِهِ سُبْحَانَهُ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ وَأَفْعَالِهِمْ وَتَقَلُّبَاتِهِمْ وَٱنْشِغَالِهِمْ. أَمَّا مَعْنَى ٱلْآيَةِ ٱلْكَرِيمَةِ فَقَدْ قَالَ حَضْرَةُ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: "لَيْسَ ٱلْمُرَادُ مِنْهُ ٱلْفَرَاغَ عَنْ شُغْلٍ، لِأَنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ، وَلَكِنَّهُ وَعِيدٌ مِنَ ٱللَّهِ تَعَالَى لِلْخَلْقِ بِٱلْمُحَاسَبَةِ".

وَقَالَ ٱلْحَسَنُ وَمُقَاتِلٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: "بِأَنَّ ٱللَّهَ وَعَدَ أَهْلَ ٱلتَّقْوَى، وَأَوْعَدَ أَهْلَ ٱلْفُجُورِ، ثُمَّ قَالَ: سَنَفْرُغُ لَكُمْ مِمَّا وَعَدْنَاكُمْ وَأَخْبَرْنَاكُمْ، فَنُحَاسِبُكُمْ وَنُجَازِيكُمْ، وَنُنْجِزُ لَكُمْ مَا وَعَدْنَاكُمْ، فَنَتِمُّ ذَٰلِكَ وَنَفْرُغُ مِنْهُ". معالم التنزيل ٥/٤٧٠.

وَقَالَ ٱلْفَرَّاءُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هَٰذَا مِنَ ٱللَّهِ وَعِيدٌ، لِأَنَّهُ جَلَّ وَعَزَّ لَا يَشْغَلُهُ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ". الأسماء والصفات ٦٢١.

مِمَّا وَرَدَ عَنْ فَرَحِ ٱللَّهِ تَعَالَى

إِشْتَبَهَ عَلَى أَكْثَرِ ٱلنَّاسِ وُرُودُ كَلِمَةِ فَرَحٍ بِحَقِّ ٱللَّهِ تَعَالَى، وَذَهَبَتْ أَفْكَارُهُمُ ٱلسَّقِيمَةُ إِلَى نَسْجِ أُمُورٍ وَاهِيَةٍ لَا أَسَاسَ لَهَا، وَلَا تَمُتُّ إِلَى ٱلصِّحَّةِ بِأَيَّةِ صِلَةٍ، فَغَاصُوا بِتَشْبِيهِ صِفَاتِ ٱللَّهِ تَعَالَى بِصِفَاتِ خَلْقِهِ، فَقَالُوا: إِنَّ فَرَحَ ٱللَّهِ تَعَالَى هُوَ ٱلسُّرُورُ. فَنَقُولُ لَهُمْ: ٱلسُّرُورُ وَٱلْفَرَحُ ٱللَّذَانِ يَقَعَانِ لِلْإِنْسَانِ سَبَبُهُمَا ٱنْبِسَاطُ ٱلنَّفْسِ مِنْ بَعْضِ ٱلْأُمُورِ، وَٱنْشِرَاحُهَا بِٱلضَّحِكِ، وَهَٰذِهِ ٱلصِّفَاتُ وَٱلْأَفْعَالُ ٱلْبَشَرِيَّةُ عَنِ ٱللَّهِ تَعَالَى مَنْفِيَّةٌ وَقَدْ فَسَّرَ أَبُو سُلَيْمَانَ ٱلْخَطَّابِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَوْلَ حَضْرَةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَيْفَ تَقُولُونَ لِفَرَحِ رَجُلٍ ٱنْفَلَتَتْ مِنْهُ رَاحِلَتُهُ تَجُرُّ زِمَامَهَا بِأَرْضٍ قَفْرٍ لَيْسَ بِهَا طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ، وَعَلَيْهَا لَهُ طَعَامٌ وَشَرَابٌ فَطَلَبَهَا فَلَمْ يَجِدْهَا حَتَّى شَقَّ عَلَيْهِ ثُمَّ مَرَّتْ بِجَذْلِ شَجَرَةٍ فَتَعَلَّقَ زِمَامُهَا فَوَجَدَهَا مُتَعَلِّقَةً بِهِ، أَمَا وَٱللَّهِ لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنَ ٱلرَّجُلِ بِرَاحِلَتِهِ" رواه مسلم، الفقه الكبير ٢/٢٣٦.

فَقَالَ: مَعْنَاهُ، أَرْضَى بِٱلتَّوْبَةِ وَأَقْبَلُ لَهَا. وَٱلْفَرَحُ ٱلَّذِي يَتَعَارَفُهُ ٱلنَّاسُ مِنْ نُعُوتِ بَنِي آدَمَ غَيْرُ جَائِزٍ عَلَى ٱللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

إِنَّمَا مَعْنَاهُ ٱلرِّضَىٰ، كَقَوْلِهِ ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣] أَيْ: رَاضُونَ، وَٱللَّهُ أَعْلَمُ". ـ الأسماء والصفات، البيهقي، صفحة ٦٠٢ـ

وَقَالَ ٱلْمَازِرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فَٱلْمُرَادُ هُنَا، أَنَّ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ يَرْضَىٰ تَوْبَةَ عَبْدِهِ أَشَدَّ مِمَّا يَرْضَىٰ وَاجِدُ ضَالَّتِهِ بِٱلْفَلَاةِ، فَعَبَّرَ عَنِ ٱلرِّضَا بِٱلْفَرَحِ، تَأْكِيدًا لِمَعْنَى ٱلرِّضَا فِي نَفْسِ ٱلسَّامِعِ وَمُبَالَغَةً فِي تَقْرِيرِهِ". ـ هامش صحيح مسلم بشرح النووي

مِمَّا وَرَدَ عَنْ ضَحِكِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ

وَرَدَ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ لِحَضْرَةِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ صِفَةُ ٱلضَّحِكِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مِنْهَا مَا وَرَدَ فِي صَحِيحِ ٱلْبُخَارِيِّ فِي بَابِ مَنَاقِبِ ٱلْأَنْصَارِ: ﴿... ضَحِكَ ٱللَّهُ ٱللَّيْلَةَ مِنْ فِعَالِكُمَا ...﴾ وَقَدِ ٱشْتَبَهَ عَلَى ٱلْبَعْضِ ٱلْمَعْنَى ٱلْمُرَادُ مِنْ هَٰذِهِ ٱلْأَحَادِيثِ، فَتَسَاءَلُوا كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَضْحَكَ ٱللَّهُ؟ فَنَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَيْسَ بِذِي جَوَارِحَ وَأَعْضَاءٍ، وَلَا يَجُوزُ تَشْبِيهُ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ، كَأَنْ يُظَنَّ أَنَّ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ يَضْحَكُ كَمَا يَضْحَكُ مَنْ لَهُ فَمٌ وَشَفَتَانِ حِينَ يَسْتَفِزُّهُ ٱلْفَرَحُ وَٱلطَّرَبُ، فَهَٰذَا غَيْرُ جَائِزٍ عَلَى ٱللَّهِ، وَهُوَ مَنْفِيٌّ عَنْ صِفَاتِهِ، تَعَالَى ٱللَّهُ عَنْ شَبَهِ ٱلْمَخْلُوقِينَ.

قَالَ أَبُو ٱلْحَسَنِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "مَعْنَى قَوْلِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ يَضْحَكُ ٱللَّهُ، أَيْ: يُبَيِّنُ وَيُبْدِي مِنْ فَضْلِهِ وَنِعَمِهِ مَا يَكُونُ جَزَاءً لِعَبْدِهِ ٱلَّذِي رَضِيَ عَمَلَهُ". ـ الأسماء والصفات ٥٩٧ـ وَعَلَىٰ هَٰذَا فَٱلضَّحِكُ مِنَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ بِمَعْنَى ٱلرِّضَا.

مِمَّا وَرَدَ عَنْ حَيَاءِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ

يَتَوَهَّمُ ٱلْبَعْضُ عِنْدَ قِرَاءَتِهِ لِبَعْضِ ٱلْآيَاتِ وَٱلْأَحَادِيثِ، فَيُفَسِّرُهَا بِحَسَبِ مَا تَشْتَهِي نَفْسُهُ وَيُدْرِكُ عَقْلُهُ، فَيَقُولُ فِي تَفْسِيرِ ٱلْحَيَاءِ ٱلْوَارِدِ فِي قَوْلِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦] أَنَّهُ بِمَعْنَى ٱلْخَجَلِ، وَٱلْعِيَاذُ بِٱللَّهِ مِنْ

ذَلِكَ ٱلْقَوْلَ ٱلشَّنِيعَ، فَنَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ ٱسْتِحْيَاءَ ٱلْعَبْدِ هُوَ نَتِيجَةُ ٱلْخَجَلِ وَٱلضَّعْفِ أَحْيَانًا، وَتَظْهَرُ عَلَامَاتُهُ عَلَى وَجْهِ ٱلْإِنْسَانِ، مِنْ تَغَيُّرِ لَوْنِ ٱلْوَجْهِ، إِلَى ٱلِٱزْوِرَاءِ إِلَى غَيْرِهَا مِنَ ٱلْحَرَكَاتِ ٱلْمَخْلُوقَةِ. أَمَّا حَيَاءُ ٱللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ يَكُونَ شَبِيهًا بِحَيَاءِ خَلْقِهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ حَيَاءَهُمْ نَاتِجٌ عَنْ تَفَكُّرٍ وَتَفَاعُلٍ فِي ٱلْأَعْصَابِ وَحَرَارَةٍ فِي ٱلْإِنْسَانِ، وَٱللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ تِلْكَ ٱلْمُحْدَثَاتِ وَٱلْعَوَارِضِ ٱلْبَشَرِيَّةِ.

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلرَّازِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي تَعْرِيفِهِ لِلْحَيَاءِ إِنَّهُ: "تَغَيُّرٌ وَٱنْكِسَارٌ يَعْتَرِي ٱلْإِنْسَانَ مِنْ خَوْفِ مَا يُعَابُ بِهِ وَيُذَمُّ... وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا ٱسْتَحَالَ ٱلْحَيَاءُ عَلَى ٱللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ تَغَيُّرٌ يَلْحَقُ ٱلْبَدَنَ وَذَلِكَ لَا يُعْقَلُ إِلَّا فِي حَقِّ ٱلْجِسْمِ... وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَجَبَ تَأْوِيلُهُ... فَإِذَا وَرَدَ ٱلْحَيَاءُ فِي حَقِّ ٱللَّهِ تَعَالَى، فَلَيْسَ ٱلْمُرَادُ مِنْهُ ذَلِكَ ٱلْخَوْفَ ٱلَّذِي هُوَ مَبْدَأُ ٱلْحَيَاءِ وَمُقَدِّمَتُهُ، بَلْ تَرْكُ ٱلْفِعْلِ ٱلَّذِي هُوَ مُنْتَهَاهُ وَغَايَتُهُ".

وَوَرَدَ عَنِ ٱبْنِ قَتَادَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ "أَيْ لَا يَتْرُكُ، لِأَنَّ ٱلْحَيَاءَ سَبَبٌ لِلتَّرْكِ، أَلَا تَرَى ٱلْمَعْصِيَةَ تُتْرَكُ لِلْحَيَاءِ كَمَا تُتْرَكُ لِلْإِيمَانِ"... وَقَوْلُ ٱلنَّبِيِّ ﷺ: ﴿... وَأَمَّا ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي جَلَسَ خَلْفَ ٱلْحَلْقَةِ فَٱسْتَحْيَى فَٱسْتَحْيَا ٱللَّهُ مِنْهُ،...﴾ ٱلْحَدِيثَ، أَيْ: جَازَاهُ عَلَى ٱسْتِحْيَائِهِ بِأَنْ تَرَكَ عُقُوبَتَهُ عَلَى ذَنْبِهِ". ٱلْأَسْمَاءُ وَٱلصِّفَاتُ، ٦١٤.

مِمَّا وَرَدَ عَنْ غَيْرَةِ ٱللَّهِ تَعَالَى

إِنَّ ٱلْغَيْرَةَ ٱلَّتِي تَحْصُلُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ، إِنَّمَا هِيَ نَاتِجَةٌ عَنْ أَمْرَاضٍ رُوحِيَّةٍ، وَعِلَلٍ قَلْبِيَّةٍ، كَأَنْ يَتَمَنَّى ٱلْإِنْسَانُ نِعْمَةً وَهَبَهَا ٱللَّهُ لِغَيْرِهِ، وَيُحِسُّ بِٱلْمَرَارَةِ وَٱلْحُزْنِ لِعَدَمِ وُجُودِهَا عِنْدَهُ. أَمَّا ٱلْغَيْرَةُ ٱلْوَارِدَةُ فِي حَقِّ ٱللَّهِ تَعَالَى فِي قَوْلِ حَضْرَةِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: ﴿أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟ فَوَٱللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَٱللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي،...﴾ ٱلْحَدِيثَ، فَلَيْسَ ٱلْمُرَادُ بِهَا ٱلْغَيْرَةَ ٱلْمَذْمُومَةَ ٱلْمَعْرُوفَةَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَٱلَّتِي هِيَ مِنْ صِفَاتِ ٱلْمَخْلُوقِينَ، إِنَّمَا مَعْنَاهَا كَمَا وَرَدَ عَنِ ٱلْإِمَامِ ٱلْبَيْهَقِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "... وَٱللَّهُ غَيُورٌ

عَلَىٰ مَعْنَىٰ أَنَّهُ زَجُورٌ يَزْجُرُ عَنِ ٱلْمَعَاصِي، وَلَا يُحِبُّ دَنِيءَ ٱلْأَفْعَالِ. الأسماء والصفات ٣٦٤

مِمَّا وَرَدَ عَنْ تَعَجُّبِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ

تَحَيَّرَ ٱلْبَعْضُ عِنْدَ قِرَاءَتِهِمْ قَوْلَ حَضْرَةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ رَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱنْهَزَمَ أَصْحَابُهُ فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ، فَرَجَعَ حَتَّىٰ أُهْرِيقَ دَمُهُ فَيَقُولُ ٱللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَائِكَتِهِ: ٱنْظُرُوا إِلَىٰ عَبْدِي رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي حَتَّىٰ أُهْرِيقَ دَمُهُ﴾ رواه ابو داود، الفتح الكبير ٢/٢٢٢. فَظَنُّوا أَنَّ عَجَبَ ٱللَّهِ كَعَجَبِ خَلْقِهِ، وَهَٰذَا مَا لَا يَجُوزُ فِي حَقِّهِ تَعَالَىٰ، إِذْ أَنَّ ٱلْعَجَبَ يَحْصُلُ لِلْإِنْسَانِ عِنْدَمَا يُشَاهِدُ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُهُ، فَيَتَعَجَّبُ مِنْ أَثَرِ تِلْكَ ٱلْمُشَاهَدَةِ، وَهَٰذَا مُسْتَحِيلٌ فِي حَقِّ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ. وَٱلْعَجَبُ إِذَا أُسْنِدَ إِلَىٰ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ لَا يَكُونُ بِمَعْنَىٰ ٱلْعَجَبِ ٱلْحَاصِلِ عِنْدَ ٱلْمَخْلُوقَاتِ، فَمَعْنَاهُ فِي حَقِّ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ كَمَا وَرَدَ عَنِ ٱلْإِمَامِ ٱلْبَيْهَقِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَدْ يَكُونُ ٱلْعَجَبُ بِمَعْنَىٰ ٱلرِّضَا... وَقَدْ يَكُونُ ٱلْعَجَبُ بِمَعْنَىٰ وُقُوعِ ذَٰلِكَ ٱلْعَمَلِ عِنْدَ ٱللَّهِ عَظِيمًا. الأسماء والصفات ٦٠

مِمَّا وَرَدَ عَنِ ٱسْتِهْزَاءِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ بِٱلْكَافِرِينَ

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ فِي حَقِّ ٱلْكَافِرِينَ أَعْدَاءِ ٱلدِّينِ: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ البقرة ١٥. فَظَنَّ ٱلْجَهَلَةُ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَ وَذَهَبُوا إِلَىٰ تَشْبِيهِ أَفْعَالِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ بِأَفْعَالِ خَلْقِهِ وَصِفَاتِهِمْ، فَفَسَّرُوا ٱسْتِهْزَاءَ ٱللَّهِ بِٱلْكَافِرِينَ بِمَعْنَىٰ ٱلسُّخْرِيَةِ وَٱلشَّمَاتَةِ ٱللَّتَيْنِ تَحْصُلَانِ بَيْنَ شَخْصَيْنِ لِوُجُودِ ضَغِينَةٍ وَعَدَاوَةٍ بَيْنَهُمَا، وَمَا هَٰذِهِ ٱلتَّفَاسِيرُ وَأَمْثَالُهَا إِلَّا تَرْقِيعَاتٌ "جَرْدَانَة" مِنْ أَصْحَابِ عُقُولٍ "خَرْبَانَة". أَمَّا مَعْنَاهُ فَقَدْ قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلْبَيْهَقِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ ٱسْتِهْزَاءِ ٱللَّهِ بِٱلْكَافِرِينَ: ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ فِي ٱلْآخِرَةِ، يُفْتَحُ لَهُمْ بَابٌ

فِي جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجَنَّةِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ: تَعَالَوْا، فَيُقْبِلُونَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ، وَٱلْمُؤْمِنُونَ عَلَى ٱلْأَرَائِكِ ... يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا ٱنْتَهَوْا إِلَى ٱلْبَابِ سُدَّ عَنْهُمْ، فَيَضْحَكُ ٱلْمُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ، فَذَلِكَ قَوْلُ ٱللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ فِي ٱلْآخِرَةِ، وَيَضْحَكُ ٱلْمُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ حِينَ غُلِّقَتْ دُونَهُمُ ٱلْأَبْوَابُ". الأسماء والصفات ٥٤

وَأَوْرَدَ ٱلْإِمَامُ أَبُو ٱلْفَرَجِ جَمَالُ ٱلدِّينِ ٱلْجَوْزِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي زَادِ ٱلْمَسِيرِ فِي تَفْسِيرِ ٱسْتِهْزَاءِ ٱللَّهِ تَعَالَى وُجُوهًا عِدَّةً، مِنْهَا: "أَنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ ٱلْقِيَامَةِ جَمَدَتِ ٱلنَّارُ كَمَا تَجْمُدُ ٱلْإِهَالَةُ (أَيْ دَسَمُ ٱللَّحْمِ وَٱلشَّحْمُ ٱلْمُذَابُ) فِي ٱلْقِدْرِ، فَيَمْشُونَ فَتَخْسِفُ بِهِمْ، وَهَذَا مَرْوِيٌّ عَنْ حَضْرَةِ ٱلْحَسَنِ ٱلْبَصْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ"[1].

وَقَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلْقُرْطُبِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ مَعْنَى ٱسْتِهْزَاءِ ٱللَّهِ بِٱلْكَافِرِينَ: "إِنَّ ٱللَّهَ يَنْتَقِمُ مِنْهُمْ، وَيُعَاقِبُهُمْ، وَيَسْخَرُ بِهِمْ، وَيُجَازِيهِمْ عَلَى ٱسْتِهْزَائِهِمْ، فَسَمَّى ٱلْعُقُوبَةَ بِٱسْمِ ٱلذَّنْبِ". الجامع لأحكام القرآن، ١/١٨٠.

(١) زاد المسير، ١/٣٥.

مِمَّا وَرَدَ عَنِ ٱسْتِدْرَاجِ ٱللَّهِ تَعَالَى لِلْعِبَادِ

إِنَّ مِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُفِيضُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلنِّعَمَ عَلَى أَلْوَانِهَا وَأَشْكَالِهَا، فَيُسِيءُ ٱلتَّصَرُّفَ بِهَا، وَذَلِكَ بِصَرْفِهَا بِطُرُقٍ غَيْرِ شَرْعِيَّةٍ، وَٱلِٱسْتِهْتَارِ فِي حِفْظِهَا، وَعَدَمِ شُكْرِ ٱللَّهِ عَلَيْهَا، مِمَّا يُؤَدِّي بِهِ إِلَى ٱلْوُقُوعِ فِي مَخَاطِرَ خَفِيَّةٍ مُهْلِكَةٍ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ، تُسَبِّبُ لَهُ ٱلْمَقْتَ وَٱلْخِذْلَانَ لِعَدَمِ حِفْظِهِ نِعْمَةَ رَبِّهِ. قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ التكاثر ٨. "فَسُؤَالُ ٱلْكَافِرِ تَوْبِيخٌ لِأَنَّهُ تَرَكَ ٱلشُّكْرَ، وَسُؤَالُ ٱلْمُؤْمِنِ سُؤَالُ تَشْرِيفٍ لِأَنَّهُ شَكَرَ وَأَطَاعَ". تفسير الفخر الرازي ٣٢/٨١. فَتَوْبِيخُ ٱلْكَافِرِ كَانَ نَتِيجَةً لِٱسْتِدْرَاجِ ٱللَّهِ لَهُ إِذْ أَعْطَاهُ فِي هَذِهِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلنِّعَمِ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَشْكُرْهُ عَلَيْهَا. وَمِنْ أَعْظَمِ ٱلنَّعِيمِ ٱلَّذِي يُسْأَلُ عَنْهُ ٱلْإِنْسَانُ: ٱلْعَقِيدَةُ ٱلصَّحِيحَةُ وَٱلتَّوْحِيدُ، وَتَنْزِيهُ ٱللَّهِ عَنِ

الشَّرِيكِ، وَهَذَا مِمَّا يُسْأَلُ عَنْهُ الْإِنْسَانُ إِذْ لَا سَبِيلَ لِلْوُصُولِ إِلَى نَعِيمِ الْجَنَّةِ إِلَّا بِصِحَّةِ الْعَقِيدَةِ. وَعَنْ سُفْيَانَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ـ الأعراف ١٨٢ ـ قَالَ: «كُلَّمَا أَحْدَثُوا ذَنْبًا أَحْدَثْتُ لَهُمْ نِعْمَةً». وَقَالَ يُونُسُ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا كَانَتْ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ فَحَفِظَهَا وَأَبْقَى عَلَيْهَا ثُمَّ شَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَا أَعْطَاهُ، أَعْطَاهُ اللَّهُ أَشْرَفَ مِنْهَا، وَإِذَا ضَيَّعَ الشُّكْرَ اسْتَدْرَجَهُ اللَّهُ وَكَانَ تَضْيِيعُهُ لِلشُّكْرِ اسْتِدْرَاجًا». ـ الأسماء والصفات، الإمام البيهقي ٦١٩/٢ ـ

وَقَالَ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: «قَالَ أَبُو رَوْقٍ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ أَيْ: كُلَّمَا أَذْنَبُوا ذَنْبًا جَدَّدْنَا لَهُمْ نِعْمَةً... فَالِاسْتِدْرَاجُ إِنَّمَا حَصَلَ فِي الِاعْتِنَاءِ الَّذِي لَا يَشْعُرُونَ أَنَّهُ اسْتِدْرَاجٌ، وَهُوَ الْإِنْعَامُ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّهُمْ يَحْسَبُونَهُ تَفْضِيلًا لَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ سَبَبٌ لِهَلَاكِهِمْ. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ ـ الأعراف ١٨٣ ـ أَيْ أُمْهِلُهُمْ، كَقَوْلِهِ ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ ـ آل عمران ١٧٨ ـ ... وَإِنَّمَا سَمَّى إِحْسَانَهُ لِلْكَافِرِينَ كَيْدًا كَمَا سَمَّاهُ اسْتِدْرَاجًا لِكَوْنِهِ فِي صُورَةِ الْكَيْدِ». تفسير الفخر الرازي ٢/٢٠٣

وَمِنَ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الِاسْتِدْرَاجِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ ـ الأنعام ٤٤ ـ «أَيْ: يَائِسُونَ قَانِطُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ». وَصُورَةُ الِاسْتِدْرَاجِ هَذِهِ نَرَاهَا بِوُضُوحٍ فِيمَا وَهَبَ اللَّهُ أَهْلَ الْكُفْرِ فِي بِلَادِ الْإِفْرَنْجِ مِنْ مَوَاهِبِ الصِّنَاعَاتِ الْحَدِيثَةِ، وَالتَّوْسِعَةِ عَلَيْهِمْ فِي الْمَالِ وَالْبِلَادِ، فَيَظُنُّ الْبَعْضُ أَنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ لِمَا أَعْطَاهُمْ مِنْ دُنْيَا فَانِيَةٍ وَأَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ!!... وَقَدْ قَالَ أَحَدُ الصَّالِحِينَ:

وَمِنْ صُوَرِ الِاسْتِدْرَاجِ أَنْ يَرْفَعَ اللَّهُ عِنَايَتَهُ عَنْ مَنْ جَحَدَ وَاسْتَعْلَى وَزَاغَ وَاسْتَسْلَمَ لِلشَّهَوَاتِ وَغَاصَ فِي بِحَارِ الْمُخَالَفَاتِ، فَيَأْتِي الشَّيْطَانُ وَيُزَيِّنُ لَهُ أَعْمَالَهُ وَأَفْعَالَهُ وَأَقْوَالَهُ، فَيَظُنُّ هَذَا الْمُبْتَلَى أَنَّهُ عَلَى حَقٍّ لِمَا ظَهَرَ لَهُ مِنْ كَثْرَةِ

زِينَةِ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا، فَيَزْدَادُ إِثْمًا وَفُجُورًا، فَيَلْقَى فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابًا وَسَعِيرًا.
قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ـ الأنعام ٤٣ ـ فَالِٱسْتِدْرَاجُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ ٱلِٱمْتِحَانِ وَإِقَامَةِ ٱلْحُجَّةِ لِيُشْهِدَ ٱللَّهُ مَلَائِكَتَهُ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ وَمَا يَكْسِبُونَ، فَٱللَّهُ عَالِمٌ بِمَا يَكُونُونَ عَلَيْهِ مِنْ عَمَلٍ وَفِعْلٍ قَبْلَ وُقُوعِهِ.

مِمَّا وَرَدَ عَنْ خِدَاعِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ لِلْمُنَافِقِينَ

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ ٱلْكَرِيمِ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ ـ النساء ١٤٢ ـ ذَهَبَ ٱلْبَعْضُ إِلَىٰ ٱلْقَوْلِ بِأَنَّ خِدَاعَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ كَخِدَاعِ خَلْقِهِ، وَغَابَ عَنْهُمْ أَنَّ ٱلْخِدَاعَ مِنَ ٱلْخَلْقِ فِيهِ ٱلْمَكْرُ وَٱلْحِيلَةُ، وَيَصْدُرُ عَنْ فِكْرٍ وَعَقْلٍ، وَذَٰلِكَ مُسْتَحِيلٌ فِي حَقِّ ٱلْخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلْبَيْهَقِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ﴿ فِي تَفْسِيرِ ٱلْخِدَاعِ ٱلْوَارِدِ فِي حَقِّ ٱللَّهِ: يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ أَيْ يُفْسِدُونَ مَا يُظْهِرُونَ مِنَ ٱلْإِيمَانِ بِمَا يُضْمِرُونَ مِنَ ٱلْكُفْرِ، وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ، أَيْ يُفْسِدُ عَلَيْهِمْ نِعَمَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا بِمَا يُصَيِّرُهُمْ إِلَيْهِ مِنْ عَذَابِ ٱلْآخِرَةِ" ـ الأسماء والصفات ٦١٩ ـ أَيْ تَكُونُ نِعَمُهُمْ سَبَبًا لِنِسْيَانِ ٱلْآخِرَةِ وَٱسْتِحْقَاقِ ٱلْعَذَابِ.

وَقَالَ أَبُو ٱلْحَسَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ﴿ : "وَٱلْخِدَاعُ مِنَ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يُظْهِرَ لَهُمْ وَيُعَجِّلَ مِنَ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلنِّعَمِ مَا يَدَّخِرُونَهُ، وَيُؤَخِّرَ عَنْهُمْ عَذَابَهُ وَعِقَابَهُ، إِذْ كَانُوا يُظْهِرُونَ ٱلْإِيمَانَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَيُضْمِرُونَ خِلَافَ مَا يُظْهِرُونَ، فَٱللَّهُ سُبْحَانَهُ يُظْهِرُ لَهُمْ مِنَ ٱلْإِحْسَانِ فِي ٱلدُّنْيَا خِلَافَ مَا يَغِيبُ عَنْهُمْ وَيَسْتَتِرُ مِنْ عَذَابِ ٱلْآخِرَةِ، فَيَجْتَمِعُ ٱلْفِعْلَانِ لِتَسَاوِيهِمَا مِنْ هَٰذَا ٱلْوَجْهِ" ـ الأسماء والصفات ٦١٨ ـ . وَقَالَ أَحَدُ ٱلصَّالِحِينَ: "وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ أَيْ مُجَازِيهِمْ بِٱلْعِقَابِ ٱلشَّدِيدِ عَلَىٰ خِدَاعِهِمْ".

مِمَّا وَرَدَ عَنْ مَكْرِ اللهِ تَعَالَى

لَقَدِ اخْتَارَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ -آل عمران: ٥٤- وَذَهَبُوا إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ مَكْرَ اللهِ كَمَكْرِ خَلْقِهِ، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ. فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَتَّصِفَ سُبْحَانَهُ بِصِفَةِ الْمَكْرِ الَّذِي يُبْنَى عَلَى الِاحْتِيَالِ، وَهُوَ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ الْمَذْمُومَةِ الَّتِي تَسْتَحِيلُ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى. أَمَّا الْمَكْرُ الْوَارِدُ فِي الْآيَةِ فَمَعْنَاهُ كَمَا وَرَدَ عَنْ حَضَرَاتِ الْأَئِمَّةِ الْكِرَامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ:

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللهُ: "وَالْمَكْرُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ اسْتِدْرَاجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ، وَقَدْ يُوصَفُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِالْمَكْرِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، وَلَا يُوصَفُ بِالِاحْتِيَالِ، لِأَنَّ الْمُحْتَالَ هُوَ الَّذِي يُقَلِّبُ الْفِكْرَةَ حَتَّى يَهْتَدِيَ بِتَقْلِيبِ الْفِكْرَةِ إِلَى وَجْهِ مَا أَرَادَ، وَالْمَاكِرُ الَّذِي يَسْتَدْرِجُ فَيَأْخُذُ مِنْ وَجْهِ غَفْلَةِ الْمُسْتَدْرَجِ". الأسماء والصفات، الإمام البيهقي، صفحة ٦١٩.

وَقَالَ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ: "فِيهِ مَسَائِلُ:

- الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: أَصْلُ الْمَكْرِ فِي اللُّغَةِ: السَّعْيُ بِالْفَسَادِ فِي خُفْيَةٍ وَمُدَاجَاةٍ...
- الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: أَمَّا مَكْرُهُمْ (أَيْ مَكْرُ الْيَهُودِ) بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَهُوَ أَنَّهُمْ هَمُّوا بِقَتْلِهِ، وَأَمَّا مَكْرُ اللهِ تَعَالَى بِهِمْ فَفِيهِ وُجُوهٌ:...
- مَكْرُ اللهِ تَعَالَى بِهِمْ هُوَ أَنَّهُ رَفَعَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى السَّمَاءِ...
- أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَلَّطَ عَلَيْهِمْ مَلِكَ فَارِسَ حَتَّى قَتَلَهُمْ، وَسَبَاهُمْ (أَيْ أَسَرَهُمْ)، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ -الإسراء-، فَهَذَا هُوَ مَكْرُ اللهِ تَعَالَى بِهِمْ.
- يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّهُمْ مَكَرُوا فِي إِخْفَاءِ أَمْرِهِ، وَإِبْطَالِ دِينِهِ، وَمَكَرَ اللهُ بِهِمْ حَيْثُ أَعْلَى دِينَهُ وَأَظْهَرَ شَرِيعَتَهُ، وَقَهَرَ بِالذُّلِّ وَالدَّنَاءَةِ أَعْدَاءَهُ، وَهُمُ الْيَهُودُ.

-تفسير الفخر الرازي ٨/ ٧٢-.

مِمَّا وَرَدَ عَنْ بَطْشِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ

كَثِيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ إِذَا ظَلَمَهُمْ ظَالِمٌ مُتَجَبِّرٌ وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَىٰ تَخْلِيصِ حَقِّهِمْ مِنْهُ يَقُولُونَ: "أَتْرُكُوهُ لِلَّهِ، إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ". أَيْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ سَوْفَ يَنْتَقِمُ مِنْهُ شَرَّ ٱنْتِقَامٍ عَلَىٰ ظُلْمِهِ، وَإِذَا بَطَشَ بِهِ يُهْلِكُهُ وَيُدَمِّرُهُ بِشِدَّةٍ. وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ بَطْشَ ٱللَّهِ كَبَطْشِ خَلْقِهِ، تَعَالَىٰ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْ صِفَاتِ ٱلْمَخْلُوقِينَ عُلُوًّا كَبِيرًا، فَنَقُولُ: يُطْلَقُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ كَثِيرًا لَفْظَةُ ٱلْبَطْشِ بِمَعْنَىٰ ٱلْقُوَّةِ وَٱلضَّرْبِ بِشِدَّةٍ فَائِقَةٍ، أَمَّا ٱلْبَطْشُ فِي حَقِّ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ فِي قَوْلِهِ ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ (البروج ١٢) فَقَدْ قَالَ قَاضِي ٱلْقُضَاةِ ٱلْإِمَامُ أَبُو ٱلسُّعُودِ بْنُ مُحَمَّدٍ ٱلْعَمَادِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "... وَٱلْبَطْشُ ٱلْأَخْذُ بِعُنْفٍ، وَحَيْثُ وُصِفَ بِٱلشِّدَّةِ فَقَدْ تَضَاعَفَ وَتَفَاقَمَ، وَهُوَ بَطْشُهُ بِٱلْجَبَابِرَةِ وَٱلظَّلَمَةِ وَأَخْذُهُ إِيَّاهُمْ بِٱلْعَذَابِ وَٱلِٱنْتِقَامِ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾" - هود ١٠٢ - تفسير أبي السعود ٩/١٣٨ -

مِمَّا وَرَدَ عَنْ قَرْضِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ

إِنَّ خَزَائِنَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ لَا تَنْفَدُ، وَكُلُّ شَيْءٍ بِحَاجَةٍ إِلَىٰ فَضْلِهِ سُبْحَانَهُ، فَلَا يَتَوَهَّمَنَّ مُتَوَهِّمٌ أَنَّ ٱللَّهَ يَحْتَاجُ لِخَلْقِهِ عِنْدَ قِرَاءَتِهِ لِقَوْلِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد ١١)، تَعَالَىٰ ٱللَّهُ عَنْ ذَٰلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا. وَأَمَّا مَعْنَىٰ ٱلْقَرْضِ بِحَقِّ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ فَهُوَ أَنَّهُ يُخَصِّصُ ٱلْمُحْسِنَ وَٱلْمُجَاهِدَ، وَٱلْعَابِدَ وَٱلْعَالِمَ ٱلْعَامِلَ بِأَجْرٍ وَحَسَنَاتٍ لَا يَعْلَمُ مِقْدَارَهَا أَحَدٌ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ، وَذَٰلِكَ فِي خَزَائِنِ ٱلْجَزَاءِ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ.

وَقَدْ قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلرَّازِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ هَٰذِهِ ٱلْآيَةِ ٱلْكَرِيمَةِ: "أَكَّدَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ[1] بِهَٰذِهِ ٱلْآيَةِ تَرْغِيبَ ٱلنَّاسِ فِي أَنْ يُنْفِقُوا أَمْوَالَهُمْ فِي نُصْرَةِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَقِتَالِ ٱلْكَافِرِينَ

(١) أَكَّدَ أَيْ بَيَّنَ

وَمُوَاسَاةِ فُقَرَاءِ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَسَمَّىٰ ذَٰلِكَ ٱلْإِنْفَاقَ قَرْضًا مِنْ حَيْثُ وَعَدَ بِهِ الْجَنَّةَ تَشْبِيهًا بِٱلْقَرْضِ". -تفسير الفخر الرازي ٢٩/٢٢٢-. أَيْ مَنْفَعَتُهُ مَخْزُونَةٌ لَهُمْ يَجِدُونَهَا يَوْمَ الْحِسَابِ فَيُجَازِيهِمُ ٱللَّهُ بِهَا أَحْسَنَ الْجَزَاءِ. وَوَرَدَ «أَنَّ رَجُلًا مِنَ ٱلْيَهُودِ قَالَ عِنْدَ نُزُولِ هَٰذِهِ ٱلْآيَةِ: مَا ٱسْتَقْرَضَ إِلَٰهُ مُحَمَّدٍ حَتَّىٰ ٱفْتَقَرَ، فَلَطَمَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَشَكَا ٱلْيَهُودِيُّ ذَٰلِكَ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: مَا أَرَدْتَ بِذَٰلِكَ؟ فَقَالَ: مَا مَلَكْتُ نَفْسِي أَنْ لَطَمْتُهُ، فَنَزَلَ قَوْلُ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا أَذًى كَثِيرًا﴾ -آل عمران ١٨٦- تفسير الفخر الرازي ٢٩/٢٢١-.

مَعْنَىٰ قَوْلِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ: "ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ"

لَا يَصِحُّ ٱعْتِقَادُ مَا قَدْ يَتَوَهَّمُهُ ٱلْبَعْضُ أَنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نُورٌ مِنَ ٱلْأَنْوَارِ، فَإِنَّ ٱلنُّورَ تُضَادُّهُ ٱلظُّلْمَةُ، وَٱللَّهُ لَا ضِدَّ لَهُ وَلَا نِدَّ. وَٱلنُّورُ يَنْبَعِثُ مِنْهُ شُعَاعٌ وَحَرَارَةٌ ضَوْئِيَّةٌ، وَهُوَ قَابِلٌ لِلزِّيَادَةِ وَٱلنُّقْصَانِ، وَحَتَّىٰ إِلَى ٱلِٱضْمِحْلَالِ عَلَىٰ مَرِّ ٱلزَّمَانِ. هَٰذَا وَإِنَّ ٱلنُّورَ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ ٱلَّتِي خَلَقَهَا ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ لِلْإِنْسَانِ لِيَسْتَعِينَ بِهِ فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِ الْحَيَاةِ. فَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ، كُلُّهَا أَجْسَامٌ مَخْلُوقَةٌ قَابِلَةٌ لِلْعَدَمِ، وَتَعَالَىٰ ٱللَّهُ أَنْ يَكُونَ نُورًا كَٱلْأَضْوَاءِ ٱلْمَخْلُوقَةِ ٱلَّتِي تَنْبَعِثُ مِنْ جِهَةٍ وَنَاحِيَةٍ.

قَالَ ٱلشَّيْخُ ٱلْحَلِيمِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ -النور ٣٥-: "هُوَ ٱلْهَادِي، لَا يَعْلَمُ ٱلْعِبَادُ إِلَّا مَا عَلَّمَهُمْ، وَلَا يُدْرِكُونَ إِلَّا مَا يَسَّرَ لَهُمْ إِدْرَاكَهُ."

وَعَنْ حَضْرَةِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "هَادِي أَهْلِ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ، فَهُمْ بِنُورِهِ إِلَى ٱلْحَقِّ يَهْتَدُونَ، وَبِهُدَاهُ مِنْ حَيْرَةِ ٱلضَّلَالَةِ يَنْجُونَ". -معالم التنزيل ٤/٢٠٢-. وَقِيلَ: هُوَ مُنَوِّرُ ٱلسَّمَٰوَاتِ بِنُورِ رَحْمَتِهِ. وَقِيلَ: هُوَ ٱلَّذِي

نَوِّرْ قُلُوبَ الصَّادِقِينَ بِتَوْحِيدِهِ، وَنَوِّرْ أَسْرَارَ الْمُحِبِّينَ بِتَأْيِيدِهِ

قَالَ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَإِنَّ كُلَّ عَاقِلٍ يَعْلَمُ بِالْبَدِيهَةِ (أَيْ مِنْ غَيْرِ تَفَكُّرٍ) أَنَّ إِلَهَ الْعَالَمِ لَيْسَ هُوَ هَذَا الشَّيْءَ الْمُنْبَسِطَ عَلَى الْجُدْرَانِ وَالْحِيطَانِ، وَلَيْسَ هُوَ هَذَا النُّورَ الْفَائِضَ مِنْ جِرْمِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّارِ، فَلَا بُدَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا مِنْ أَنْ يُفَسِّرَ قَوْلَهُ تَعَالَى: اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِأَنَّهُ مُنَوِّرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَوْ بِأَنَّهُ هَادٍ لِأَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَوْ بِأَنَّهُ مُصْلِحُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَكُلُّ ذَلِكَ تَأْوِيلٌ". أساس التقديس ٧٩/٨. وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إِنَّهُ تَعَالَى قَالَ: وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ (الأنعام ١) فَبَيَّنَ بِهَذَا أَنَّهُ تَعَالَى خَالِقُ الْأَنْوَارِ". أساس التقديس ٧٧

تَنْزِيهُ اللَّهِ عَنِ الْجِهَةِ وَالْمَكَانِ

إِنَّ الْمُتَلَبِّسِينَ بِأَهْوَاءِ الشَّيَاطِينِ يُرَوِّجُونَ مَفَاسِدَهُمْ وَضَلَالَاتِهِمْ بَيْنَ ضُعَفَاءِ النُّفُوسِ، مُدَّعِينَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُتَّصِفٌ بِالْجِهَةِ، فَيَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ قَدِ اتَّخَذَ السَّمَاءَ جِهَةً وَمَكَانًا لِذَاتِهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا. وَقَدْ أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ فَهْمُ بَعْضِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ وَالْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ، فَحَمَّلُوهَا مَعْنَى الْجِهَةِ وَالْمَكَانِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ فَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْجِهَاتِ سِتٌّ: فَوْقٌ، أَسْفَلُ، قُدَّامٌ، خَلْفٌ، يَمِينٌ وَشِمَالٌ. وَهَذِهِ الْجِهَاتُ كُلُّهَا مَخْلُوقَةٌ، أَوْجَدَهَا اللَّهُ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ فِي الْوُجُودِ. وَاللَّهُ لَمْ يَكُنْ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا قَبْلَ وُجُودِهَا، فَيَبْقَى كَذَلِكَ بَعْدَ إِيجَادِهَا. فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ، وَلَمْ يَتَجَدَّدْ لَهُ بِخَلْقِهِ السَّمَوَاتِ عُلُوٌّ، وَلَا بِخَلْقِهِ الْأَرْضَ نُزُولٌ، وَلَا بِخَلْقِهِ الْعَرْشَ احْتِيَاجٌ.

أَقْوَالُ الْأَئِمَّةِ فِي تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنِ الْمَكَانِ وَالْجِهَةِ

قَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ الْقَارِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَيْسَ فِي مَكَانٍ مِنَ الْأَمْكِنَةِ وَلَا فِي زَمَانٍ مِنَ الْأَزْمِنَةِ، لِأَنَّ الْمَكَانَ وَالزَّمَانَ مِنْ جُمْلَةِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ

كَانَ مَوْجُودًا فِي ٱلْأَزَلِ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ ٱلْمَوْجُودَاتِ". الفقه الأكبر ٣٢ـ

وَقَالَ ٱلنَّسَفِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي شَرْحِ ٱلْعُمْدَةِ: "ٱلصُّوَرُ وَٱلْجِهَاتُ مُخْتَلِفَةٌ وَٱجْتِمَاعُهَا عَلَيْهِ تَعَالَى مُسْتَحِيلٌ لِتَنَافِيهَا فِي أَنْفُسِهَا". شواهد الحق ٢١٨ـ

وَقَالَ ٱلسُّبْكِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "صَانِعُ ٱلْعَالَمِ لَا يَكُونُ فِي جِهَةٍ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ فِي جِهَةٍ لَكَانَ فِي مَكَانٍ ... وَلَوْ كَانَ فِي مَكَانٍ لَكَانَ مُتَحَيِّزًا (أَيْ مُتَّخِذًا لِلْحَيِّزِ وَهُوَ ٱلْمَكَانُ)، وَلَوْ كَانَ مُتَحَيِّزًا لَكَانَ مُفْتَقِرًا إِلَى حَيِّزِهِ وَمَكَانِهِ، فَلَا يَكُونُ وَاجِبَ ٱلْوُجُودِ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَاجِبُ ٱلْوُجُودِ". شواهد الحق، النبهاني ٢١٨ـ

بَعْضُ ٱلْآيَاتِ ٱلَّتِي ٱشْتَبَهَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَهْمُ مَعْنَاهَا

وَأَمَّا مَعْنَى ٱلْآيَاتِ ٱلَّتِي قَدْ يَتَوَهَّمُ كَثِيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى مُخْتَصٌّ بِجِهَةٍ مِنَ ٱلْجِهَاتِ، فَهُوَ كَمَا قَرَّرَهُ حَضَرَاتُ ٱلْعُلَمَاءِ ٱلْأَفَاضِلِ:

• **ٱلْآيَةُ ٱلْأُولَى:** إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ آل عمران

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلرَّازِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "ٱلْمُشَبِّهَةُ يَتَمَسَّكُونَ بِهَذِهِ ٱلْآيَةِ فِي إِثْبَاتِ ٱلْمَكَانِ لِلَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهُ فِي ٱلسَّمَاءِ، وَقَدْ دَلَلْنَا ... عَلَى أَنَّهُ يَمْتَنِعُ كَوْنُهُ تَعَالَى فِي ٱلْمَكَانِ، فَوَجَبَ حَمْلُ ٱللَّفْظِ عَلَى ٱلتَّأْوِيلِ، وَهُوَ مِنْ وُجُوهٍ: إِنَّ ٱلْمُرَادَ (أَيْ مِنْ قَوْلِهِ: رَافِعُكَ إِلَيَّ): إِلَى مَحَلِّ كَرَامَتِي، وَجَعَلَ ذَلِكَ رَفْعًا إِلَيْهِ لِلتَّفْخِيمِ وَٱلتَّعْظِيمِ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي وَإِنَّمَا ذَهَبَ إِبْرَاهِيمُ مِنَ ٱلْعِرَاقِ إِلَى ٱلشَّامِ ... وَقَدْ يُسَمَّى ٱلْحُجَّاجُ زُوَّارَ ٱللَّهِ ... وَٱلْمُرَادُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ ٱلتَّفْخِيمُ وَٱلتَّعْظِيمُ، فَكَذَا هَهُنَا". تفسير الفخر الرازي ٨/٧٦ـ

• **ٱلْآيَةُ ٱلثَّانِيَةُ:** وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ الأنعام

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلرَّازِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ ٱلْآيَةِ: "لَا يُمْكِنُ حَمْلُ هَذَا ٱلْكَلَامِ عَلَى ظَاهِرِهِ، فَوَجَبَ ٱلتَّأْوِيلُ، وَهُوَ مِنْ وُجُوهٍ: • مِنْهَا، أَنَّ قَوْلَ ٱللَّهِ تَعَالَى

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ يَعْنِي وَهُوَ ٱللَّهُ فِي تَدْبِيرِ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ

• وَمِنْهَا: أَنَّ قَوْلَهُ: وَهُوَ ٱللَّهُ كَلَامٌ تَامٌّ، ثُمَّ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ وَٱلْمَعْنَى: ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَوَاتِ سَرَائِرَ ٱلْمَلَائِكَةِ، وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سَرَائِرَ ٱلْإِنْسِ وَٱلْجِنِّ...

• وَمِنْهَا: وَهُوَ ٱلْمَعْبُودُ فِي ٱلسَّمَاءِ وَفِي ٱلْأَرْضِ". تفسير الفخر الرازي ٢٦/١٢.

• ٱلْآيَةُ ٱلثَّالِثَةُ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ الأنعام ١٨.

فَلَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ عِبَادِهِ بِٱلْمَكَانِ وَٱلْجِهَةِ كَمَا قَدْ يَتَوَهَّمُهُ ٱلْبَعْضُ، فَقَدْ

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلرَّازِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ٱلْمُرَادُ مِنْ هَٰذِهِ ٱلْآيَةِ ٱلْفَوْقِيَّةَ بِٱلْمَكَانِ وَٱلْجِهَةِ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ ٱلْمُرَادُ مِنْهَا ٱلْفَوْقِيَّةَ بِٱلْقَهْرِ وَٱلْقُدْرَةِ... وَٱلْفَوْقِيَّةُ ٱلْمُفِيدَةُ لِصِفَةِ ٱلْقَهْرِ هِيَ ٱلْفَوْقِيَّةُ بِٱلْقُدْرَةِ لَا ٱلْفَوْقِيَّةُ بِٱلْجِهَةِ". تفسير الفخر الرازي ١٤/١٢.

• ٱلْآيَةُ ٱلرَّابِعَةُ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ النحل ٥٠.

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلرَّازِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهِمْ ... وَيَجِبُ حَمْلُ هَٰذِهِ ٱلْفَوْقِيَّةِ عَلَى ٱلْفَوْقِيَّةِ بِٱلْقُدْرَةِ وَٱلْقَهْرِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ لِأَنَّهَا هِيَ ٱلْمُوجِبَةُ لِلْخَوْفِ". تفسير الفخر الرازي، سورة الأنعام.

وَقَالَ ٱلشَّيْخُ يُوسُفُ ٱلنَّبْهَانِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَالٍ فَوْقَ خَلْقِهِ بِٱلْقَهْرِ وَٱلْغَلَبَةِ وَٱلشَّرَفِ وَٱلْعِزَّةِ، مَعَ كَوْنِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُنَزَّهًا عَنْ أَنْ تَحْصُرَهُ جِهَةُ ٱلْفَوْقِ أَوْ غَيْرُهَا مِنَ ٱلْجِهَاتِ". شواهد الحق ٢١٤.

• ٱلْآيَةُ ٱلْخَامِسَةُ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلْمَعَارِجِ ۝ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ المعارج ٣-٤.

عَرَضَ ٱلْإِمَامُ ٱلرَّازِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بَعْضَ أَقْوَالِ ٱلْعُلَمَاءِ مِنْ حَضَرَاتِ ٱلصَّحَابَةِ وَٱلتَّابِعِينَ، فَقَالَ: "ذَكَرُوا فِيهِ وُجُوهًا

• أَحَدُهَا: قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ ٱلْكَلْبِيِّ: ذِي ٱلْمَعَارِجِ أَيْ: ذِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَسَمَّاهَا مَعَارِجَ، لِأَنَّ ٱلْمَلَائِكَةَ يَعْرُجُونَ فِيهَا.

• وَثَانِيهَا: قَالَ قَتَادَةُ: ذِي ٱلْفَوَاضِلِ وَٱلنِّعَمِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ لِأَيَادِيهِ وَوُجُوهِ إِنْعَامِهِ مَرَاتِبَ، وَهِيَ تَصِلُ إِلَى ٱلنَّاسِ عَلَى مَرَاتِبَ مُخْتَلِفَةٍ.

• وَثَالِثُهَا: إِنَّ ٱلْمَعَارِجَ هِيَ ٱلدَّرَجَاتُ ٱلَّتِي يُعْطِيهَا أَوْلِيَاءَهُ فِي ٱلْجَنَّةِ.

وَعِنْدِي فِيهِ وَجْهٌ رَابِعٌ: وَهُوَ أَنَّ هَٰذِهِ ٱلسَّمٰوَاتِ كَمَا أَنَّهَا مُتَفَاوِتَةٌ فِي ٱلْإِرْتِفَاعِ وَٱلْإِنْخِفَاضِ، وَٱلْكِبَرِ وَٱلصِّغَرِ، فَكَذَا ٱلْأَرْوَاحُ ٱلْمَلَكِيَّةُ مُخْتَلِفَةٌ فِي ٱلْقُوَّةِ ... (أَيْ تَنَوُّعِ قُدُرَاتِ ٱلْكَمَالِ)، وَكَثْرَةِ ٱلْمَعَارِفِ ٱلْإِلٰهِيَّةِ وَقُوَّتِهَا، وَشِدَّةِ ٱلْقُوَّةِ عَلَى تَدْبِيرِ هَٰذَا ٱلْعَالَمِ (أَيْ بِحَسَبِ أَمْرِ ٱللَّهِ تَعَالَى)، وَلَعَلَّ نُورَ إِنْعَامِ ٱللَّهِ وَأَثَرَ فَيْضِ رَحْمَتِهِ لَا يَصِلُ إِلَى هَٰذَا ٱلْعَالَمِ إِلَّا بِوَاسِطَةِ تِلْكَ ٱلْأَرْوَاحِ، إِمَّا عَلَى سَبِيلِ ٱلْعَادَةِ أَوْ لَا، كَذَلِكَ عَلَى مَا قَالَ ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ (الذاريات ٤) ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ (النازعات ٥) فَٱلْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿مِنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلْمَعَارِجِ﴾ ٱلْإِشَارَةُ إِلَى تِلْكَ ٱلْأَرْوَاحِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ ٱلَّتِي هِيَ كَٱلْمَصَاعِدِ لِٱرْتِفَاعِ مَرَاتِبِ ٱلْحَاجَاتِ مِنْ هَٰذَا ٱلْعَالَمِ إِلَيْهَا وَكَٱلْمَنَازِلِ لِنُزُولِ أَثَرِ ٱلرَّحْمَةِ مِنْ ذَٰلِكَ ٱلْعَالَمِ إِلَى مَا هٰهُنَا...

وَأَمَّا حَرْفُ إِلَى فِي قَوْلِهِ ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ فَلَيْسَ ٱلْمُرَادُ مِنْهُ ٱلْمَكَانَ، بَلِ ٱلْمُرَادُ: ٱنْتِهَاءُ ٱلْأُمُورِ إِلَى مُرَادِهِ، كَقَوْلِهِ ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ (هود ٢٣) ٱلْمُرَادُ: ٱلْإِنْتِهَاءُ إِلَى مَوْضِعِ ٱلْعِزِّ وَٱلْكَرَامَةِ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ (الصافات ٩٩) وَبِكَوْنِ هَٰذَا إِشَارَةً إِلَى أَنَّ دَارَ ٱلثَّوَابِ أَعْلَى ٱلْأَمْكِنَةِ وَأَرْفَعُهَا" (ت. ف. ر. ١)

• ٱلْآيَةُ ٱلسَّادِسَةُ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ (الزخرف ٨٤)

قَالَ ٱلْحَافِظُ ٱبْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "أَيْ هُوَ إِلَٰهُ مَنْ فِي ٱلسَّمَاءِ وَإِلَٰهُ مَنْ فِي ٱلْأَرْضِ يَعْبُدُهُ أَهْلُهُمَا وَكُلُّهُمْ خَاضِعُونَ لَهُ أَذِلَّاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ" (صفوة التفاسير ٣/٢٧)

وَقَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلرَّازِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "هَٰذِهِ ٱلْآيَةُ مِنْ أَدَلِّ ٱلدَّلَائِلِ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى غَيْرُ مُسْتَقِرٍّ فِي ٱلسَّمَاءِ" (تفسير الفخر الرازي ٢٧/٢٣٢)

وَبِهَٰذِهِ ٱلتَّفَاسِيرِ يَتَبَيَّنُ لَنَا بِوُضُوحٍ وَجَلَاءٍ تَنْزِيهُ ٱللَّهِ عَنِ ٱلْجِهَةِ وَٱلْمَكَانِ، وَخَسَارَةُ مَنِ ٱسْتَسْلَمَ لِخَوَاطِرِ عَدُوِّ ٱلْإِنْسَانِ، ٱلَّذِي

(١) تفسير الفخر الرازي ٣/١٢٢-١٢٣)

يَسْعَىٰ بِوَسَاوِسِهِ إِلَىٰ إِضْلَالِ أَهْلِ ٱلْإِيمَانِ وَمُحَارَبَةِ أَهْلِ ٱلْإِحْسَانِ. وَقَدْ يَتَطَبَّعُ ٱلْمُعَانِدُ فَيَقُولُ: كَيْفَ تُنْكِرُ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْجُودٌ فِي ٱلسَّمَاءِ وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ • فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ ـ النجم ـ وَكَذَٰلِكَ عِنْدَمَا سَأَلَ حَضْرَةُ ٱلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ٱلْجَارِيَةَ أَيْنَ ٱللَّهُ؟ فَأَشَارَتْ إِلَى ٱلسَّمَاءِ، أَقَرَّ بِأَنَّهَا مُؤْمِنَةٌ فَنَقُولُ لَهُ: أَمَّا قَوْلُ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ • فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ ـ النجم ـ فَلَيْسَ فِيهِ مَا يُشِيرُ إِلَى ٱلْجِهَةِ وَٱلْمَكَانِ، وَأَمَّا مَعْنَى ٱلْآيَةِ فَقَدْ قَالَ ٱلْقَاضِي عِيَاضٌ رضي الله عنه: "إِعْلَمْ أَنَّ مَا وَقَعَ مِنْ إِضَافَةِ ٱلدُّنُوِّ وَٱلْقُرْبِ هُنَا مِنَ ٱللَّهِ أَوْ إِلَى ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِدُنُوِّ مَكَانٍ وَلَا قُرْبِ مَدًى، بَلْ كَمَا ذُكِرَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ٱلصَّادِقِ، لَيْسَ بِدُنُوِّ حَدٍّ، وَإِنَّمَا دُنُوُّ ٱلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنْ رَبِّهِ وَقُرْبُهُ مِنْهُ إِبَانَةٌ (أَيْ إِظْهَارٌ) عَظِيمِ مَنْزِلَتِهِ، وَتَشْرِيفُ رُتْبَتِهِ، وَإِشْرَاقُ أَنْوَارِ مَعْرِفَتِهِ (أَيْ مِنَ ٱلْعُلُومِ وَٱلْأَسْرَارِ وَٱلْأَنْوَارِ وَٱلْبَرَكَاتِ)... وَمِنَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ لَهُ مَبَرَّةٌ وَتَأْنِيسٌ وَبَسْطٌ وَإِكْرَامٌ، وَيُتَأَوَّلُ فِيهِ مَا يُتَأَوَّلُ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَىٰ سَمَاءِ ٱلدُّنْيَا﴾ عَلَىٰ أَحَدِ ٱلْوُجُوهِ، نُزُولُ إِفْضَالٍ وَإِجْمَالٍ وَقَبُولٍ وَإِحْسَانٍ... وَقَوْلُهُ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ ـ النجم ـ فَمَنْ جَعَلَ ٱلضَّمِيرَ عَائِدًا إِلَى ٱللَّهِ تَعَالَىٰ لَا إِلَى جِبْرِيلَ، عَلَىٰ هَٰذَا كَانَ عِبَارَةً عَنْ نِهَايَةِ ٱلْقُرْبِ، وَلُطْفِ ٱلْمَحَلِّ، وَإِيضَاحِ ٱلْمَعْرِفَةِ، وَٱلْإِشْرَافِ عَلَى ٱلْحَقِيقَةِ مِنْ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وَعِبَارَةً عَنْ إِجَابَةِ ٱلرَّغْبَةِ وَقَضَاءِ ٱلْمَطَالِبِ، وَإِظْهَارِ ٱلتَّحَفِّي وَإِنَافَةِ ٱلْمَنْزِلَةِ وَٱلْمَرْتَبَةِ مِنَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ (أَيْ عَظِيمِ ٱلْمَنْزِلَةِ وَٱلْمَرْتَبَةِ) وَيُتَأَوَّلُ فِيهِ مَا يُتَأَوَّلُ فِي قَوْلِهِ ﴿مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً﴾ قُرْبٌ بِٱلْإِجَابَةِ وَٱلْقَبُولِ، وَإِتْيَانٌ بِٱلْإِحْسَانِ، وَتَعْجِيلِ ٱلْمَأْمُولِ". ـ الشفا، ١/ ٢٠٢، ٢٠٦ ـ

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلرَّازِيُّ رضي الله عنه: "أَمَّا قَوْلُهُ ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ • فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ فَعَنْهُ وُجُوهٌ: • ٱلْأَوَّلُ: إِنَّ هَٰذَا ٱلدُّنُوَّ دُنُوُّ ٱلْمَنْزِلَةِ وَٱلْكَرَامَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ ـ العلق ١٩ ـ، وَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

حكاية (أي إخبار) عن الله تعالى ﴿ مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ﴾
• الثاني: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ أي جبريل دنا من محمد عليهما السلام
والدليل عليه قوله تعالى في آية أخرى ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾
التكوير ٢٣، ثم لما دنا جبريل من محمد عليهما السلام حصل الوحي من
الله تعالى إليه، فلهذا قال ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ أساس التقديس
وقال الشيخ محيي الدين بن عربي رضي الله عنه ﴿ "إياك أن تفهم من
قوله تعالى ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى • فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ أن
ذلك يشعر بتحديد في القرب أو تخصيص في جهة، وإنما هو دنو تجل وكشف"
راجع معاني الآيات المتشابهات ١٤١. وأما اعتماد الجهلة على حديث الجارية لإثبات
وجود ذات الله في السماء، فهذا باطل لا صحة له. فقد
قال الشيخ محيي الدين بن عربي رضي الله عنه ﴿ "... وأقرب احتمال في
ذلك أن الجارية أشرق لبصرها نور التوحيد في الآفاق السماوية، تحقيقا
لقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي الْآفَاقِ ﴾ فلما قال لها: أين الله؟
قالت: في السماء، أي ظهر نور توحيده في السماء، فقال: أعتقها فإنها مؤمنة"
المصدر السابق ٤٤.

﴿ رَفْعُ الْيَدَيْنِ أَثْنَاءَ الدُّعَاءِ ﴾ وقد يعترض البعض على ذلك
مستشهدين بأن العباد يرفعون أيديهم إلى السماء أثناء الدعاء، وفي
هذا دليل على وجود الله تعالى في السماء ... وما هذا إلا فهم خاطئ
وجهل بآداب العبودية. فالمؤمن الذي يرفع يديه إلى السماء عند الدعاء
لا يفعل ذلك اعتقادا منه بأن الله موجود في السماء، وكذلك عندما
يسجد المصلي ويضع جبهته على الأرض فهو لا يعتقد بأن
الله موجود في الأرض، «وقد ثبت عن إمام الحرمين في
نفي صفة العلو (أي الحيز والمكان) قوله: كان الله ولا عرش وهو
الآن على ما كان. وقال الإمام علي القاري رضي الله عنه، ومما ينقض
القول بالعلو المكاني، وضع الجبهة على الأرض مع أن الله

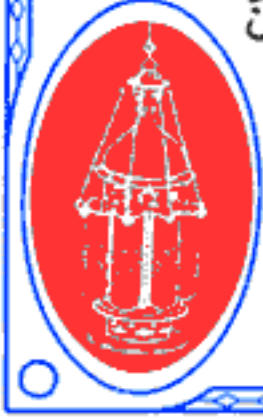

لَيْسَ فِي جِهَةِ ٱلْأَرْضِ بِإِجْمَاعِ ٱلْعُلَمَاءِ"..الفقه الاكبر٨٠. فَرَفْعُ ٱلْيَدَيْنِ إِلَى ٱلسَّمَاءِ عِنْدَ ٱلدُّعَاءِ، لِأَنَّ ٱلسَّمَاءَ قِبْلَةُ ٱلدُّعَاءِ وَمَهْبِطُ ٱلرَّحَمَاتِ وَٱلْبَرَكَاتِ، كَمَا أَنَّ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْمُشَرَّفَةَ قِبْلَةُ ٱلصَّلَاةِ. فَقَدْ قِيلَ: "إِنَّ ٱلْعَرْشَ جُعِلَ قِبْلَةً لِلْقُلُوبِ عِنْدَ ٱلدُّعَاءِ، كَمَا جُعِلَتِ ٱلْكَعْبَةُ قِبْلَةً لِلْأَبْدَانِ فِي حَالِ ٱلصَّلَاةِ"..الفقه الاكبر٨٠. وَفِيهِ أَيْضًا إِشَارَةٌ إِلَى مَا هُوَ وَصْفٌ لِلْمَدْعُوِّ مِنَ ٱلْجَلَالِ وَٱلْكِبْرِيَاءِ تَنْبِيهًا بِقَصْدِ ٱلْعُلُوِّ عَلَى صِفَةِ ٱلْمَجْدِ وَٱلْعَلَاءِ، وَلَيْسَ بِقَصْدِ ٱلْمَكَانِ لِلَّهِ كَمَا يَدَّعِي ٱلْجُهَلَاءُ.

إِتِّجَاهُ ٱلْمُتَعَبِّدِ نَحْوَ ٱلْكَعْبَةِ أَمَّا قَصْدُ ٱلشَّرْعِ فِي ٱتِّجَاهِ ٱلْمُتَعَبِّدِينَ إِلَى ٱلْكَعْبَةِ، فَلِأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ جَعَلَهَا أَشْرَفَ بِقَاعِ ٱلْأَرْضِ، وَخَصَّهَا بِنُزُولِ ٱلرَّحَمَاتِ وَٱلْبَرَكَاتِ وَٱلتَّجَلِّيَاتِ وَٱلْأَسْرَارِ ٱلَّتِي لَا يَشْعُرُ بِهَا إِلَّا صَاحِبُ ٱلْقَلْبِ ٱلنُّورَانِيِّ، وَٱلْإِحْسَاسِ ٱلْعِرْفَانِيِّ. وَٱلْكَعْبَةُ هِيَ ٱلْبَيْتُ ٱلْوَحِيدُ ٱلَّذِي يَجْتَمِعُ فِيهِ ٱلْمُسْلِمُونَ تَعَبُّدًا لِلَّهِ تَعَالَى، فَحِكْمَتُهُ عَزَّ وَجَلَّ ٱقْتَضَتْ ذَلِكَ فَيُقْبِلُونَ عَلَى طَاعَةِ ٱلرَّحْمَنِ ٱمْتِثَالًا لِأَوَامِرِهِ وَٱجْتِنَابًا لِنَوَاهِيهِ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾[1] وَٱجْتِمَاعُ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي ٱلْكَعْبَةِ مُجْلِبٌ لِلْخُشُوعِ وَحُضُورِ ٱلْقَلْبِ، لِأَنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى عَظَّمَهَا وَشَرَّفَهَا، وَٱسْتِمَالَ ٱلْقُلُوبَ إِلَيْهَا، لِيُثِيبَ ٱلْمُطِيعَ وَيَرْزُقَهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ. عَلَى أَنَّ ٱلْمَقْصُودَ فِي ٱلدُّعَاءِ وَٱلْمَعْبُودَ فِي ٱلصَّلَاةِ إِنَّمَا هُوَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَزَّهُ عَنِ ٱلْحُلُولِ فِي ٱلْبَيْتِ أَوْ فِي ٱلسَّمَاءِ، لِأَنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى كَانَ مَوْجُودًا وَلَا مَكَانَ، لَا أَرْضَ وَلَا سَمَاءَ، وَهُوَ ٱلْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ. وَتَوَاضُعُ ٱلْإِنْسَانِ وَإِذْلَالُ ٱلنَّفْسِ فِي ٱلسُّجُودِ عَلَى ٱلتُّرَابِ بِنِيَّةِ ٱلْخُضُوعِ وَٱلِٱنْكِسَارِ لِعَظَمَةِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ، مَعَ حُضُورِ ٱلْقَلْبِ وَسَائِرِ ٱلْجَوَارِحِ، إِنَّمَا هُوَ إِشَارَةٌ طَاعَةِ

(1) الحج ٢٧/٢٨

ٱلْعَبْدِ لِخَالِقِهِ وَرَمْزُ ٱلْعِبَادَةِ، وَيَحْصُلُ لَهُ بِذَلِكَ تَطْهِيرُ ٱلْقَلْبِ وَتَزْكِيَتُهُ، لِأَنَّ مَنْ ذَلَّ نَفْسَهُ لِلَّهِ، رَفَعَهُ بِفَضْلِهِ مَوْلَاهُ.

قَوْلُ ٱلْإِمَامِ ٱلرَّازِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي تَنْزِيهِ ٱللَّهِ عَنِ ٱلْمَكَانِ وَٱلزَّمَانِ

مِمَّا قَالَهُ ٱلْإِمَامُ ٱلرَّازِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي تَنْزِيهِ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ عَنِ ٱلْمَكَانِ وَٱلزَّمَانِ: قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلْ لِّلَّهِ﴾ وَهَذَا مُشْعِرٌ بِأَنَّ ٱلْمَكَانَ وَكُلَّ مَا فِيهِ مُلْكٌ لِلَّهِ تَعَالَى. وَقَوْلُهُ ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ٱلزَّمَانَ، وَكُلَّ مَا فِيهِ مُلْكٌ لِلَّهِ تَعَالَى، وَمَجْمُوعُ ٱلْآيَتَيْنِ يَدُلَّانِ عَلَى أَنَّ ٱلْمَكَانَ وَٱلْمَكَانِيَّاتِ، وَٱلزَّمَانَ وَٱلزَّمَانِيَّاتِ كُلَّهَا مُلْكٌ لِلَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى تَنْزِيهِهِ عَنِ ٱلْمَكَانِ وَٱلزَّمَانِ.

- أساس التقديس ٢٩ -

بَعْضُ ٱلْأَسْئِلَةِ ٱلْمُنْكَرَةِ فِي حَقِّ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ

يَتَطَرَّقُ عَلَى أَذْهَانِ ضُعَفَاءِ ٱلْعُقُولِ مِنَ ٱلنَّاسِ أَسْئِلَةٌ كَثِيرَةٌ خَالِيَةٌ مِنَ ٱلتَّقْوَى وَٱلْإِيمَانِ، مَصْدَرُهَا وَسَاوِسُ ٱلشَّيَاطِينِ وَٱلنَّفْسِ وَٱلْهَوَى، مِنْهَا قَوْلُ: أَيْنَ ٱللَّهُ وَكَيْفَ ٱللَّهُ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ هُوَ ٱللَّهُ؟ وَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ هُوَ ٱللَّهُ

أَيْنَ ٱللَّهُ؟

وَقَدْ أَجَابَ ٱلْإِمَامُ عَبْدُ ٱلْغَنِيِّ ٱلنَّابُلُسِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَلَى هَذِهِ ٱلْأَسْئِلَةِ فَقَالَ: مَنْ قَالَ أَيْنَ ٱللَّهُ؟ قُلْنَا لَهُ: أَيْنَ كَلِمَةٌ يُسْتَفْهَمُ بِهَا عَنِ ٱلْمَكَانِ، وَٱللَّهُ تَعَالَى خَلَقَهَا، وَخَلَقَ مَعْنَاهَا، وَخَلَقَ قَائِلَهَا، وَخَلَقَ جَمِيعَ ٱلْأَمَاكِنِ، وَهُوَ تَعَالَى لَا يُوصَفُ بِٱلصِّفَاتِ ٱلْحَادِثَةِ ٱلْمَخْلُوقَةِ، فَلَا يَلِيقُ بِهِ أَنْ يُقَالَ عَنْهُ: أَيْنَ؟

كَيْفَ ٱللَّهُ؟

وَمَنْ قَالَ: كَيْفَ ٱللَّهُ؟ قُلْنَا لَهُ: كَيْفَ كَلِمَةٌ يُسْأَلُ بِهَا عَنْ كَيْفِيَّةِ ٱلشَّيْءِ، وَٱللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ هَذِهِ ٱلْكَلِمَةَ، وَخَلَقَ مَعْنَاهَا، وَخَلَقَ قَائِلَهَا، وَخَلَقَ سُؤَالَهُ، وَخَلَقَ

جَمِيعَ ٱلْكَيْفِيَّاتِ، فَلَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يُوصَفَ بِشَيْءٍ خَلَقَهُ، فَلَا يُقَالُ: كَيْفَ هُوَ؟ ﴿ فِي أَيِّ شَيْءٍ هُوَ ٱللَّهُ؟ ﴾ وَمَنْ قَالَ لَنَا: فِي أَيِّ شَيْءٍ هُوَ؟ قُلْنَا لَهُ: فِي، مَعْنَاهَا ٱلظَّرْفِيَّةُ ٱلْحَقِيقِيَّةُ (أَيْ تُفِيدُ أَنَّهُ فِي مَكَانٍ لَهُ حُدُودٌ) نَحْوَ: زَيْدٌ فِي ٱلْمَسْجِدِ، أَوْ مَجَازِيَّةٌ (أَيِ ٱلظَّرْفِيَّةُ غَيْرُ ٱلْحَقِيقِيَّةِ) نَحْوَ: ٱلنَّجَاةُ فِي ٱلصِّدْقِ. وَٱللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ هَٰذِهِ ٱلْكَلِمَةَ وَخَلَقَ مَعْنَاهَا، وَخَلَقَ قَائِلَهَا، وَخَلَقَ ٱلظَّرْفِيَّةَ ٱلْحَقِيقِيَّةَ وَٱلْمَجَازِيَّةَ، فَكَيْفَ يَلِيقُ بِهِ أَنْ يُقَالَ عَنْهُ: فِي أَيِّ شَيْءٍ هُوَ؟

﴿ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ هُوَ ٱللَّهُ؟ ﴾ وَمَنْ قَالَ لَنَا: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ هُوَ؟ قُلْنَا لَهُ: عَلَى، كَلِمَةٌ مَعْنَاهَا ٱلِٱسْتِعْلَاءُ، وَٱللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ هَٰذِهِ ٱلْكَلِمَةَ، وَخَلَقَ مَعْنَاهَا ٱلَّذِي هُوَ ٱلِٱسْتِعْلَاءُ، وَخَلَقَ قَائِلَهَا، فَلَا يُقَالُ عَنْهُ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ هُوَ؟... فَٱلْخَالِقُ لَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ خَلَقَهُ". أسرار الشريعة ١٧.

﴿ وَقَالَ ٱلْإِمَامُ مُحَمَّدٌ ٱلنَّوَوِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ﴾: مَنْ تَرَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ كَمُلَ إِيمَانُهُ: أَيْنَ، وَكَيْفَ، وَمَتَى، وَكَمْ. فَإِنْ قَالَ لَكَ قَائِلٌ: أَيْنَ ٱللَّهُ؟ فَجَوَابُهُ: لَيْسَ فِي مَكَانٍ وَلَا يَمُرُّ عَلَيْهِ زَمَانٌ. وَإِنْ قَالَ لَكَ: كَيْفَ ٱللَّهُ؟ فَقُلْ: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ. وَإِنْ قَالَ لَكَ: مَتَى ٱللَّهُ؟ فَقُلْ لَهُ: أَوَّلٌ بِلَا ٱبْتِدَاءٍ، وَآخِرٌ بِلَا ٱنْتِهَاءٍ وَإِنْ قَالَ لَكَ قَائِلٌ: كَمِ ٱللَّهُ؟ فَقُلْ لَهُ: وَاحِدٌ لَا مِنْ قِلَّةٍ، قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ". كاشفة السجا ٩.

﴿ وَعَنِ ٱلْإِمَامِ جَعْفَرٍ ٱلصَّادِقِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ﴾ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ زَعَمَ أَنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ فِي شَيْءٍ، أَوْ مِنْ شَيْءٍ، أَوْ عَلَى شَيْءٍ، فَقَدْ أَشْرَكَ بِٱللَّهِ تَعَالَى، إِذْ لَوْ كَانَ عَلَى شَيْءٍ لَكَانَ مَحْمُولًا، وَلَوْ كَانَ فِي شَيْءٍ لَكَانَ مَحْصُورًا، وَلَوْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ لَكَانَ مُحْدَثًا". شواهد الحق ٢٢٠. فَهَٰذِهِ ٱلْأَسْئِلَةُ لَا تَجُوزُ فِي حَقِّ ٱللَّهِ تَعَالَى، إِنَّمَا هِيَ فِي حَقِّ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ خَلَقَهُمْ مِنْ مَوَادَّ تُرَابِيَّةٍ، وَيَعِيشُونَ عَلَى أَشْيَاءَ أَرْضِيَّةٍ، وَيَأْوُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمُ ٱلسَّكَنِيَّةِ. أَمَّا ٱلْمَعَانِدُ ٱلَّذِي قَيَّدَ نَفْسَهُ فِي أَوْهَامِهِ وَتَخَيُّلَاتِهِ، أَلَمْ يَنْظُرْ مِنْ خِلَالِ هَٰذِهِ ٱلْكَائِنَاتِ، مِنْ سَمَاءٍ وَأَرْضٍ، إِلَى عَظَمَةِ ٱلْخَالِقِ سُبْحَانَهُ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَهُوَ غَارِقٌ فِي عِنَادِهِ، لَا يُمَيِّزُ ٱلْهَوَى مِنَ ٱلِٱسْتِقَامَةِ وَٱلْهُدَى.

قَالَ الشَّيْخُ الْبَيْجُورِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "فَإِذَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي ذِهْنِكَ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَوْلَى جِرْمًا (أَيْ جِسْمًا) وَلَا عَرَضًا (وَهُوَ مَا لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ وَلَا يُوجَدُ إِلَّا فِي مَحَلٍّ يَقُومُ بِهِ، وَهُوَ خِلَافُ الْجَوْهَرِ، وَذَلِكَ نَحْوُ حُمْرَةِ الْخَجَلِ وَصُفْرَةِ الْخَوْفِ)، وَلَا كُلًّا (أَيْ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَجْزَاءٌ بِحَيْثُ إِذَا جُمِعَتْ كُلُّهَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى)، وَلَا جُزْءًا، فَمَا حَقِيقَتُهُ؟ فَقُلْ فِي رَدِّ ذَلِكَ: لَا يَعْلَمُ اللَّهَ إِلَّا اللَّهُ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ". شرح جوهرة التوحيد

مَعْنَى كَوْنِ اللَّهِ مَعَ الْعِبَادِ

إِنَّ بَعْضَ الْجَمَاعَاتِ يَقَعُونَ فِي مَزَالِقَ وَمَهَالِكَ مُخِيفَةٍ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، هُنَا وَهُنَاكَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ فَيُجِيبُهُ الْآخَرُ: "قَوْلُكَ هَذَا كُفْرٌ، لِأَنَّ اللَّهَ إِذَا كَانَ مَعَكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ فَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ يَكُونُ مَعَكَ فِي الْمَرْحَاضِ، وَفِي أَمَاكِنِ الْقَذَارَةِ وَالْأَوْسَاخِ". وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْ هَكَذَا جَوَابٍ عَارٍ عَنِ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَخَالٍ مِنْ نُورِ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ الْفُضَلَاءِ، وَالْفُقَهَاءِ الْأَتْقِيَاءِ. فَمِنَ الْمَعْلُومِ الْمُقَرَّرِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْتَقِلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِجِسْمٍ، إِذْ كُلُّ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى مَكَانٍ يَقُومُ بِهِ، وَجِهَةٍ يَنْتَقِلُ إِلَيْهَا فَهُوَ مَخْلُوقٌ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا. فَلَيْسَ سُبْحَانَهُ حَالًّا بِالْأَمْكِنَةِ أَوِ الْأَجْسَادِ، أَوِ الْأَرْضِ أَوِ السَّمَوَاتِ، أَوْ بِقُلُوبِ الْعِبَادِ، أَنْبِيَاءَ كَانُوا أَمْ أَوْلِيَاءَ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَجُوزُ فِي الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَقَدْ أَطْلَقَ عُلَمَاءُ التَّفْسِيرِ الْأَفَاضِلُ عَلَى الْمَعِيَّةِ هُنَا مَعْنَى الْعَوْنِ وَالنَّصْرِ. فَاللَّهُ تَعَالَى مَعَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْعَوْنِ وَالنَّصْرِ وَالْإِغَاثَةِ وَاللُّطْفِ وَالْإِحْسَانِ، وَمُنَزَّهٌ عَنِ الْفَوْقِيَّةِ وَالتَّحْتِيَّةِ وَالْجِهَةِ وَالْمَكَانِ. قَالَ مَعْدَانُ الْعَابِدُ: "سَأَلْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ فَقَالَ: عِلْمُهُ". الأسماء والصفات للبيهقي

وَقَالَ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ يَعْنِي قُدْرَتُهُ وَسُلْطَانُهُ وَعِلْمُهُ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ". الأسماء والصفات للبيهقي

قَالَ الْإِمَامُ الْبَاقِلَّانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ -المجادلة ٧- : "يَعْنِي أَنَّهُ عَالِمٌ بِهِمْ وَبِمَا خَفِيَ مِنْ سَرَائِرِهِمْ وَنَجْوَاهُمْ". -كتاب التمهيد، ٢٦١-

وَقَالَ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "قَالَ تَعَالَى لِمُوسَىٰ وَهَارُونَ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾، وَهَذِهِ الْمَعِيَّةُ لَيْسَتْ إِلَّا بِالْحِفْظِ وَالْعِلْمِ وَالرَّحْمَةِ". -طه ٤٦- -أساس التقديس ٨٠-

مِمَّا وَرَدَ عَنْ قُرْبِ اللَّهِ تَعَالَى

إِنَّ بَعْضَ الْفَاشِلِينَ وَمُنْحَرِفِي الْعَقِيدَةِ يُسَمِّمُونَ أَفْكَارَ النَّاسِ بِتَفْسِيرَاتِهِمُ الْمُضِلَّةِ، فَهُمْ يُفَسِّرُونَ تَفْسِيرًا بَاطِلًا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: ... وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا... الْحَدِيثُ -مسند الامام أحمد، ٢/٤١٣- إِذْ يَذْهَبُونَ إِلَىٰ أَنَّ قُرْبَ اللَّهِ مِنْ عَبْدِهِ قُرْبٌ حِسِّيٌّ، بِمَعْنَىٰ أَنَّ اللَّهَ بَعِيدٌ جِدًّا عَنِ الْعَبْدِ، وَبِوَاسِطَةِ الطَّاعَاتِ يَتَقَرَّبُ اللَّهُ إِلَىٰ عَبْدِهِ وَيَتَقَرَّبُ الْعَبْدُ إِلَىٰ رَبِّهِ، حَتَّىٰ يُصْبِحَ الْعَبْدُ عَلَىٰ مَسَافَةٍ يَسْتَطِيعُ فِيهَا رُؤْيَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذَا التَّفْسِيرِ الشَّنِيعِ الَّذِي لَا يَجُوزُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَىٰ بِأَيِّ وَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ. فَقُرْبُ اللَّهِ تَعَالَىٰ مِنْ عَبْدِهِ لَيْسَ قُرْبًا زَمَانِيًّا وَلَا قُرْبًا مَكَانِيًّا، لِأَنَّهُمَا حَادِثَانِ. فَلَيْسَ الْقُرْبُ مِنْ طَرِيقِ طُولِ الْمَسَافَةِ الْحِسِّيَّةِ أَوْ قِصَرِهَا، وَإِنَّمَا الْقُرْبُ الْمُرَادُ فِي حَقِّهِ تَعَالَىٰ هُوَ الْقُرْبُ الْمَعْنَوِيُّ بِلَا كَيْفٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ.

قَالَ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ قُرْبِ اللَّهِ تَعَالَىٰ مِنَ الْعَبْدِ: "الْاِقْتِرَابُ وَالْإِتْيَانُ يَعْنِي بِهِمَا إِخْبَارًا عَنْ سُرْعَةِ الْإِجَابَةِ وَالْمَغْفِرَةِ". -الأسماء والصفات ٣٦٤-

وَأَضَافَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي شَرْحِ الْقُرْبِ الْمَعْنَوِيِّ:

- تَقَرُّبُ الْعَبْدِ بِالْإِحْسَانِ، وَتَقَرُّبُ الْحَقِّ بِالْامْتِنَانِ...
- تَقَرُّبُ الْعَبْدِ إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، وَتَقَرُّبُ الْبَارِي إِلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ.
- تَقَرُّبُ الْعَبْدِ إِلَيْهِ بِالسُّؤَالِ، وَتَقَرُّبُهُ إِلَيْهِ بِالنَّوَالِ.

● تَقَرُّبُ ٱلْعَبْدِ إِلَيْهِ بِٱلسِّرِّ، وَتَقَرُّبُهُ إِلَيْهِ بِٱلْبِشْرِ". الأسماء والصفات ٥٧٧.

وَقَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلْغَزَالِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "ٱلْمُرَادُ: قُرْبُ ٱلْكَرَامَةِ وَٱلْإِنْعَامِ". الاقتصاد في الاعتقاد.

وَقَالَ ٱلْإِمَامُ عَلِيٌّ ٱلْقَارِي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "إِنَّ مُخْتَارَ ٱلْإِمَامِ (أَيْ أَبِي حَنِيفَةَ) أَنَّ قُرْبَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلْخَلْقِ، وَقُرْبَ ٱلْخَلْقِ مِنَ ٱلْحَقِّ، وَصْفٌ بِلَا كَيْفٍ، وَنَعْتٌ بِلَا كَشْفٍ، وَٱلْجُمْهُورُ يُؤَوِّلُونَهَا وَيَحْمِلُونَهَا عَلَى قُرْبِ رَحْمَتِهِ بِطَاعَتِهِ، وَبُعْدِ نِعْمَتِهِ بِمَعْصِيَتِهِ". الفقه الأكبر ٨٦. فَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَى ٱللَّهِ تَعَالَى بِٱلطَّاعَةِ وَٱلْإِيمَانِ وَٱلْأَعْمَالِ ٱلصَّالِحَةِ، ذَاقَ نَعِيمَ ٱلْقُرْبِ ٱلْمَعْنَوِيِّ. أَمَّا بُعْدُ أَهْلِ ٱلْكُفْرِ وَٱلْعِصْيَانِ عَنِ ٱللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ بِمَعْنَى بُعْدِ ٱلرَّحْمَةِ وَٱلرِّضَا عَنْهُمْ، وَحِرْمَانِهِمْ مِنَ ٱلتَّجَلِّي ٱلْإِلَهِي، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَإِشْرَاكِهِمْ، فَهُمْ مَحْجُوبُونَ عَنْ نَعِيمِ ٱلْقُرْبِ، وَلَيْسَ بُعْدُهُمْ بِمَعْنَى أَنَّ ٱللَّهَ بَعِيدٌ عَنْهُمْ، غَافِلٌ عَمَّا هُمْ فَاعِلُوهُ. فَقَدْ قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ كِنَايَةٌ عَنْ كَمَالِ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ

قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلْخَازِنُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ ٱللَّهِ تَعَالَى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ البقرة: "فَإِنِّي قَرِيبٌ أَيْ قَرِيبٌ بِٱلْعِلْمِ وَٱلْحِفْظِ، لَا يَخْفَى عَلَيَّ شَيْءٌ". تفسير الخازن ١/١٥٩. فَلَا قُرْبَ مَعَ ٱللَّهِ بِمُمَاسَّةٍ وَلَا بِمَكَانٍ كَمَا يَقْرُبُ ٱلْعَبْدُ مِنْ أَخِيهِ، وَلَكِنَّهُ قُرْبٌ مَعْنَوِيٌّ. فَٱلطَّاعَاتُ وَٱلرِّضَا وَٱنْصِبَابُ ٱلرَّحَمَاتِ هِيَ ٱلْقُرْبُ ٱلْمَطْلُوبُ بَيْنَ ٱلْعَبْدِ وَٱلْمَعْبُودِ.

مِمَّا وَرَدَ عَنْ صِفَةِ ٱلْإِحَاطَةِ

إِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ مُتَحَيِّزًا بِمَكَانٍ، وَلَا يَنْتَقِلُ مِنْ جِهَةٍ إِلَى أُخْرَى، وَلَا يُفْرِغُ مَكَانًا وَيَمْلَأُ آخَرَ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنْ صِفَاتِ ٱلْحَوَادِثِ، مِنْ جَوْهَرٍ (وَجَوْهَرُ كُلِّ شَيْءٍ مَا خُلِقَتْ عَلَيْهِ جِبِلَّتُهُ) وَأَعْرَاضٍ (جَمْعُ عَرَضٍ وَهُوَ مَا لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ وَمَا لَا يُوجَدُ إِلَّا فِي مَحَلٍّ يَقُومُ بِهِ، وَهُوَ خِلَافُ ٱلْجَوْهَرِ، وَذَلِكَ نَحْوُ حُمْرَةِ ٱلْخَجَلِ وَصُفْرَةِ ٱلْخَوْفِ) وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي ٱلْآيَاتِ ٱلْكَرِيمَةِ مِنْ وَصْفِ ٱللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

بِأَنَّهُ مُحِيطٌ، وَالَّتِي قَدْ تَوَهَّمَ الْبَعْضُ فَظَنُّوا أَنَّ مَعْنَاهَا الْإِحَاطَةُ الْحِسِّيَّةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩]. وَقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾ [البروج: ٢٠]. فَمَعْنَاهَا كَمَا قَرَّرَ حَضَرَاتُ الْأَئِمَّةِ الْعُلَمَاءِ:

قَالَ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِهِ: "وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ أَيْ عَالِمٌ بِهِمْ، وَقِيلَ: جَامِعُهُمْ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يَجْمَعُهُمْ فَيُعَذِّبُهُمْ. وَقِيلَ: مُهْلِكُهُمْ. دَلِيلُهُ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦] أَيْ تَهْلَكُوا جَمِيعًا".

وَقَالَ الْحَلِيمِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ صِفَةِ اللَّهِ "الْمُحِيطِ": وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ الَّذِي لَا يُقْدَرُ عَلَى الْفِرَارِ مِنْهُ. وَهَذِهِ الصِّفَةُ لَيْسَتْ حَقًّا إِلَّا لِلَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَهِيَ رَاجِعَةٌ إِلَى كَمَالِ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، وَانْتِفَاءِ الْغَفْلَةِ وَالْعَجْزِ عَنْهُ". الأسماء والصفات ٥٨.

وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "هُوَ الَّذِي أَحَاطَتْ قُدْرَتُهُ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ، وَهُوَ الَّذِي ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] وَ﴿أَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨]". الأسماء والصفات ٥٨.

(١) (انتفاء الغفلة والعجز عنه، أي عدم وصفه بالغفلة والعجز).

مِمَّا وَرَدَ عَنْ مَجِيءِ اللَّهِ تَعَالَى

أَكْثَرُ الْمُنَافِقِينَ قَدْ تَاجَرُوا بِالْآيَاتِ الْمُبَارَكَةِ وَالْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ بِضَلَالِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، إِذْ يَقُولُ بَعْضُهُمْ: إِنَّ اللَّهَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ صُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ مَجِيءَ انْتِقَالٍ وَحَرَكَةٍ، فَيَنْتَقِلُ مِنْ مَكَانٍ وُجُودِهِ إِلَى مَكَانِ وُجُودِ النَّاسِ لِمُحَاسَبَتِهِمْ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْ تِلْكَ الْمَفَاسِدِ الْمُظْلِمَةِ. إِنَّ الْمَجِيءَ وَالِانْتِقَالَ الْحِسِّيَّيْنِ هُمَا مِنْ صِفَاتِ الْأَشْخَاصِ الْمَخْلُوقِينَ أَصْحَابِ الْأَعْضَاءِ وَالْأَقْدَامِ، فَيَكُونُ انْتِقَالُهُمْ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ بِفَرَاغِ مَكَانٍ وَامْتِلَاءِ آخَرَ، وَهَذَا لَا يَلِيقُ بِقُدْسِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَلَا بِصِفَاتِهِ الْمُنَزَّهَةِ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ. وَهُمْ بِاعْتِقَادِهِمْ هَذَا يُثْبِتُونَ الْمَسَافَاتِ بَيْنَ اللَّهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَاللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْكَيْفِيَّةِ وَالْكَمِّيَّةِ وَالتَّشْبِيهِ، وَمَجِيئُهُ سُبْحَانَهُ مَجِيءٌ يَلِيقُ بِهِ بِلَا كَيْفٍ، فَلَيْسَ كَمَجِيءِ أَصْحَابِ الْأَجْسَامِ

قَالَ الْإِمَامُ الْمُزَنِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَعْنَى مَجِيءِ اللَّهِ تَعَالَى:

"الْمَجِيءُ وَالنُّزُولُ صِفَتَانِ مَنْفِيَّتَانِ عَنِ اللهِ تَعَالَى مِنْ طَرِيقِ الْحَرَكَةِ وَالِانْتِقَالِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، بَلْ هُمَا صِفَتَانِ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى بِلَا تَشْبِيهٍ، جَلَّ اللهُ تَعَالَى عَمَّا تَقُولُ الْمُعَطِّلَةُ لِصِفَاتِهِ وَالْمُشَبِّهَةُ بِهَا عُلُوًّا كَبِيرًا". الأسماء والصفات ٤٥٦.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ «الْمُرَادُ بِهِ: قُدْرَتُهُ وَأَمْرُهُ». الأسماء والصفات ٤٤٨.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "وَأَمَّا الْإِتْيَانُ وَالْمَجِيءُ، فَعَلَى قَوْلِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يُحْدِثُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِعْلًا يُسَمِّيهِ إِتْيَانًا وَمَجِيئًا، لَا بِأَنْ يَتَحَرَّكَ أَوْ يَنْتَقِلَ، فَإِنَّ الْحَرَكَةَ وَالسُّكُونَ وَالِاسْتِقْرَارَ مِنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ، وَاللهُ تَعَالَى أَحَدٌ صَمَدٌ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ". الأسماء والصفات ٤٤٨.

وَقَالَ الشَّيْخُ الْكَوْثَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: "وَإِثْبَاتُ الْحَرَكَةِ وَالِانْتِقَالِ وَالْجِهَةِ وَنَحْوِهَا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ تَجْسِيمٌ صَرِيحٌ بِغَيْرِ كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ. وَكَذَلِكَ إِثْبَاتُ الْحَدِّ وَالْجُلُوسِ وَالْمُمَاسَّةِ، تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ. وَإِثْبَاتُ النُّقْلَةِ وَالْحَرَكَةِ لَهُ تَعَالَى رَغْبَةٌ (أَيْ إِعْرَاضٌ) عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَيْلٌ إِلَى أَعْدَائِهِ الصَّابِئَةِ عَبَدَةِ الْأَجْرَامِ الْعُلْوِيَّةِ.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْخَازِنُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ البقرة ٢١٠. "هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ، أَيِ الْآيَاتُ، فَيَكُونُ مَجِيءُ الْآيَاتِ مَجِيئًا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى سَبِيلِ التَّفْخِيمِ لِشَأْنِ الْآيَاتِ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ. وَوَجْهُ هَذَا التَّأْوِيلِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى بَيَّنَهُ فِي آيَةٍ أُخْرَى فَقَالَ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ النحل ٣٣. فَصَارَ هَذَا الْمُحْكَمُ مُفَسِّرًا لِهَذَا الْمُجْمَلِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ، يَأْتِيهِمُ اللهُ بِمَا أَوْعَدَ مِنَ الْحِسَابِ وَالْعِقَابِ، فَحَذَفَ مَا يَأْتِي بِهِ تَهْوِيلًا عَلَيْهِمْ... وَقِيلَ: مَعْنَاهُ، مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ قَهْرُ اللهِ وَعَذَابُهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ. فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ كَانَ إِتْيَانُ الْعَذَابِ فِي الْغَمَامِ؟ قُلْتُ: لِأَنَّ الْغَمَامَ مَظِنَّةُ الرَّحْمَةِ، وَمِنْهُ يَنْزِلُ الْمَطَرُ، فَإِذَا نَزَلَ مِنْهُ الْعَذَابُ كَانَ أَعْظَمَ وَأَفْظَعَ". تفسير الخازن ١/١٩٠.

مِمَّا وَرَدَ عَنْ نُزُولِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ

إِنَّ بَعْضَ ٱلنَّاسِ إِذَا سَمِعُوا قَوْلَ حَضْرَةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى ٱلسَّمَاءِ ٱلدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ ٱللَّيْلِ ٱلْآخِرِ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ. رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم الفتح الكبير ٤٢٦ ظَنُّوا أَنَّ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ يَنْزِلُ كَمَا يَنْزِلُ خَلْقُهُ نُزُولَ نُقْلَةٍ، وَهَٰذَا مَا لَا يَجُوزُ فِي حَقِّ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إِذْ لَا بُدَّ لِمَنْ يَنْزِلُ مِنْ مَكَانٍ وَيَرْجِعُ إِلَيْهِ، أَنْ يَكُونَ مُحْتَاجًا لِهَٰذَا ٱلْمَكَانِ، وَهَٰذَا مُسْتَحِيلٌ فِي حَقِّ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ، لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ خَالِقُ ٱلْمَكَانِ، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَحْتَاجَ ٱلْخَالِقُ لِلْمَخْلُوقِ.

قَالَ ٱلشَّيْخُ مُحْيِي ٱلدِّينِ بْنُ عَرَبِيٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "وَمِنَ ٱلْأَحَادِيثِ ٱلْمُتَشَابِهَةِ أَحَادِيثُ نُزُولِهِ سُبْحَانَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ ٱلدُّنْيَا، وَهُوَ لَا يَسْتَلْزِمُ إِثْبَاتَ ٱلْجِهَةِ، وَلَا ٱتِّصَافَهُ تَعَالَىٰ بِٱلْحَرَكَةِ وَٱلنُّقْلَةِ، فَإِنَّهَا عَرَضٌ (ٱنْظُرْ مَعْنَىٰ عَرَض ص١٣٧)، وَٱلْأَعْرَاضُ يَلْزَمُهَا ٱلْحُدُوثُ، وَٱلْحُدُوثُ عَلَى ٱلْقَدِيمِ مُحَالٌ". رد معاني الآيات المتشابهات، ٤٧. فَٱلنُّزُولُ ٱلْوَارِدُ فِي حَدِيثِ حَضْرَةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا هُوَ بِمَعْنَى ٱللُّطْفِ وَٱلرَّحْمَةِ. وَمِمَّا قِيلَ فِي أَخْبَارِ ٱلنُّزُولِ أَنَّ ٱلْمُرَادَ بِهِ: فِعْلٌ لَيْسَ كَأَفْعَالِنَا، يُحْدِثُهُ ٱللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سَمَاءِ ٱلدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ يُسَمِّيهِ نُزُولًا، بِلَا حَرَكَةٍ وَلَا نُقْلَةٍ، تَعَالَىٰ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْ صِفَاتِ ٱلْمَخْلُوقِينَ.

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ ٱلْخَطَّابِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مُعَلِّقًا عَلَىٰ حَدِيثِ ٱلنُّزُولِ: "وَإِنَّمَا يُنْكِرُ هَٰذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِنَ ٱلْحَدِيثِ مَنْ يَقِيسُ ٱلْأُمُورَ فِي ذَٰلِكَ بِمَا يُشَاهِدُهُ مِنَ ٱلنُّزُولِ ٱلَّذِي هُوَ نَزْلَةٌ مِنْ أَعْلَىٰ إِلَىٰ أَسْفَلَ، وَٱنْتِقَالٌ مِنْ فَوْقٍ إِلَىٰ تَحْتٍ، وَهَٰذَا صِفَةُ ٱلْأَجْسَامِ وَٱلْأَشْبَاحِ، فَأَمَّا نُزُولُ مَنْ لَا يَسْتَوْلِي عَلَيْهِ صِفَاتُ ٱلْأَجْسَامِ، فَإِنَّ هَٰذِهِ ٱلْمَعَانِي غَيْرُ مُتَوَهَّمَةٍ فِيهِ، وَإِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ عَنْ قُدْرَتِهِ وَرَأْفَتِهِ بِعِبَادِهِ، وَعَطْفِهِ عَلَيْهِمْ، وَٱسْتِجَابَتِهِ دُعَاءَهُمْ وَمَغْفِرَتِهِ لَهُمْ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، لَا يَتَوَجَّهُ

عَلَى صِفَاتِهِ كَيْفِيَّةٌ، وَلَا عَلَى أَفْعَالِهِ كَمِّيَّةٌ، سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ. الاعتقاد والصفات ٥٨، ٥٩

وَقَالَ الْإِمَامُ الْخَازِنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "نُقِلَ عَنِ الْإِمَامِ مَالِكٍ وَغَيْرِهِ، أَنَّ مَعْنَاهُ: (أَيْ يَنْزِلُ رَبُّنَا): تَنْزِلُ رَحْمَتُهُ وَأَمْرُهُ وَمَلَائِكَتُهُ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ، الْإِقْبَالُ عَلَى الدَّاعِينَ بِالْإِجَابَةِ وَاللُّطْفِ". تفسير الخازن ١/ ١٦٠.

مِمَّا وَرَدَ عَنِ الْهَرْوَلَةِ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ ... وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَمَنْ جَاءَنِي يَمْشِي جِئْتُهُ مُهَرْوَلًا مسند الإمام أحمد ٢/ ٤٣٧. هَذَا الْحَدِيثُ هُوَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي اخْتَارَ فِي مَعْنَاهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عِنْدَ قِرَاءَتِهَا، فَتَسَاءَلُوا عَنْ مَعْنَى الْهَرْوَلَةِ مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُنَزَّهٌ عَنِ الِانْتِقَالِ وَالْحَرَكَةِ، وَعَنِ الْحَاجَةِ إِلَى مَكَانٍ يَقُومُ فِيهِ. فَنَقُولُ: مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْهَرْوَلَةَ هِيَ مِنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ الْمُتَنَقِّلَةِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ بِوَاسِطَةِ الْأَقْدَامِ الْمَخْلُوقَةِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْجِسْمِ وَالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ، فَكَانَ لَا بُدَّ هُنَا مِنْ تَأْوِيلِ اللَّفْظَةِ، وَصَرْفِهَا عَنْ ظَاهِرِهَا الْمُوهِمِ بِالتَّشْبِيهِ.

قَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ الْهَرْوَلَةِ: "مَعْنَاهُ، أَنَّ رَحْمَتِي وَنِعْمَتِي أَشَدُّ انْصِبَابًا إِلَى عِبَادِي مِنْ طَاعَتِهِمْ إِلَيَّ". الاقتصاد في الاعتقاد ٣٧.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "الْقَوْلُ فِي الْهَرْوَلَةِ، إِنَّمَا يُخْبِرُ عَنْ سُرْعَةِ الْقَبُولِ وَحَقِيقَةِ الْإِقْبَالِ، وَدَرَجَةِ الْوُصُولِ". الأسماء والصفات ٢/ ٥٥٧.

مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: "إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ"

إِنَّ الْعَوَامَّ مِنَ النَّاسِ عِنْدَمَا يَظْلِمُهُمْ ظَالِمٌ، وَلَا يَجِدُونَ مَنْ يَنْتَصِرُ لَهُمْ مِنْهُ، لَاسِيَّمَا فِي هَذَا الزَّمَانِ الَّذِي فَقَدْنَا فِيهِ الْمُدَافِعَ عَنْ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْمُنَاصِرَ لِلضَّعِيفِ الْمَظْلُومِ

فَيُرَدِّدُونَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ الفجر:١٤. وَيَقُصُّونَ بِذَلِكَ أَنَّ الظَّالِمَ لَنْ يَقْدِرَ عَلَى الْفِرَارِ مِنْ عِقَابِ رَبِّهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا فَبِالْآخِرَةِ، وَلَنْ يُنَافِعَ عَنْهُ مَنِ الْتَجَأَ إِلَيْهِ وَاحْتَمَى بِهِ لِيَظْلِمَ عِبَادَ اللَّهِ، بِجَاهِهِ وَسُلْطَانِهِ. وَاعْتِقَادُهُمْ هَذَا سَلِيمٌ لَا شَكَّ فِيهِ، وَلَا غُبَارَ عَلَيْهِ.

وَقَدْ قَالَ حَضْرَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي تَفْسِيرِ مَعْنَى الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ يَعْنِي بِحَيْثُ يَرَى وَيَسْمَعُ وَيُبْصِرُ مَا تَقُولُ وَتَفْعَلُ وَتَهْجِسُ بِهِ الْعِبَادُ. معالم التنزيل ٪

وَقَالَ الْفَرَّاءُ رَحِمَهُ اللَّهُ: "إِلَيْهِ الْمَصِيرُ". تفسير الفخر الرازي ٣١/١٧٠.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ثُمَّ قَوْلُ الْفَرَّاءِ فِي مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا تَخْوِيفُ الْعِبَادِ لِيَحْذَرُوا عُقُوبَتَهُ إِذَا عَلِمُوا أَنَّهُ يَسْمَعُ وَيَرَى مَا يَقُولُونَ وَيَفْعَلُونَ، وَأَنَّ مَصِيرَهُمْ إِلَيْهِ". الأسماء والصفات.

فَأَيُّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ حَسَنَةٍ أَوْ سَيِّئَةٍ، فِي اللَّيْلِ كَانَ أَوْ فِي النَّهَارِ، سِرًّا أَوْ عَلَانِيَةً، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ عَالِمٌ بِهِ، وَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلَى أَفْعَالِ عِبَادِهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا بَيْنَهُمَا.

صَلَاةُ اللَّهِ وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ

قَرَأَ أَحَدُ الْجَاهِلِينَ عَلَى صَاحِبِهِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ الأحزاب:٥٦. وَسَأَلَهُ: هَلْ يُصَلِّي اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ بِرُكُوعٍ وَسُجُودٍ؟ وَعَلَى مَاذَا يَسْجُدُونَ؟ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ الْفَاسِدَةِ الضَّالَّةِ الْمُضِلَّةِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى تَشْبِيهِ اللَّهِ تَعَالَى بِخَلْقِهِ. إِنَّ صَلَاةَ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ، صَلَاةٌ بِرُكُوعٍ وَسُجُودٍ بِوَاسِطَةِ الْجَوَارِحِ كَالْيَدَيْنِ، وَالْقَدَمَيْنِ، الخ... أَمَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَمُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَخَلْقِهِ، وَبِالتَّالِي فَإِنَّ مَعْنَى الصَّلَاةِ الْمُضَافَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَخْتَلِفُ عَنْ مَعْنَى الصَّلَاةِ الْوَارِدَةِ فِي حَقِّ حَضَرَاتِ الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ، وَالْإِنْسِ وَالْجَانِّ: فَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَغَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ

أَهْلِ ٱلْعِلْمِ أَنَّهُمْ قَالُوا: صَلَاةُ ٱلرَّبِّ ٱلرَّحْمَةُ، وَصَلَاةُ ٱلْمَلَائِكَةِ ٱلِٱسْتِغْفَارُ" فتح القدير ٤/٣٠١.
وَمَعْنَى قَوْلِهِمْ: صَلَاةُ ٱلرَّبِّ ٱلرَّحْمَةُ، يَدُلُّ عَلَى دَوَامِ إِرْسَالِ ٱلرَّحَمَاتِ وَٱلْبَرَكَاتِ عَلَى رَسُولِهِ حَيًّا وَمَيْتًا. وَقَدْ وَرَدَ عَنْ حَضْرَةِ أَبِي بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي وَصْفِ حَضْرَةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي طِبْتَ حَيًّا وَمَيْتًا". مكاشفة القلوب ٤٤١. وَيُؤْخَذُ مِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَوَاتُرُ نُزُولِ ٱلْبَرَكَاتِ وَٱلرَّحَمَاتِ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيًّا وَمَيْتًا.

مَعْنَى ٱلْحَدِيثِ ٱلشَّرِيفِ: "فَإِنَّ ٱللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ"

مِنَ ٱلْفَهْمِ ٱلْخَاطِئِ وَٱلْوَهْمِ ٱلْفَاسِدِ، ٱلْخَالِي مِنَ ٱلنُّورِ وَٱلتَّنْزِيهِ لِلَّهِ تَعَالَى، مَا يَفْهَمُهُ ٱلْبَعْضُ مِنْ قَوْلِ حَضْرَةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَاهُ حَضْرَةُ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى نُخَامَةً[1] فِي ٱلْقِبْلَةِ فَشَقَّ ذَٰلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى رُؤِيَ فِي وَجْهِهِ. فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ فَقَالَ ﴿ إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ - أَوْ إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْقِبْلَةِ - فَلَا يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ قِبَلَ قِبْلَتِهِ، وَلَٰكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ... ﴾ - الحديث، فتح الباري ١/٥٠٧. وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ حَضْرَةِ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا «أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ رَأَى بُصَاقًا فِي جِدَارِ ٱلْقِبْلَةِ فَحَكَّهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَقَالَ: ﴿ إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلَا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ، فَإِنَّ ٱللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى ﴾ - فتح الباري ١/٥٠٩. فَيَذْهَبُونَ إِلَى ٱلْقَوْلِ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْجُودٌ أَمَامَ ٱلْمُصَلِّي، وَٱلْعِيَاذُ بِٱللَّهِ مِنْ هَٰذَا ٱلْجَهْلِ ٱلْمُبِينِ. فَمِنَ ٱلْمَعْلُومِ أَنَّ ٱللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَانَ وَلَا مَكَانَ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنِ ٱلْجِهَةِ وَٱلْحَيِّزِ (أي النَّاحِيَةِ) لِأَنَّ ذَٰلِكَ مِنْ صِفَاتِ ٱلْمُحْدَثَاتِ ٱلْقَابِلَةِ لِلْفَنَاءِ.

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ ٱلْخَطَّابِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "قَوْلُهُ: فَإِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى قِبَلَ وَجْهِهِ، تَأْوِيلُهُ أَنَّ ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي أَمَرَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى بِٱلتَّوَجُّهِ إِلَيْهَا لِلصَّلَاةِ قِبَلَ وَجْهِهِ، فَلْيَصُنْهَا عَنِ ٱلنُّخَامَةِ

(١) نُخَامَةٌ: مَا يُخْرِجُهُ ٱلْإِنْسَانُ مِنْ حَلْقِهِ)

وَفِيهِ إِضْمَارٌ وَحَذْفٌ وَاخْتِصَارٌ... وَإِنَّمَا أُضِيفَ تِلْكَ الْجِهَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَلَى سَبِيلِ التَّكْرِمَةِ، كَمَا قِيلَ بَيْتُ اللَّهِ وَكَعْبَةُ اللَّهِ"... وَقَالَ فِي قَوْلِهِ: رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، "مَعْنَاهُ: أَنَّ تَوَجُّهَهُ إِلَى الْقِبْلَةِ مُفْضٍ بِالْقَصْدِ مِنْهُ إِلَى رَبِّهِ"..

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "... مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، أَيْ إِنَّ ثَوَابَ اللَّهِ لِهَذَا الْمُصَلِّي يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: يَجِيءُ الْقُرْآنُ بَيْنَ يَدَيْ صَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْ: يَجِيءُ ثَوَابُ قِرَاءَتِهِ الْقُرْآنَ". - الأسماء والصفات، البيهقي ٥٨٨.

بِمَا وَرَدَ عَنْ ظِلِّ اللَّهِ تَعَالَى

يَتَسَاءَلُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ... الحديث، أخرجه البخاري. وَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ ظِلٌّ، وَالظِّلُّ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلْأَجْسَامِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ؟ وَفِي تَفْسِيرِ مَعْنَاهُ قَالَ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وَمَعْنَاهُ عِنْدَ أَهْلِ النَّظَرِ، إِدْخَالُهُ إِيَّاهُمْ فِي رَحْمَتِهِ وَرِعَايَتِهِ... وَقَدْ قِيلَ: الْمُرَادُ بِالْخَبَرِ ظِلُّ الْعَرْشِ، وَإِنَّمَا الْإِضَافَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَقَعَتْ عَلَى مَعْنَى الْمُلْكِ". الأسماء والصفات ٥٥٩.

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وَإِذَا كَانَ الْمُرَادُ ظِلَّ الْعَرْشِ، اسْتَلْزَمَ مَا ذُكِرَ مِنْ كَوْنِهِمْ فِي كَنَفِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ". فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢/ ١٤٤. (١) "وَكَنَفُ اللَّهِ: رَحْمَتُهُ... وَقَالَ ابْنُ شُمَيْلٍ: يَضَعُ اللَّهُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، أَيْ: رَحْمَتَهُ وَبِرَّهُ، وَفِيهِ تَمْثِيلٌ لِجَعْلِهِ تَحْتَ ظِلِّ رَحْمَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". لسان العرب، مادة كنف

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ الْأَنْدَلُسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "مَعْنَى يُظِلُّهُمْ بِظِلِّهِ، أَيْ إِنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ، يُعَافِيهِمْ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَحَرِّهِ، بِظِلِّهِ الْمَدِيدِ، وَرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ، وَالْكَيْفِيَّةُ لَا مَجَالَ لِلْعَقْلِ فِيهَا، لِأَنَّ الْآخِرَةَ يُصَدَّقُ بِهَا وَلَا يُتَعَرَّضُ إِلَى كَيْفِيَّتِهَا". - بهجة النفوس ١/ ٥٥٥.

مِمَّا وَرَدَ عَنْ إِقْبَالِ اللهِ تَعَالَى

قَدْ يَتَبَادَرُ عَلَى أَذْهَانِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ عِنْدَ قِرَاءَتِهِمْ لِقَوْلِ حَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا يَزَالُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مُقْبِلًا عَلَى الْعَبْدِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَرَفَ وَجْهَهُ انْصَرَفَ عَنْهُ» - مسند الإمام أحمد ٥/١٧٤ - أَنَّ إِقْبَالَ اللهِ وَانْصِرَافَهُ، شَبِيهٌ بِإِقْبَالِ الْمَرْءِ عَلَى رَفِيقِهِ وَانْصِرَافِهِ عَنْهُ، تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا. إِنَّ إِقْبَالَ الْعَبْدِ وَانْصِرَافَهُ صِفَتَانِ يَتِمُّ بِهِمَا الِانْتِقَالُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ، فَيَتِمُّ بِذَلِكَ امْتِلَاءُ مَكَانٍ وَفَرَاغُ آخَرَ، وَهَذَا مَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِ اللهِ تَعَالَى، إِذْ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَيْسَ بِحَاجَةٍ إِلَى مَكَانٍ وَلَا يَحُلُّ سُبْحَانَهُ فِيهِ، إِذِ الْمَكَانُ مَخْلُوقٌ وَاللهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَيَسْتَحِيلُ احْتِيَاجُ الْخَالِقِ لِلْمَخْلُوقِ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ كَانَ مَوْجُودًا قَبْلَ خَلْقِ الْمَكَانِ. فَاللهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْإِقْبَالِ وَالِانْصِرَافِ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى الِانْتِقَالِ لِمَا فِيهَا مِنْ تَكْيِيفٍ وَحَرَكَاتٍ وَأَفْعَالٍ بَشَرِيَّةٍ، وَهِيَ عَنْهُ سُبْحَانَهُ مَنْفِيَّةٌ. فَإِقْبَالُهُ تَعَالَى وَانْصِرَافُهُ هُمَا عَلَى حَسَبِ مَا يَلِيقُ بِصِفَاتِهِ مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ وَكَيْفِيَّةٍ.

قَالَ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ رَحِمَهُ اللهُ: «نُزُولُهُ إِقْبَالُهُ» - الأسماء والصفات ٥٧٤ -. وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ إِقْبَالُ اللهِ تَعَالَى بِمَعْنَى النُّزُولِ الَّذِي يَلِيقُ بِجَلَالِهِ سُبْحَانَهُ مِنْ غَيْرِ انْتِقَالٍ وَحَرَكَةٍ، إِنَّمَا هُوَ إِقْبَالُ رَأْفَةٍ وَرَحْمَةٍ، وَعَطَاءٍ وَمَغْفِرَةٍ، وَرِضًا وَلُطْفٍ، وَاسْتِجَابَةٍ لِدَعَوَاتِ الْعِبَادِ الطَّائِعِينَ. وَأَمَّا الِانْصِرَافُ فَهُوَ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى مُنَزَّهٌ أَيْضًا عَنِ الْحَرَكَةِ وَالِانْتِقَالِ وَصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَهُوَ انْصِرَافٌ يَلِيقُ بِجَلَالِ اللهِ سُبْحَانَهُ، مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ وَكَيْفِيَّةٍ. وَعَلَى هَذَا يَكُونُ تَأْوِيلُهُ بِخِلَافِ مَعْنَى الْإِقْبَالِ، فَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ انْحِجَابِ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَتَوَقُّفِ الْعَطَاءِ وَالْمَغْفِرَةِ، وَالرِّضَا وَاللُّطْفِ، وَعَدَمِ اسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ. وَإِنَّمَا يَكُونُ الْحَجْبُ بِسَبَبِ تَقْصِيرِ الْعَبْدِ فِي الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَفُتُورٍ فِي عِبَادَتِهِ وَسُؤَالِهِ.

(* الْفُتُورُ: هُوَ السُّكُونُ بَعْدَ الْحِدَّةِ، وَاللِّينُ بَعْدَ الشِّدَّةِ).

ٱسْتِوَاءُ ٱلرَّحْمَٰنِ وَمَا ٱخْتَارَ فِيهِ عَقْلُ ٱلْإِنْسَانِ

لَمْ تَزَلْ نَارُ ٱلضَّجَّةِ وَٱلرَّهْجَةِ تَتَأَجَّجُ مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ لِتُفْسِدَ عَقَائِدَ ٱلنَّاسِ فِي تَفْسِيرِ ٱلْآيَاتِ ٱلْمُتَشَابِهَاتِ. وَمِنْ هَٰذِهِ ٱلْآيَاتِ، قَوْلُ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ طه. وَٱلنَّاسُ فِي ذَٰلِكَ فَرِيقَانِ:

● فَرِيقٌ نَزَّهَ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ عَنْ صِفَاتِ ٱلْحُدُوثِ، وَنَفَىٰ عَنْهُ سُبْحَانَهُ جَمِيعَ أَفْعَالِ ٱلْمَخْلُوقِ، وَهَٰذِهِ عَقِيدَةُ أَهْلِ ٱلسُّنَّةِ وَٱلْجَمَاعَةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا يَنْهَجُونَ نَهْجًا خَاصًّا فِي تَأْوِيلِ ٱلْآيَاتِ ٱلْمُتَشَابِهَاتِ، بِمَا يُوَافِقُ ٱلسُّنَّةَ وَٱلْكِتَابَ.

● وَفَرِيقٌ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا، وَلَمْ يَرْجِعْ عَنْ رَأْيِهِ حَتَّىٰ بَعْدَ أَنِ ٱنْكَشَفَ ٱلسِّتَارُ عَنْهُ، وَظَهَرَ عِنَادُهُ وَجَهْلُهُ، إِذْ أَصَرَّ أَنَّ مَعْنَىٰ قَوْلِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ طه. أَنَّ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ جَلَسَ وَٱسْتَقَرَّ فَوْقَ ٱلْعَرْشِ، وَٱلْعِيَاذُ بِٱللَّهِ، فَأَثْبَتُوا بِذَٰلِكَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ ٱلْجِهَةَ وَٱلْمَكَانَ وَٱلْحَاجَةَ وَٱلِٱنْتِقَالَ. ثُمَّ أَرْدَفُوا زَعْمَهُمْ وَجَهْلَهُمُ ٱلْمُبِينَ بِسُؤَالِهِمُ ٱلسَّقِيمِ: إِذَا لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ عَلَىٰ عَرْشِهِ فَأَيْنَ هُوَ إِذًا؟ وَهَٰؤُلَاءِ يَتَبَنَّوْنَ فِكْرَةَ ٱلنَّصَارَىٰ ٱلَّذِينَ يَرْسُمُونَ فِي كُتُبِهِمْ شَخْصًا عَلَىٰ كُرْسِيٍّ، يَحْمِلُهُ أَطْفَالٌ ذَوُو أَجْنِحَةٍ، وَيَدَّعُونَ أَنَّ هَٰذِهِ صُورَةُ ٱللَّهِ عَلَىٰ عَرْشِهِ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَائِكَةُ، وَٱلْعِيَاذُ بِٱللَّهِ مِنْ ذَٰلِكَ ٱلضَّلَالِ وَٱلْكُفْرِ ٱلْمُهِينِ.

فَنَقُولُ لَهُمْ: مَنْ دَخَلَتْ فِي قَلْبِهِ عَلَامَاتُ ٱلتَّوْحِيدِ، وَجَرَتْ عَلَىٰ لِسَانِهِ حُرُوفُ ٱلتَّمْجِيدِ، وَعَبَدَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ شَدِيدٍ، لَا تُؤَثِّرُ بِهِ تِلْكَ ٱلْأَقَاوِيلُ وَلَا قَلْبُهُ إِلَيْهَا يَمِيلُ، لِأَنَّهُ ٱطْمَأَنَّ وَعَلِمَ بِيَقِينٍ، أَنَّ ٱلْقَائِلَ بِٱلْجُلُوسِ عَلَى ٱلْإِسْلَامِ دَخِيلٌ، وَلَوْ تَظَاهَرَ بِٱلِٱهْتِدَاءِ. فَمَنْ أَذَاعَ وَأَشَاعَ بِأَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ عَرْشِهِ جَالِسٌ، فَهُوَ صَاحِبُ عَقْلٍ نَاقِصٍ، وَذُو قَلْبٍ عَلِيلٍ، وَلَيْسَ لِعُلَمَاءِ ٱلدِّينِ أَيَّةُ صِلَةٍ بِتِلْكَ ٱلْأَضَالِيلِ. فَمَنِ ٱحْتَاجَ أَنْ يَجْلِسَ أَوْ يَهْبِطَ مِنْ أَعْلَىٰ إِلَىٰ أَسْفَلَ، أَوْ يَرْتَفِعَ مِنْ أَسْفَلَ إِلَىٰ أَعْلَىٰ، فَهُوَ مُتَّصِفٌ بِٱلْحُدُوثِ (أَيِ ٱلْوُجُودِ بَعْدَ ٱلْعَدَمِ)، وَلَهُ مَزَايَا ٱلْمَخْلُوقِ مِنَ ٱلْجِسْمِ وَٱلْجَسَدِ وَٱلْحُدُودِ. وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ ٱلْعَرْشَ جِسْمٌ،

وَلَا يَسْتَقِرُّ عَلَى الْجِسْمِ إِلَّا جِسْمٌ، وَلَا يَحُلُّ فِيهِ إِلَّا عَرَضٌ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ بِجِسْمٍ مُصَوَّرٍ وَلَا بِجَوْهَرٍ (جَوْهَرُ كُلِّ شَيْءٍ مَا خُلِقَتْ عَلَيْهِ جِبِلَّتُهُ أَيْ أَصْلُهُ) مَحْدُودٍ مُقَدَّرٍ. فَلَا يَصِحُّ فِي حَقِّهِ تَعَالَى الِارْتِفَاعُ وَالِاسْتِقْرَارُ وَالْجُلُوسُ وَلَا الِانْتِقَالُ وَالْهُبُوطُ كَخَلْقِهِ. وَقَدْ قَالَ أَحَدُ الصَّالِحِينَ: "لَا يَرْتَفِعُ إِلَّا الْمُحْتَاجُ، وَلَا يَهْبِطُ إِلَّا الْمُحْدَثُ، وَلَا يَسْتَقِرُّ إِلَّا مَنْ كَانَتْ لَهُ أَطْرَافٌ مَخْلُوقَةٌ". وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْعَرْشَ وَحَمَلَتَهُ مَخْلُوقُونَ، فَالْحَامِلُ (أَيِ الْمَلَائِكَةُ) مَخْلُوقٌ، وَكَذَلِكَ الْمَحْمُولُ (أَيِ الْعَرْشُ)، فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَحْتَاجَ الْخَالِقُ لِلْمَخْلُوقِ؟ فَيَجِبُ عَلَى هَؤُلَاءِ أَنْ يُطَهِّرُوا عَقَائِدَهُمْ مِنْ كُلِّ مَا يُوجِبُ التَّشْبِيهَ وَالْحُدُوثَ وَالْجِسْمِيَّةَ، لِأَنَّهَا جَمِيعَهَا فِي حَقِّ اللَّهِ مَنْفِيَّةٌ. وَمَنْ يَزْعُمُ أَنَّ الْقُرْآنَ يَقُولُ بِصِفَةِ الْجُلُوسِ لِلَّهِ تَعَالَى وَالِاسْتِقْرَارِ عَلَى الْعَرْشِ فَمَا عَرَفَ اللَّهَ تَعَالَى وَلَا عَرَفَ صِفَاتِهِ. فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُبَيِّنًا عَجْزَ الْمَخْلُوقَاتِ عَنْ مَعْرِفَةِ حَقِيقَتِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى ١١. تَعَالَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ مَحْمُولًا عَلَى الْعَرْشِ بَلِ الْعَرْشُ وَالسَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ مَحْمُولَةٌ بِلُطْفِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، وَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنِ الْأَيْنِ وَالْكَيْفِيَّةِ، وَلَا تَجْرِي عَلَيْهِ صِفَاتُ الْبَرِيَّةِ، خَابَ مَنْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ.

قَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "فَإِنْ قِيلَ: فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ طه ٥... فَإِنَّا نَقُولُ: النَّاسُ فِي هَذَا فَرِيقَانِ: عَوَامٌّ وَعُلَمَاءُ. وَالَّذِي نَرَاهُ اللَّائِقَ بِعَوَامِّ الْخَلْقِ، أَنْ لَا يُخَاضَ بِهِمْ فِي هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ بَلْ نَنْزِعُ عَنْ عَقَائِدِهِمْ كُلَّ مَا يُوجِبُ التَّشْبِيهَ وَيَدُلُّ عَلَى الْحُدُوثِ، وَنُحَقِّقُ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ مَوْجُودٌ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، وَإِذَا سَأَلُوا عَنْ مَعَانِي هَذِهِ الْآيَاتِ، زُجِرُوا عَنْهَا... وَهَذَا لِأَنَّ عُقُولَ الْعَوَامِّ لَا تَتَّسِعُ لِقَبُولِ الْمَعْقُولَاتِ، وَلَا إِحَاطَتِهَا بِاللُّغَاتِ، وَلَا تَتَّسِعُ لِفَهْمِ تَوْسِيعَاتِ الْعَرَبِ فِي الِاسْتِعَارَاتِ. وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ، فَاللَّائِقُ بِهِمْ تَعَرُّفُ ذَلِكَ وَتَفَهُّمُهُ". الاقتصاد في الاعتقاد ٣٥/٣٦.

وَسَنَعْرِضُ فِيمَا يَلِي أَقْوَالَ حَضَرَاتِ الْعُلَمَاءِ الْأَفَاضِلِ وَخِبْرَاتِهِمُ الشَّرْعِيَّةَ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ النَّفِيسِ.

(ب الفرية: أي الافتراء)

مَا هُوَ عَرْشُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلْعَرْشُ جِرْمٌ[1] مِنَ ٱلْأَجْرَامِ ٱلْعَظِيمَةِ، خَلَقَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ إِظْهَارًا لِقُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَلَمْ يَتَّخِذْهُ سُبْحَانَهُ مَحَلًّا لِذَاتِهِ، تَعَالَىٰ ٱللَّهُ عَنْ ذَٰلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا. إِذْ مَنْ يَتَّخِذُ ٱلْمَكَانَ وَيَحْتَاجُ إِلَى ٱلْمَحَلِّ فَهُوَ مَخْلُوقٌ مُحْدَثٌ، تَحُدُّهُ ٱلْحُدُودُ وَتَسَعُهُ ٱلْأَمْكِنَةُ، وَٱللَّهُ سُبْحَانَهُ كَانَ قَبْلَ عَرْشِهِ وَهُوَ بَاقٍ بَعْدَ زَوَالِ ٱلْخَلْقِ وَٱلدُّنْيَا، فَلَمْ يَسْبِقْهُ عَدَمٌ وَلَا يَلْحَقُهُ فَنَاءٌ. وَقَدْ "جَاءَ فِي ٱلْمُفْرَدَاتِ لِلرَّاغِبِ: وَعَرْشُ ٱللَّهِ مِمَّا لَا يَعْلَمُهُ ٱلْبَشَرُ إِلَّا بِٱلِٱسْمِ لَا عَلَى ٱلْحَقِيقَةِ، وَلَيْسَ كَمَا تَذْهَبُ إِلَيْهِ أَوْهَامُ ٱلْعَامَّةِ... وَقَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلزَّبِيدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كُنِّيَ بِٱلْعَرْشِ عَنِ ٱلْعِزِّ وَٱلسُّلْطَانِ وَٱلْمَمْلَكَةِ

[1] جِرْمٌ: أَيْ جَسَدٌ

- تاج العروس ٤/٣٠١

أَقْوَالُ ٱلْعُلَمَاءِ فِي تَعْرِيفِ ٱلِٱسْتِوَاءِ يَجِبُ أَنْ يَعْلَمَ كُلُّ طَالِبٍ لِلنَّجَاةِ أَنَّ ٱسْتِوَاءَ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ لَيْسَ بِٱسْتِوَاءِ ٱعْتِدَالٍ عَنِ ٱعْوِجَاجٍ، وَلَا ٱسْتِقْرَارٍ فِي مَكَانٍ، وَلَا مُمَاسَّةٍ لِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، تَعَالَىٰ ٱللَّهُ عَنْ صِفَاتِ ٱلْمَخْلُوقِينَ عُلُوًّا كَبِيرًا. وَهَٰذِهِ أَقْوَالُ طَائِفَةٍ مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ ٱلْكِرَامِ فِي ٱلِٱسْتِوَاءِ:

قَالَ ٱلْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "نُقِرُّ بِأَنَّ ٱللَّهَ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَيْهِ وَٱسْتِقْرَارٌ عَلَيْهِ، وَهُوَ ٱلْحَافِظُ لِلْعَرْشِ وَغَيْرِ ٱلْعَرْشِ، فَلَوْ كَانَ مُحْتَاجًا لَمَا قَدَرَ عَلَىٰ إِيجَادِ ٱلْعَالَمِ وَتَدْبِيرِهِ كَٱلْمَخْلُوقِ، وَلَوْ صَارَ مُحْتَاجًا إِلَى ٱلْجُلُوسِ وَٱلْقَرَارِ، فَقَبْلَ خَلْقِ ٱلْعَرْشِ أَيْنَ كَانَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ؟ فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَٰلِكَ تَعَالَىٰ عُلُوًّا كَبِيرًا". - الفقه الأكبر، ٣٤ -

وَقَالَ ٱلْإِمَامُ مَالِكٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حِينَ سُئِلَ عَنِ ٱلِٱسْتِوَاءِ: "ٱلِٱسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَٱلْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَٱلْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَٱلسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ". - الأسماء والصفات ٥١٦

وَقَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلْأَوْزَاعِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "عَلَيْكَ بِآثَارِ مَنْ سَلَفَ وَإِنْ رَفَضَكَ ٱلنَّاسُ، وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ ٱلرِّجَالِ، وَإِنْ زَخْرَفُوهُ لَكَ بِٱلْقَوْلِ".

وَقَالَ ٱلْإِمَامُ ٱلشَّافِعِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لَمَّا سُئِلَ عَنِ ٱلِٱسْتِوَاءِ آمَنْتُ بِلَا تَشْبِيهٍ، وَصَدَّقْتُ بِلَا تَمْثِيلٍ، وَٱتَّهَمْتُ نَفْسِي فِي ٱلْإِدْرَاكِ، وَأَمْسَكْتُ عَنِ ٱلْخَوْضِ فِيهِ كُلَّ ٱلْإِمْسَاكِ". شواهد الحق ٢٣٠

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إِسْتَوَى كَمَا أَخْبَرَ، لَا كَمَا يَخْطُرُ لِلْبَشَرِ". شواهد الحق ٢٣٠.

وَذَهَبَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فَعَلَ فِي الْعَرْشِ فِعْلًا سَمَّاهُ اسْتِوَاءً كَمَا فَعَلَ فِي غَيْرِهِ فِعْلًا سَمَّاهُ رِزْقًا وَنِعْمَةً أَوْ غَيْرُهُمَا مِنْ أَفْعَالِهِ. ثُمَّ لَمْ يُكَيِّفِ الِاسْتِوَاءَ إِلَّا أَنَّهُ جَعَلَهُ مِنْ صِفَاتِ الْفِعْلِ لِقَوْلِهِ ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ يونس ٣. الأسماء والصفات ٥١٧.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إِنَّهُ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي قَالَهُ، وَبِالْمَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ، اسْتِوَاءً مُنَزَّهًا عَنِ الْمُمَاسَّةِ وَالِاسْتِقْرَارِ، وَالتَّمَكُّنِ وَالْحُلُولِ وَالِانْتِقَالِ. لَا يَحْمِلُهُ الْعَرْشُ، بَلِ الْعَرْشُ وَحَمَلَتُهُ مَحْمُولُونَ بِلُطْفِ قُدْرَتِهِ، وَمَقْهُورُونَ فِي قَبْضَتِهِ". إحياء علوم الدين ١/ ٩٠.

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ الْأَنْدَلُسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ شَرْحِهِ لِلْحَدِيثِ الْوَارِدِ فِي صَحِيحِ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿لَمَّا قَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي﴾: ... فَيَكُونُ مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ أَيِ: اسْتَوَى أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ وَمَا شَاءَ مِنْ حُكْمِهِ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾ أَيْ: جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ، وَهَذَا مُسْتَعْمَلٌ فِي أَلْسِنَةِ الْعَرَبِ كَثِيرًا". بهجة النفوس ٢/ ٣٣٩-٣٤٠.

وَقَالَ حَضْرَةُ ذِي النُّونِ الْمِصْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَمَا سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ طه ٥: "أَثْبَتَ ذَاتَهُ وَنَفَى مَكَانَهُ، مَوْجُودٌ بِذَاتِهِ، وَالْأَشْيَاءُ كُلُّهَا مَوْجُودَةٌ بِحُكْمِهِ كَمَا شَاءَ". شواهد الحق ٢٣٠.

وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الِاسْتِوَاءِ: "الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَرَّفَنَا بِهَذَا الْقَوْلِ مَنْ هُوَ، مَا عَرَّفَنَا مَا هُوَ، لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ مَا هُوَ إِلَّا هُوَ". شواهد الحق ٢٣٠.

تَعْرِيفُ الِاسْتِوَاءِ بِالِاسْتِيلَاءِ وَالرَّدُّ عَلَيْهِ بِأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ

ذَهَبَ الْبَعْضُ إِلَى أَنَّ الِاسْتِوَاءَ هُوَ بِمَعْنَى الِاسْتِيلَاءِ وَالْقَهْرِ وَالْغَلَبَةِ، وَمَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ غَلَبَ الْعَرْشَ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ وَقَهَرَهُ. وَحُجَّتُهُمْ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنَّ الِاسْتِوَاءَ بِمَعْنَى الْقَهْرِ وَالْغَلَبَةِ

شَائِعٌ فِي ٱللُّغَةِ، فَقَدْ قَالَ ٱلشَّاعِرُ فِي بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ:

• قَدِ ٱسْتَوَىٰ بِشْرٌ عَلَى ٱلْعِرَاقِ ••• مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مِهْرَاقِ •

أَيْ: أَنَّهُ غَلَبَ أَهْلَ ٱلْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ مُحَارَبَةٍ. وَعَلَّقَ ٱلْبَعْضُ عَلَىٰ هَٰذَا ٱلتَّفْسِيرِ بِأَنَّهُ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ وَذَٰلِكَ لِتَشْبِيهِ أَفْعَالَ ٱلْخَالِقِ سُبْحَانَهُ بِأَفْعَالِ ٱلْمَخْلُوقِينَ. فَقَهْرُ بِشْرٍ لِلْعِرَاقِ مُخْتَلِفٌ تَمَامًا عَنْ قَهْرِ ٱللَّهِ لِعَرْشِهِ، إِذْ إِنَّ ٱسْتِيلَاءَ بِشْرٍ عَلَى ٱلْعِرَاقِ حَصَلَ مَعَ تَوَقُّعِ ضَعْفٍ، وَلَوْ بَرَزَ أَحَدٌ لِمُقَاوَمَتِهِ لَقَامَ بِٱلْمُجَاهَدَةِ وَٱلْقِتَالِ وَالْحَرْبِ، وَلَبَدَتْ عَلَيْهِ سِمَاتُ ٱلتَّعَبِ، وَلَكَانَ عِنْدَهَا أَمَامَ خِيَارَيْنِ: ٱلنَّصْرُ أَوِ ٱلْمَوْتُ. وَٱللَّهُ سُبْحَانَهُ لَا ضِدَّ لَهُ وَلَا نِدَّ(١)، وَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْ صِفَاتِ ٱلنَّقْصِ وَٱلْحُدُوثِ وَٱلِٱحْتِيَاجِ. وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَىٰ فَإِنَّ ٱلْعِرَاقَ لَمْ تَكُنْ مَقْهُورَةً قَبْلَ مَجِيءِ بِشْرٍ، أَمَّا عَرْشُ ٱللَّهِ، فَقَدْ خَلَقَهُ تَعَالَىٰ مَقْهُورًا تَحْتَ عَظَمَتِهِ سُبْحَانَهُ وَلَيْسَ كَمَا يَدَّعِي ٱلْبَعْضُ بِأَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَهُ خَارِجًا عَنْ قَهْرِهِ وَبَطْشِهِ ثُمَّ فَعَلَ ٱللَّهُ فِعْلًا قَهَرَهُ بِهِ. وَقَدْ وَرَدَ فِي كِتَابِ "فَتْحُ ٱلْبَارِي شَرْحُ صَحِيحِ ٱلْبُخَارِيِّ" لِلْإِمَامِ ٱبْنِ حَجَرٍ ٱلْعَسْقَلَانِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "قَالَ ٱبْنُ بَطَّالٍ: ٱخْتَلَفَ ٱلنَّاسُ فِي ٱلِٱسْتِوَاءِ، فَقَالَتِ ٱلْمُعْتَزِلَةُ: مَعْنَاهُ ٱلِٱسْتِيلَاءُ بِٱلْقَهْرِ وَٱلْغَلَبَةِ، وَٱحْتَجُّوا بِقَوْلِ ٱلشَّاعِرِ:

• قَدِ ٱسْتَوَىٰ بِشْرٌ عَلَى ٱلْعِرَاقِ ••• مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مِهْرَاقِ •

... وَهُوَ قَوْلٌ فَاسِدٌ، لِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَزَلْ قَاهِرًا غَالِبًا مُسْتَوْلِيًا، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ ﴾ يَقْتَضِي ٱفْتِتَاحَ هَٰذَا ٱلْوَصْفِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، وَلَازِمُ تَأْوِيلِهِمْ أَنَّهُ كَانَ مُغَالَبًا فِيهِ فَٱسْتَوْلَىٰ عَلَيْهِ بِقَهْرِ مَنْ غَالَبَهُ، وَهَٰذَا مُنْتَفٍ عَنِ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ ("أَيْ غَيْرُ صَحِيحٍ فِي حَقِّهِ تَعَالَىٰ") ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣/٥٠٦ فَجَمِيعُ أَصْنَافِ مَخْلُوقَاتِهِ سُبْحَانَهُ مَقْهُورَةٌ تَحْتَ عَظَمَتِهِ تَعَالَىٰ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ فِي ٱلْوُجُودِ لِقَوْلِهِ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ ـ الأنعام ١٨ـ وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ ـ الرعد ١٦ـ أَيْ: "هُوَ تَعَالَىٰ ٱلْمُنْفَرِدُ بِٱلْأُلُوهِيَّةِ، ٱلْقَهَّارُ ٱلَّذِي جَمِيعُ ٱلْأَشْيَاءِ تَحْتَ قُدْرَتِهِ وَقَهْرِهِ... فَهُوَ تَعَالَىٰ لَا يُغَالَبُ، وَمَا سِوَاهُ مَقْهُورٌ

(١) نِدَّ: أَيْ مِثْلَ)

مَرْبُوبٌ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ (أَيْ مَمْلُوكٌ لَهُ)" - تفسير البحر المحيط ٥/٣٧٩. هَذَا وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ أَزَلِيٌّ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَالْعَرْشُ مَخْلُوقٌ، فَعُلِمَ مِنَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ الْقَهْرَ كُتِبَ عَلَى الْعَرْشِ قَبْلَ وُجُودِهِ. وَمِمَّا يُؤَيِّدُ هَذَا، أَنَّ رَجُلًا أَتَى إِلَى ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ فَقَالَ: «يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَا مَعْنَى قَوْلِهِ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى. فَقَالَ: إِنَّهُ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ كَمَا أَخْبَرَ. فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنَّمَا مَعْنَى قَوْلِهِ اسْتَوَى أَيِ: اسْتَوْلَى. فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: مَا يُدْرِيكَ؟ الْعَرَبُ لَا تَقُولُ اسْتَوْلَى عَلَى الْعَرْشِ فُلَانٌ، حَتَّى يَكُونَ لَهُ مُضَادٌّ، فَأَيُّهُمَا غَلَبَ، قِيلَ: قَدِ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا مُضَادَّ لَهُ، فَهُوَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ كَمَا أَخْبَرَ" - الأسماء والصفات ٥٢٣ -

وَفِي قَوْلِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اسْتَوَى كَمَا أَخْبَرَ لَا كَمَا يَخْطُرُ لِلْبَشَرِ، نَفْيٌ لِمَعْنَى الِاسْتِيلَاءِ، لِأَنَّ فِعْلَ الِاسْتِيلَاءِ مِمَّا يَخْطُرُ لِلْبَشَرِ، وَاللَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ.

الْخَاتِمَةُ

فَهَذِهِ بَعْضُ الْأَقْوَالِ الَّتِي وَرَدَتْ عَنْ أَفَاضِلِ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ، أَخَذْنَا مِنْهَا الدَّوَاءَ الشَّافِيَ، وَنَحْنُ لَيْسَ لَنَا يَدٌ بِالْقَلِيلِ أَوِ الْكَثِيرِ فِي هَذَا الْبَابِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَةِ الشَّرِيعَةِ وَالدِّينِ، إِذْ لَوْلَا الشَّرِيعَةُ لَانْحَرَفَتْ قُلُوبٌ وَشَرَدَتْ نُفُوسٌ، فَالشَّرِيعَةُ الْحَنِيفِيَّةُ دَلِيلُ الْعَابِدِ فِي أَعْمَالِهِ، وَمِيزَانُ الْعَالِمِ فِي أَقْوَالِهِ. فَالْحَقُّ أَنْ يَتَقَيَّدَ الْمُسْلِمُ الْخَائِفُ مِنْ رَبِّهِ بِمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْحَقِّ مِنْ حَضَرَاتِ الْأَئِمَّةِ الْكِرَامِ الَّذِينَ تَنَوَّرَتْ قُلُوبُهُمْ بِاتِّبَاعِهِمْ لِشَرِيعَةِ خَيْرِ الْأَنَامِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَأَمَّا مَنْ آثَرَ عِنَادَهُ وَهَوَاهُ، وَأَصَرَّ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَسَ عَلَى عَرْشِهِ وَاسْتَقَرَّ، فَلَا شَكَّ بِأَنَّهُ مِنَ الْمَأْجُورِينَ الْمُنْدَسِّينَ لِتَشْوِيهِ عَقَائِدِ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ أَنَّ مَبَادِئَ الْوَثَنِيَّةِ وَالْجَاهِلِيَّةِ مَا زَالَتْ تَسْرِي فِي رُوحِهِ وَعَقْلِهِ. وَأَمْثَالُهُ لَا يُفِيدُ مَعَهُمُ التَّطْوِيلُ، فَهُمْ لَا يَسْتَمِعُونَ إِلَى أَيِّ دَلِيلٍ حَتَّى لَوْ قَرَأْتَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ وَالْإِنْجِيلَ. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُجَادِلَ فِي أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ الَّتِي أَوْرَدْنَاهَا، فَلْيَذْهَبْ إِلَى قُبُورِهِمْ وَلْيُقَدِّمْ هُنَاكَ اعْتِرَاضَاتِهِ، فَإِنَّنَا لَمْ نَأْتِ بِشَيْءٍ مِنْ عِنْدِنَا، بَلْ سَطَّرْنَا مَا وَجَدْنَاهُ فِي كُتُبِ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ وَتَفَاسِيرِهِمُ النُّورَانِيَّةِ، فَالْعَاقِلُ يَفْهَمُ وَالْمُعَانِدُ يَنْدَمُ.

الإيمان بالقضاء والقدر

يتفنن البعض بإيراد اعتراضات شتى وأنواع متفرقة من الاحتجاجات ليتهربوا من الطاعات والواجبات، وإذا نصحهم ناصح قالوا: لم العمل والسعي ما دام الشقي قد كتب شقيا وهو في بطن أمه والسعيد قد كتب سعيدا وهو في بطن أمه؟ ويضيفون قائلين: فنحن نخشى أن نجتهد في الطاعة وتكون الشقاوة قد سبقت لنا فتذهب أتعابنا أدراج الرياح، والعياذ بالله من هذا الفهم الخاطئ الذي ينسب فيه الظلم إلى الله سبحانه وتعالى افتراء وجهلا. فمن الأمور المعلومة في الإسلام أن من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وعمل صالحا، وآمن بأن الله تعالى يعلم الأشياء قبل وقوعها، واختار عمل الخير، ومات على الإيمان، فهو من أهل السعادة. وأما من اختار أعمال الشر والعصيان واعتنق الكفر ومات على الضلال فهو من أهل الشقاء. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ـ النساء ٤٠ ـ، وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ـ النحل ٣٣ ـ.

حديث حضرة النبي ﷺ في القضاء والقدر

وأما الحديث الذي أساؤوا فهمه وحملوه على غير معناه، فهو ما رواه حضرة الإمام علي رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فجلس وجلسنا حوله ومعه مخصرة (قضيب يشير به الخطيب إذا خاطب الناس) ينكت بها، ثم رفع بصره فقال: ﴿ما منكم من نفس منفوسة (أي مولودة) إلا وقد كتب مقعدها من الجنة والنار، إلا قد كتبت شقية أو سعيدة، فقال القوم: يا رسول الله أفلا نمكث (أي نقيم) على كتابنا وندع العمل، فمن كان من أهل السعادة فسيصير إلى السعادة، ومن كان من أهل الشقوة فسيصير

إِلَى ٱلشِّقْوَةِ. فَقَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: بَلِ ٱعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ. أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ ٱلشِّقْوَةِ فَإِنَّهُ يُيَسَّرُ لِعَمَلِ ٱلشِّقْوَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ ٱلسَّعَادَةِ فَإِنَّهُ يُيَسَّرُ لِعَمَلِ ٱلسَّعَادَةِ... ﴿ مسند الامام أحمد ١/١٢٩ ـ

وَٱلْمَقْصُودُ مِنْ هٰذَا ٱلْحَدِيثِ ٱلشَّرِيفِ هُوَ غَيْرُ مَا يَفْتَرِيهِ ٱلْجَهَلَةُ بِأَنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَ عَلَى ٱلْإِنْسَانِ ٱلسَّعَادَةَ أَوِ ٱلشَّقَاءَ وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ دُونَ أَنْ يَعْلَمَ مَا يَكُونُ مِنْهُ وَمَا هُوَ فَاعِلُهُ فِي حَيَاتِهِ، وَكَيْفَ تَكُونُ خَاتِمَتُهُ، تَعَالَى ٱللَّهُ عَنْ ذٰلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا. فَٱللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْلَمُ قَبْلَ إِيجَادِهِ ٱلْخَلْقَ أَنَّ فُلَانًا سَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ ٱلنَّارِ، وَأَنَّ آخَرَ سَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ، فَشَقِيَ ٱلْأَوَّلُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ لِأَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ بِعِلْمِهِ ٱلْأَزَلِيِّ ٱلَّذِي لَا بِدَايَةَ لَهُ مَا سَيَفْعَلُهُ، وَسَعِدَ ٱلثَّانِي فِي بَطْنِ أُمِّهِ لِنَفْسِ ٱلسَّبَبِ أَيْضًا، وَهٰذَا مِنْ كَمَالِ عِلْمِ ٱللَّهِ تَعَالَى.

﴿ قَالَ أَبُو حَازِمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ﴾: إِنَّ ٱللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلِمَ قَبْلَ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَتَبَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ، فَمَضَى ٱلْخَلْقُ عَلَى عِلْمِهِ وَكِتَابِهِ. الاعتقاد، البيهقي ٤٤.

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْخُ ٱلْبَيْجُورِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ﴾: "فَٱلسَّعَادَةُ وَٱلشَّقَاوَةُ مُقَدَّرَتَانِ فِي ٱلْأَزَلِ لَا يَتَغَيَّرَانِ وَلَا يَتَبَدَّلَانِ، لِأَنَّ ٱلسَّعَادَةَ هِيَ ٱلْمَوْتُ عَلَى ٱلْإِيمَانِ بِٱعْتِبَارِ تَعَلُّقِ عِلْمِ ٱللَّهِ أَزَلًا بِذٰلِكَ، وَٱلشَّقَاوَةُ هِيَ ٱلْمَوْتُ عَلَى ٱلْكُفْرِ بِذٰلِكَ ٱلِٱعْتِبَارِ، فَٱلْخَاتِمَةُ تَدُلُّ عَلَى ٱلسَّابِقَةِ. فَإِنْ خُتِمَ لَهُ بِٱلْإِيمَانِ، دَلَّ عَلَى أَنَّهُ فِي ٱلْأَزَلِ مِنَ ٱلسُّعَدَاءِ وَإِنْ تَقَدَّمَهُ كُفْرٌ (أَيْ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا ثُمَّ أَسْلَمَ)، وَإِنْ خُتِمَ لَهُ بِٱلْكُفْرِ، دَلَّ عَلَى أَنَّهُ فِي ٱلْأَزَلِ كَانَ مِنَ ٱلْأَشْقِيَاءِ وَإِنْ تَقَدَّمَهُ إِيمَانٌ (أَيْ وَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا ثُمَّ ٱرْتَدَّ).

ـ شرح جوهرة التوحيد، ١٠٤ ـ

﴿ مَا يَجِبُ ٱلِٱعْتِقَادُ بِهِ فِي ٱلْقَدَرِ ﴾

مِمَّا يَجِبُ ٱلِٱعْتِقَادُ بِهِ، أَنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَ ٱلْخَيْرَ وَٱلشَّرَّ قَبْلَ خَلْقِ ٱلْخَلْقِ، بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَإِنَّ خَيْرَ ٱلْأُمُورِ وَشَرَّهَا مِنْ خَلْقِ ٱللَّهِ، فَهُوَ ٱلْمُوجِدُ لِلْحَسَنِ وَٱلْقَبِيحِ، وَلَا دَخْلَ لِغَيْرِهِ فِي خَلْقِ ٱلْأَفْعَالِ، إِنَّمَا ٱلْأَدَبُ مَعَ ٱللَّهِ تَعَالَى نِسْبَةُ ٱلْخَيْرِ لَهُ وَٱلشَّرِّ لِلنَّفْسِ. وَٱلشَّيْطَانُ لَا سَبِيلَ لَهُ فِي إِيجَادِ ٱلشُّرُورِ، بَلْ لَهُ ٱلْإِغْوَاءُ. فَإِنَّ ٱللَّهَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ، لَا يَكُونُ

شَيْءٌ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ، وَلَا يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنْ مَشِيئَتِهِ، وَلَيْسَ فِي الْعَالَمِ شَيْءٌ يَخْرُجُ عَنْ تَقْدِيرِهِ، وَلَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ تَدْبِيرِهِ، وَلَا مَحِيدَ مِنَ الْقَدَرِ، وَلَا يَتَجَاوَزُ مَا خُطَّ فِي اللَّوْحِ الْمَسْطُورِ. أَرَادَ مَا الْعَالَمُ فَاعِلُوهُ، وَلَوْ عَصَمَهُمْ لَمَا خَالَفُوهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُطِيعُوهُ جَمِيعًا لَأَطَاعُوهُ. خَلَقَ الْخَلْقَ وَأَفْعَالَهُمْ، وَقَدَّرَ أَرْزَاقَهُمْ وَآجَالَهُمْ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ بِحِكْمَتِهِ، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ ... الأنبياء٢٣ وَفِي تَفْسِيرِ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ الْإِمَامُ الْبَاقِلَّانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ يُسْأَلُونَ عَمَّا يَكْسِبُونَ، وَلَا يُسْأَلُ هُوَ تَعَالَى عَمَّا يَخْلُقُ، لِأَنَّهُ لَا أَمْرَ فَوْقَهُ، وَلَا تَكْلِيفَ عَلَيْهِ فِيمَا يَخْلُقُ، وَعَلَيْهِمُ الْأَمْرُ وَالتَّكْلِيفُ فِيمَا يَكْسِبُونَ". كتاب التمهيد٢١٧.

فَقَدْ سَبَقَ عِلْمُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَقَدَّرَ ذَلِكَ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا لَيْسَ فِيهِ نَاقِضٌ وَلَا مُعَقِّبٌ (أَيْ لَا رَادَّ وَلَا مُبْطِلَ)، وَلَا مُزِيلٌ وَلَا مُغَيِّرٌ، وَلَا نَاقِصٌ وَلَا زَائِدٌ، فِي سَمَوَاتِهِ وَأَرْضِهِ.

قَالَ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ هُوَ الْإِيمَانُ بِتَقَدُّمِ عِلْمِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ (أَيْ عِلْمِهِ بِمَا سَيَفْعَلُهُ الْإِنْسَانُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ) بِمَا يَكُونُ مِنْ أَكْسَابِ الْخَلْقِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَصُدُورِ جَمِيعِهَا عَنْ تَقْدِيرٍ مِنْهُ، وَخَلْقٍ لَهَا خَيْرِهَا وَشَرِّهَا.

أَسْرَارُ الْقَدَرِ

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو مُظَفَّرٍ السَّمْعَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "سَبِيلُ مَعْرِفَةِ هَذَا الْبَابِ التَّوْقِيفُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ (أَيِ الِاكْتِفَاءُ بِمَا جَاءَ بِهِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ)، دُونَ مَحْضِ الْقِيَاسِ وَمُجَرَّدِ الْعُقُولِ، فَمَنْ عَدَلَ عَنِ التَّوْقِيفِ فِيهِ ضَلَّ وَتَاهَ فِي بِحَارِ الْحَيْرَةِ، وَلَمْ يَبْلُغْ شِفَاءَ النَّفْسِ، وَلَا يَصِلُ إِلَى مَا يَطْمَئِنُّ بِهِ الْقَلْبُ، لِأَنَّ الْقَدَرَ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي ضُرِبَتْ مِنْ دُونِهَا الْأَسْتَارُ، اخْتَصَّ اللَّهُ بِهِ وَحَجَبَهُ عَنْ عُقُولِ الْخَلْقِ وَمَعَارِفِهِمْ لِمَا عَلِمَهُ مِنَ الْحِكْمَةِ، وَوَاجِبُنَا أَنْ نَقِفَ حَيْثُ حَدَّ لَنَا وَلَا نَتَجَاوَزَهُ... وَقِيلَ: إِنَّ سِرَّ الْقَدَرِ يَنْكَشِفُ لَهُمْ إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ، وَلَا يَنْكَشِفُ قَبْلَ دُخُولِهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/١٣٦.

﴿ اَلرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ ﴾ ﴿ وَالْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ يَسْتَدْعِي اَلرِّضَا بِهِمَا. وَمَعْنَى اَلرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ: أَنْ لَا يَعْتَرِضَ عَلَى اللهِ فِي قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَيَعْتَقِدَ أَنَّهُ لِحِكْمَةٍ، وَإِنْ كُنَّا لَا نَعْلَمُهَا. فَلَا يَتَسَرَّعُ مَنْ مَاتَ وَلَدُهُ وَيَقُولُ: لِمَاذَا اخْتَرْتَ اَلذَّكِيَّ وَتَرَكْتَ اَلْمَخْبُولَ؟ فَإِنَّ هَذَا مِنَ الْاِعْتِرَاضِ اَلَّذِي لَا يَجُوزُ وَصَاحِبُهُ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ.

﴿ قَالَ اَلْإِمَامُ عَلِيٌّ اَلْقَارِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ﴾: "يَجِبُ اَلرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَهُوَ تَعْيِينُ كُلِّ مَخْلُوقٍ بِمَرْتَبَتِهِ اَلَّتِي تُوجَدُ مِنْ حُسْنٍ وَقُبْحٍ، وَنَفْعٍ وَضُرٍّ، وَمَا يُحِيطُ بِهِ مِنْ مَكَانٍ وَزَمَانٍ، وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ ثَوَابٍ أَوْ عِقَابٍ". الفقه الأكبر ١٢.

﴿ وَقَالَ اَلشَّيْخُ سَلَامَةُ اَلْعَزَّامِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ﴾: "وَاَلَّذِي أَنْصَحُ بِهِ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اَلْقَدَرَ سَابِقٌ، وَأَنَّ مَا كُتِبَ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ غَيْرُ مَعْلُومٍ لَهُ، وَأَنَّ أَسْبَابَ اَلْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِي اَلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ قَدْ أَرْشَدَهُ اللهُ إِلَيْهَا وَأَعْلَمَهُ بِهَا عَلَى لِسَانِ اَلرَّسُولِ اَلصَّادِقِ اَلْمَصْدُوقِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا وَضَعَهُ فِي اَلْعُقُولِ، وَأَنَّ اَلْخَيْرَ قُضِيَ بِسَبَبِهِ وَالشَّرَّ يَجِيءُ بِطَرِيقِهِ، فَلْيُشَمِّرْ فِي اَلسَّعْيِ فِي طُرُقِ اَلْخَيْرِ اَلَّتِي أُمِرَ بِهَا، وَلْيَتَبَاعَدْ عَنْ سُبُلِ اَلشَّرِّ اَلَّتِي نُهِيَ عَنْهَا، مُعْتَمِدًا فِي إِنْجَاحِ مَسَاعِيهِ كُلِّهَا عَلَى فَضْلِ اللهِ وَجُودِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يُخَيِّبُ أَمَلَ آمِلٍ، وَلَا يَرُدُّ دُعَاءَ سَائِلٍ، وَإِذَا وُفِّقَ لِطَاعَةٍ فَلْيُذَكِّرْ نَفْسَهُ بِأَنَّ اَلْفَضْلَ كُلَّهُ لِلَّهِ، حَتَّى لَا يَزِيلَ نُورَ هَذَا الْإِيمَانِ ظُلُمَاتُ مَا عَسَى أَنْ تَتَدَنَّسَ بِهِ اَلنَّفْسُ مِنْ عُجْبٍ بِعَمَلٍ أَوْ مَنٍّ بِهِ، وَلْيُكَرِّرْ هَذِهِ اَلذِّكْرَى حَتَّى يُطْفِئَ مَاؤُهَا اَلْعَذْبُ نِيرَانَ هَذِهِ اَلرَّغَوَاتِ اَلنَّفْسَانِيَّةِ، وَإِذَا وَقَعَتْ مِنْهُ مَعْصِيَةٌ فَلْيَذْكُرْ قُصُورَهُ وَتَقْصِيرَهُ، وَلْيَعْتَرِفْ لِرَبِّهِ مِنْ صَمِيمِ قَلْبِهِ بِأَنَّهُ مُسِيءٌ غَالِطٌ، وَلْيُسَارِعْ إِلَى اَلْمَتَابِ، وَلَا يَحْتَجَّ لِنَفْسِهِ بِمَا سَبَقَ مِنْ قَدَرِ رَبِّهِ، فَإِنَّ حُسْنَ اَلْاِعْتِذَارِ لِلْوَاحِدِ اَلْغَفَّارِ، وَسُرْعَةَ اَلْمَتَابِ مِنَ اَلْأَوْزَارِ هُوَ سَبِيلُ اَلْمُصْطَفَيْنَ اَلْأَخْيَارِ. فرقان القرآن، سلامة العزامي، ٤/٤١.

فَأَهْلُ اَلتَّلَاعُبِ يَبْحَثُونَ دَوْمًا عَنْ أَبْوَابٍ لِتَبْرِئَةِ أَنْفُسِهِمْ، وَالْخَائِفُ مِنْ رَبِّهِ يَسْعَى لِسُرْعَةِ اَلْمَتَابِ وَالنَّجَاةِ مِنْ سُوءِ اَلْعَذَابِ.

الاحتجاج بالقدر لارتكاب المحرمات

قد يقوم البعض بأعمال تغضب الله تعالى، كالسرقة والزنا وغيرهما، وإذا حاولت أن تسألهم عن سبب إقدامهم على مثل هذه المنكرات، سارعوا إلى تبرئة أنفسهم بقولهم: هذا تقدير الله. وما هذا إلا فرار من الحق والمسؤولية، وافتراء في حق قدر الله. فقد قال العلماء الأفاضل في ذلك: مع وجوب الإيمان بالقدر، لا يجوز الاحتجاج به قبل الوقوع توصلاً إلى الوقوع، بأن يقول الشخص مثلاً: قدر الله تعالى علي الزنا، وغرضه بذلك التوصل إلى الوقوع في الزنا، وللشرع حجة عليه في ذلك، إذ يقال له من جانب الشرع: وما أدراك أنه قدر عليك في الأزل ذلك حتى تقدم عليه، فإقدامك على الذنب ليس إلا لهوى نفسك وباختيارك وبذلك تؤاخذ عليه. ولا يجوز الاحتجاج به بعد الوقوع تخلصاً من الحد الشرعي، كأن وقع شخص في الزنا مثلاً، فقال: قدر الله تعالى علي ذلك، وغرضه التخلص من الحد، فللشرع حجة عليه أيضاً، إذ يقال له: إنك أقدمت على الذنب، ولا علم لك بتقديره عليك أزلاً، فإقدامك عليه ما كان إلا لهوى نفسك، وجرأتك على الله تعالى، وبذلك تؤاخذ، ويجب عليك الحد.

قال الإمام الشعراني رضي الله عنه: "لو قدر أن عبداً قال: يا رب كيف تؤاخذني بما قدرته علي قبل أن أخلق، لقال له الحق تعالى: وهل تعلق علمي بك إلا بما أنت عليه، ولا افتتاح (أي ابتداء) لعلمي ولا لمعلومي ... إن علم الله تعالى ما تعلق بهم إلا بحسب ما هم عليه، وإنه تعالى ما حكم فيهم إلا بما كانوا عليه." - اليواقيت والجواهر ١/١٤٨ -.

إن الإسلام دين حق ليس فيه باطل، وقد وعد الله أهل الإيمان بالجنة، وأهل الكفر والضلال بعذاب النار. فيا أيها الإنسان إن آثرت الإيمان وعملت في هذه الدنيا بما أمرك الله به، كنت سعيداً مسعوداً. وإن آثرت الكفر والضلال وعملت أعمال الكفار، فإن مت على ذلك فأنت من أهل الشقاء الخالدين في النار.

ٱلْمَقْتُولُ مَيِّتٌ بِأَجَلِهِ

إِنَّ كَثِيرًا مِنَ ٱلنَّاسِ يَتَفَوَّهُونَ بِحَمَاقَاتٍ وَتَفَاهَاتٍ تُظْهِرُ مَدَى جَهْلِهِمْ وَتَقْصِيرِهِمْ فِي فَهْمِ قَضَاءِ ٱللَّهِ وَقَدَرِهِ. فَهُمْ إِذَا مَا مَاتَ رَجُلٌ بِسَبَبٍ مِنَ ٱلْأَسْبَابِ، كَأَنْ تَشَاجَرَ ٱثْنَانِ فَأَقْدَمَ أَحَدُهُمَا عَلَى قَتْلِ ٱلْآخَرِ، قَالُوا: لَوْ لَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهِ وَيَتَشَاجَرْ مَعَهُ لَكَانَ ٱلْآنَ عَلَى قَيْدِ ٱلْحَيَاةِ، فَلَيْتَهُ لَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهِ. وَأَقْوَالٌ أُخْرَى كَثِيرَةٌ تُقَالُ، وَهِيَ خَارِجَةٌ عَنْ حُدُودِ ٱلشَّرْعِ، وَتُظْهِرُ ضَعْفَ إِيمَانِ صَاحِبِهَا. وَقَدْ نَهَى حَضْرَةُ ٱلنَّبِيِّ ﷺ عَنْ مِثْلِ هَٰذِهِ ٱلْأَقْوَالِ فَقَالَ: ﴿... فَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَٰكِنْ قُلْ: قَدَّرَ ٱللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ. فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ ٱلشَّيْطَانِ﴾ ـ سنن ابن ماجه ١/٣١ـ. فَٱللَّهُ سُبْحَانَهُ يَعْلَمُ ٱلْأَشْيَاءَ وَٱلْآجَالَ وَٱلْأَفْعَالَ قَبْلَ حُدُوثِهَا، بِعِلْمٍ لَا ٱبْتِدَاءَ لَهُ، وَقَدَّرَ سُبْحَانَهُ عَلَى ٱلْخَلَائِقِ مَا هُمْ فِيهِ وَاقِعُونَ. فَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِ ٱلتَّسْلِيمُ وَعَدَمُ ٱلِٱعْتِرَاضِ عَلَى قَضَاءِ خَالِقِهِ.

قَالَ ٱلْإِمَامُ عَلِيٌّ ٱلْقَارِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ٱلْمَقْتُولُ مَيِّتٌ بِأَجَلِهِ، وَقَدْ عَلِمَ ٱللَّهُ تَعَالَى وَقَدَّرَ وَقَضَى أَنَّ هَٰذَا يَمُوتُ بِسَبَبِ ٱلْمَرَضِ، وَهَٰذَا يَمُوتُ بِسَبَبِ ٱلْقَتْلِ، وَهَٰذَا بِٱلْهَدْمِ، وَهَٰذَا بِٱلْهَرَمِ، وَهَٰذَا بِٱلْغَرَقِ، وَهَٰذَا بِٱلْحَرْقِ، وَهَٰذَا بِٱلْقَبْضِ، وَهَٰذَا بِٱلِٱسْهَالِ وَهَٰذَا بِٱلسُّمِّ، وَهَٰذَا بِٱلْغَمِّ. وَٱللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ، وَخَلَقَ أَسْبَابَهُمَا». ٱلفقه الأكبر.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ـ النحل ٦١ـ. وَٱلْأَجَلُ عِبَارَةٌ عَنِ ٱلْوَقْتِ ٱلَّذِي يَنْقَطِعُ فِيهِ فِعْلُ ٱلْحَيَاةِ، وَٱلْمَقْتُولُ وَٱلْمَيِّتُ أَجَلُهُمَا عِنْدَ خُرُوجِ رُوحِهِمَا.

ٱلْإِنْسَانُ مُخَيَّرٌ أَمْ مُسَيَّرٌ؟

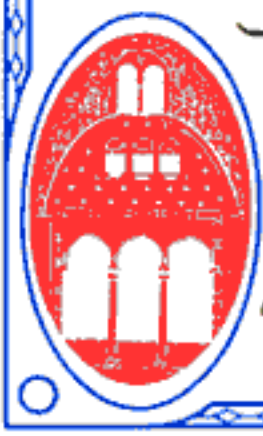

مِنَ ٱلْمَوَاضِيعِ ٱلَّتِي كَثُرَتْ فِيهَا عَلَامَاتُ ٱلِٱسْتِفْهَامِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ، مَعْرِفَةُ وَضْعِ ٱلْإِنْسَانِ، أَمُخَيَّرٌ هُوَ أَمْ مُسَيَّرٌ. وَكَوْنُ ٱلْإِنْسَانِ مُخَيَّرًا أَيْ أَنَّ لَهُ أَنْ يَخْتَارَ ٱلْأَشْيَاءَ وَٱلْأَعْمَالَ وَٱلْأَفْعَالَ وَٱلْأَقْوَالَ،

خَيْرًا كَانَتْ أَوْ شَرًّا. وَكَوْنُ ٱلْإِنْسَانِ مُسَيَّرًا، أَيْ: أَنَّ ٱللَّهَ يُسَيِّرُهُ فِي أَعْمَالٍ دُونَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا لِلْإِنْسَانِ أَيُّ ٱخْتِيَارٍ، وَذَٰلِكَ لِحِكَمٍ، ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِهَا. وَقَدْ ذَهَبَ حَضَرَاتُ ٱلْعُلَمَاءِ ٱلْأَفَاضِلِ إِلَىٰ أَنَّ ٱلْإِنْسَانَ مُسَيَّرٌ فِي بَعْضِ ٱلْأُمُورِ وَٱلْأَفْعَالِ، مُخَيَّرٌ فِي ٱلْبَعْضِ ٱلْآخَرِ، وَفِي ذَٰلِكَ تَفْصِيلٌ:

ٱلْأُمُورُ ٱلْمُسَيَّرُ فِيهَا فَوُقُوعُ ٱلْحَوَادِثِ ٱلْبَحْتَةِ ٱلَّتِي لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ صِلَةٌ فِي حُدُوثِهَا، خَيْرًا كَانَتْ أَمْ مُصِيبَةً، كَأَنْ تَغْرَقَ لَهُ سَفِينَةٌ أَوْ أَنْ يَمُوتَ لَهُ قَرِيبٌ فَيَرِثُ مَالَهُ، وَغَيْرُ ذَٰلِكَ مِنَ ٱلْأُمُورِ ٱلْفُجَائِيَّةِ مِنَ ٱللَّهِ فَذَٰلِكَ مِنْ قَدَرِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ ٱلَّذِي لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ، وَٱلَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَلَقَّى ٱلْإِنْسَانُ أَحْكَامَهُ بِٱلِٱمْتِثَالِ وَٱلتَّسْلِيمِ وَٱلرِّضَا. قَالَ تَعَالَىٰ ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ ـ الحديد ٢٢ ـ «اي نخلقها»

بَيْنَ ٱلتَّسْيِيرِ وَٱلتَّخْيِيرِ أَمَّا ٱلْأُمُورُ ٱلَّتِي يَسْتَطِيعُ ٱلْإِنْسَانُ تَخْفِيفَ حِدَّتِهَا وَشِدَّتِهَا، فَهِيَ مَا تَتَّصِلُ بِٱلْغَرَائِزِ وَٱلْبِيئَةِ وَٱلْوِرَاثَةِ وَغَيْرِهَا، فَنَشْأَةُ ٱلطِّفْلِ فِي بِيئَةٍ خَبِيثَةٍ، مِنَ ٱلْقَدَرِ ٱلرَّبَّانِيِّ ٱلْغَالِبِ ٱلَّذِي لَا سُلْطَانَ لَهُ عَلَيْهِ، فَهُوَ مُسَيَّرٌ فِيهِ. وَأَمَّا مُحَاوَلَةُ ٱلتَّخَلُّصِ مِنْ آفَاتِ هَٰذِهِ ٱلْبِيئَةِ، فَذَٰلِكَ فِي وُسْعِهِ بَعْدَ ٱلْبُلُوغِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ ٱلْكَرِيمِ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ـ العنكبوت ٦٩ ـ

ٱلْأُمُورُ لِلتَّخَيُّرِ فِيهَا وَأَمَّا أَعْمَالُ ٱلزِّنَا وَٱلسَّرِقَةِ وَشُرْبِ ٱلْخُمُورِ وَمَا شَابَهَهَا، فَإِنَّ ٱللَّهَ لَمْ يُجْبِرْ أَحَدًا عَلَيْهَا كَمَا لَمْ يَأْمُرْ بِٱلظُّلْمِ وَٱلْكُفْرِ. وَقَدْ بَيَّنَ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لِلنَّاسِ طَرِيقَ ٱلْخَيْرِ وَأَمَرَهُمْ بِهِ، وَبَيَّنَ طَرِيقَ ٱلشَّرِّ وَنَهَاهُمْ عَنْهُ، فَهُمْ بَعْدَهَا مُخَيَّرُونَ. وَقَدْ رَزَقَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ٱلْإِنْسَانَ عَقْلًا لِيُمَيِّزَ بِهِ بَيْنَ ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ، وَأَعْطَاهُ ٱلْقُدْرَةَ عَلَى ٱلِٱخْتِيَارِ، وَكُلُّ ذَٰلِكَ بِمَشِيئَةِ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ، كَمَا قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ ٱلْكَرِيمِ ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ ـ البلد ١٠ ـ

أَيْ: وَبَيَّنَّا لَهُ طَرِيقَ الْخَيْرِ وَطَرِيقَ الشَّرِّ. وَقَدْ أَخْفَى اللَّهُ عَنَّا قَدَرَهُ الَّذِي هُوَ عِلْمُهُ فِينَا. فَلَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَفْعَلُ إِلَّا مُخْتَارًا، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَى اللَّهِ سُلْطَانٌ لِيَسْأَلَهُ لِمَ هَدَيْتَ فُلَانًا وَلَمْ تَهْدِ آخَرَ؟

قَالَ الشَّيْخُ الْبَيْجُورِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْعَبْدِ فِي أَفْعَالِهِ الِاخْتِيَارِيَّةِ إِلَّا الْكَسْبُ، فَلَيْسَ مَجْبُورًا كَمَا تَقُولُ الْجَبْرِيَّةُ وَلَيْسَ خَالِقًا لَهَا كَمَا تَقُولُ الْمُعْتَزِلَةُ". شرح جوهرة التوحيد ١٠٣.

وَقَالَ الْإِمَامُ عَبْدُ الْغَنِيِّ النَّابُلُسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ لِعِبَادِهِ الْمُكَلَّفِينَ جُزْءًا اخْتِيَارِيًّا يَخْتَارُونَ بِهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَهُوَ الْعَقْلُ، وَجَعَلَهُ مَنَاطًا لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ". أسرار الشريعة ١٧٥. فَبِوَاسِطَةِ الْعَقْلِ، يُقْدِمُ الْإِنْسَانُ عَلَى أَعْمَالِهِ وَأَفْعَالِهِ بِاخْتِيَارِهِ. أَمَّا مَنْ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَجْنُونًا، فَيَرْفَعُ عَنْهُ الْقَلَمَ (أَيْ تَسْجِيلَ أَعْمَالِهِ) لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الْعَقْلَ مَنَاطًا لِلتَّكْلِيفِ، فَقَدْ قِيلَ: إِذَا سَلَبَ مَا وَهَبَ، أَسْقَطَ مَا وَجَبَ. فَالْإِنْسَانُ يَسِيرُ بَيْنَ قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ مِنْ جِهَةٍ، وَبَيْنَ كَسْبِهِ لِلْأَعْمَالِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَيَنْبَغِي أَنْ يَبْقَى دَائِمًا بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ. وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْتَرِفُ أَهْلُ الشَّقَاوَةِ بِتَقْصِيرِهِمْ إِلَى مَوْلَاهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْهُمْ: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ • رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ • قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ أَيْ: غَلَبَتْ عَلَيْنَا شَقَاوَتُنَا وَكُنَّا ضَالِّينَ عَنِ الْهُدَى بِسَبَبِ اتِّبَاعِنَا لِلْمَلَذَّاتِ وَالْأَهْوَاءِ، أَخْرِجْنَا مِنَ النَّارِ وَرُدَّنَا إِلَى الدُّنْيَا فَإِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي بَعْدَ ذَلِكَ نَكُنْ قَدْ تَجَاوَزْنَا الْحَدَّ فِي الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ". صفوة التفاسير ٢/٣٢١. وَفِي هَذَا اعْتِرَافٌ صَرِيحٌ وَدَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُجْبِرْهُمْ عَلَى أَعْمَالِ الشَّقَاوَةِ، وَلَمْ يَظْلِمْ سُبْحَانَهُ أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ التوبة ١٠٥.

٢٥ المؤمنون ١٠٦/١٠٨.

الشَّقِيُّ وَالسَّعِيدُ وَالدُّعَاءُ الْمُفِيدُ

بَعْضُ النَّاسِ يَفْهَمُونَ الْإِيمَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ فَهْمًا خَاطِئًا فَيُبَالِغُونَ فِي ذَلِكَ، حَتَّى إِنَّهُمْ يَذْهَبُونَ إِلَى الْقَوْلِ بِعَدَمِ نَفْعِ الدُّعَاءِ، بِحُجَّةِ أَنَّ الْقَلَمَ قَدْ جَفَّ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ... وَيَأْتِي مُدَّعٍ آخَرُ فَيَقُولُ: لَا يُتْعِبَنَّ الْمَرْءُ نَفْسَهُ بِالدُّعَاءِ، فَإِنَّ شَيْئًا لَنْ يَتَغَيَّرَ فِي حَيَاتِهِ مَهْمَا دَعَا اللَّهَ تَعَالَى، وَحَالُهُ لَنْ يَتَبَدَّلَ مِنَ الشَّقَاوَةِ إِلَى السَّعَادَةِ، لِأَنَّ الشَّقِيَّ شَقِيٌّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالسَّعِيدَ سَعِيدٌ فِي بَطْنِ أُمِّهِ... وَيَأْتِي أَيْضًا مُتَنَطِّعٌ آخَرُ فَيَتَشَدَّقُ وَيَقُولُ لِمَرِيضٍ يَسْأَلُ اللَّهَ الشِّفَاءَ: إِنَّ الدُّعَاءَ لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ، وَمَا أَصَابَكَ مَا كَانَ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ مَا كَانَ لِيُصِيبَكَ، فَارْضَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَلَا تُكَلِّفْ نَفْسَكَ الدُّعَاءَ، فَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ لَكَ الشِّفَاءَ لَشُفِيتَ بِلَا دُعَاءٍ وَلَا دَوَاءٍ.

وَعَلَى هَذَا النَّسَقِ تَجْرِي الْآرَاءُ مُتَعَارِضَةً مُتَنَافِرَةً مُؤَدِّيَةً إِلَى الْفِتَنِ وَالْمُشَاحَنَاتِ وَمَا كَانَ ذَلِكَ لِيَحْدُثَ لَوْ لَمْ يَخُضِ الْبَعْضُ فِي أُمُورٍ أَخْفَى اللَّهُ حَقِيقَتَهَا عَنْ خَلْقِهِ، وَتَصَدَّرُوا لِلْحَدِيثِ بِأُمُورٍ تَفُوقُ مُسْتَوَيَاتِهِمُ الْعِلْمِيَّةَ وَالثَّقَافِيَّةَ وَالْفِكْرِيَّةَ، وَتَجَرَّؤُوا عَلَى قَذْفِ أَهْلِ الْإِيمَانِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ رَبَّهُمْ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَطَعْنِهِمْ بِالزَّنْدَقَةِ مَعَ أَنَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ إِلَى اللَّهِ فِي الْأَسْحَارِ، وَيَبْكُونَ مِنْ خَشْيَتِهِ فِي الْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ. فَقَدْ أَبَى هَؤُلَاءِ الْمُفْسِدُونَ تَرْكَ دِينِ حَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا هُوَ عَلَى جَادَّةٍ بَيْضَاءَ، بَعِيدًا عَنِ الْغَامِ تُزْرَعُ لِتَشْوِيهِ عَقَائِدِ النَّاسِ، وَعَرْقَلَةِ فَهْمِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَرَفْضُوا دِينَ الْإِسْلَامِ كَمَا وَرَدَ عَنْ نَبِيِّ السَّلَامِ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، وَأَرَادُوهُ عَلَى صُورَةِ أَوْهَامِهِمْ. وَمَا هَذِهِ التَّبْرِيرَاتُ وَالْفَلْسَفَاتُ الَّتِي يُطَالِعُونَنَا بِهَا بَيْنَ حِينٍ وَآخَرَ إِلَّا مِنْ عَلَامَاتِ الْجَهْلِ بِدِينِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّقْصِيرِ فِي فَهْمِ أَحَادِيثِ حَضْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ غافر: ٦٠، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ أَمْرٌ صَرِيحٌ

بِاسْتِحْبَابِ الدُّعَاءِ لِتَيْسِيرِ الْأُمُورِ. فَمَنْ يَحْتَجُّ بِأَنَّ الشَّقِيَّ شَقِيٌّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالسَّعِيدَ سَعِيدٌ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، فَنَقُولُ لَهُ: لَا يَشُكُّ بِذَلِكَ إِلَّا الضَّالُّ، وَلَكِنَّ هُنَالِكَ أُمُورًا يَجِبُ أَنْ لَا يُنْسَاهَا مَنِ احْتَجَّ بِهَذِهِ الْحُجَّةِ، مِنْهَا:

● أَوَّلًا، إِنَّ مَعْرِفَةَ شَقَاوَةِ أَوْ سَعَادَةِ الْإِنْسَانِ إِنَّمَا هِيَ مِنَ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ يَجِبُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي سَعْيِهِ لِتَحْصِيلِ السَّعَادَةِ وَاجْتِنَابِ الشَّقَاوَةِ.

● ثَانِيًا، إِنَّ مَنْ أَرَادَ الِاحْتِجَاجَ بِحَدِيثٍ فَعَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُتَفَهِّمًا لِمَعْنَى الْحَدِيثِ، وَأَنْ يُورِدَ الْمَعْنَى الْمُرَادَ مِنَ الْحَدِيثِ كَامِلًا، لَا أَنْ يَنْتَقِيَ مَا يُوَافِقُ رَأْيَهُ ظَاهِرًا، وَإِنْ كَانَ مُخَالِفًا لِمَعْنَى الْحَدِيثِ حَقِيقَةً!... فَإِنَّ حَضَرَاتِ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عِنْدَمَا سَمِعُوا مِنْ حَضْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلَهُ: ﴿... مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً﴾، قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَمْكُثُ (أَيْ نَقِفُ) عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ فَقَالَ: مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ. فَقَالَ: ﴿اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ. أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ...﴾ - صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/١٩٦ - وَيَظْهَرُ لَنَا مِنْ هَذِهِ الْإِجَابَةِ أَنَّ حَضْرَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَضَّ الصَّحَابَةَ الْكِرَامَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى الْعَمَلِ بِظَاهِرِ الْأُمُورِ، وَالِاشْتِغَالِ بِالدُّعَاءِ وَالْعِبَادَةِ، وَالْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ لِأَنَّ مَعْرِفَةَ الْخَاتِمَةِ أَمْرٌ غَيْبِيٌّ ضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى دُونَهُ الْأَسْتَارَ، وَالْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي فَضْلِ الدُّعَاءِ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا مَا وَرَدَ عَنْ حَضْرَةِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ حَضْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: ﴿لَنْ يَنْفَعَ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَلَكِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ بِالدُّعَاءِ عِبَادَ اللَّهِ﴾ - مسند الإمام أحمد - وَعَنْ حَضْرَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

﴿ لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ ﴾ - مسند الامام احمد ٢/٣٦٧ -

ثُمَّ إِنَّ الدُّعَاءَ لِلشِّفَاءِ مِنَ الْمَرَضِ لَا يُنَافِي الرِّضَا بِالْقَدَرِ، بَلْ إِنَّ حَضَّ النَّبِيِّ ﷺ حَضَّ الْمُسْلِمِينَ (أَيْ جَمِيعَهُمْ) عَلَى التَّدَاوِي مِنَ الْمَرَضِ، فَقَالَ ﷺ:

﴿ تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ ﴾ - رواه الامام احمد، الفتح الكبير ٣/٢٧٤ -. وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ أَجَازَ حَضْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ رُقْيَةَ الْمَرِيضِ، وَصَرَّحَ بِأَنَّهَا غَيْرُ مُنَافِيَةٍ لِلْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ، فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو خُزَامَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: "سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ رُقًى نَسْتَرْقِيهَا، وَدَوَاءً نَتَدَاوَى بِهِ، وَتُقَاةً نَتَّقِيهَا، هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ شَيْئًا؟ قَالَ ﷺ: هِيَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ" - سنن الترمذي، ٢/٢٠٨ -

وَقَالَ الشَّيْخُ الْبَيْجُورِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "فَالدُّعَاءُ، وَإِنْ لَمْ يَرْفَعِ الْقَضَاءَ، لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُنْزِلُ لُطْفَهُ بِالدَّاعِي". - شرح جوهرة التوحيد ١٥٨ -

وَزِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ الدَّاعِيَ يَحْظَى بِأَجْرِ الدُّعَاءِ الَّذِي يَحْفَظُهُ اللَّهُ لَهُ، وَيَنَالُ ثَوَابَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَالْعَمَلُ الصَّائِبُ هُوَ تَرْكُ عَاقِبَةِ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ شَيْءٍ، إِذِ الْقَبُولُ بِيَدِهِ سُبْحَانَهُ وَالِاسْتِجَابَةُ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الدُّعَاءُ، وَحُسْنُ الظَّنِّ بِالِاسْتِجَابَةِ. فَإِنْ عَافَى اللَّهُ الْمَرِيضَ فَبِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَإِنْ أَمَاتَ الْمُعَافَى فَبِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ - الانبياء ٢٣ - وَالْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ الْوَارِدَةُ فِي الْقُرْآنِ الْمُبِينِ وَالْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي تَحُضُّ الْمُسْلِمَ عَلَى الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى تَدُلُّ عَلَى أَنَّ فِي الدُّعَاءِ فَائِدَةً عَظِيمَةً. وَمِنْ غَيْرِ الْمَعْقُولِ الْقَوْلُ بِأَنَّ دُعَاءَ الْعِبَادِ يَكُونُ دَائِمًا مُوَافِقًا لِمَا قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، أَيْ أَنَّ الدَّاعِيَ يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى فَقَطْ فِي الْأُمُورِ الَّتِي قَدَّرَهَا سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ، لِأَنَّ الْقَدَرَ أَمْرٌ غَيْبِيٌّ وَأَمَّا إِذَا دَعَا الْمُسْلِمُ بِأَمْرٍ، وَكَانَ هَذَا الْأَمْرُ لَا يُبَدَّلُ لِأَنَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ الَّذِي لَا يَتَغَيَّرُ، فَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ دُعَاءَهُ ذَهَبَ هَبَاءً وَسُدًى، فَإِنَّ اللَّهَ يَحْفَظُ عَلَيْهِ أَجْرَ الدُّعَاءِ يَوْمَ

الْحِسَابِ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ـ التوبة ١٢٠ ـ
أَمَّا فِي الدُّنْيَا، فَالْقَضَاءُ الْمُبْرَمُ لَا يُرَدُّ بِهِمَمِ الْأَوْلِيَاءِ، وَلَا حَتَّى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
قَالَ الشَّيْخُ خَالِدٌ ذُو الْجَنَاحَيْنِ النَّقْشَبَنْدِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لَا يَجُوزُ اعْتِقَادُ أَنَّ الْقَضَاءَ الْمُبْرَمَ يُرَدُّ بِهِمَمِ الْأَنْبِيَاءِ فَضْلًا عَنِ الْأَوْلِيَاءِ ... لِأَنَّ مَعْنَى إِبْرَامِ وُقُوعِ شَيْءٍ مَثَلًا: إِحْكَامُهُ، وَالْقَطْعُ بِوُقُوعِهِ بِحَيْثُ لَا يَرُدُّهُ أَحَدٌ وَلَا يَصْرِفُهُ صَارِفٌ" الحدائق الوردية
وَقَالَ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "رُوِيَ عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَهُوَ يَبْكِي وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ كَتَبْتَنِي فِي أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَأَثْبِتْنِي فِيهَا. وَإِنْ كُنْتَ كَتَبْتَنِي فِي أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، فَامْحُنِي، وَأَثْبِتْنِي فِي أَهْلِ السَّعَادَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، فَإِنَّكَ تَمْحُو مَا تَشَاءُ وَتُثْبِتُ وَعِنْدَكَ أُمُّ الْكِتَابِ. وَرُوِيَ مِثْلُهُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ". ـ معالم التنزيل ٣/٢٦١ ـ وَيَجِبُ الِانْتِبَاهُ إِلَى أَنَّ هَذَا الدُّعَاءَ لَا يُخَالِفُ قَوْلَ حَضْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، إِلَّا قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً﴾ الْحَدِيثُ، وَلَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمَا جَهِلَا مَعْنَى الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ فَظَنَّا بِأَنَّ الْقَضَاءَ الْمُبْرَمَ يُرَدُّ بِالدُّعَاءِ، فَهَذَا مَا لَا يَعْتَقِدُهُ الْعَوَامُّ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَعْتَقِدَهُ أُولَئِكَ الرِّجَالُ الْعِظَامُ؟ وَإِنَّمَا هَذَا مِنْ بَابِ الْخَوْفِ مِنْ عَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالرَّهْبَةِ مِنْ جَلَالِهِ سُبْحَانَهُ، وَالتَّذَلُّلِ لِقَهْرِهِ عَزَّ سُلْطَانُهُ، وَكَأَنَّهُمَا يَقُولَانِ: رَبَّنَا إِنَّنَا ذُقْنَا طُرُقَ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ بِاقْتِرَافِنَا الْمَعَاصِيَ وَالذُّنُوبَ أَيَّامَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَبِفَضْلِكَ وَإِحْسَانِكَ نَقَلْتَنَا مِنْ شَقَائِهَا إِلَى سَعَادَةِ التَّوْبَةِ، فَبَارِكِ اللَّهُمَّ لَنَا بِحَسَنَاتِنَا، وَامْحُ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا، وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ.
قَالَ أَبُو حَيَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ ذَلِكَ: "إِنْ صَحَّ عَنْهُمْ ذَلِكَ فَيَنْبَغِي أَنْ يُتَأَوَّلَ عَلَى أَنَّ الْمَعْنَى: إِنْ كُنْتَ أَشْقَيْتَنَا بِالْمَعْصِيَةِ فَامْحُهَا عَنَّا بِالْمَغْفِرَةِ". تفسير البحر المحيط ٥/٢٩٨ ـ
وَأَمَّا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ـ الرعد ٣٩ ـ
فَقَالَ الْإِمَامُ الشَّوْكَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ مَعْنَاهُ:

الْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ أَنَّهُ يَمْحُو مَا يَشَاءُ مِمَّا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ فَيَكُونُ كَالْعَدَمِ. وَيُثْبِتُ مَا يَشَاءُ مِمَّا فِيهِ، فَيَجْرِي فِيهِ قَضَاؤُهُ وَقَدَرُهُ عَلَى حَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ مَشِيئَتُهُ، وَهَذَا لَا يُنَافِي مَا ثَبَتَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَوْلِهِ: جَفَّ الْقَلَمُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَحْوَ وَالْإِثْبَاتَ هُوَ مِنْ جُمْلَةِ مَا قَضَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ". - فتح القدير ٣/٨٨. وَمِنْ ذَلِكَ مَا حَدَثَ لِأُمِّ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَمَا دَعَا لَهَا حَضْرَةُ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْهِدَايَةِ وَكَانَتْ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ وَظَاهِرُ حَالِهَا الشَّقَاوَةُ، وَلَكِنَّهَا بِبَرَكَةِ دُعَاءِ حَضْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْقَلَبَ حَالُهَا مِنَ الْكُفْرِ إِلَى الْإِيمَانِ فَآمَنَتْ بِرَبِّهَا وَبِرَسُولِهِ، وَصَارَتْ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ. فَهَلْ نَقُولُ: لِمَاذَا دَعَا لَهَا حَضْرَةُ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

قَالَ الْإِمَامُ الْخَازِنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِهِ: "سَأَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَعْبًا عَنْ أُمِّ الْكِتَابِ، فَقَالَ: عِلْمُ اللَّهِ مَا هُوَ خَالِقٌ، وَمَا خَلْقُهُ، وَمَا هُمْ عَامِلُونَ". تفسير الخازن ٤/٥٠

وَقَالَ أَبُو حَيَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ (الرعد ٣٩): "قِيلَ: يَمْحُو كُفْرَ التَّائِبِينَ وَمَعَاصِيَهُمْ بِالتَّوْبَةِ، وَيُثْبِتُ إِيمَانَهُمْ وَطَاعَتَهُمْ". تفسير البحر المحيط ٥/٣٩٨.

وَهَذَا مَا يَحْصُلُ لِلدَّاخِلِينَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ فِي أُورُوبَّا حَالِيًّا حِينَ يَدْعُونَ اللَّهَ وَهُمْ كُفَّارٌ أَنْ يُرْشِدَهُمُ الْمَوْلَى إِلَى الْهُدَى وَالْهِدَايَةِ، فَنَرَى أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ فِي الْإِسْلَامِ وَيَقُومُونَ بِوَاجِبَاتِهِمُ الدِّينِيَّةِ، وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى الْبَحْثِ فِيمَا إِذَا كُتِبُوا أَشْقِيَاءَ أَوْ سُعَدَاءَ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، فَهَذَا مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا الْخَالِقُ الْعَظِيمُ وَالْمَلَكَانِ اللَّذَانِ يُوكَلَانِ بِكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ، وَشَقِيٌّ هُوَ أَمْ سَعِيدٌ؟ ثُمَّ بَقِيَ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْ لَفْتِ أَنْظَارِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدَّعُونَ فَهْمَ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَحْمِلُونَ النَّاسَ قَسْرًا عَلَى اتِّبَاعِهِمْ وَالسَّيْرِ فِي رِكَابِهِمْ مَعَ أَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى هُدًى وَكِتَابٍ مُنِيرٍ، نَقُولُ لَهُمْ وَنُذَكِّرُهُمْ بِدُعَاءِ الْقُنُوتِ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَالْوِتْرِ، حَيْثُ عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَدْعُوَ بِقَوْلِنَا: ﴿اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ،

وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ ، وَقِنِي (أي اصْرِفْنِي) شَرَّ مَا قَضَيْتَ ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ ، إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ ﴿ مسند الإمام أحمد ١٣٩٨ ـ وَهَذَا الدُّعَاءُ الْمُبَارَكُ يُشَجِّعُ طَالِبَ النَّجَاةِ عَلَى أَنْ يَطْلُبَ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يَقِيَهُ شُرُورَ الشَّقَاوَةِ وَأَسْبَابَهَا ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلدُّعَاءِ فَائِدَةٌ ، لَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ بِهِ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ ، وَلَمَا عَلَّمَنَا إِيَّاهُ حَضْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ .

وَأَمَّا مَا وَرَدَ بِخُصُوصِ الْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ وَالْقَضَاءِ الْمُعَلَّقِ فَإِنَّنَا سَنَتَجَنَّبُ الْخَوْضَ فِي أَمْرِهِمَا إِتِّقَاءً لِلْفِتْنَةِ . وَفِي الْخِتَامِ نَقُولُ لِلطَّالِبِينَ : الْأَسْلَمُ لِلْإِنْسَانِ الْعَمَلُ بِأَمْرِ حَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ : ﴿ ... وَإِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا ﴾ رواه الإمام الطبراني ، الفتح الكبير ٨ ، ١١٠ .. وَأَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ تَعَالَى بِإِخْلَاصٍ وَحُسْنِ الظَّنِّ بِالْإِجَابَةِ ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴾ ـ النمل ٦٢ ـ وَإِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَلَا يَشْغَلْ نَفْسَهُ بِالتَّسَاؤُلِ عَنْ حَالِ هَذَا الْأَمْرِ ، أَهُوَ مِنَ الْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ عَلَيَّ أَمْ لَا ؟ فَإِنَّ حَضْرَةَ النَّبِيِّ يُوسُفَ عليه السلام عِنْدَمَا ابْتُلِيَ بِكَيْدِ النِّسْوَةِ ، لَمْ يَقُلْ : أَأَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى أَمْ هَذَا مِنَ الْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ الَّذِي لَا مَفَرَّ مِنْهُ ؟ بَلْ ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ـ يوسف ٣٣ ـ فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى مَا كَانَ نَتِيجَةَ دُعَائِهِ عليه السلام بِقَوْلِهِ : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ـ يوسف ٣٤ ـ وَكَذَلِكَ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ اسْتِجَابَتِهِ دُعَاءَ حَضْرَةِ نُوحٍ عليه السلام : ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ ـ الأنبياء ٧٦ ـ وَاسْتَجَابَ سُبْحَانَهُ دُعَاءَ نَبِيِّهِ حَضْرَةِ أَيُّوبَ عليه السلام : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً

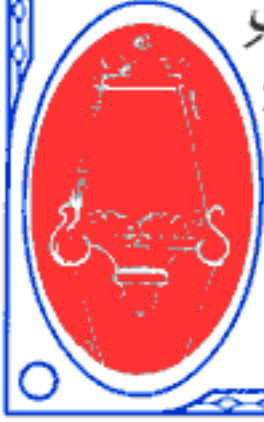

مِنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿الأنبياء ٨٣/٨٤﴾. وَٱسْتَجَابَ أَيْضًا سُبْحَانَهُ دُعَاءَ حَضْرَةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا ٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ • فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿الأنبياء ٨٧/٨٨﴾. وَحَضْرَةُ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا دَعَا ٱللَّهَ تَعَالَىٰ وَسَأَلَهُ أَنْ يَرْزُقَهُ وَلَدًا، ٱسْتَجَابَ ٱللَّهُ لَهُ وَرَزَقَهُ حَضْرَةَ يَحْيَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ • فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ ﴿الأنبياء ٨٩/٩٠﴾.

وَٱلْأَخْبَارُ ٱلْوَارِدَةُ فِي أَدْعِيَةِ حَضَرَاتِ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَٱلصَّالِحِينَ كَثِيرَةٌ، يَصْعُبُ إِحْصَاؤُهَا. وَجَمِيعُهُمْ عِنْدَمَا تَوَجَّهُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ، لَمْ يُفَكِّرُوا فِي أَمْرِ طَلَبِهِمْ، أَهُوَ مِنَ ٱلْقَضَاءِ ٱلْمُبْرَمِ عَلَيْهِمْ أَمْ لَا، بَلْ عَمِلُوا بِظَاهِرِ ٱلْأَمْرِ ٱلرَّبَّانِيِّ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ﴿غافر ٦٠﴾. فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَنَطَّعَ ٱلْبَعْضُ وَيَقُولَ بِأَنَّهُ لَا فَائِدَةَ مِنْ دُعَاءِ ٱلْمَرِيضِ وَٱلْحَزِينِ وَٱلْفَقِيرِ وَٱلْمُحْتَاجِ لِرَبِّهِ، لِأَنَّ ذَٰلِكَ يُوقِعُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْقُنُوطِ مِنْ رَبِّهِمْ نَتِيجَةَ أَمْثَالِ هَٰذِهِ ٱلِادِّعَاءَاتِ ٱلْبَاطِلَةِ، فَلْيَتْرُكُوا ٱلْمُؤْمِنِينَ يَتَعَبَّدُونَ رَبَّهُمْ بِٱلدُّعَاءِ، فَقَدْ قَالَ حَضْرَةُ رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ٱلدُّعَاءِ ﴿ٱلدُّعَاءُ مُخُّ ٱلْعِبَادَةِ﴾ ﴿رواه الامام الترمذي، الفتح الكبير ٣/١١٥﴾. وَقَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ٱلدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ ٱللَّهِ بِٱلدُّعَاءِ﴾ ﴿رواه الامام الحاكم في مستدركه، الفتح الكبير ٣/١١٥﴾.

فَثَابِرْ عَلَىٰ ٱلدُّعَاءِ يَا أَخِي ٱلْمُسْلِمَ، تَكُنْ مِنَ ٱلْفَائِزِينَ، وَلَا تَلْتَفِتْ لِلْفَاشِلِينَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُوَفِّقْهُمُ ٱللَّهُ لِلطَّاعَاتِ وَٱلْعِبَادَاتِ وَٱلْأَذْكَارِ وَٱلدُّعَاءِ، فَذَٰلِكَ إِنَّمَا هُوَ نَتِيجَةُ تَقْصِيرِهِمْ وَحَصِيلَةُ ٱلْعِلَلِ ٱلَّتِي مَلَكَتْ قُلُوبَهُمْ، وَٱنْشَغَلَتْ بِهَا جَوَارِحُهُمْ، فَحُجِبُوا عَنْ بَابِ ٱلْفَضْلِ وَٱلرِّضَا وَٱلْعَطَاءِ، عَافَانَا ٱللَّهُ مِنْ ذَٰلِكَ بِفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، آمِينَ.

ٱلدُّعَاءُ وَأَقْسَامُهُ

مِنْ مَكَائِدِ ٱلْمُلْحِدِينَ أَنَّهُمْ يُفَتِّشُونَ عَنِ ٱلْأَرْضِ ٱلْخِصْبَةِ لِيَبُثُّوا فِيهَا أَفْتِرَاءَاتِهِمْ وَسُمُومَهُمْ وَضَلَالَاتِهِمْ.

وَمِنَ ٱلْفَرَائِسِ ٱلَّتِي ٱنْقَضُّوا عَلَيْهَا بِلَا رَحْمَةٍ، ٱلْأَطْفَالُ ٱلْبُسَطَاءُ، إِذْ يَسْعَوْنَ إِلَى غَرْسِ ٱلشَّكِّ فِي قُلُوبِهِمْ وَٱسْتِمَالَتِهِمْ حَسَبَ أَهْوَائِهِمْ. فَمِنْ مَكَائِدِ أَحَدِهِمْ أَنَّهُ سَأَلَ طِفْلًا رَآهُ يَدْعُو ٱللَّهَ فَقَالَ لَهُ: مَنْ تَدْعُو؟ قَالَ: أَدْعُو ٱللَّهَ أَنْ يَرْحَمَنِي وَيَرْزُقَنِي. فَقَالَ لَهُ: قُلْ لِرَبِّكَ أَنْ يُعْطِيَكَ مَالًا. فَتَوَجَّهَ ٱلطِّفْلُ بِكُلِّ بَرَاءَةٍ وَدَعَا رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ مَالًا. فَقَالَ لَهُ ٱلْمُلْحِدُ: هَلْ أَنْزَلَ رَبُّكَ عَلَيْكَ ٱلْمَالَ؟ قَالَ: لَا. فَقَالَ لَهُ: ٱدْعُنِي بِٱسْمِي وَٱطْلُبْ مِنِّي ٱلْمَالَ. فَفَعَلَ ٱلطِّفْلُ، فَأَعْطَاهُ ٱلْمُلْحِدُ مَالًا وَقَالَ لَهُ: أَرَأَيْتَ، مَنْ أَعْظَمُ وَأَسْرَعُ ٱسْتِجَابَةً لِدُعَائِكَ، أَنَا أَمْ رَبُّكَ؟ وَٱلْعِيَاذُ بِٱللَّهِ مِنْ هَذِهِ ٱلْوَسَائِلِ ٱلْمُشِينَةِ ٱلَّتِي تُوقِعُ ٱلرِّيبَةَ وَٱلشَّكَّ فِي نَفْسِ ٱلطِّفْلِ، وَتَرْمِيهِ فِي بِحَارِ ٱلضَّيَاعِ، فَيُصْبِحُ أَدَاةً طَائِعَةً فِي يَدِ هَذَا ٱلْمُجْرِمِ ٱلدَّجَّالِ، يُنَشِّئُهُ وَيُرَبِّيهِ عَلَى فَسَادِ ٱلِٱعْتِقَادِ، بَعْدَ أَنْ يَغْرِسَ فِي قَلْبِهِ ٱلْقُنُوطَ مِنْ رَحْمَةِ ٱللَّهِ وَعَطَائِهِ وَلِإِحْسَانِهِ، ثُمَّ لِيُوهِمَهُ بَعْدَهَا بِعَدَمِ وُجُودِ إِلَهٍ يُعْبَدُ!...

فَلْيَعْلَمِ ٱلنَّاسُ أَنَّ ٱللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَرِيمٌ عَظِيمُ ٱلْإِحْسَانِ، يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ. وَٱلْأَدْعِيَةُ عَلَى أَقْسَامٍ:

- أَدْعِيَةٌ تُسْتَجَابُ عِنْدَ ٱلدُّعَاءِ، وَهَذِهِ تَكُونُ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِٱلْكِتَابِ وَٱلسُّنَّةِ، وَتَحَلَّى بِٱلتَّقْوَى وَٱلْإِيمَانِ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرْبِ وَٱلْإِحْسَانِ، وَأَكْثَرُ مَا كَانَتْ تَحْصُلُ هَذِهِ ٱلْأَدْعِيَةُ، مَعَ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَٱلْمُرْسَلِينَ وَآلِ ٱلْبَيْتِ وَٱلصَّحَابَةِ ٱلْكَامِلِينَ.
- وَمِنْهَا، أَدْعِيَةٌ تُؤَخَّرُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى.
- وَمِنْهَا، أَدْعِيَةٌ لَا تَظْهَرُ لَهَا بَوَادِرُ ٱلْإِجَابَةِ ٱلْفَوْرِيَّةِ، بَلْ تُدَّخَرُ فِي خَزَائِنِ رَحْمَةِ ٱللَّهِ ٱلْمَعْنَوِيَّةِ، فَيُؤْتِيهِمُ ٱللَّهُ ٱلْجَزَاءَ ٱلْأَوْفَى يَوْمَ ٱلْحِسَابِ.
- وَمِنْهَا، أَدْعِيَةٌ قَدْ لَا تُسْتَجَابُ، وَلَا أَجْرَ عَلَيْهَا يَوْمَ ٱلْحِسَابِ، كَدُعَاءِ ٱلظَّالِمِينَ، وَأَكَلَةِ مَالِ ٱلْحَرَامِ، وَٱلْمُنْغَمِسِينَ فِي

خضم المعاصي والإنكار، ومن سلك مسلكهم. نسأل الله تعالى الثبات والموت على السنة والكتاب، والبعد عن الفسق والفساد، ببركة النبي العربي المختار

الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر

يقول بعض ضعفاء الإيمان عند سماعهم لقول حضرة النبي صلى الله عليه وسلم: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر - رواه الإمام احمد ومسلم، الفتح الكبير

ما ذنبنا حتى نعيش في عذاب وفقر محرومين من نعيم الدنيا، ونحن نقر بوحدانية الله، والكافر يفسق ويفجر ويكفر ويتنعم بالأموال والشهوات والملذات؟ إننا نذكر أمثال هؤلاء بقول الله تعالى: وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور - آل عمران ١٨٥ -، وقوله تعالى: فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور - لقمان ٣٣ - فالكافر إنما يتنعم في هذه الحياة إلى أجل مسمى، أين فرعون؟ أين هامان؟ أين قارون؟ فالدنيا دار مجاهدة وابتلاء وصبر، وقد بشر الله الصابرين بقوله سبحانه وتعالى: ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون - النحل ٩٦ -. فهنيئا للمؤمن الذي صبر ورضي بالقدر فنجا من الخطر. عن حضرة أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط، هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط - صحيح مسلم بشرح النووي ٨٧/١٤٩ -. ومن هذا الحديث الشريف يظهر للإنسان عظيم رحمة الله وما أعد للمؤمنين من نعيم

لَا يُوصَفُ فِي الْجَنَّةِ، وَهَوْلُ عِقَابِهِ سُبْحَانَهُ وَمَا أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ مُهِينٍ فِي الْجَحِيمِ. فَإِنَّ الْكَافِرَ الَّذِي أَعْطَى نَفْسَهُ هَوَاهَا وَأَشْبَعَهَا بِالشَّهَوَاتِ وَاللَّذَّاتِ وَكَانَتْ لَهُ جَنَّةُ الدُّنْيَا، عِنْدَمَا يُغْمَسُ فِي جَهَنَّمَ يَنْسَى كُلَّ اللَّذَّاتِ وَالنِّعَمِ الَّتِي عَاشَهَا فِي الدُّنْيَا وَذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ مَا يَلْقَى مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَحَرِيقٍ مُهِينٍ. وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ الَّذِي كَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا سِجْنًا وَلَمْ يَرَ طَعْمَ الْهَنَاءِ، وَلَا عَرَفَ الرَّاحَةَ فِي الدُّنْيَا، وَذَاقَ أَنْوَاعَ الْعَذَابِ وَالذُّلِّ فِيهَا، فَإِنَّهُ إِذَا غُمِسَ غَمْسَةً فِي الْجَنَّةِ إِكْرَامًا لِصَبْرِهِ وَإِيمَانِهِ، يَنْسَى كُلَّ مَا عَانَاهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ بُؤْسٍ وَحِرْمَانٍ وَكَأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفِ الْعُسْرَ وَلَا الضِّيقَ أَبَدًا، وَذَلِكَ مِنْ أَثَرِ شِدَّةِ النَّعِيمِ الَّذِي مَحَا مِنْ قَلْبِهِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ آثَارِ الْعَذَابِ وَالْوَيْلَاتِ.

وَمِنَ الطَّرَائِفِ الَّتِي وَرَدَتْ عَنِ الْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ مَا أَوْرَدَهُ الشَّيْخُ الْبَيْجُورِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حُكِيَ أَنَّ الْحَافِظَ ابْنَ حَجَرٍ مَرَّ يَوْمًا بِالسُّوقِ فِي مَوْكِبٍ عَظِيمٍ وَهَيْئَةٍ جَمِيلَةٍ فَهَجَمَ عَلَيْهِ يَهُودِيٌّ يَبِيعُ الزَّيْتَ الْحَارَّ، وَأَثْوَابُهُ مُلَطَّخَةٌ بِالزَّيْتِ، وَهُوَ فِي غَايَةِ الرَّثَاثَةِ (أَيْ ذُو ثِيَابٍ مُهْتَرِئَةٍ بَالِيَةٍ) وَالْبَشَاعَةِ، فَقَبَضَ عَلَى لِجَامِ بَغْلَتِهِ وَقَالَ لَهُ: يَا شَيْخَ الْإِسْلَامِ، تَزْعُمُ أَنَّ نَبِيَّكُمْ قَالَ: الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ، فَأَيُّ سِجْنٍ أَنْتَ فِيهِ؟ وَأَيُّ جَنَّةٍ أَنَا فِيهَا؟ فَقَالَ: أَنَا بِالنِّسْبَةِ لِمَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِي فِي الْآخِرَةِ مِنَ النَّعِيمِ كَأَنِّي الْآنَ فِي سِجْنٍ، وَأَنْتَ بِالنِّسْبَةِ لِمَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لَكَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ كَأَنَّكَ فِي جَنَّةٍ، فَأَسْلَمَ الْيَهُودِيُّ". ـ شرح جوهرة التوحيد ـ

مَعْنَى الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا"

لَقَدِ انْتَقَدَ الْبَعْضُ عِنْدَ قِرَاءَتِهِمْ لِهَذَا الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ وَقَالُوا: إِنَّ الْإِسْلَامَ فِيهِ تَنَاقُضٌ، لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ ـ آل عمران: ١٠٨ ـ وَيَقُولُ أَيْضًا:

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ـ البقرة: ٢٧٠ ـ فَكَيْفَ يُخَالِفُ النَّبِيُّ قَوْلَ رَبِّهِ وَيَقُولُ "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا

أَوْ مَظْلُومًا ؟!... وَهَكَذَا يَنْفَتِنُ ضَعِيفُ الْإِيمَانِ وَيَقَعُ فِي شِبَاكِ الْمُضِلِّينَ أَعْدَاءِ الدِّينِ. وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ الْمُوَحِّدُ وَالْمُنَزِّهُ لِرَبِّهِ وَالْمُعْتَقِدُ بِعِصْمَةِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ فَيَعْلَمُ أَنَّ لِحَدِيثِ حَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ تَفْسِيرًا وَاضِحًا لَا يُخَالِفُ آيَاتِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، فَعَنْ حَضْرَةِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ﴾، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ قَالَ: تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ ﴾ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ٥/٩٨ ـ

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿ فِي تَفْسِيرِ الْحَدِيثِ قَوْلُهُ: فَقَالَ تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ، كَنَّى بِهِ عَنْ كَفِّهِ عَنِ الظُّلْمِ بِالْفِعْلِ إِنْ لَمْ يَكُفَّ بِالْقَوْلِ، وَعَبَّرَ بِالْفَوْقِيَّةِ إِشَارَةً إِلَى الْأَخْذِ بِالِاسْتِعْلَاءِ وَالْقُوَّةِ، وَفِي رِوَايَةِ مُعَاذٍ عَنْ حُمَيْدٍ عَنِ الْإِسْمَاعِيلِيِّ: فَقَالَ: يَكُفُّهُ عَنِ الظُّلْمِ، فَذَاكَ نَصْرُهُ إِيَّاهُ". ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ٥/٩٨ ـ فَمَنْ يَرْدَعُ أَخَاهُ الظَّالِمَ بِالْحُسْنَى وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَيُذَكِّرُهُ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ حَتَّى يَلِينَ قَلْبُهُ وَيَخْشَعَ لِآيَاتِ وَأَوَامِرِ اللَّهِ وَيَرْجِعَ عَنِ الظُّلْمِ، فَقَدْ نَصَرَهُ عَلَى نَفْسِهِ بِمُخَالَفَتِهَا مَا تَهْوَاهُ مِنْ ظُلْمِ الْعِبَادِ.

بِمَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: "لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ"

إِنَّ أَهْلَ الْجَفَاءِ وَعَدِيمِي الْأَدَبِ قَدْ شَوَّهُوا قَوْلَ حَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي مُنَاجَاةِ رَبِّهِ: ﴿ ... لَا أُحْصِي ثَنَاءً (أَيْ مَدْحًا) عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ ﴾ مسند الإمام احمد ١/٩٦ ـ مِنْ خِلَالِ تَفْسِيرِهِمْ لَهُ بِحَسَبِ ظُنُونِهِمُ النَّفْسِيَّةِ وَأَمْرَاضِهِمُ الْقَلْبِيَّةِ، إِذِ ادَّعَوْا أَنَّ هَذَا اعْتِرَافٌ صَرِيحٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَجْزِهِ عَنِ التَّعْبِيرِ عَمَّا أَدْرَكَهُ وَرَآهُ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَمَا يُرِيدُونَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْكَلَامِ الْفَارِغِ إِلَّا التَّصَدُّرَ وَالْجَاهَ، وَادِّعَاءَ فَهْمِ الْعُلُومِ وَالْأَسْرَارِ. وَقَدْ نَصَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ وَأَيَّدَهُ بِجِبْرِيلَ الْأَمِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَوَهَبَهُ اللِّسَانَ الْأَنْوَرَ وَالْفِكْرَ الْأَسْمَى، وَالطَّرِيقَةَ الْمُثْلَى فِي إِظْهَارِ عَظَائِمِ شُكْرِ مَوْلَاهُ، كَيْفَ لَا، وَقَدْ كَانَ ﷺ

مَهْبِطَ الشَّرْعِ الْحَنِيفِ، فَامْتَلأَ قَلْبُهُ الشَّرِيفُ بِالْغَرَائِبِ الرَّبَّانِيَّةِ وَالْعَجَائِبِ الرَّحْمَانِيَّةِ. وَقَوْلُهُ ﷺ ﴿ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ ﴾ فَمَعْنَاهُ كَمَا فَسَّرَهُ حَضْرَةُ الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ، لَيْسَ الْمَعْنَى أَنِّي أَعْجَزُ عَنِ التَّعْبِيرِ عَمَّا أَدْرَكْتُهُ، بَلْ هُوَ اعْتِرَافٌ بِالْقُصُورِ عَنْ إِدْرَاكِ كُنْهِ جَلَالِهِ (أَيْ حَقِيقَتِهِ). وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَا عَرَفَ اللَّهَ بِالْحَقِيقَةِ سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَقَالَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ لِلْخَلْقِ سَبِيلًا إِلَى مَعْرِفَتِهِ إِلَّا بِالْعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ." إحياء علوم الدين.

قَوْلُهُ ﷺ: "مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا"

إِنَّ مُرَوِّجِي الضَّلَالِ، وَالسَّاعِينَ إِلَى تَفْكِيكِ تَعَالِيمِ الْعَقِيدَةِ السَّمْحَاءِ يَتَمَسَّكُونَ بِادِّعَائِهِمْ أَنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ. وَإِذَا جَابَهْتَهُمْ بِبُطْلَانِ ذَلِكَ يَقُولُونَ: إِنَّ رَسُولَكُمْ مُحَمَّدًا قَدْ قَالَ ذَلِكَ فِي حَدِيثِهِ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ لِصَاحِبِهِ: ﴿ مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا ﴾ مسند الإمام أحمد.

وَهُمْ فِي ذَلِكَ يُفَسِّرُونَ هَذَا الْحَدِيثَ الْمُبَارَكَ حَسَبَ مَا تَقْتَضِيهِ مَآرِبُهُمْ وَضَلَالَاتُهُمْ، لَا بِحَسَبِ الْأُصُولِ الْعَقَائِدِيَّةِ وَالْقَوَاعِدِ التَّنْزِيهِيَّةِ الَّتِي أُمِرْنَا الِالْتِزَامَ بِهَا. فَإِنَّ قَوْلَ حَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَا يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، كَمَا يَقُولُونَ، وَأَنَّهُ تَجَزَّأَ مِنْهُ الْأَبُ وَالِابْنُ وَالرُّوحُ الْقُدُسُ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا. فَاللَّهُ لَيْسَ بِجِسْمٍ مُرَكَّبٍ حَتَّى يَنْقَسِمَ، وَلَا بِجِرْمٍ مُرَتَّبٍ حَتَّى يَتَجَزَّأَ مِنْهُ، وَلَيْسَ نَوْعًا أَوْ مَادَّةً، فَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ بَلْ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ. وَلَيْسَ سُبْحَانَهُ مَخْلُوقًا حَتَّى يَكُونَ وَاحِدًا مِنْ ثَلَاثَةٍ، أَوْ جُزْءًا مِنْ كُلٍّ، أَوْ مُرَكَّبًا مِنْ أَجْزَاءٍ، كَمَا يَدَّعِي الْمُبْتَدِعَةُ، لِأَنَّ التَّجَزُّؤَ وَالِانْقِسَامَ مُسْتَحِيلٌ فِي حَقِّ رَبِّ الْأَنَامِ. أَمَّا مَعْنَى الْحَدِيثِ فَهُوَ: أَنَّ اللَّهَ مَعَ رَسُولِهِ ﷺ وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَحْفَظُهُمَا بِلُطْفِهِ وَعِنَايَتِهِ،

وَيَحْمِيهِمَا مِنْ كَيْدِ مَنْ يَضُرُّ لَهُمَا ٱلْقَهْرَ وَٱلْقَتْلَ. وَمِثْلُ ذَلِكَ مَا يَقُولُ أَحَدُنَا لِصَاحِبِهِ عِنْدَ تَوْدِيعِهِ لَهُ: ٱللَّهُ مَعَكَ، أَيْ: ٱللَّهُ يَحْفَظُكَ بِعِنَايَتِهِ وَلُطْفِهِ. وَقَدْ قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱبْنُ حَجَرٍ ٱلْعَسْقَلَانِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ هَذَا ٱلْحَدِيثِ: «وَمَعْنَى ثَالِثُهُمَا: نَاصِرُهُمَا وَمُعِينُهُمَا، وَإِلَّا فَٱللَّهُ ثَالِثُ كُلِّ ٱثْنَيْنِ بِعِلْمِهِ». - فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٧/ ١١ -. وَبِهَذَا يَسْقُطُ قَوْلُ ٱلْمُشَبِّهَةِ:

مَعْنَى قَوْلِ ٱللَّهِ تَعَالَى: "إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً"

أَشْبَهَ عَلَى ٱلْبَعْضِ مَعْنَى قَوْلِ ٱللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ -البقرة ٣٠- فَظَنُّوا أَنَّ ٱلْخِلَافَةَ ٱلْوَارِدَةَ فِي ٱلْآيَةِ ٱلْكَرِيمَةِ شَبِيهَةٌ بِٱلْخِلَافَةِ ٱلَّتِي تَكُونُ بَيْنَ ٱلْبَشَرِ، أَيْ: كَمَا أَنَّ ٱلنَّبِيَّ يَخْلُفُ جَمَاعَةً مِنَ ٱلْبَشَرِ وَهُوَ مِنَ ٱلْبَشَرِ، فَٱللَّهُ بِجَعْلِهِ آدَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ مِنَ ٱلْبَشَرِ، فَهَذَا يَعْنِي أَنَّ ٱللَّهَ لَهُ صِفَةُ ٱلْبَشَرِ. وَيَقُولُونَ: وَمِمَّا يُثْبِتُ ذَلِكَ أَيْضًا، أَنَّ ٱللَّهَ وَصَفَ لِنَفْسِهِ ٱلْعَيْنَ وَٱلْيَدَ وَٱلْمَجِيءَ وَٱلْغَضَبَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ ٱلْبَشَرِ. فَلِمَاذَا تَعْتَرِضُونَ عَلَيْنَا إِذَا قُلْنَا إِنَّهُ ٱتَّخَذَ ٱبْنًا لَهُ، أَوَلَيْسَ ٱلِٱبْنُ أَحَقَّ ٱلنَّاسِ بِخِلَافَةِ أَبِيهِ؟ وَٱلْعِيَاذُ بِٱللَّهِ مِنْ هَٰذِهِ ٱلضَّلَالَاتِ ٱلْمَبْنِيَّةِ عَلَى تَفْسِيرِ ٱلْآيَاتِ ٱلْكَرِيمَةِ مِنْ خَوَاطِرِهِمُ ٱلسَّقِيمَةِ. فَنَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ لِكَلِمَةِ "خَلِيفَةٍ" مَعْنَيَانِ وَإِنْ كَانَتْ كَلِمَةً وَاحِدَةً:

- فَٱلرَّجُلُ يَخْلُفُ ٱبْنَهُ، أَيْ: يُقِيمُهُ مَقَامَهُ وَيُسَلِّمُهُ أُمُورَهُ وَمَسْؤُولِيَّاتِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، أَوْ عِنْدَمَا يُصْبِحُ عَاجِزًا عَنْ مُتَابَعَةِ إِدَارَةِ أَعْمَالِهِ وَتَحَمُّلِ مَسْؤُولِيَّاتِهِ.
- وَأَمَّا ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ فَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَلَا يَعْتَرِيهِ ٱلْعَدَمُ وَٱلْفَنَاءُ، وَهُوَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى خَلْقِهِ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ يَحْتَاجُ إِلَى عَظِيمِ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ وَعَفْوِهِ وَرِضَاهُ

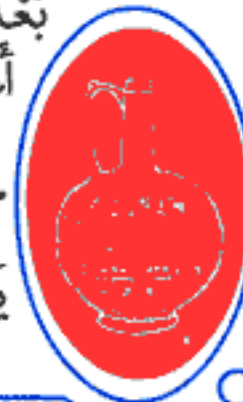

فَيَكُونُ مَعْنَى الْخِلَافَةِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ: هِيَ تَكْلِيفُهُمْ بِإِجْرَاءِ أَحْكَامِهِ وَتَنْفِيذِ أَوَامِرِهِ بَيْنَ النَّاسِ، وَسِيَاسَةِ الْخَلْقِ وَالْحُكْمِ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ فَالنَّبِيُّ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، أَيْ: إِنَّهُ مُرْسَلٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِيُبَلِّغَ وَيُعَلِّمَ وَيَحُضَّ الْعِبَادَ عَلَى الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ وَالْأَفْعَالِ الْحَمِيدَةِ وَالْأَقْوَالِ السَّدِيدَةِ لِيَحْظَوْا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ. وَقَدْ قَالَ فَضِيلَةُ مَوْلَانَا مُحْيِي الدِّينِ شَيْخ زَادَه فِي شَرْحِ قَوْلِ الْقَاضِي الْبَيْضَاوِي فِي تَفْسِيرِهِ لِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: «إِنَّ الْخِلَافَةَ عَنِ الْغَيْرِ تُوهِمُ عَجْزَ الْغَيْرِ عَنِ الْقِيَامِ بِالْأَمْرِ بِنَفْسِهِ، إِمَّا لِغَيْبَتِهِ، أَوْ مَوْتِهِ، أَوْ مَرَضِهِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، وَهُوَ لَا يُتَصَوَّرُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى ... إِنَّ اسْتِخْلَافَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَيْسَ مَبْنِيًّا عَلَى الْعَجْزِ وَالِاحْتِيَاجِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، بَلْ هُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى قُصُورِ الْمُسْتَخْلَفِ عَلَيْهِ عَنْ قَبُولِ فَيْضِهِ تَعَالَى، بِالذَّاتِ بِلَا وَاسِطَةٍ مِنْ خِلَافِ جِنْسِهِ ...

وَقَوْلُهُ: «أَلَا تَرَى»، تَنْوِيهٌ لِانْتِفَاءِ (أَيْ لِعَدَمِ) احْتِيَاجِهِ تَعَالَى إِلَى مَنْ يَنُوبُ عَنْهُ، وَبَيَانٌ لِكَوْنِ تَوَسُّطِ الْوَاسِطَةِ يَخْتَلِفُ عَلَى حَسَبِ اخْتِلَافِ حَالِ الْمُسْتَفِيضِ، يَعْنِي أَنَّ مُعَامَلَتَهُ تَعَالَى فِي إِفَاضَةِ الْكَمَالَاتِ وَالْمَعَارِفِ عَلَى خَلْقِهِ إِنَّمَا هِيَ بِحَسَبِ اسْتِعْدَادَاتِهِمْ، فَمَنْ كَانَ مُسْتَعِدًّا لِاسْتِفَاضَتِهَا بِلَا وَسَطٍ (أَيْ وَاسِطَةٍ) يُفِيضُ عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ بِلَا وَاسِطَةِ مَلَكٍ، وَمَنْ كَانَ لَا يَقْبَلُهَا إِلَّا مِمَّنْ كَانَ مِنْ جِنْسِهِ يُفِيضُ عَلَيْهِ بِوَاسِطَةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لِكَوْنِ قُوَّتِهِمُ النَّظَرِيَّةِ فَائِقَةً عَلَى قُوَى سَائِرِ الْأَنَامِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُمْ يَتَمَكَّنُونَ بِقُوَاهُمْ عَلَى اسْتِنْبَاطِ أَنْوَارِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُمْ أُعْطُوا مِصْبَاحَ الْبَصِيرَةِ الْمُودَعَ فِي زُجَاجَةِ الْقَلْبِ الْكَائِنَةِ فِي مِشْكَاةِ الْجَسَدِ الْمُوقَدَةِ تِلْكَ الزُّجَاجَةُ مِنْ زَيْتِ الرُّوحِ الصَّافِيَةِ عَنِ الْكُدُورَاتِ بِحَيْثُ يَكَادُ زَيْتُهَا لِغَايَةِ صَفَائِهِ يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ». حاشية تفسير القاضي البيضاوي

مَعْنَى قَوْلِ الْبَعْضِ: "فُلَانٌ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ"

اخْتَلَفَ الْبَعْضُ فِي قَوْلِ النَّاسِ: فُلَانٌ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ، وَهِيَ أَكْثَرُ مَا تُسْتَعْمَلُ عِنْدَمَا يَمُوتُ الْمَرْءُ، فَيُقَالُ: إِنَّهُ أَصْبَحَ الْآنَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ. وَقَدْ قَالَ أَحَدُهُمْ لِصَاحِبِهِ: لَا تَقُلْ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ، فَهَذَا كُفْرٌ، لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ ذِمَّةٌ كَالْإِنْسَانِ. فَلِأَجْلِ ذَلِكَ أَحْبَبْنَا أَنْ نُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَعْنَى هَذِهِ الْعِبَارَةِ.

تُفَسَّرُ الذِّمَّةُ بِالْعَهْدِ وَبِالْأَمَانِ، وَبِالضَّمَانِ أَيْضًا. وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ قَوْلَ النَّاسِ: فُلَانٌ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ، يَأْتِي بِمَعْنَى الْأَمَانِ وَالْعَهْدِ وَالضَّمَانِ، أَيْ: فِي عَهْدِ اللَّهِ، وَأَمَانِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَوْلُهُ ﷺ: "الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ"

قَدْ يَتَسَاءَلُ الْبَعْضُ عِنْدَ سَمَاعِهِمْ لِقَوْلِ حَضْرَةِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ﷺ: الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ - لأبي يعلى في مسنده، الفتح الكبير -

كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يُصَلُّوا؟ وَهَلْ صَلَاتُهُمْ بِرُكُوعٍ وَسُجُودٍ؟ وَهَلْ يَلْزَمُ لَهَا وُضُوءٌ؟ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْئِلَةِ...

فَنَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ صَلَاةَ حَضَرَاتِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي قُبُورِهِمْ تَخْتَلِفُ عَنْ صَلَاتِهِمْ فِي حَيَاتِهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَتِهَا. إِلَّا أَنَّ الصَّلَاةَ فِي اللُّغَةِ، كَمَا يَقُولُ الْإِمَامُ الْفَيُّومِي: "مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ الدُّعَاءِ وَالتَّعْظِيمِ وَالرَّحْمَةِ وَالْبَرَكَةِ، وَمِنْهُ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى، أَيْ بَارِكْ عَلَيْهِمْ أَوِ ارْحَمْهُمْ". - المصباح المنير، مادة صلي -

وَهُنَا يُمْكِنُنَا أَنْ نَقُولَ: إِنَّ صَلَاتَهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي قُبُورِهِمْ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ الدُّعَاءِ لِأُمَّتِهِمْ، وَتَعْظِيمِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَطَلَبِ الرَّحْمَةِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ لِمَنْ يَتَّبِعُهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. وَقِيلَ: إِنَّ صَلَاتَهُمْ شُكْرٌ وَحَمْدٌ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِأَنَّهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَرَوْنَ شُكْرَهُمْ وَعِبَادَتَهُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

قَلِيلَةً أَمَامَ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ. وَيُظْهِرُ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَالِهِمْ هَذَا لِلْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ شِدَّةَ حِرْصِ أَنْبِيَائِهِ عَلَى الْوَفَاءِ الْكَامِلِ وَلَوْ دَخَلُوا فِي مَدَارِجِ النَّعِيمِ الْأَبَدِيِّ.

قَوْلُ الْبَعْضِ عَنِ الْكَوَارِثِ: "هَذَا مِنْ غَضَبِ الطَّبِيعَةِ"

عِنْدَ حُدُوثِ زَلَازِلَ أَوْ آنْهِيَارَاتٍ أَوْ تَفَجُّرِ بَرَاكِينَ، أَوْ هُبُوبِ رِيَاحٍ وَأَعَاصِيرَ، أَوْ حُصُولِ طُوفَانٍ مِنْ كَثْرَةِ الْأَمْطَارِ، تُرَوَّجُ عَلَى الْسِنَةِ بَعْضِ الْمُذِيعِينَ فِي تَعْلِيلِ حُدُوثِ مِثْلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، عِبَارَاتٌ وَأَقْوَالٌ شَنِيعَةٌ، كَقَوْلِهِمْ مَثَلاً: إِنَّ ذَلِكَ مِنْ غَضَبِ الطَّبِيعَةِ، أَوْ مِنْ غَضَبِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ عَلَى الْعِبَادِ!...

إِنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ لَا صِحَّةَ وَلَا أَسَاسَ لَهَا، وَيَسْتَعْمِلُهَا كُلُّ مَنْ غَفَلَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، وَسَهَا عَنْ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ. فَالطَّبِيعَةُ لَيْسَتْ خَالِقَةً أَوْ مُدَبِّرَةً لِلْأُمُورِ، إِنَّمَا هِيَ مَخْلُوقَةٌ مَغْلُوبَةٌ عَلَى أَمْرِهَا، فَلِمَاذَا الْهُرُوبُ مِنَ الِاعْتِرَافِ بِأَنَّ مَا حَدَثَ إِنَّمَا هُوَ مَظْهَرٌ لِغَضَبِ اللَّهِ تَعَالَى، لِمَا ظَهَرَ مِنْ كَثْرَةِ الْفَسَادِ وَالْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي مِنَ النَّاسِ عَلَى الْأَرْضِ؟ فَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يُخْبِرُ بِأَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْحَوَادِثِ إِنَّمَا هِيَ مِنْ غَضَبِ رَبِّ الطَّبِيعَةِ، رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ ـ الأحقاف ٢٤، ٢٥. (٢٤: عَارِضًا: أَيْ سَحَابًا عَرَضَ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ).

وَنُعْلِمُ الْمُذِيعِينَ أَنَّهُمْ وَإِنِ اسْتَطَاعُوا تَفْسِيرَ ظَاهِرَةِ الزَّلَازِلِ وَالْبَرَاكِينِ وَالْإِعْصَارِ مِنْ خِلَالِ الْعُلُومِ وَالنَّظَرِيَّاتِ الْجِيُولُوجِيَّةِ، إِلَّا أَنَّ عَلَيْهِمْ أَنْ

لَا يَنْسَوْا أَنَّهَا لَا يُمْكِنُ أَنْ تَثُورَ أَوْ تَتَحَرَّكَ أَوْ تَظْهَرَ إِلَّا بِأَمْرِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ لَهَا وَمَشِيئَتِهِ سُبْحَانَهُ. فَقَدْ قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ - الروم ٤٨ - وَقَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلزَّلَازِلَ وَالبَرَاكِينَ آيَاتٍ وَتَذْكِرَةً لِلنَّاسِ، حَتَّىٰ يَرْجِعَ ٱلْكَافِرُ عَنْ كُفْرِهِ، وَيَزْدَادَ ٱلْمُؤْمِنُ إِيمَانًا، وَذَٰلِكَ لِمَا فِيهَا مِنْ تَذْكِيرٍ بِأَهْوَالِ يَوْمِ القِيَامَةِ. قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا • وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا • وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا • يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا • بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ - الزلزلة ١/٥ -

رُؤْيَةُ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ فِي ٱلْآخِرَةِ

لَقَدْ أَكْثَرَ الْبَعْضُ الجِدَالَ حَوْلَ مَوْضُوعِ رُؤْيَةِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ فِي الْآخِرَةِ مِمَّا أَدَّىٰ بِكَثِيرِينَ إِلَى الْأَخْذِ بِالْآرَاءِ الْخَاطِئَةِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى ٱسْتِحْقَاقِ عَذَابِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ، فَذَهَبَ ٱلْبَعْضُ إِلَىٰ إِنْكَارِهَا، وَقَالُوا: لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَرَىٰ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ لَا نَبِيٍّ وَلَا رَسُولٍ وَلَا مَلَكٍ، وَلَا غَيْرِهِمْ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ، وَٱحْتَجُّوا بِقَوْلِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَٰرُ ﴾ - الأنعام ١٠٣ - وَفِي تَفْسِيرِ هَٰذِهِ الْآيَةِ قَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ الْقَارِي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أَيْ لَا تُحِيطُ بِهِ فِي مَقَامِ الْإِبْصَارِ، فَإِنَّ الْإِدْرَاكَ أَخَصُّ مِنَ ٱلرُّؤْيَةِ». - الفقه الأكبر، ٦٨ -

وَقَالَ الْحَسَنُ ٱلْبَصْرِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «وَلَا يَلْزَمُ مِنَ ٱلرُّؤْيَةِ ٱلْإِدْرَاكُ وَٱلْإِحَاطَةُ، فَلَا يُنَافِي قَوْلَهُ تَعَالَىٰ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَٰرُ، فَإِنَّ ٱلْإِدْرَاكَ هُوَ ٱلْإِحَاطَةُ بِٱلشَّيْءِ، وَهُوَ قَدْرٌ زَائِدٌ عَلَى ٱلرُّؤْيَةِ، كَمَا قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ • قَالَ كَلَّآ ﴾ الشعراء ٦١ (تَرَاءَىٰ أَيِ الْتَقَىٰ) فَلَمْ يَنْفِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ٱلرُّؤْيَةَ، وَإِنَّمَا نَفَى الْإِدْرَاكَ فَالرَّبُّ تَعَالَىٰ يُرَىٰ وَلَا يُدْرَكُ (أَيْ لَا يُحَاطُ بِهِ فِي مَقَامِ الْإِبْصَارِ)، كَمَا يُعْلَمُ

وَلَا يُحَاطُ بِهِ عِلْمًا". ـ الفقه الأكبر ـ. وَقَدْ قُمْنَا، بِعَوْنِ اللهِ تَعَالَى بِجَمْعِ طَائِفَةٍ مِنْ أَقْوَالِ حَضَرَاتِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، لِتَكُونَ عَوْنًا لِلطَّالِبِينَ عِنْدَ الْحَاجَةِ

أَقْوَالُ حَضَرَاتِ الْعُلَمَاءِ فِي رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ فِي الْآخِرَةِ

قَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ الْقَارِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي شَرْحِ مَتْنِ الْفِقْهِ الْأَكْبَرِ لِحَضْرَةِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "يُنْظَرُ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الْبَصَرِ فِي الْآخِرَةِ" أَيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ، أَيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاضِرَةٌ أَيْ حَسَنَةٌ مُنَعَّمَةٌ بَهِيَّةٌ مُشْرِقَةٌ مُتَهَلِّلَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، أَيْ تَرَاهُ عِيَانًا". ـ الفقه الأكبر، ٦٦ ـ.

قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ الْفَارُوقِيُّ السَّرْهِنْدِيُّ النَّقْشَبَنْدِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الْمَشْهُورُ بِالْإِمَامِ الرَّبَّانِيِّ: "وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَيَجِدُونَ بِالْيَقِينِ الْوِجْدَانِيِّ أَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ جَلَّ شَأْنُهُ، وَيَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمُ الِالْتِذَاذَ الْمُتَرَتِّبَ عَلَى الرُّؤْيَةِ عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ". ـ مكتوبات الإمام الرباني، ٣/ ٦ ـ.

وَقَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ بْنُ أَبِي الْمَنْصُورِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "إِنَّ رُؤْيَةَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ فِي الْآخِرَةِ تَكُونُ بِجَمِيعِ أَجْسَادِهِمْ، وَذَلِكَ لِكَمَالِ النَّعِيمِ الْأَبَدِيِّ، فَلَا تَتَقَيَّدُ رُؤْيَتُهُمْ لَهُ تَعَالَى بِبَاصِرَةِ الْعَيْنِ، بَلْ كُلُّهُمْ أَبْصَارٌ". ـ اليواقيت والجواهر، ١/ ١٥٤ ـ.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْبَيْجُورِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عِنْدَ شَرْحِهِ لِقَوْلِ الْإِمَامِ اللَّقَّانِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ: "وَمِنْهُ أَنْ يُنْظَرَ بِالْأَبْصَارِ • لَكِنْ بِلَا كَيْفٍ وَلَا انْحِصَارٍ" وَقَوْلُهُ: "بِالْأَبْصَارِ"، ظَاهِرُهُ أَنَّ الرُّؤْيَةَ بِالْحَدَقِ فَقَطْ، وَهُوَ أَحَدُ أَقْوَالٍ ثَلَاثَةٍ، ثَانِيهَا: أَنَّهَا بِجَمِيعِ الْوُجُوهِ، لِظَاهِرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ. القيامة ٢٢، ٢٣. ثَالِثُهَا: أَنَّهَا بِكُلِّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ الْبَدَنِ، كَمَا نُقِلَ عَنْ أَبِي يَزِيدَ الْبِسْطَامِيِّ". ـ شرح جوهرة التوحيد ١١٥

هَذَا وَإِنَّ الرُّؤْيَةَ فِي الْآخِرَةِ مُتَفَاوِتَةٌ بِتَفَاوُتِ الرَّائِينَ، فَكُلٌّ يَنَالُ حَسَبَ قُوَّةِ إِيمَانِهِ وَكَثْرَةِ اجْتِهَادِهِ وَمُجَاهَدَاتِهِ فِي كَسْبِ رِضَاءِ اللهِ تَعَالَى. وَقَدْ عَلَّقَ بَعْضُهُمْ عَلَى قَوْلِ الشَّيْخِ ابْنِ أَبِي الْمَنْصُورِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِأَنَّ كَلَامَهُ يُفْهِمُ مِنْ بَابِ الذَّوْقِ الشَّرْعِيِّ، لِأَنَّ أَعْضَاءَ الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا تَشْتَرِكُ جَمِيعُهَا فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ، وَلِذَلِكَ فَهِيَ تَتَنَعَّمُ جَمِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا يَشَاءُ اللهُ لَهَا.

تَنْزِيهُ الرُّؤْيَةِ فِي الْآخِرَةِ عَنِ التَّشْبِيهِ وَالْجِهَةِ

تَوَهَّمَ بَعْضُ النَّاسِ بِأَنَّهُمْ سَوْفَ يَرَوْنَ اللَّهَ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَبِيهًا بِالْقَمَرِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، مُسْتَدِلِّينَ بِقَوْلِ حَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ. الْحَدِيثَ، الفتح الكبير ١/٤٣٢.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو الطَّيِّبِ سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ "لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ": "أَيْ، لَا تَجْتَمِعُونَ لِرُؤْيَتِهِ مِنْ جِهَةٍ، وَلَا يَضُمُّ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ لِذَلِكَ، فَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُرَى فِي جِهَةٍ كَمَا يُرَى الْمَخْلُوقُ فِي جِهَةٍ... وَالتَّشْبِيهُ بِرُؤْيَةِ الْقَمَرِ لِيَقِينِ الرُّؤْيَةِ دُونَ تَشْبِيهِ الْمَرْئِيِّ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا". الاعتقاد، ١٥٨.

قَالَ الشَّيْخُ السَّرْهِنْدِيُّ النَّقْشَبَنْدِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وَرُؤْيَةُ الْمُؤْمِنِينَ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ فِي الْجَنَّةِ مِنْ غَيْرِ جِهَةٍ وَمُقَابَلَةٍ، وَبِلَا كَيْفٍ وَإِحَاطَةٍ: حَقٌّ، نُؤْمِنُ بِتِلْكَ الرُّؤْيَةِ الْأُخْرَوِيَّةِ، وَلَا نَشْتَغِلُ بِكَيْفِيَّتِهَا". مكتوبات الإمام الرباني، ٢/١١١.

وَقَالَ الْإِمَامُ التَّفْتَازَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وَاللَّهُ يُرَى لَا فِي مَكَانٍ، وَلَا عَلَى جِهَةٍ وَمُقَابَلَةٍ، وَاتِّصَالِ شُعَاعٍ أَوْ ثُبُوتِ مَسَافَةٍ بَيْنَ الرَّائِي وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى". شرح العقائد النسفية، ١٠٧.

وَقَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ الْقَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي شَرْحِ مَتْنِ الْفِقْهِ الْأَكْبَرِ لِلْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وَيَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ وَهُمْ فِي الْجَنَّةِ بِأَعْيُنِ رُؤُوسِهِمْ... بِلَا تَشْبِيهٍ أَيْ رُؤْيَةً مَقْرُونَةً بِتَنْزِيهٍ لَا مَكْنُونَةً بِتَشْبِيهٍ، "وَلَا كَيْفِيَّةٍ" أَيْ فِي الصُّورَةِ، "وَلَا كَمِّيَّةٍ... وَلَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ مَسَافَةٌ"، أَيْ لَا فِي غَايَةٍ مِنَ الْقُرْبِ، وَلَا فِي نِهَايَةٍ مِنَ الْبُعْدِ، وَلَا يُوصَفُ بِالِاتِّصَالِ، وَلَا بِنَعْتِ الِانْفِصَالِ، وَلَا بِالْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ". الفقه الأكبر، ٦٦/٦٧.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْبَيْجُورِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "الرُّؤْيَةُ قُوَّةٌ يَجْعَلُهَا اللَّهُ فِي خَلْقِهِ، لَا يُشْتَرَطُ فِيهَا مُقَابَلَةُ الْمَرْئِيِّ، وَلَا كَوْنُهُ فِي جِهَةٍ وَحَيِّزٍ، وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ... وَلَا انْحِصَارَ لِلْمَرْئِيِّ عِنْدَ الرَّائِي بِحَيْثُ يُحِيطُ بِهِ، لِاسْتِحَالَةِ الْحُدُودِ وَالنِّهَايَاتِ

عَلَيْهِ تَعَالَى ... وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ تَعَالَى يُرَى مِنْ غَيْرِ تَكَيُّفٍ بِكَيْفِيَّةٍ مِنَ الْكَيْفِيَّاتِ الْمُعْتَبَرَةِ فِي رُؤْيَةِ الْأَجْسَامِ، وَمِنْ غَيْرِ إِحَاطَةٍ، بَلْ يَحَارُ الْعَبْدُ فِي الْعَظَمَةِ وَالْجَلَالِ حَتَّى لَا يَعْرِفَ اسْمَهُ، وَلَا يَشْعُرَ بِمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْخَلَائِقِ، فَإِنَّ الْعَقْلَ يَعْجِزُ هُنَالِكَ عَنِ الْفَهْمِ، وَيَتَلَاشَى الْكُلُّ فِي عَظَمَتِهِ تَعَالَى".

-شرح جوهرة التوحيد ١١٥/١١٦-

أَقْوَالُ حَضَرَاتِ الْعُلَمَاءِ فِي جَوَازِ رُؤْيَةِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا

قَالَ الْقَاضِي الْبَيْضَاوِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وَاعْلَمْ أَنَّ رُؤْيَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا جَائِزَةٌ، لِأَنَّ دَلِيلَ الْجَوَازِ غَيْرُ مَخْصُوصٍ بِرُؤْيَتِهِ فِي الْآخِرَةِ، وَلِأَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الرُّؤْيَةَ بِالْإِرَاءَةِ لَا بِقُدْرَةِ الْعَبْدِ". -تفسير البيضاوي ٤/٦٠- وَمَعْنَى قَوْلِهِ: "أَنَّ الرُّؤْيَةَ بِالْإِرَاءَةِ" أَيْ: إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الْمُؤْمِنَ الْقُدْرَةَ عَلَى الرُّؤْيَةِ وَيَكْشِفُ لَهُ الْحِجَابَ، وَلَيْسَ كَمَا يَظُنُّ الْبَعْضُ أَنَّ اللَّهَ يَكْشِفُ عَنْ نَفْسِهِ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمُحْدَثٍ حَتَّى يَحْتَجِبَ، وَلَكِنْ يَكْشِفُ عَنْ بَصَرِ الْمُؤْمِنِ، لِأَنَّ الْعِبَادَ هُمْ فِي الْحَقِيقَةِ مَحْجُوبُونَ عَنْ رُؤْيَةِ رَبِّهِمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى تُحْمَلُ أَحَادِيثُ احْتِجَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْخَلْقِ.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْبَيْجُورِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لَوْ كَانَتِ الرُّؤْيَةُ مُمْتَنِعَةً فِي الدُّنْيَا، مَا سَأَلَهَا مُوسَى، عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ السَّلَامُ، لِأَنَّهُ نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا يَجِبُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى وَمَا يَسْتَحِيلُ وَمَا يَجُوزُ. إِذْ لَا يَجُوزُ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْجَهْلُ بِشَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِ الْأُلُوهِيَّةِ، لَكِنَّهُ سَأَلَهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهَا جَائِزَةٌ. وَقَوْلُ الْمُعْتَزِلَةِ: سَأَلَهَا لِأَجْلِ جَهَلَةِ قَوْمِهِ، مَرْدُودٌ بِأَنَّ سِيَاقَ الْآيَةِ حَيْثُ قَالَ: أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ -الأعراف ١٤٣- صَرِيحٌ فِي حَالِ نَفْسِهِ". -شرح جوهرة التوحيد ١١٧-

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ قَوْلَ الْمُعْتَزِلَةِ مَرْدُودٌ لِسَبَبٍ آخَرَ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، فَلَوْ كَانَ السُّؤَالُ غَيْرَ جَائِزٍ شَرْعًا، لَمَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ نَبِيٌّ لِإِرْضَاءِ قَوْمِهِ.

وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو فَضْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: لَنْ تَرَانِي -الأعراف ١٤٣- أَيْ لَنْ تُطِيقَ

وَلَا تَحْتَمِلُ رُؤْيَتِي. ثُمَّ ضَرَبَ لَهُ مَثَلًا مِمَّا هُوَ أَقْوَى مِنْ بُنْيَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَثْبَتُ وَهُوَ الْجَبَلُ. وَكُلُّ هَذَا لَيْسَ فِيهِ مَا يُحِيلُ رُؤْيَتَهُ فِي الدُّنْيَا". الشفا ١/٢٨٩

وَقَالَ بَعْضُ زُهَّادِ الصُّوفِيَّةِ: إِنَّ طَلَبَ حَضْرَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْسَ فِيهِ أَيُّ شَكٍّ أَوْ سُوءُ اعْتِقَادٍ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَصِفَاتِهِ، كَمَا يَظُنُّ الْبَعْضُ، وَلَكِنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ طَلَبُ كَسْبِ الْمَزِيدِ مِنَ الْكَمَالَاتِ وَالْمَقَامَاتِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ يُرِيهِ اللَّهُ الْعَجَائِبَ وَالْغَرَائِبَ، وَيُفِيضُ عَلَيْهِ شَتَّى أَنْوَاعِ الرَّحَمَاتِ، يَزْدَادُ شَوْقًا وَمَحَبَّةً، فَيَسْعَى لِلْوُصُولِ إِلَى أَقْصَى غَايَاتِ الْقُرْبِ الْمَعْنَوِيِّ. هَذَا وَلَا بُدَّ مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ التَّجَلِّيَ الْوَارِدَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ الأعراف ٧...

فَالتَّجَلِّي مِنَ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْوَاعٌ:

- مِنْهَا مَا يَكُونُ إِظْهَارًا لِعَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَالتَّجَلِّي عَلَى الْجَبَلِ
- وَمِنْهَا مَا يَكُونُ إِفَاضَةً لِلنِّعَمِ وَالْبَرَكَاتِ وَالرَّحَمَاتِ، كَالتَّجَلِّي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ.

قَوْلُ الْقَاضِي عِيَاضٍ فِي تَفْسِيرِ تَحَمُّلِ النَّاسِ لِلرُّؤْيَةِ

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "رَأَيْتُ لِبَعْضِ السَّلَفِ وَالْمُتَأَخِّرِينَ مَا مَعْنَاهُ: إِنَّ رُؤْيَتَهُ تَعَالَى مُمْتَنِعَةٌ -أَيْ فِي الدُّنْيَا- لِضَعْفِ تَرْكِيبِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَقِوَاهُمْ، وَكَوْنِهَا مُتَغَيِّرَةً عُرْضَةً لِلْآفَاتِ وَالْفَنَاءِ، فَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ قُوَّةٌ عَلَى الرُّؤْيَةِ، فَإِذَا كَانُوا فِي الْآخِرَةِ وَرُكِّبُوا تَرْكِيبًا آخَرَ، وَرُزِقُوا قُوَّةً ثَابِتَةً بَاقِيَةً، وَأَتَمَّ أَنْوَارَ أَبْصَارِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ، قَوُوا بِهَا عَلَى الرُّؤْيَةِ -أَيْ فِي الْآخِرَةِ-. وَقَدْ رَأَيْتُ نَحْوَ هَذَا لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "لَمْ يُرَ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّهُ بَاقٍ، وَلَا يُرَى الْبَاقِي بِالْفَانِي، فَإِذَا كَانَ فِي الْآخِرَةِ وَرُزِقُوا أَبْصَارًا بَاقِيَةً، رُئِيَ الْبَاقِي -أَيِ اللَّهُ- بِالْبَاقِي" -أَيْ مَنْ شَاءَ لَهُ الْبَقَاءُ الْأَبَدِيُّ فِي الْجَنَّةِ-. وَهَذَا كَلَامٌ حَسَنٌ مَلِيحٌ، وَلَيْسَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى الِاسْتِحَالَةِ -أَيِ اسْتِحَالَةِ رُؤْيَتِهِ فِي الدُّنْيَا- إِلَّا مِنْ حَيْثُ ضَعْفِ الْقُدْرَةِ، فَإِذَا قَوَّى اللَّهُ تَعَالَى مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ وَأَقْدَرَهُ عَلَى حَمْلِ أَعْبَاءِ الرُّؤْيَةِ، لَمْ تَمْتَنِعْ فِي حَقِّهِ". الشفا ١/٢٨٩-٢٠٠

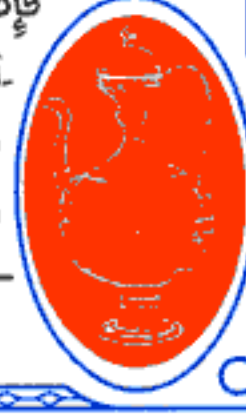

أَقْوَالُ حَضَرَاتِ الْأَئِمَّةِ فِي رُؤْيَةِ النَّبِيِّ لِلَّهِ تَعَالَى

قَالَ حَضْرَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ الإسراء: ٦٠ هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ أَرَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ". صحيح البخاري ٨/١٦٠.

وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ قَالَ: "اجْتَمَعَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَكَعْبٌ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَمَّا نَحْنُ، بَنِي هَاشِمٍ فَنَقُولُ: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ رَأَى رَبَّهُ مَرَّتَيْنِ. فَكَبَّرَ كَعْبٌ حَتَّى جَاوَبَتْهُ الْجِبَالُ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ رُؤْيَتَهُ وَكَلَامَهُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمُوسَى فَكَلَّمَ مُوسَى وَرَآهُ مُحَمَّدٌ بِقَلْبِهِ". الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/١٩٦.

"وَحَكَى النَّقَّاشُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: أَنَا أَقُولُ بِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِعَيْنِهِ: رَآهُ، رَآهُ ... حَتَّى انْقَطَعَ نَفَسُهُ، يَعْنِي نَفَسَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ". الشفا ١/١٩٧.

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: إِنَّهُ (أَيْ حَضْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ) رَأَى اللَّهَ تَعَالَى بِبَصَرِهِ وَعَيْنَيْ رَأْسِهِ، وَقَالَ كُلُّ آيَةٍ أُوتِيَهَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَقَدْ أُوتِيَ مِثْلَهَا نَبِيُّنَا ﷺ وَخُصَّ مِنْ بَيْنِهِمْ بِتَفْضِيلِ الرُّؤْيَةِ". الشفا ١/١٩٨.

وَقَالَ الْإِمَامُ اللَّقَّانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَوْضُوعِ رُؤْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى

وَمِنْهُ أَنْ يُنْظَرَ بِالْأَبْصَارِ ... لَكِنْ بِلَا كَيْفٍ وَلَا انْحِصَارِ

لِلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بِجَائِزٍ عُلِّقَتْ ... هَذَا وَلِلْمُخْتَارِ دُنْيَا ثَبَتَتْ

قَالَ الْإِمَامُ الْبَيْجُورِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وَقَوْلُ الْإِمَامِ اللَّقَّانِي رَحِمَهُ اللَّهُ وَلِلْمُخْتَارِ دُنْيَا ثَبَتَتْ، أَيْ وَقَعَتْ رُؤْيَتُهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ لِلْمُخْتَارِ الَّذِي هُوَ نَبِيُّنَا ﷺ، وَفِي التَّعْبِيرِ بِـ"الْمُخْتَارِ" مُنَاسَبَةٌ، لِأَنَّهُ اخْتِيرَ لِهَذَا الْمَقَامِ. وَالرَّاجِحُ عِنْدَ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ: أَنَّهُ ﷺ رَأَى رَبَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ وَهُمَا فِي مَحَلِّهِمَا، خِلَافًا لِمَنْ قَالَ حُوِّلَا لِقَلْبِهِ، لِحَدِيثِ حَضْرَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَغَيْرِهِ؛ وَقَدْ نَفَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وُقُوعَهَا لَهُ ﷺ، لَكِنْ قَدَّمَ عَلَيْهَا حَضْرَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

لِأَنَّهُ مُثْبِتٌ، وَالْقَاعِدَةُ أَنَّ الْمُثْبِتَ مُقَدَّمٌ عَلَى النَّافِي، حَتَّى قَالَ مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ: مَا عَائِشَةُ عِنْدَنَا بِأَعْلَمَ مِنِ ابْنِ عَبَّاسٍ". شرح جوهرة التوحيد ١١٧/١١٨.

وَقَالَ الْإِمَامُ الْكَسْتَلِي رضي الله عنه: "أَمَّا حَدِيثُ عَائِشَةَ رضي الله عنها فَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ لَا يَصْلُحُ لِلِاحْتِجَاجِ إِذْ لَمْ تُحَدِّثْ بِهِ عَنْ مُشَاهَدَةٍ، إِذْ لَمْ تَكُنْ وَقْتَ الْمِعْرَاجِ زَوْجَتَهُ صلى الله عليه وسلم، وَلَا فِي سِنِّ الضَّبْطِ (أَيِ الْحِفْظِ) بَلْ لَعَلَّهَا لَمْ تُولَدْ بَعْدُ". حاشية شرح العقائد ١٧٤.

وَقَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ الْقَارِيُّ رضي الله عنه: "وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم إِنَّمَا رَأَى رَبَّهُ بِفُؤَادِهِ لَا بِعَيْنِهِ كَمَا فِي شَرْحِ الْعَقَائِدِ وَغَيْرِهِ". الفقه الأكبر ١١٤.

وَقَالَ أَحَدُ الصَّالِحِينَ رضي الله عنه: "إِنْ سَلَّمَ أَهْلُ الْعِبَرِ فِي رُؤْيَةِ حَضْرَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لِلَّهِ تَعَالَى، فَتَكُونُ رُؤْيَةً مَخْصُوصَةً مِنْ غَيْرِ الْتِفَاتٍ إِلَى جِهَةٍ أَوْ مَكَانٍ لِتَحْقِيقِ الرُّؤْيَةِ، إِذْ يَقْذِفُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ صلى الله عليه وسلم سِرًّا مِنْ أَسْرَارِهِ يُمَكِّنُهُ بِذَلِكَ مِنْ رُؤْيَةِ مَا يَشَاءُ لَهُ أَنْ يَرَاهُ. فَتَكُونُ رُؤْيَةً بِغَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَشْبِيهٍ وَلَا جِهَةٍ وَلَا انْحِصَارٍ، إِكْرَامًا لِنَبِيِّهِ الْمُخْتَارِ صلى الله عليه وسلم وَهِيَ رُؤْيَةٌ تَلِيقُ بِجَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى، أَمَدَّهُ سُبْحَانَهُ بِهَا كَمَا يُمِدُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَهْلَ الْجَنَّةِ لِيَرَوْهُ بِلَا كَيْفٍ لِأَنَّ حَضْرَةَ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ صلى الله عليه وسلم مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا، وَلَهُ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِ مِنْ مُشَاهَدَاتٍ وَقُرُبَاتٍ وَعَطَاءٍ وَهِبَاتٍ، اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِهَا".

وَقَدِ اخْتَصَّ اللَّهُ تَعَالَى حَبِيبَهُ الْمُصْطَفَى صلى الله عليه وسلم بِرُؤْيَةِ حَضْرَةِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِصُورَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ. فَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ النجم ١٨. فَعَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ قَالَ: رَأَى رَفْرَفًا أَخْضَرَ سَدَّ أُفُقَ السَّمَاءِ. رواه الإمام البخاري في الصحيح. وَرَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حُلَّةِ رَفْرَفٍ أَخْضَرَ قَدْ مَلَأَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَعَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَقَ، عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً

أُخْرَىٰ ﴿النجم ١٣﴾ قَالَ: رَأَىٰ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ، وَرَوَاهُ شُعْبَةُ عَنْ أَبِي إِسْحَٰقَ ٱلشَّيْبَانِي فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ ﴿النجم ١٨﴾ وَرَوَاهُ حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ عَنِ ٱلشَّيْبَانِيِّ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ ﴿النجم ١١﴾

رُؤْيَةُ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ

ٱخْتَلَفَ ٱلنَّاسُ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِشَأْنِ جَوَازِ رُؤْيَةِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ، وَذَهَبُوا بَيْنَ مُثْبِتٍ لَهَا وَنَافٍ. وَفِي ذَٰلِكَ قَالَ ٱلْإِمَامُ عَلِيٌّ ٱلْقَارِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "أَمَّا رُؤْيَةُ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ، فَٱلْأَكْثَرُونَ عَلَىٰ جَوَازِهَا مِنْ غَيْرِ كَيْفِيَّةٍ وَجِهَةٍ وَهَيْئَةٍ أَيْضًا فِي هَٰذَا ٱلْمَرَامِ. فَقَدْ نُقِلَ أَنَّ ٱلْإِمَامَ أَبَا حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَبَّ ٱلْعِزَّةِ فِي ٱلْمَنَامِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ مَرَّةً، ثُمَّ رَآهُ مَرَّةً أُخْرَىٰ تَمَامَ ٱلْمِئَةِ" ـ الفقه الأكبر ٢، ٨، ١٠٤ ـ إِلَّا أَنَّ بَعْضَ ٱلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلزَّمَانِ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ قَدْ شَاهَدُوا ٱللَّهَ فِي ٱلْمَنَامِ، وَهُمْ مِنَ ٱلَّذِينَ قَدْ عُرِفُوا بِٱلْمَعَاصِي وَٱلذُّنُوبِ وَٱلْغَفَلَاتِ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ مِنْ وَرَاءِ هَٰذَا ٱلِٱدِّعَاءِ تَحْقِيقَ مَآرِبِهِمُ ٱلْخَاصَّةِ، وَٱلْوُصُولَ إِلَىٰ غَايَاتِهِمُ ٱلنَّفْسِيَّةِ. وَلِأَجْلِ أَمْثَالِ أُولَٰئِكَ ٱلْفُسَّاقِ، فَقَدْ أَمْسَكَ كَثِيرٌ مِنْ حَضَرَاتِ ٱلْمُحَدِّثِينَ عَنِ ٱلْقَوْلِ بِٱلرُّؤْيَةِ ٱلْمَنَامِيَّةِ تَعْظِيمًا لِقُدْسِيَّتِهَا

وَقَالَ أَحَدُ ٱلصَّالِحِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّ مَنْ يَدَّعِي ٱلرُّؤْيَةَ فَلَا بُدَّ أَنْ تَظْهَرَ عَلَيْهِ آثَارُ تِلْكَ ٱلنِّعْمَةِ ٱلْعَظِيمَةِ، وَيَنْطَبِعَ عَلَىٰ وَجْهِهِ سَعَادَةُ ٱلرُّؤْيَةِ فَمَنْ يَرَىٰ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ، لَا بُدَّ أَنْ تَتَفَجَّرَ مِنْهُ يَنَابِيعُ ٱلْعِرْفَانِ، وَتَجْرِيَ ٱلْحِكْمَةُ عَلَىٰ لِسَانِهِ، وَيَسْتَفِيدَ مَنْ يُجَالِسُهُ مِنْ فَيْضِهَا، لِأَنَّ لِلرُّؤْيَةِ ثِمَارًا قَلْبِيَّةً تَدُلُّ عَلَىٰ صِدْقِ مُدَّعِي ٱلرُّؤْيَةِ ٱلْمَنَامِيَّةِ. فَلَا يَصِحُّ ٱدِّعَاءُ ٱلرُّؤْيَةِ مَعَ جَفَافِ وَنَشَفَانِ ٱلْحَالِ وَٱلْمَقَالِ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُهَا مِمَّنْ كَثُرَتْ عِبَادَاتُهُ وَمُجَاهَدَاتُهُ، وَعُرِفَ بِوَرَعِهِ وَتَقْوَاهُ. هَٰذَا، وَإِنْ صَحَّتِ ٱلرُّؤْيَةُ،

فَتَكُونُ رُؤْيَةُ جَلَّ وَفَيْضُ الْإِلٰهِ عَلَى الْعَبْدِ بِالرِّضَا وَالْعَطَاءِ وَالنَّعِيمِ وَالْإِحْسَانِ وَالْعُلُومِ وَالْأَسْرَارِ، بِحَيْثُ لَا تُخَالِفُ أُمُورَ الشَّرِيعَةِ وَالدِّينِ. إِنَّ التَّضَارُبَ بَيْنَ نَفْيِ الرُّؤْيَةِ وَإِثْبَاتِهَا مَا يَزَالُ بَيْنَ النَّاسِ قَوِيًّا، وَنَحْنُ نُحَكِّمُ الشَّرْعَ وَأَهْلَ الْعِلْمِ، وَلَا نُشِيرُ بِرَأْيِنَا إِلَى مَا هُوَ خِلَافُ الدِّينِ أَوْ يُزَعْزِعُ الْعَقَائِدَ، بَلْ نَتْرُكُ ذٰلِكَ إِلَى اللهِ أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ.

حِرْمَانُ الْكُفَّارِ مِنْ رُؤْيَةِ اللهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ

إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ حَرَمَ الْكُفَّارَ مِنْ نِعْمَةِ رُؤْيَتِهِ الْقُدْسِيَّةِ يَوْمَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، وَذٰلِكَ جَزَاءً لِعِنَادِهِمْ وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ، فَهُمْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْإِكْرَامِ وَالتَّشْرِيفِ وَالرِّضَا حَتَّى يَحْظَوْا بِنَعِيمِهَا.

قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ - المطففين: ١٥ -: "فَلَمَّا حَجَبَهُمْ فِي السُّخْطِ، كَانَ هٰذَا دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ فِي الرِّضَا". - الاعتقاد، ١٣١ - وَمَعْنَى ذٰلِكَ: فَلَمَّا كَانَ اللهُ تَعَالَى قَدْ حَجَبَ الْكَافِرِينَ عَنْ رُؤْيَتِهِ، كَانَ هٰذَا دَلِيلًا عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْآخِرَةِ.

بَعْضُ أَوْهَامِ مُدَّعِي الْعِرْفَانِ

إِنَّ بَعْضَ مَنْ يَدَّعِي الْعِرْفَانَ مِنَ النَّاسِ قَدْ تَظْهَرُ لَهُمْ بَعْضُ الْإِشَارَاتِ الظَّاهِرِيَّةِ فَيَظُنُّونَ أَنَّهَا مِنْ صِنْفِ الْأَنْوَارِ الْمَلَائِكِيَّةِ، أَوْ يَسْمَعُونَ أَصْوَاتًا، أَوْ تَمُرُّ عَلَى مُخَيِّلَاتِهِمْ صُوَرُ أَشْخَاصٍ ذَوِي جَمَالٍ فَائِقٍ، مُبَرْقَعِينَ بِالْأَنْوَارِ وَسَطَ السَّمَاءِ، كَمَا يَقُولُونَ، فَتَضْطَرِبُ أَفْكَارُهُمْ، وَيَدْخُلُ الْوَسْوَاسُ عُقُولَهُمْ، وَتَمْتَلِئُ صُدُورُهُمْ بِتَخَيُّلَاتٍ لَا عَلَاقَةَ لَهَا بِالْحَقِيقَةِ لَا مِنْ قَرِيبٍ وَلَا مِنْ بَعِيدٍ، فَيَدَّعِي بَعْضُهُمْ أَنَّهُ شَاهَدَ اللهَ بِهَيْئَةِ كَذَا وَكَذَا... وَالْعِيَاذُ بِاللهِ. فَكُلُّ هٰذِهِ الْأُمُورِ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ رُؤْيَةً لِلّٰهِ تَعَالَى، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا مَثِيلَ، فَهُوَ خَالِقُ كُلِّ

شَيْءٍ، جَمَادًا كَانَ أَوْ كَائِنًا حَيًّا. فَعَلَى الْمَرْءِ طَرْدُ كُلِّ ذَلِكَ بِكَلِمَةِ التَّقْوَى وَهِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلْيَتَذَكَّرْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الشورى: ١١ وَلْيَرْسَخْ فِي ذِهْنِهِ قَوْلُ حَضْرَةِ ذِي النُّونِ الْمِصْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "مَهْمَا تَصَوَّرْتَ بِبَالِكَ، فَاللَّهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ." (أَيْ عَمَلًا بِالْآيَةِ: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)

مُلْحِدٌ يَطْلُبُ رُؤْيَةَ اللَّهِ تَعَالَى

إِنَّ أَكْثَرَ الْمُلْحِدِينَ الْمَشْعُوذِينَ يُرَوِّجُونَ فِتَنَهُمْ وَخَبَائِثَهُمْ بَيْنَ ضُعَفَاءِ الْعُقُولِ لِإِيقَافِهِمْ وَصَدِّهِمْ عَنْ سُلُوكِ طُرُقِ الْهُدَى وَالدِّينِ، إِرْضَاءً لِنُفُوسِهِمُ الْخَسِيسَةِ وَشَيَاطِينِهِمُ الْخَبِيثَةِ وَهُمْ يَسْعَوْنَ إِلَى تَشْكِيكِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ بِأَسْئِلَتِهِمْ وَادِّعَاءَاتِهِمُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى مَآرِبَ شَيْطَانِيَّةٍ إِلْحَادِيَّةٍ. وَمِنْ إِحْدَى تَنَطُّعَاتِهِمْ قَوْلُهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ: "أَنْتُمْ تَعْبُدُونَ إِلَهًا غَيْرَ مَوْجُودٍ، إِذْ لَوْ كَانَ بِالْفِعْلِ مَوْجُودًا لَظَهَرَ لِخَلْقِهِ عِيَانًا فَشَاهَدُوهُ، وَكَلَّمَهُمْ وَكَلَّمُوهُ، وَأَصْبَحُوا عِنْدَهَا عَلَى يَقِينٍ مِنْ عِبَادَتِهِمْ لَهُ، لِأَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ يُرَى، وَشَكْلُهُ يَدُلُّ عَلَى حَالِهِ وَصِفَاتِهِ، وَنَحْنُ إِنَّمَا نُؤْمِنُ بِمَا تَرَاهُ أَعْيُنُنَا وَتَسْمَعُهُ آذَانُنَا. فَنَحْنُ، مَثَلًا، قَدْ تَجَسَّدَ إِلَهُنَا أَمَامَنَا بِصُورَةِ شَخْصٍ حَتَّى شَاهَدْنَاهُ، فَعَبَدْنَاهُ بِيَقِينٍ." وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْ هَكَذَا ادِّعَاءَاتٍ بَاطِلَةٍ فَاسِدَةٍ مُخَالِفَةٍ لِلْعَقِيدَةِ أَمَّا الضَّعِيفُ، فَيَحْتَارُ فِي أَمْرِهِ وَلَا يَجِدُ مَخْرَجًا وَلَا جَوَابًا لِهَذِهِ الْأَقْوَالِ الْمُشِينَةِ. وَنَحْنُ بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ نَرُدُّ عَلَى أُولَئِكَ الْمُفْتَرِينَ، فَنَقُولُ: إِنَّ مَنْ يَتَجَسَّدُ فِي صُورَةِ شَخْصٍ يَكُونُ صَاحِبَ صِفَاتٍ مَخْلُوقَةٍ لِأَنَّهُ يَحْتَاجُ لِلْمَكَانِ، وَلَهُ شَكْلٌ وَحَجْمٌ وَأَطْرَافٌ ذَاتُ طُولٍ وَعَرْضٍ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ الَّتِي يَعْرِضُ لَهَا التَّغَيُّرُ وَالتَّقَلُّبُ وَالْفَنَاءُ. وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ الْأَبْرَارُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا يَحُلُّ فِي شَيْءٍ وَلَا يَحُلُّ فِيهِ شَيْءٌ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. وَهَذِهِ الِادِّعَاءَاتُ الْبَاطِلَةُ مَا هِيَ إِلَّا مِنْ

ضُرُوبِ ٱلْأَهْوَاءِ وَمِنْ أُمُورِ ٱلنَّفْسِ ٱلْأَمَّارَةِ بِٱلسُّوءِ. قَالَ تَعَالَىٰ فِي أَمْثَالِ هَـٰؤُلَاءِ:

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ ٱللَّهِ ﴾ ـ القصص ٥٠ ـ

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ـ الأنعام ١٦٤ ـ

كَيْفَ يَتَجَرَّأُ هَـٰؤُلَاءِ بِٱدِّعَاءِ مُشَاهَدَةِ ٱللَّهِ سَاعَةَ يَشَاؤُونَ، وَمُجَالَسَتِهِ وَٱلتَّحَدُّثِ إِلَيْهِ وَٱلسَّيْرِ مَعَهُ؟ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ جَاهِلُونَ بِعَظَمَةِ ٱللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَقُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ، فَهَـٰؤُلَاءِ يَصِفُونَ مَخْلُوقًا وَلَيْسَ خَالِقًا، فَقَدْ أَغْوَىٰ ٱلشَّيْطَانُ قُلُوبَهُمْ حَتَّىٰ أَوْصَلَهُمْ بِأَفْكَارِهِمُ ٱلسَّخِيفَةِ إِلَىٰ أَخْطَرِ ٱلْمَهَالِكِ وَأَوْرَدَهُمْ شَرَّ ٱلْمَزَالِقِ.

أَمَّا قَوْلُهُمْ بِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِمَا تَرَاهُ أَعْيُنُهُمْ وَتَسْمَعُهُ آذَانُهُمْ، فَهُوَ مُشَابِهٌ لِقَوْلِ ٱلْيَهُودِ وَٱلنَّصَارَىٰ ٱلَّذِينَ قَالَ ٱللَّهُ بِحَقِّهِمْ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأَيَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ ـ البقرة ١١٨ ـ

أَيْ: "وَقَالَ ٱلنَّصَارَىٰ ٱلْجُهَّالُ بِٱللَّهِ وَبِعَظَمَتِهِ: هَلَّا يُكَلِّمُنَا رَبُّنَا كَمَا كَلَّمَ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ، أَوْ تَجِيؤُنَا عَلَامَةٌ نَعْرِفُ بِهَا صِدْقَ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ؟ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ كَمَا قَالَ هَـٰؤُلَاءِ ٱلْجُهَّالُ مِنَ ٱلنَّصَارَىٰ، كَذَٰلِكَ قَالَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ ٱلْيَهُودِ فَسَأَلُوا أَنْ يُرِيَهُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُ جَهْرَةً وَيُؤْتِيَهُمْ آيَةً، وَتَمَنَّوُا ٱلْأَمَانِي تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ، ٱشْتَبَهَتْ قُلُوبُ ٱلْيَهُودِ وَٱلنَّصَارَىٰ فِي تَمَرُّدِهِمْ عَلَىٰ ٱللَّهِ وَجُرْأَتِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ كَمَا ٱشْتَبَهَتْ أَقْوَالُهُمُ ٱلَّتِي قَالُوهَا، قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأَيَـٰتِ، قَدْ وَضَّحْنَا ٱلْعَلَامَاتِ ٱلَّتِي مِنْ أَجْلِهَا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ٱلْيَهُودِ وَٱلنَّصَارَىٰ، فَمَسَخَ ٱلْيَهُودَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ وَأَخْزَىٰ ٱلنَّصَارَىٰ، لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ، لِقَوْمٍ يَطْلُبُونَ مَعْرِفَةَ حَقَائِقِ ٱلْأَشْيَاءِ عَلَىٰ صِحَّةٍ وَيَقِينٍ" ـ مختصر تفسير الطبري ١/٤١ ـ

ثُمَّ إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ يُقِرُّ بِوُجُودِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ وَإِنْ كَانَ لَا يَرَاهَا بِٱلْفِعْلِ كَٱلرُّوحِ ٱلَّتِي يَحْيَا بِهَا، وَٱلْمَلَائِكَةِ وَٱلْجِنِّ وَٱلْهَوَاءِ، وَغَيْرِ ذَٰلِكَ مِنَ ٱلْأُمُورِ ٱلْخَفِيَّةِ. فَٱشْتِرَاطُهُمْ رُؤْيَةَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ لِلْإِيمَانِ بِهِ شَرْطٌ لَا مَعْنَىٰ لَهُ وَٱللَّهُ تَعَالَىٰ مُنَزَّهٌ عَنِ ٱلشَّكْلِ وَٱلْجِسْمِ وَجَمِيعِ صِفَاتِ ٱلْحَوَادِثِ حَتَّىٰ يَكُونَ مَدْعَاةً لِلظُّهُورِ عِنْدَ ٱلطَّلَبِ. وَقَدْ خَلَقَ

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا فِي جَسَدِهِ وَقُوَّتِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ مَهْمَا ادَّعَى مِنَ الْقُوَّةِ وَالْعُنْفُوَانِ، قَالَ تَعَالَى ﴿ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ النساء: فَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِلْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الدَّارِ الْقُوَّةَ عَلَى تَحَمُّلِ الْمُشَاهَدَةِ الَّتِي يَحْظَى بِهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي الْآخِرَةِ. وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ رُؤْيَتَهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ النِّعَمِ جَزَاءً لِلطَّائِعِينَ الْمُوَحِّدِينَ وَثَوَابًا لِلْمُحْسِنِينَ الْقَانِتِينَ الْعَابِدِينَ... قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ يونس ٢٦. الْحُسْنَى، أَيِ الْجَنَّةُ، وَزِيَادَةٌ، أَيِ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ، وَهَذَا قَوْلُ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. معالم التنزيل ٣/١٥٨. أَمَّا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ خَصَّ أَهْلَ طَاعَتِهِ بِبَعْضِ نِعَمِهِ الْعَظِيمَةِ وَرَحَمَاتِهِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي تَنْصَبُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَتَشُقُّ صَحِيفَةَ صُدُورِهِمْ بِإِشَارَاتٍ وَبِشَارَاتٍ، تَتَنَوَّرُ بِهَا جَوَارِحُهُمْ فَيَتَلَذَّذُونَ بِنَعِيمِهَا، وَتَقْوَى عَقِيدَتُهُمْ، وَيَزْدَادُ يَقِينُهُمْ، وَيَخُصُّهُمُ اللَّهُ بِالْخَوَارِقِ وَالْكَرَامَاتِ الَّتِي يُظْهِرُ اللَّهُ بِهَا وَلَايَتَهُمْ، فَيَشْعُرُونَ بِفَيْضِ تَجَلِّيَاتِهِ، وَيَتَذَوَّقُونَ نَعِيمَ نُصْرَتِهِ وَمَعُونَتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّهُمْ مِمَّنْ لَهُمُ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ، وَذَلِكَ لِاشْتِغَالِهِمْ بِتَهْيِئَةِ أَنْفُسِهِمْ لِتَقَبُّلِ مِثْلِ تِلْكَ الْوَارِدَاتِ وَالْأَسْرَارِ، بِالْمُكَابَدَاتِ النَّفْسِيَّةِ، وَالْمُجَاهَدَاتِ الرُّوحِيَّةِ، وَالْعِلَاجَاتِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْمَشَقَّاتِ الْجَسَدِيَّةِ. فَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِي حَقِّهِمْ ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ العنكبوت. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ يونس ٦٢. وَهُمُ الَّذِينَ خَصَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِإِلْهَامَاتِهِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَطْمَئِنُّ بِهَا أَفْئِدَتُهُمْ، وَتَسْكُنُ بِهَا جَوَارِحُهُمْ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَحْتَرِقُونَ شَوْقًا، وَيَتَصَهَّرُونَ فِي الدُّنْيَا فِي نِيرَانِ الصَّبْرِ بِانْتِظَارِ رُؤْيَةِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، فَيُضَاعِفُ اللَّهُ لَهُمْ بِذَلِكَ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ، وَتَسْتَقْبِلُهُمُ الْمَلَائِكَةُ فِي الْآخِرَةِ بِلَذِيذِ الْخِطَابِ قَائِلِينَ لَهُمْ: ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ الرعد ٢٤.

فَرُؤْيَةُ اللهِ تَعَالَى بِالْأَبْصَارِ مُخْتَصَّةٌ فِي الْجَنَّةِ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، وَلَمْ تَحْدُثْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَّا لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَلَوْ كَانُوا أَوْلِيَاءَ، فَلَيْسَ لَهُمُ الْمُشَاهَدَةُ الَّتِي حَظِيَ بِهَا حَضْرَةُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ لِأَنَّ تَرْكِيبَتَهُمْ تَخْتَلِفُ عَنْ تَرْكِيبَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْقُدُرَاتِ وَالتَّحَمُّلِ. وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي بَعْضِ كُتُبِ التَّصَوُّفِ أَنَّ الْوَلِيَّ فُلَانًا قَالَ إِنَّهُ رَأَى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَوْلُهُ هَذَا يَحْتَمِلُ أَمْرَيْنِ:

• إِمَّا أَنْ يَكُونَ هَذَا الْقَوْلُ مَدْسُوسًا عَلَيْهِ مِنْ قِبَلِ الْيَهُودِ وَأَعْدَاءِ الدِّينِ، لِأَنَّ الْوَلِيَّ يَعْلَمُ أَنَّ الرُّؤْيَةَ الْبَصَرِيَّةَ لَا تَحْصُلُ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ • إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] وَمَعْنَى يَوْمَئِذٍ: أَيْ فِي الْجَنَّةِ.

• وَالثَّانِي: إِنْ صَحَّ عَنْهُمْ ذَلِكَ الْقَوْلُ، فَيَكُونُ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِمْ هَذَا أَنَّهُمْ يَرَوْنَ اللهَ تَعَالَى بِعَيْنِ قُلُوبِهِمْ. وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ تَخْتَلِفُ عَنْ رُؤْيَةِ اللهِ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ. فَقَدْ وَرَدَ فِي الشَّيْبَانِيَّةِ:

وَمَنْ قَالَ فِي الدُّنْيَا يَرَاهُ بِعَيْنِهِ ... فَذَلِكَ زِنْدِيقٌ طَغَا وَتَمَرَّدَا
وَخَالَفَ كُتْبَ اللهِ وَالرُّسْلَ كُلَّهَا ... وَزَاغَ عَنِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَأَبْعَدَا

وَوَرَدَ فِي بُسْتَانِ الْعَارِفِينَ: "فَإِنْ قِيلَ: فَهَلْ تَجُوزُ رُؤْيَةُ الْبَارِي تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْأَبْصَارِ الْيَوْمَ فِي الدُّنْيَا مِنْ جِهَةِ الْكَرَامَةِ؟ (أَيْ لِلْأَوْلِيَاءِ)، قُلْنَا: الْأَقْوَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ، لِحُصُولِ الْإِجْمَاعِ عَلَيْهِ... قَالَ: وَلَقَدْ سَمِعْتُ «الْإِمَامَ» أَبَا بَكْرِ بْنَ فُورَكَ يَحْكِي عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ فِي ذَلِكَ قَوْلَيْنِ فِي كِتَابِ الرُّؤْيَةِ الْكَبِيرِ... قُلْنَا: قَدْ نَقَلَ جَمَاعَةٌ الْإِجْمَاعَ عَلَى أَنَّ رُؤْيَةَ اللهِ تَعَالَى لَا تَحْصُلُ لِلْأَوْلِيَاءِ فِي الدُّنْيَا[1] لِامْتِنَاعِهَا، وَإِلَّا فَهِيَ مُمْكِنَةٌ بِالْعَقْلِ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ..." -بستان العارفين، ١٧٨-

قَالَ بَعْضُ زُهَّادِ الصُّوفِيَّةِ: "لِلرُّؤْيَةِ نَعِيمُهَا وَسَعَادَاتُهَا لِتَمَلُّكِ اللَّذَّةِ قَلْبَ الرَّائِي وَجَوَارِحَهُ، فَتَتَنَعَّمُ رُوحُهُ وَنَفْسُهُ وَبَصِيرَتُهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ أَطَاعَ فِيهِ رَبَّهُ،

(١) أي بالأبصار.

بحيرة مديدة، وتجليات تتبعها الواحدة تلو الأخرى، من نالها لا يقدر على الانفكاك من خيراتها العالية الرفيعة حتى يأذن له الرحمن، ولا تنفك عوارض الغيبة القلبية المستغرقة في النعيم والتجلي".

فيا أيها الدساس، الرؤية تكون في الجنة بالذوق والشعور والإحساس وليس كما تقول بالتشبيه والتجسيم والالتباس.

ونقول لهؤلاء المتوهمين المغرورين: "أنتم لم تتخطوا أبواب تزكية النفس، ثم إنكم لا تميزون بين صفات الإله الخالق وبين العبد المخلوق، وتقولون: فلان إله، وفلان إله، والعياذ بالله، ولم يظهر على وجوهكم نعمة التوحيد والتنزيه، ولا تسجدون لله سبحانه، ولا تتقيدون بكتبه ورسله، وتنكرون دعوة حضرة النبي محمد بن عبد الله ﷺ. فإن كان هذا حالكم، فإنكم ترون شيطانا رجيما وليس إلها رحيما." ونقول للملحد المعاند: إن المؤمن يشاهد آثار عظمة نعمة الباري سبحانه ظاهرة من خلال مخلوقاته تعالى، الدقيقة في تركيبها، العجيبة في تنظيمها، البديعة في تكوينها، بحيث لا يستطيع أحد تقليدها ولو اجتمع عليها الإنس والجان، ومهما نالوا من العلوم والعرفان. فمن يطيق رفع سماء بلا عمد، أو إيجاد بحر كثير المدد، أو يخرج بقدرته من أب وأم الولد؟ فالطيور المختلفة الأشكال والألوان، والوحوش المخططة الأجسام، والأسماك التي لا يحصي عددها وأنواعها إنسان، كل ذلك إنما يدل على عظمة وقدرة الواحد الأحد، الذي حجب العباد عن رؤيته في الدنيا لحكمة، وأظهر لهم ما يدل على وجوده من عجائب وغرائب المصنوعات. فمن كابر ولم يصدق بما جاء في كتاب الله تعالى، فهو من فصيلة الشياطين، وهؤلاء لا قبول لهم ولا ثواب.

فيا أيها الملحد، ألا تدلك على وجود الله عظامك التي لك بناها، ولحما وعروقا قد كساها، وقوة ودما أعطاها؟ ألم تدلك روحك التي خلقها لك

لِتَحْيَا بِهَا وَأَنْتَ لَا تَرَاهَا وَلَا تَعْرِفُ حَقِيقَتَهَا ، وَالَّتِي إِذَا فَارَقَتْكَ انْتَهَى عِنَادُكَ وَقُرْبُ حِسَابُكَ ؟ فَإِنْ كُنْتَ عَاجِزًا عَنْ رُؤْيَةِ رُوحِكَ ، فَكَيْفَ تُطَالِبُ بِرُؤْيَةِ مَنْ خَلَقَهَا وَأَنْتَ مُلَوَّثٌ بِحُجُبِ الْإِلْحَادِ وَجُدُرِ الظُّلُمَاتِ ، وَمُعَانِدٌ لِلرُّسُلِ وَالْآيَاتِ ، وَلَسْتَ مِمَّنِ اسْتَعَدَّتْ رُوحُهُ لِاسْتِقْبَالِ بَرَاهِينِ الْعِرْفَانِ وَالْيَقِينِيَّاتِ وَلَا مِمَّنْ قَوِيَ عَزْمُهُ وَإِيمَانُهُ بِوُرُودِ خَفِيِّ الْإِشَارَاتِ ؟ وَمَنْ كَانَتْ لَا تُؤَثِّرُ فِيهِ عَجَائِبُ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَلَا يَنْفَعُ مَعَهُ الْكَلَامُ ، وَنَقُولُ لَهُ : كُنْ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ يَقْذِفْ بِقَلْبِكَ مَا يُشْعِرُكَ بِوُجُودِ الرَّحْمَنِ . وَخِتَامًا نَقُولُ : مَنْ قَرَأَ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى وَآمَنَ بِهِ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ اهْتَدَى إِلَى مَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ وَمَا لَا يَجُوزُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ - آل عمران ١٩ ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ - آل عمران ٨٥ وَهَذِهِ الْخَسَارَةُ تُؤَدِّي إِلَى الْخُلُودِ فِي الْعَذَابِ الْأَبَدِيِّ ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي حَقِّ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ ﴿ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ • خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ - آل عمران ٨٧ ، ٨٨

الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ

إِنَّ الْإِيمَانَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ هُوَ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ السِّتَّةِ ، مَنْ جَحَدَ بِهِ فَقَدْ بَاءَ بِالْخُسْرَانِ الْمُبِينِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ - النساء ١٣٦ - وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ فِي وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ ، وَمَا أَعَدَّ فِي هَذَا الْيَوْمِ مِنْ نَعِيمٍ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ ، وَمِنْ عَذَابٍ لِلْكَافِرِينَ الْمُعَانِدِينَ . وَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يَعْنِي التَّصْدِيقَ بِأَنَّ وَرَاءَ هَذِهِ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ حَيَاةً أُخْرَى خَالِدَةً ، يُحْيِي اللَّهُ فِيهَا النَّاسَ وَيُحَاسِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ ، فَمِنْهُمْ

مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ. فَالْمُسْلِمُ يُؤْمِنُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُنْكِرُ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ وَأَحْوَالِهَا الَّتِي جَاءَ الْإِخْبَارُ عَنْهَا بِطَرِيقٍ يَقِينِيٍّ صَادِقٍ، فَلَا يُنْقِصُ مِنْهَا شَيْئًا، وَلَا يَزِيدُ عَلَيْهَا شَيْئًا. وَلَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّ الْبَعْثَ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ فِي يَوْمِ الْجَزَاءِ حَقِيقَةٌ مَاضِيَةٌ فِي قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، يَوْمَ تَعُودُ الْحَيَاةُ إِلَى الْأَجْسَادِ الَّتِي رَمَّتْ وَبَلِيَتْ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ ـ الحج ـ وَهَذَا الْبَعْثُ وَالْحَشْرُ وَالْحِسَابُ، يَكُونُ لِلْإِنْسَانِ بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ، وَكَذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لِلنَّعِيمِ وَالْعَذَابِ. اللَّهُمَّ أَجِرْنَا مِنَ النَّارِ، بِجَاهِ النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ الْمُخْتَارِ ﷺ.

السَّلَامُ فِي الْإِسْلَامِ

مِنْ أَوْجَبِ الْوَاجِبَاتِ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ. وَالْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ وَالْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ الَّتِي تَحُضُّ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرَةٌ. وَقَدْ أَخْطَأَ بَعْضُ الْأَسَاتِذَةِ فِي إِحْدَى صُفُوفِ طَلَبَتِهِ بِالْمَدْرَسَةِ إِذْ قَالَ لَهُمْ: "إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ كَافِرٌ فَرُدُّوا عَلَيْهِ وَقُولُوا لَهُ: وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ". فَنَصَحْنَاهُ وَقُلْنَا لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنَ الْإِسْلَامِ، فَقَامَ مُغَاضِبًا، وَصَاحَ مُكَابِرًا وَقَالَ: كَيْفَ تُجَابِهُونَ مَنْ يَحْمِلُ دُكْتُورَاه؟ وَكَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَارَ حِكْرًا لِحَمَلَةِ شَهَادَةِ الدُّكْتُورَاه؟!... إِنَّ حَضْرَةَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَّمَنَا أَنَّنَا إِذَا تَنَازَعْنَا فِي شَيْءٍ، فَعَلَيْنَا أَنْ نَرُدَّهُ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَامْتِثَالًا لِلْأَمْرِ نَقُولُ: لَقَدْ وَرَدَ السَّلَامُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ، كَالسَّلَامِ عَلَى حَضَرَاتِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾ ـ الصافات ـ وَقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ ـ الصافات ـ وَوَرَدَ السَّلَامُ أَيْضًا فِي خِطَابِ الْمَلَائِكَةِ لِأَهْلِ التُّقَى وَالْجِنَانِ، كَقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ:

﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ ـ الزمر ـ وَقَوْلِهِمْ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿ سَلَامٌ

عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿ ـ الرعد ٢٤ ـ أَيْ: "سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ عَلَى طَاعَةِ رَبِّكُمْ فِي ٱلدُّنْيَا، فَنَعِمَتِ ٱلْجَنَّةُ دَارًا لِلْأَبْرَارِ بَدَلَ ٱلنَّارِ". ـ مختصر تفسير الطبري ٤٠٦ ـ وَهَٰذَا ٱلسَّلَامُ إِنَّمَا هُوَ بِشَارَةٌ بِرِضْوَانِ ٱللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ، وَدُعَاءٌ لِإِمْدَادِهِمْ بِٱلْبَرَكَاتِ وَٱلرَّحَمَاتِ وَٱلْفُيُوضَاتِ ٱلرَّبَّانِيَّةِ، وَهُوَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِأَهْلِ ٱلتُّقَى وَٱلْإِيمَانِ، لِأَنَّ مَعْنَى ٱلسَّلَامِ: ٱلْبَرَاءَةُ مِنَ ٱلْعُيُوبِ وَٱلنَّقَائِصِ، وَٱلسَّلَامَةُ مِنْ جَمِيعِ ٱلْآفَاتِ. وَمَنْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ لَيْسَ صَاحِبَ عِلَلٍ وَعُيُوبٍ وَنَقَائِصَ وَآفَاتٍ؟ يَكْفِي ٱلْإِشَارَةُ إِلَى إِشْرَاكِهِمْ وَٱدِّعَائِهِمْ لِلَّهِ ٱلْوَلَدَ، فَهَٰذِهِ أَكْبَرُ ٱلْمَصَائِبِ وَفِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَسْتَحِقُّونَ ٱلسَّلَامَ وَٱلْأَمَانَ مِنَ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ. أَمَّا قَوْلُ حَضْرَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ﴿ ـ مريم ٤٧ ـ فَمَعْنَاهُ: "أَمَّا أَنَا فَلَا يَنَالُكَ مِنِّي مَكْرُوهٌ وَلَا أَذًى، وَذَٰلِكَ لِحُرْمَةِ ٱلْأُبُوَّةِ، وَلَٰكِنْ سَأَسْأَلُ ٱللَّهَ فِيكَ أَنْ يَهْدِيَكَ". ـ تفسير القرآن العظيم ٣/١٣٠ ـ وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿ ـ القصص ٥٥ ـ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿ ـ الفرقان ٦٣ ـ أَيْ: "إِذَا سَفِهَ عَلَيْهِمُ ٱلْجَاهِلُ بِٱلْقَوْلِ ٱلسَّيِّءِ لَمْ يُقَابِلُوهُمْ عَلَيْهِ بِمِثْلِهِ، بَلْ يَعْفُونَ وَيَصْفَحُونَ، وَلَا يَقُولُونَ إِلَّا خَيْرًا". ـ تفسير القرآن العظيم ٣/٢٣٧ ـ فَلَيْسَ ٱلْمَقْصُودُ إِذًا هُنَا ٱلتَّحِيَّةَ، لِأَنَّ ٱلْآيَةَ، كَمَا يَقُولُ ٱبْنُ مَنْظُورٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مَكِّيَّةٌ وَلَمْ يُؤْمَرِ ٱلْمُسْلِمُونَ يَوْمَئِذٍ أَنْ يُسَلِّمُوا عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ. ـ لسان العرب، مادة سلم ـ. وَأَمَّا قَوْلُ ٱللَّهِ تَعَالَى: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿ ـ طه ٤٧ ـ أَيْ: "مَنِ ٱتَّبَعَ هُدَى ٱللَّهِ سَلِمَ مِنْ عَذَابِهِ وَسَخَطِهِ". ـ لسان العرب، مادة سلم ـ. فَلَا يَجُوزُ إِلْقَاءُ سَلَامِ ٱلْإِسْلَامِ عَلَى مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ ٱلشِّرْكِ أَعْدَاءِ ٱللَّهِ، لِأَنَّ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَرُسُلِهِ فَتَنْصَبُّ عَلَيْهِ ٱللَّعَنَاتُ مِنَ ٱللَّهِ تَعَالَى إِذْلَالًا وَإِهَانَةً لَهُ. وَأَمَّا مَنْ يَقُولُ لِكَافِرٍ: ٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَوْ يَرُدُّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامَ بِقَوْلِهِ: وَعَلَيْكُمُ ٱلسَّلَامُ، فَيَكُونُ بِذَٰلِكَ قَدْ خَالَفَ تَعَالِيمَ حَضْرَةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوْضُوعِ عَدَمِ ٱبْتِدَاءِ ٱلْكَافِرِ

بِالسَّلَامِ وَكَيْفِيَّةِ الرَّدِّ عَلَيْهِ. فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

لَا تَبْدَؤُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ...

- الحديث، رواه الإمام مسلم -.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ** (أي اليهود والنصارى) **فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ** - متفق عليه، رياض الصالحين ٢٤٠ -.

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: **وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا** - النساء ٨٦ - فَقَدْ قَالَ قَتَادَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا**، يَعْنِي: لِلْمُسْلِمِينَ، **أَوْ رُدُّوهَا**، يَعْنِي: لِأَهْلِ الذِّمَّةِ (المعاهدون من النصارى وغيرهم، المقيمون في دار الإسلام)... فَإِنْ بَلَغَ الْمُسْلِمُ غَايَةَ مَا شُرِعَ فِي السَّلَامِ (أي قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)، رُدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا قَالَ. فَأَمَّا أَهْلُ الذِّمَّةِ فَلَا يُبْدَؤُونَ بِالسَّلَامِ وَلَا يُزَادُونَ، بَلْ يُرَدُّ عَلَيْهِمْ بِمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمُ الْيَهُودُ فَإِنَّمَا يَقُولُ أَحَدُهُمْ: السَّامُّ عَلَيْكُمْ فَقُلْ: وَعَلَيْكَ** - تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير ١/٥٤٤ -.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لَا يُبْدَأُ الْيَهُودُ بِالسَّلَامِ فِي كِتَابٍ وَلَا فِي غَيْرِهِ".

وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو يُوسُفَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لَا تُسَلِّمْ عَلَيْهِمْ، وَلَا تُصَافِحْهُمْ، وَإِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى".

وَقَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدٌ النَّوَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وَأَمَّا إِذَا سَلَّمُوا عَلَيْنَا، فَقَالَ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ: يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ: وَعَلَيْكَ". - مراح لبيد، تفسير النووي ١/٢٦٤ -.

وَهَكَذَا فَقَدْ بَيَّنَّا أَقْوَالَ حَضَرَاتِ الْعُلَمَاءِ الْأَفَاضِلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي مَوْضُوعِ السَّلَامِ، فَلَا عِنَادَ وَلَا مُكَابَرَةَ عَلَى شَرِيعَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا يَجُوزُ أَنْ نَقُولَ لِلْكَافِرِ عَدُوِّ اللَّهِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، وَعَلَى مُدَّعِي الِانْتِسَابِ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَتَقَيَّدَ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ حَبِيبِهِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَتَّبِعَ مَا قَرَّرَهُ حَضَرَاتُ الْأَئِمَّةِ الْكِرَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حَتَّى يَنْجُوَ مِنَ الْمَلَامِ، وَنَتَمَنَّى أَنْ يَصُبَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْنَا بِفَضْلِهِ الرَّحَمَاتِ وَالسَّلَامَ.

عَقِيدَةُ السَّالِكِ لِلنَّجَاةِ مِنَ الْمَهَالِكِ
هَدِيَّةُ الْكِتَابِ

• رَبُّنَا وَاحِدٌ بِلَا عَدَد • وَمِنْهُ يَأْتِي الْفَيْضُ وَالْمَدَد •
• هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ بِلَا أَرْقَام • وَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنِ الْجُلُوسِ وَالْقِيَام •
• أَزَلِيٌّ وَأَبَدِيُّ الْوُجُود • وَمِنْ صُنْعِهِ كُلُّ شَيْءٍ مَوْجُود •
• لَا يُوصَفُ وُجُودُهُ بِالْجِهَةِ وَالْمَكَان • لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْإِنْسَان •
• لَا تَقُلْ فِيهِ أَيْنَ وَكَيْف • لِأَنَّ ذَلِكَ أَخْطَرُ مِنْ حَدِّ السَّيْف •
• لَا يُؤَثِّرُ فِيهِ الْمَكَانُ وَلَا الزَّمَان • لِأَنَّهُ قَبْلَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ كَان •
• لَا تَحُدَّهُ سُبْحَانَهُ مَقَايِيسُ وَلَا حُدُود • وَلَا تَحْجُبُهُ عَنْ رُؤْيَةِ الْخَلْقِ حَوَاجِزُ أَوْ سُدُود •
• لَا يُوصَفُ بِالْبُعْدِ الَّذِي نَعْرِفُه • وَلَا بِالْقُرْبِ الَّذِي نَأْلَفُه •
• فَاللَّهُ هُوَ الرَّبُّ الْمُنْفَرِدُ بِالْوُجُود • وَهُوَ الْإِلَهُ الْوَاحِدُ الْمَعْبُود •
• تَعَرَّفْ عَلَى صِفَاتِ الرَّبِّ الْوَدُود • تَنْجُ مِنَ التَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ الْمَرْدُود •
• إِلَهُنَا الْخَالِقُ كَامِلُ الصِّفَات • وَهُوَ مُنَزِّلُ السُّوَرِ وَالْآيَات •
• وَالْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَصْفُ الرُّبُوبِيَّة • فَلَهُ وَحْدَهُ الطَّاعَةُ وَالْعُبُودِيَّة •
• أَمْرُهُ قَبْلَ إِتْمَامِ الْكَافِ وَالنُّون • وَلَيْسَ بِعَرَضٍ أَوْ جَوْهَرٍ مَكْنُون •
• هُوَ الْإِلَهُ لَهُ أَحْسَنُ الْأَسْمَاء • الْمَوْصُوفُ بِالْجُودِ وَالْخَيْرِ وَالْعَطَاء •
• لَيْسَ لِصِفَاتِهِ ابْتِدَاءٌ وَلَا انْتِهَاء • وَلَا يَلْحَقُهُ سُبْحَانَهُ الْعَدَمُ وَالْفَنَاء •
• لَا يَحْتَاجُ رَبُّنَا لِلْخَلْقِ وَالْأَشْيَاء • فَهُوَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ وَيَشَاء •
• وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي الصُّدُور • وَمَا بِالْفِكْرِ وَخَفَايَا الْقَلْبِ يَدُور •
• وَيَعْلَمُ دَوْمًا مَا فِي الْأَرْحَام • ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى يَا كِرَام •
• فَمَعْلُومٌ عِنْدَهُ الشَّقِيُّ وَالسَّعِيدُ • وَقَدْ حَذَّرَ الْخَلَائِقَ مِنْ نَارِ الْوَعِيد •
• هُوَ الَّذِي كَسَا بِاللَّحْمِ الْعِظَام • وَرَزَقَ الْأَجِنَّةَ فِي الْأَرْحَام •
• هُوَ الَّذِي يُطْعِمُ فِي الرَّحِمِ الْجَنِين • وَيُمِدُّهُ بِالْغِذَاءِ فِي كُلِّ حِين •

• وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الْعَوَاصِفَ وَالْهَوَاء . وَأَحْيَا بِفَضْلِهِ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْمَاء •
• الرُّوحُ وَالْغَيْبُ مِنْ عِلْمِ الْإِلَهِ . وَلَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ سِوَاه •
• مَهْمَا صَوَّرَ الشَّيْطَانُ عَنِ اللَّهِ بِبَالِك . فَاطْرُدْهُ لِتَنْجُوَ مِنَ الْمَهَالِك •
• اللَّهُ لَيْسَ لَهُ مَثِيلٌ وَلَا شَبِيه . فَاعْتَقِدْ فِيهِ كَمَالَ التَّنْزِيه •
• لَا يُشْبِهُ النُّجُومَ وَلَا الْأَقْمَار . وَلَا يُوصَفُ بِالضِّيَاءِ وَالنَّار •
• لَيْسَ لَهُ شَبِيهٌ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَوَات . بَلْ كَمَا أَخْبَرَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي الْآيَات •
• فِي حَقِّهِ التَّجْسِيدُ مَمْنُوع . وَكَذَا التَّشْخِيصُ لِذَاتِهِ مَرْفُوع •
• لَيْسَ سُبْحَانَهُ بِجِسْمٍ مُرَكَّب . وَلَيْسَ لَهُ حَجْمٌ مُرَتَّب •
• لَا يُشْبِهُ أَجْسَادَ وَأَفْعَالَ الْبَشَرِيَّة . فَجَمِيعُ هَذِهِ الْأُمُورِ فِي حَقِّهِ مَنْفِيَّة •
• لَا يُوصَفُ بِقِصَرٍ وَعَرْضٍ وَطُول . وَلَا يَجُوزُ بِحَقِّهِ الِاتِّحَادُ وَالْحُلُول •
• لَا يَمَسُّهُ تَعَبٌ مَهْمَا خَلَق . وَلَا يُوصَفُ بِالظُّلْمِ وَإِنْ بِالنَّارِ حَرَق •
• لَا يَنْسَى رَبُّنَا وَلَا يَنَام . وَلَا تَجْرِي عَلَيْهِ صِفَاتُ الْأَنَام •
• مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ لَا تَلْتَخِم . وَرُدَّهُ إِلَى التَّنْزِيهِ وَالتَّشْبِيهَ حَطِّم •
• لَا يَأْكُلُ سُبْحَانَهُ وَلَا يَشْرَب . لِأَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ لِلْفَنَاءِ أَقْرَب •
• لَا يَتَكَلَّمُ بِوَاسِطَةِ فَمٍ وَلِسَان . وَيَسْمَعُ لَا بِجَارِحَةٍ كَالْإِنْسَان •
• لَا يُقَالُ جَلَسَ أَوْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى . فَتَنْزِيهُهُ عَنْ صِفَاتِ خَلْقِهِ أَحَقُّ وَأَوْلَى •
• لَيْسَ مَجِيئُهُ وَنُزُولُهُ كَالْبَشَر . لِأَنَّ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ بِأَقْدَامٍ وَعُرُوقٍ وَوَتَر •
• فِي رَحْمَتِهِ وَغَضَبِهِ لَيْسَ كَالْإِنْسَان . مُنَزَّهٌ سُبْحَانَهُ عَنِ الْغَفْلَةِ وَالنِّسْيَان •
• فَرَبُّنَا لَا يُوصَفُ كَالْأَشْخَاص . فَهَذَا بِحَقِّهِ تَشْبِيهٌ وَانْتِقَاص •
• لَا يُرَى فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِعُيُون . وَلَا يَصِحُّ تَخَيُّلُهُ بِالْأَفْكَارِ وَالظُّنُون •
• فَلْيَكُنِ الْمُؤْمِنُ دَائِمًا مُوَحِّدًا بِانْتِبَاه . وَحَافِظًا نَفْسَهُ مِنَ الشُّكُوكِ وَالِاشْتِبَاه •
• مَنِ ادَّعَى لِلَّهِ الْأَبَ وَالذُّرِّيَّة . فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ الْفِرْيَة •
• لَا يُوصَفُ بِأَنَّ لَهُ الْأَوْلَاد . بَلْ لَهُ مَلَائِكَةٌ وَجُنُودٌ بِلَا أَعْدَاد •
• فَاعْلَمْ أَنَّهُ هُوَ الْإِلَهُ الْأَحَد . وَلَيْسَ لَهُ أُمٌّ وَأَبٌ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَد •
• وَالرَّسُولُ عِيسَى لَا يُوصَفُ بِالرُّبُوبِيَّة . وَلَوْ رُفِعَ لِمَقَامَاتٍ عَلِيَّة •

• فَالْمَسِيحُ قَابِلٌ لِلْمَوْتِ وَالْفَنَاء • وَالْمَرَضِ وَالِاحْتِيَاجِ وَالْعَنَاء •
• وَلَا بُدَّ أَنْ يَرْجِعَ لِلدُّنْيَا وَيَعُود • وَيَأْمُرَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ الْمَعْبُود •
• فَصَحِّحِ الِاعْتِقَادَ بِهِ يَا إِنْسَان • فَهُوَ سَوْفَ يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَان •
• فَلَا يَكُونُ الْمَخْلُوقُ إِلَهًا مِنْهُ صَدَر • وَإِيَّاكَ أَنْ تَبْحَثَ فِي سِرِّ الْقَضَاءِ وَالْقَدَر •
• وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا • فَاعْتَقِدْ بِذَلِكَ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا •
• بِلَا صَوْتٍ وَلَا حُرُوفٍ حَصَلَتْ • كَمَا لَنَا بِالْأَخْبَارِ قَدْ وَصَلَتْ •
• وَكَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ بَلْ أَزَلِي • لَا كَمَا قَالَ عَنْهُ الْمُعْتَزِلِي •
• وَالْإِنْسُ وَالْجَانُّ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ • وَالْجِبَالُ وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مِنْ صُنْعِهِ وَآيَاتِهِ •
• وَإِيمَانٌ بِمَلَائِكَةٍ وَكُتُبٍ مُنَزَّلَة • وَأَنْبِيَاءٍ وَمُرْسَلِينَ أَخْبَارُهُمْ مُفَصَّلَة •
• النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى خَاتَمُ وَسَيِّدُ الْأَنْبِيَاء • بِذَا أَجْمَعَ أَهْلُ الْمَغْرِفَةِ وَأَفَاضِلُ الْعُلَمَاء •
• وَأُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ خَمْسَة • إِبْرَاهِيمُ نُوحٌ مُوسَى عِيسَى وَمُحَمَّدٌ فَلَا تَنْسَه •
• لِلْمَلَائِكَةِ الْعِظَامِ أَرْبَعَةٌ كَمَا جَاءَ الدَّلِيل • جِبْرِيلُ، مِيكَائِيلُ، إِسْرَافِيلُ وَعِزْرَائِيل •
• وَقِيَامَةٌ وَحِسَابٌ وَبَعْثُ أَجْسَاد • حَاصِلَةٌ عَامَّةً لِلْجِنِّ وَالْعِبَاد •
• وَلَا يَعْبُرُ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيم • إِلَّا الْمُوَحِّدُ الَّذِي نَزَّهَ الْإِلَهَ الْعَظِيم •
• وَلِنَبِيِّنَا شَفَاعَةٌ مَطْلُوبَة • لِمَنْ أَكْثَرَ فِي الدُّنْيَا مَعَاصِيَهُ وَذُنُوبَه •
• وَاعْتَقِدْ بِجَنَّاتٍ وَأَنْهَارٍ حَاصِلَة • نَعِيمُهَا لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَاصِلَة •
• وَاعْتَقِدْ بِمُعْجِزَاتٍ وَقَعَتْ لِلْأَنْبِيَاء • وَكَذَا كَرَامَاتٍ حَاصِلَةٍ لِلْأَوْلِيَاء •
• فَهِيَ مِنَ اللَّهِ لِأَنْبِيَائِهِ لَا تُحْصَى • حُوتُ يُونُسَ وَإِسْرَاءُ لِلْمَسْجِدِ الْأَقْصَى •
• وَغَارُ خَيَّمَ عَلَيْهِ عَنْكَبُوتٌ وَحَمَامَة • فَوَصَلَ النَّبِيُّ وَصَاحِبُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ بِالسَّلَامَة •
• وَنَجَّى اللَّهُ الْخَلِيلَ مِنَ الْإِحْرَاق • وَنَصَرَ مُوسَى وَخَذَلَ فِرْعَوْنَ بِالْإِغْرَاق •
• وَرَفَعَ عِيسَى بِفَضْلِهِ إِلَى السَّمَاء • وَرَدَّ بَصَرَ يَعْقُوبَ مِنْ بَعْدِ الْعَنَاء •
• وَحَفِظَ اللَّهُ يُوسُفَ فِي الْبِئْرِ مِنَ الْبَلَاء • وَنَجَّاهُ بِدُخُولِ السِّجْنِ مِنْ كَيْدِ النِّسَاء •
• فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِين • ثُمَّ جَعَلَهُ عَزِيزَ مِصْرَ بَعْدَ حِين •
• وَاعْتَقِدْ بِرُؤْيَةِ اللَّهِ فِي الْجَنَّةِ بِالْأَبْصَار • لَكِنْ بِلَا كَيْفٍ وَلَا أَيْنَ وَلَا انْحِصَار •
• وَلَا تُوصَفُ بِقُرْبٍ وَلَا اتِّصَال • وَلَا بِبُعْدٍ فِي الْمَسَافَةِ وَلَا انْفِصَال •

• وَلَمْ تَقَعْ إِلَّا لِلْمُصْطَفَى فِي هَذِهِ الْحَيَاة • وَهِيَ فِي الْآخِرَةِ لِمَنْ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّات •
• وَمَنِ ادَّعَى مِنَ الْعَوَامِّ بِالدُّنْيَا لَهَا حَالَا • فَاعْلَمْ أَنَّهُ مَكْفُورٌ بِهِ وَيُنْشَدُ مَالَا •
• وَوَصَّى لُقْمَانُ ابْنَهُ بِالْبُعْدِ عَنِ الْإِشْرَاك • وَهَذِهِ وَصِيَّةٌ عَامَّةٌ لِلْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَالْأَتْرَاك •
• وَلَا يُعَاقَبُ مَنْ كَفَرَ بِالْإِكْرَاهِ وَالْإِجْبَار • لِأَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ مِنْهُ بِلَا اخْتِيَار •
• الِارْتِدَادُ عَنْ دِينِنَا فِيهِ أَقْسَام • فَلَا فَرْقَ بَيْنَ كُفْرِ اعْتِقَادِيٍّ وَفِعْلِيٍّ وَكَلَام •
• كَإِنْكَارِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَهَذَا مَعْلُوم • وَسَبِّ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّحَابَةِ وَذَا مَفْهُوم •
• وَمِثْلُهُ الْجُحُودُ بِفَرْضِيَّةِ الْحَجِّ وَالصِّيَامِ وَالصَّلَاة • وَكَذَا الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَالزَّكَاة •
• وَرَمْيِ أَوْرَاقِ الْقُرْآنِ فِي الْقَاذُورَة • وَسُجُودِ الْإِنْسَانِ لِصَنَمٍ وَصُورَة •
• وَتَكْذِيبِ الْقُرْآنِ وَالرَّسُولِ الْكَرِيم • وَإِنْكَارِ الْإِلَهِ الْخَالِقِ الْعَلِيم •
• وَنِسْبَةِ الظُّلْمِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ • وَجُحُودِ أَرْكَانِ الدِّينِ وَأُصُولِهِ •
• وَلَا اسْتِثْنَاءَ لِمَا يُقَالُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَالْمِزَاح • فَالْفَاعِلُ فَاقِدٌ مِنَ اللَّهِ الرَّحْمَةَ وَالنَّجَاح •
• وَكَذَا سَبُّ الْمَلَائِكَةِ الْعِظَامِ الْمُكْرَمِين • يَخْرُجُ فَاعِلُهُ فَوْرًا مِنَ الدِّين •
• وَالْمُصَابُ بِمَا قَدْ شَرَحْنَا • فَزَوْجَتُهُ تُحْرَمُ عَلَيْهِ وَبِدَا وَضَحْنَا •
• وَيُمْهَلُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى يَتُوب • وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ يُقْتَلُهُ الْإِمَامُ أَوْ مَنْ يَنُوب •
• وَلَا يُدْفَنُ فِي مَقَابِرِ لِلْمُسْلِمِينَ إِنْ مَات • لِأَنَّهُ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ وَغَارِقٌ بِالْكُفْرِيَّات •
• بَلْ يُرْمَى فِي الصَّحْرَاءِ لِتَأْكُلَهُ السِّبَاع • وَلِتَنْهَشَ لَحْمَهُ الْجَوَارِحُ وَالضِّبَاع •
• وَلَا يَرِثُ وَلَا يُورَّثُ الْمُسْلِمِين • هَذَا مَا عَلِمْنَاهُ مِنْ أَحْكَامِ الدِّين •
• فَإِذَا أَرَادَ الرُّجُوعَ إِلَى الْإِسْلَام • فَعَلَيْهِ التَّوْبَةُ وَالتَّشَهُّدُ عَلَى التَّمَام •
• وَتَجْدِيدُ عَقْدِ نِكَاحِهِ بَعْدَ إِسْلَامِه • وَالرُّجُوعُ عَمَّا قَالَهُ فِي غَابِرِ أَيَّامِه •
• الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَةِ الْإِسْلَام • وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْأَنَام •
• وَأَرْقَى الْعُلُومُ بِالتَّحْدِيد • عَقِيدَةُ الْإِسْلَامِ بِالتَّوْحِيد •
• فَعَلَيْنَا التَّقَيُّدُ بِالْحُدُود • لِنَنَالَ مِنْ رَبِّنَا الْمَقْصُود •
• فَافْهَمْ يَا لَبِيبُ بِالْإِشَارَة • وَاحْفَظْ تِلْكَ الْعَقِيدَةَ اسْتَظْهَارَا •
• فَلَا اتِّحَادَ مَعْ رَبِّنَا وَلَا حُلُول • وَالْقَائِلُ بِذَلِكَ مُتَّهَمٌ وَمَسْؤُول •
• فَلَا يُقَالُ لِلَّهِ الْعَقْلُ يَحُدُّهُ • فَهُوَ الْمُنَزَّهُ عَنْ ذَلِكَ وَحْدَه •

• تَعْجَزُ ٱلْعُقُولُ عَنْ إِدْرَاكِهِ وَٱلْأَفْهَام . وَتَاهَتْ أَهْلُ ٱلْحَقِيقَةِ بِذَلِكَ وَٱلْإِلْهَام •
• وَلَا يُوصَفُ رَبُّنَا بِٱلْجَوَارِحِ وَٱلْآلَات . وَلَا يَقْرُبُ إِلَيْهِ ٱلْعَدَمُ وَٱلْآفَات •
• وَلَا يُوصَفُ ٱلْإِلَـٰهُ بِٱلْأَعْرَاض . فَهَذَا مَرْفُوضٌ عِنْدَنَا مَعَ ٱلِاعْتِرَاض •
• وَكُلُّ مَخْلُوقٍ حَادِثٌ لَا بُدَّ لَهُ . مَوْصُوفٌ بِٱلْغَفْلَةِ وَٱلنِّسْيَانِ وَٱلسَّهْوِ(١) •
• وَخَالِقُ ٱلْعَالَمِ إِلَـٰهٌ وَاحِد . لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ مُسَاعِد •
• إِلَـٰهٌ قَدِيمٌ لَيْسَ لَهُ ٱبْتِدَاء . وَقَائِمٌ دَائِمٌ لَا يُوصَفُ بِٱنْتِهَاء •
• إِلَـٰهٌ مَوْجُودٌ وَلَا مَكَانَا . وَهُوَ ٱلْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَا •
• مَهْمَا أَنْكَرَتْ وُجُودَهُ ٱلْمَلَاحِدَة . فَمَخْلُوقَاتُهُ ظَاهِرَةٌ بِٱلْمُشَاهَدَة •
• فَمَعْرِفَةُ ٱللَّهِ تَكُونُ بِتَقْدِيسِ ذَاتِه . وَٱلتَّحَلِّي بِٱلْأَدَبِ فِي تَفْسِيرِ صِفَاتِه •
• لَمْ يَكُنْ رَبُّنَا لِلْكُفَّارِ مُعِينَا . بَلْ أَذَاقَهُمُ ٱلنَّارَ وَٱلْعَذَابَ ٱلْمُهِينَا •
• وَكَلَامُ مَنْ خَالَفَ هَذَا ظَاهِرُ ٱلْفَسَاد . يَعْرِفُهُ ذُو ٱلْعِلْمِ وَٱلسَّدَاد •
• مَنْ كَانَ مُنَزِّهًا لِلرَّحْمَٰنِ . فَلْيُطِعْ مَا جَاءَ فِي ٱلْقُرْآنِ •
• فَآمَنَّا بِكُتُبٍ مُنَزَّلَة . سُبْحَانَ إِلَهَنَا مَا أَعْدَلَه •
• وَحْدَهُ قَدْ هَزَمَ ٱلْأَحْزَابَا . وَأَرْسَلَ مُحَمَّدًا وَأَنْزَلَ ٱلْكِتَابَا •
• فَلَا تُكْثِرْ فِي هَذِهِ ٱلدُّنْيَا ٱلْآمَالَا . فَٱللَّهُ قَدْ قَدَّرَ ٱلْآجَالَا •
• فَمَطْلُوبٌ لِلْخَلْقِ وَٱلْعِبَاد . ٱبْتِعَادُهُمْ عَنْ سُبُلِ ٱلْفَسَاد •
• وَكَذَا تَرْكُ طُرُقِ ٱلْحَرَام . لِلْفَوْزِ بِٱلْجَنَّةِ وَٱلسَّلَام •
• خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْعَدَم . وَوَحْدَهُ لَهُ ٱلْمَشِيئَةُ وَٱلْقِدَم •
• حَيٌّ عَلِيمٌ قَادِرٌ مُرِيد . سَمِيعٌ بَصِيرٌ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيد •
• وَهُوَ خَالِقٌ لِلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ ٱلْقَبِيح . فَنَزِّهِ ٱلْإِلَـٰهَ عَنِ ٱلشِّرْكِ تَسْتَرِيح •
• وَٱعْمَلْ بِأَوَامِرِ ٱلْإِلَـٰهِ دَوْمًا وَكَلَامِه . وَٱنْتَبِهْ مِنْ خِذْلَانِهِ وَٱنْتِقَامِه •
• وَٱبْتَعِدْ عَنِ ٱلنَّفْسِ وَٱلشَّيْطَانِ وَٱلْهَوَى . فَإِبْلِيسُ عَصَى رَبَّهُ قَبْلَكَ فَهَوَى •
• وَوَاجِبٌ فِي حَقِّ ٱلْأَنْبِيَاءِ ٱلْأَمَانَة . وَٱلصِّدْقُ وَٱلتَّبْلِيغُ وَٱلْفَطَانَة •
• فَنَزِّهِ ٱلْأَنْبِيَاءَ عَنِ ٱلْكَذِبِ وَٱلْخِيَانَة . وَٱلْقَائِلُ بِذَلِكَ مُنَافِقٌ فَٱقْطَعْ لِسَانَه •
• وَٱلْكِتْمَانُ وَٱلْبَلَادَةُ فِي حَقِّهِمْ مَمْنُوع . وَٱلْكَافِرُ بِهِمْ قَلْبُهُ بِٱلرَّانِ مَطْبُوع •

(١) وَيُسْتَثْنَى مِنَ ٱلْغَفْلَةِ ٱلْأَنْبِيَاءُ وَٱلْمَلَائِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ وَٱلسَّهْوُ لَا يَقْرُبُ ٱللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ ٱلْمُكَرَّمِين

• وَالْعِصْمَةُ وَالْعَفَافُ لَهُمْ مَطْلُوبَة • وَمَلَائِكَةُ اللهِ غَالِبَةٌ لَا مَغْلُوبَة •
• وَلَيْسَ لَهُمُ النُّبُوَّةُ مُكْتَسَبَة • فَسَلِّمْ لَهُمْ وَبِاللهِ كُنْ مُحْتَسِبَا •
• وَصَدِّقْ بِسُلُوكِ إِلَى السَّمَا مَعَ الْمِعْرَاج • وَإِنْكَارُكَ لِذَلِكَ خِذْلَانٌ وَاسْتِدْرَاج •
• وَالشَّهَادَتَانِ دَلَالَةُ الْمُطِيع • وَحَجُّ الْبَيْتِ مَرَّةٌ لِلْمُسْتَطِيع •
• لَا تَخَفْ مِنَ الرِّزْقِ الْقَلِيل • وَتَوَكَّلْ عَلَى الْمَوْلَى الْجَلِيل •
• فَهُوَ الرَّزَّاقُ لِلْمُسِيءِ وَالْمُطِيع • سَوَاءٌ كَانَ ذَا هِمَّةٍ أَوْ لَا يَسْتَطِيع •
• لَا تَتْعَبْ بِالْبَحْثِ عَنْ مَقَرّ • فَلَيْسَ لَكَ بِالدُّنْيَا مَقَرّ •
• وَلَا تَسْعَ لِلْهُرُوبِ أَوِ الذَّهَاب • فَإِلَى اللهِ حَتْمًا الرُّجُوعُ وَالْإِيَاب •
• وَاعْتَقِدْ بِصُحْبَةِ الصِّدِّيقِ لِلنَّبِيّ • وَإِنْزَالِ الْقُرْآنِ بِلِسَانٍ عَرَبِيّ •
• وَلِعَائِشَةَ بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ قَدْ حَصَلَتْ • وَعَنِ التُّهَمِ وَالْفِسْقِ قَدِ انْفَصَلَتْ •
• وَلَا تَنْسَ فَضْلَ الصَّحَابَةِ وَآلِ الْبَيْتِ الْكِرَام • أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ الْهُمَام •
• وَحُسْنُ الظَّنِّ بِجَمِيعِ الصَّحَابَةِ مَطْلُوب • لِمَنْ أَرَادَ النَّجَاةَ مِنْ عَذَابٍ عَلَّامِ الْغُيُوب •
• الْمُبَشَّرُونَ بِالْجَنَّةِ عَشَرَةٌ عَلَى التَّمَام • أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيُّ الْإِمَام •
• طَلْحَةُ وَسَعْدٌ وَسَعِيدٌ وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّام • ابْنُ عَوْفٍ وَابْنُ الْجَرَّاحِ فَاذْكُرْهُمْ بِالْخَيْرِ عَلَى الدَّوَام •
• وَلَا تَجْعَلْ لِلسِّحْرِ وَالسَّاحِرِ قِيمَةً أَوْ قَدْرَا • وَتَحَمَّلْ مَا أَصَابَكَ مِنْهُ وَتَحَلَّ بِاللهِ صَبْرَا •
• وَاحْذَرِ الْعَرَّافَ أَيْضًا وَلَا تَقْرَبْهُ • حَتَّى لَا تَقَعَ فِي شِبَاكِهِ فَيُلَدِّغُكَ عَقْرَبُهُ •
• إِنَّمَا أَعْمَالُهُمْ أَدِيَّةٌ وَتَخْيِيلٌ وَشِقَاق • يُوصِلُونَ بِهَا الزَّوْجَيْنِ إِلَى مَذَلَّةِ الْفِرَاق •
• فَلَا تَلْجَأْ إِلَى الْأَعِيبِهِمْ وَلَا تَغْتَرَّ بِهِمْ يَا فَتَى • فَقَدْ قَالَ الْحَقُّ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى •
• مُحَمَّدٌ ذُو قَلْبٍ يَقِظٍ ذَاكِرٍ عَلَى الدَّوَام • أَمَرَنَا رَبُّنَا بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَالسَّلَام •
• كُنْ بِهَذِهِ الدُّنْيَا كَعَابِرِ سَبِيل • وَلَا تُعْطِ لِنَفْسِكَ الْأَمَلَ الطَّوِيل •
• فَاثْبُتْ وَلَا تَرْضَ عَنِ الْإِسْلَامِ بِبَدِيل • فَدُخُولُ الْجَنَّةِ لِغَيْرِ الْمُوَحِّدِينَ مُسْتَحِيل •
• كُلٌّ مِنَ الرِّجَالِ الْكَثِيرُ كَمَا جَاءَتِ الْأَخْبَار • وَكَذَلِكَ مِنَ الصَّحَابَةِ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَار •
• وَآلُ الْمُصْطَفَى قَدْ ثَبَتَ لَهُمُ الْكَمَالُ وَالرِّفْعَة • وَهُمْ أَحَقُّ بِالْحُبِّ مِنْ غَيْرِهِمْ بِالشَّفَاعَة •
• وَتَحْلِيلُ الْحَرَامِ فِي دِينِنَا مَرْدُود • وَفِي مِلَّتِنَا الْبَاطِلُ غَيْرُ مَوْجُود •
• وَالْمُشْرِكَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِيَّاكَ أَنْ تَنْكِح • فَلَا رِبْحَ مَعَهُنَّ وَبِمُعَاشَرَتِهِنَّ لَنْ تُفْلِح •

• خُذْ ذَاتَ الدِّينِ لَا غَيْرَهَا تَرِبَتْ يَدَاكَ . وَتَجَنَّبِ الْمُخَالَفَاتِ وَلَا تَمْشِ عَلَى هَوَاكَ •
• عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمُ الصَّلَاةَ وَالْأَدَبَ وَالصَّوْمَ . وَرُكُوبَ الْخَيْلِ وَالرِّمَايَةَ وَطَرِيقَةَ الْعُرْبِ •
• وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْإِلَهَ هُوَ الْمُلْهِمُ لِلْمَعْرِفَةِ . وَهُوَ الْمُنْعِمُ بِالْعَطَاءِ وَالْجُودِ وَالرَّأْفَةِ •
• الطَّوَافُ سَبْعَةُ أَشْوَاطٍ بِالْكَعْبَةِ . وَمِثْلُهَا بِالْمَسْعَى وَلَيْسَتْ صَعْبَةً •
• مِنَ الْحَجَرِ الْأَسْعَدِ يَكُونُ الِابْتِدَاءُ . بِتَكْبِيرٍ وَتَهْلِيلٍ وَإِلَيْهِ الِانْتِهَاءُ •
• اتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ فَالصُّلْحُ خَيْرٌ . وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَرْزُقْهُ اللَّهُ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ •
• لَهُ سُبْحَانَهُ الْحِسَابُ وَالْعِقَابُ . وَلَهُ يَسْجُدُ الْمُؤْمِنُونَ وَتَذِلُّ الرِّقَابُ •
• وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْفِرَارِ مِنْ عِقَابِهِ إِنْسَانٌ . مَهْمَا بَلَغَ مِنْ قُوَّةٍ وَشِدَّةِ بُنْيَانٍ •
• وَعَدَ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ أُولِي الْأَلْبَابِ . جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ •
• وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . ادْخُلُوهَا آمِنِينَ سَالِمِينَ مِنَ الْعِتَابِ •
• لَا عِبْرَةَ فِي التَّقْوَى لِلَوْنٍ وَلَهْجَةٍ وَلِسَانٍ . فَإِنَّمَا الْمِقْيَاسُ صَلَاحُ الْقَلْبِ وَقُوَّةُ الْإِيمَانِ •
• وَلَا تَسْخَرْ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَلَا الْمَسَاكِينِ وَالضُّعَفَاءِ . فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي لِمَنْ يُسْتَجَابُ لَهُ الدُّعَاءُ •
• لَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ لِتُرْضُوا بِهَا الْحُكَّامَ . فَتَعْصُوا الْإِلَهَ وَتَبْعُدُوا عَنْ هُدَى الْأَحْكَامِ •
• فَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْجَبَلِ فَجَعَلَهُ دَكًّا . وَخَيْرُ بِقَاعِ الْأَرْضِ عِنْدَنَا مَكَّةُ •
• وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى . وَاتْرُكُوا الْقَالَ وَالْقِيلَ وَالشَّكْوَى •
• وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ . وَحَافِظُوا عَلَى الشَّرَفِ وَسَلَامَةِ الْوِجْدَانِ •
• وَأَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ لِلنَّاسِ . عَلَى اخْتِلَافِهِمْ فِي الْمَذَاهِبِ وَالْأَجْنَاسِ •
• بِمُجَاهَدَةِ النُّفُوسِ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا . وَبِمُخَالَفَةِ النُّصُوصِ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا •
• الظُّلْمُ فِي الْإِسْلَامِ اتْرُكْهُ عَلَى التَّمَامِ . وَالْعِقَابُ الشَّدِيدُ حَاصِلٌ لِلنَّمَّامِ •
• وَمَطْلُوبٌ تَرْكُ الرِّبَا وَشُرْبُ الْخُمُورِ . وَالزِّنَا وَالْقَتْلُ وَالْكَذِبُ وَذَا مَشْهُورُ •
• وَأُمِرْنَا بِعَدَمِ قَطْعِ صِلَةِ الْأَرْحَامِ . وَكَذَا السَّرِقَةِ وَالْبَذَاءَةِ فِي الْكَلَامِ •
• وَاجْتَنِبُوا أَكْلَ الْمِيرَاثِ أَكْلًا لَمًّا . وَلَا تُحِبُّوا الْمَالَ حُبًّا جَمًّا •
• وَجُعِلَتْ جَهَنَّمُ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا . وَسَاءُوا فِيهَا مَآلًا وَمَصِيرًا •
• احْذَرْ مِنْ حَرْبِ اللَّهِ بِاثْنَتَيْنِ . هُمَا لِلنَّاسِ أَوْضَحُ مِنَ النُّورِ لِلْعَيْنِ •
• عَدَاوَةُ الْأَوْلِيَاءِ وَأَكْلُ الرِّبَا . فَفِيهِمَا هَلَاكُ الْعِزِّ وَمَعَهُ الصِّبَا •

• وَقَالَ ٱلْبَعْضُ ٱلرِّبَا فِي عَصْرِنَا يَجُوزْ . لِأَنَّنَا فُقَرَاءُ وَلِلْمَالِ «نَعُوزْ» •
• فَهَذَا بَاطِلٌ بِشَرْعِنَا وَغَيْرُ صَحِيحْ . كَمَا قَالَ صَاحِبُ ٱللِّسَانِ ٱلْفَصِيحْ •
• فَٱحْذَرْ لِأَنَّ ذَلِكَ مُسَبِّبٌ لِلْعَذَابْ . وَلَوِ ٱسْتُعْمِلَ فِي شِرَاءِ ٱلْوَقُودِ وَٱلثِّيَابْ •
• وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارْ . وَكَذَا ٱلْفَاكِهَةُ وَٱلْخُضَارُ وَٱلثِّمَارْ •
• وَمَعَهُمْ أَضِفِ ٱلزَّيْتُونَ وَٱلتِّينْ . وَٱقْرَأْ إِنْ شِئْتَ وَطُورِ سِينِينْ •
• وَسَخَّرَ لَنَا ٱلْأَعْنَابَ وَٱلنَّخِيلَا . فَتَصَدَّقْ وَأَحْسِنْ وَلَا تَكُنْ بَخِيلَا •
• وَٱعْتَقِدْ بِسُؤَالِ قَبْرٍ فِيهِ رِيحٌ وَخِذْلَانْ . وَفِيهِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ إِلَيْكَ يَحْضُرَانْ •
• وَضَمَّتُهُ تَكَسَّرُ فِيهَا ٱلْأَضْلَاعْ . أَشَدُّ مِنْ عُرُوقِ ٱلشَّجَرِ عِنْدَ ٱلْإِقْلَاعْ •
• فَيَفْتَحُ ٱللهُ ٱلرَّحْمَةَ عَلَى أَهْلِ ٱلتَّوْحِيدْ . وَيُحْرِقُ بِٱلنَّارِ مَنْ كَانَ عَنْ ذَلِكَ يَحِيدْ •
• وَٱلْعَذَابُ لَا خَلَاصَ مِنْهُ لِلْأَبَدْ . فَوَحِّدِ ٱلْإِلَهَ فِيهِ ٱلنَّجَاةُ وَٱلْمُعْتَمَدْ •
• فَلَا تَقُلْ إِنَّنِي نَاجٍ فَٱرْعَاوُكَ سَقِيمْ . إِنَّمَا ٱلْعِبْرَةُ فِي ٱلْأَعْمَالِ عِنْدَ ٱلْخَوَاتِيمْ •
• دُخُولُ ٱلْكَافِرِ فِي ٱلْإِسْلَامِ يَجُبُّ مَا قَبْلَهْ . وَيُعْفَى عَنْ كَثِيرٍ فَلَا تَكُنْ أَبْلَهْ •
• ٱلتَّوْبَةُ لِلْعُصَاةِ مَفْتُوحٌ لَهَا ٱلْأَبْوَابْ . فَٱسْعَ بِكُلِّ جِدٍّ وَٱلْزَمِ ٱلْأَعْتَابْ •
• وَٱلدُّعَاءُ نَافِعٌ لِلْأَحْيَاءِ وَٱلْأَمْوَاتْ . فَٱلْأَجْرُ وَٱلْإِحْسَانُ حَسَبَ ٱلنِّيَّاتْ •
• أَجْسَادُ ٱلْأَنْبِيَاءِ لَا تَبْلَى أَبَدَا . وَجُنُودُ رَبِّكَ لَا نَعْلَمُهُمْ عَدَدَا •
• ٱلْأَنْبِيَاءُ وَٱلْأَوْلِيَاءُ لَهُمْ شَفَاعَةْ . وَكَذَا ٱلصِّدِّيقُ وَٱلْعُلَمَاءُ بِهِمْ قَنَاعَةْ •
• مُحَارِبُ ٱلْإِسْلَامِ مِنْ أَهْلِ ٱلطَّبِيعَةْ . وَٱلْأَحَادِيثُ ٱلْمَوْضُوعَةُ دُسَّتْ فِي كُتُبِ ٱلشَّرِيعَةْ •
• هَٰذِهِ عَقِيدَةٌ فِي ٱلتَّوْحِيدِ كَامِلَةْ . لِمِسْكِ ٱلنَّجَاةِ وَٱلدُّرَرِ حَامِلَةْ •
• بِعَقِيدَةِ ٱلسَّالِكِ قَدْ لَقَّبْتُهَا . وَبِفَضْلِ ٱللهِ وَإِحْسَانِهِ هَذَّبْتُهَا •
• وَأَرْجُو مِنَ ٱللهِ بِهَا عَمَلًا نَافِعَا . فَبِإِحْسَانٍ وَفَضْلِ ٱلْإِلَهِ طَامِعَا •
• نَسْأَلُ ٱللهَ لَنَا وَلِلْمُسْلِمِينَ حُسْنَ ٱلْخِتَامْ . بِبَرَكَةٍ وَنُورِ مِصْبَاحِ ٱلظَّلَامْ •
• وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينْ . وَٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عَلَى خَاتَمِ ٱلنَّبِيِّينْ •

الخاتمة

طبعنا بحول الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه، ما أردنا جمعه وترتيبه في كتاب: «المنقذ من الضلال في تنزيه الرب ذي الجلال» من كتب العلماء الأعلام، ونشكره سبحانه وتعالى على ما ألهم، إذ الفضل والإحسان منه وإليه، فنحن نعتقد بأنه ما قرأ قارئ إلا بإذنه وما سمع مستمع إلا بإحسانه، وما حفظ حافظ إلا بعلمه، وما خط قلم إلا بمشيئته، وما انتشر علم إلا بفضله. هو الرزاق قبل أن يرزق، وهو المحيي قبل أن يخلق، فتبارك الله أحسن الخالقين. نرجو من إخوتنا وأخواتنا في الإسلام الحنيف، أن يغضوا النظر ويكفوا الملام عما يرونه من خطإ ونسيان، فإنه جل من لا عيب فيه ولا نقصان، والعصمة الكاملة لأنبيائه الكرام ورسله العظام عليهم السلام. ونرجوهم أن يهدوا إلينا ما يرونه جديرا بالإضافة أو الحذف، على عنواننا المدون على الكتاب، ولهم جزيل الشكر. ونسأل الله تعالى أن يجعل كتابنا هذا من الأعمال المتقبلة التي لا ينقطع ثوابها بالموت، ولا توجب لصاحبها حسرات الفوت، إنه سميع قريب مجيب الدعوات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المحتاج لدعوات الصالحين والفقير إلى الله: عدنان توفيق ياسين

أَعْمَالُ مَرْكَزِ الْكِتَابَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

قَامَ نُخْبَةٌ مِنَ الْمُتَخَصِّصِينَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْخِبْرَةِ وَالْهَنْدَسَةِ وَالْفُنُونِ التَّشْكِيلِيَّةِ، بِمُسَاعَدَةِ مَرْكَزِ الْكِتَابَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِكُلِّ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ جِدٍّ وَنَشَاطٍ، فِي سَبِيلِ نَشْرِ دُرَرِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ، وَجَوَاهِرِ عُلُومِ التَّوْحِيدِ، بَيْنَ عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ بِأَسَالِيبَ وَطُرُقٍ مَدْرُوسَةٍ فَنِّيَّةٍ وَحَدِيثَةٍ. فَمَالَتِ النُّفُوسُ وَالْقُلُوبُ كُلَّ الْمَيْلِ لِتِلْكَ الْأَعْمَالِ الْإِسْلَامِيَّةِ، الْحَدِيثَةِ فِي تَرْتِيبِهَا، الْمُبَسَّطَةِ فِي إِدْخَالِ الْعُلُومِ إِلَى الْأَذْهَانِ، وَنَقْشِهَا وَرَسْمِهَا فِي جَرِيدَةِ الْقُلُوبِ، بِأَسَالِيبَ دَقِيقَةٍ تُسَاعِدُ عَلَى حِفْظِهَا بِطَرِيقَةٍ عَقْلِيَّةٍ مُبَرْمَجَةٍ وَمُرَقَّمَةٍ، بِحَيْثُ لَا يُخْطِئُ الْمُطَالِعُ فِيهَا، وَيَسْهُلُ عَلَيْهِ، بِعَوْنِ اللَّهِ، حَلُّ مَا صَعُبَ وَتَعَقَّدَ مِنَ الْمَسَائِلِ. فَتَبَلْوَرَتْ أَعْمَالُهُمْ عَلَى شَكْلِ كُتُبٍ بِسَيِّطَةِ الْأُسْلُوبِ، عِلْمِيَّةِ الْمَنْهَجِ، صَدَرَ مِنْهَا:

- فِقْهٌ شَافِعِيٌّ.
- أَحْكَامُ الصِّيَامِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ.
- سُلَّمُ الْأَحْكَامِ فِي زَكَاةِ الْإِسْلَامِ.
- أَدْعِيَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ وَآلِ الْبَيْتِ وَالصَّالِحِينَ.
- كَشْفُ الْخَفَاءِ بِنُورِ الْأَسْمَاءِ.
- عِيسَى الْمَسِيحُ وَالْحَقِيقَةُ وَأُمُّهُ مَرْيَمُ الصِّدِّيقَةُ.

وَسُرْعَانَ مَا اشْتَهَرَتْ وَانْتَشَرَتْ فِي مُجْتَمَعٍ مُتَعَطِّشٍ لِدِينِهِ، وَبَيْنَ أُنَاسٍ كَانُوا يَشْكُونَ مِنْ تَضَارُبٍ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَحْكَامِ، رَسَمَتْهَا أَيْدِي أَصْحَابِ النُّفُوسِ الْمَرِيضَةِ

وَالْقُلُوبِ السَّقِيمَةِ، الَّذِينَ أَوَّلُوا الْأَحْكَامَ وَزَخْرَفُوهَا بِطَرِيقَةٍ تَنْسَجِمُ وَأَهْوَاءَهُمْ، وَذَلِكَ لِوَضْعِ الْعَقَبَاتِ وَالْحَوَاجِزِ أَمَامَ الطَّالِبِينَ وَالسَّاعِينَ لِإِصْلَاحِ أُمُورِ دِينِهِمْ، وَلِكَيْ يُبْقُوا الْمُجْتَمَعَ عَلَى إِفْلَاسٍ دَائِمٍ فِي تَقْوَاهُ، وَخَسَارَةٍ مُحَتَّمَةٍ فِي عَمَلِهِ، وَانْهِيَارٍ رَهِيبٍ فِي ثَرْوَتِهِ الدِّينِيَّةِ وَهُمْ فِي ذَلِكَ إِنَّمَا يَتَّبِعُونَ مُخَطَّطَاتِ الْمُسْتَشْرِقِينَ الْحَاقِدِينَ عَلَى الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الْمُتَأَلِّقِ فِي عُلُومِهِ الشَّرْعِيَّةِ، وَعَلَى رَأْسِهَا عُلُومُ التَّوْحِيدِ.

وَهَا هُوَ الْكِتَابُ السَّابِعُ: «الْمُنْقِذُ مِنَ الضَّلَالِ فِي تَنْزِيهِ الرَّبِّ ذِي الْجَلَالِ» فِي هَذِهِ السِّلْسِلَةِ الْمُبَارَكَةِ، نُقَدِّمُهُ لِأَحْبَابِنَا الْمُسْلِمِينَ وَلِجَمِيعِ مُحِبِّي الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.

وَقَدْ بَذَلْنَا مَا بِوُسْعِنَا لِكَيْ تَكُونَ كُتُبُنَا مَحَطَّةً وَمَنَارَةً وَهُدًى لِطَالِبِي شَرْعِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَيَتَثَقَّفُونَ بِعُلُومِهَا النَّيِّرَةِ، وَيُعَلِّمُونَهَا لِأَوْلَادِهِمْ كَيْ يَنْشَأُوا عَلَى طَرِيقِ الْهِدَايَةِ وَالدِّينِ، تَحْتَ ظِلَالِ التَّرْبِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ السَّلِيمَةِ، لِئَلَّا تَجْرِفَهُمْ تَيَّارَاتُ الْإِلْحَادِ وَفِرَقُ الزَّنْدَقَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ. فَهَنِيئًا لِمَنْ مَلَكَ هَذِهِ الْكُتُبَ وَعَلَّمَهَا وَعَمِلَ بِهَا، وَسَاعَدَ عَلَى نَشْرِهَا.

وَنَتَمَنَّى أَنْ يَمُدَّنَا اللَّهُ تَعَالَى بِعَوْنِهِ وَفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، كَيْ نَتَمَكَّنَ مَعَ الْمُخْلِصِينَ، فِي الْمُسَاعَدَةِ عَلَى نَشْرِ رِسَالَةِ الرَّسُولِ الْأَمِينِ ﷺ، وَفِي إِظْهَارِ جَوَاهِرِ الدِّينِ.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ.

مَرْكَزُ الْكِتَابَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

فهرس كتاب

المنقذ من الضلال في تنزيه الرب ذي الجلال

الموضوع	الصفحة
إهداء الكتاب.	٦
رأي في الكتاب.	٧
سبب طبع الكتاب.	٩
توحيد الإله ولا معبود سواه.	١٢
رسالة الكاتب.	١٨
معنى الإسلام.	٢٦
معنى الإيمان.	٢٦
استعمال الإيمان والإسلام في الشرع الحنيف.	٢٧
مراتب الإيمان عند الناس.	٢٨
قول الإمام السرهندي في إيمان العاصي.	٣١
أصناف الخلق.	٣٢
جزءا الشريعة.	٣٣
ما يجب على المكلف معرفته.	٣٣
ما يجب على الإنسان الاعتقاد به للنجاة من النار.	٣٥
أشياء لا يتطرق إليها الفناء.	٣٨
أقوال بعض الصحابة والأئمة في التوحيد.	٣٩
معنى الشهادتين.	٤٠
حكم من يجحد الشهادتين.	٤١
قول الله تعالى لحضرة موسى عن عظمة قول لا إله إلا الله.	٤١
وصية حضرة نوح لولديه.	٤٢

الموضوع	الصفحة
• "لا إله إلا الله" مفتاح الجنة.	٤٢
• قول لا إله إلا الله من أفضل الحسنات.	٤٢
• "لا إله إلا الله" وثواب قائلها.	٤٣
• "لا إله إلا الله" غفارة للذنوب.	٤٣
• "لا إله إلا الله" تنجي من عذاب الله.	٤٤
• "لا إله إلا الله" تخرج قائلها من النار.	٤٤
• قول زبيدة عن كلمة "لا إله إلا الله".	٤٥
• كلمة التقوى هي السلاح الأقوى.	٤٥
• كلمة "لا إله إلا الله" وعجائبها.	٤٧
• نصيحة أحد الصالحين للثبات على كلمة التوحيد.	٤٧
• القطع بدخول الموحد الجنة.	٤٨
• لا اعوجاج في دين الإسلام.	٤٩
• خلود المشرك في النار.	٤٩
• صفة الوجود لله تعالى.	٥٠
• معنى: "واجب الوجود".	٥٠
• صفة القدم لله تعالى.	٥١
• صفة البقاء لله تعالى.	٥٢
• صفة القدرة لله تعالى.	٥٢
• معنى: "لا حول ولا قوة إلا بالله".	٥٤
• صفة الوحدانية لله تعالى.	٥٤
• الله واحد لا من طريق العدد.	٥٥
• أحد الكفار يسأل: من خلق الله؟	٥٦
• قول الملاحدة: "هل يستطيع الله أن يخلق مثله؟"	٥٧

الموضوع	الصفحة
• الحلول والاتحاد.	٥٨
• صفة المخالفة للحوادث.	٥٩
• صفة قيام الله تعالى بنفسه.	٥٩
• صفة الإرادة لله تعالى.	٦١
• صفة العلم لله تعالى.	٦٣
• الله يمتحن عباده بالابتلاء.	٦٥
• صفة الحياة لله تعالى.	٦٥
• صفة السمع لله تعالى.	٦٧
• صفة البصر لله تعالى.	٦٧
• صفة الكلام لله تعالى.	٦٨
• إن الله صانع كل صانع وصنعته.	٧٠
• قول الإمام الغزالي في أفعال الله.	٧٢
• الله سبحانه لا يعين الكافرين على كفرهم.	٧٣
• الله سبحانه لا يأمر بالفسق.	٨٣
• معنى قول الله تعالى: "اهدنا الصراط المستقيم".	٨٤
• قول البعض: "لا حركة ولا سكون إلا بأمر الله تكون".	٨٦
• معنى الآية الكريمة: "ومن عصاني فإنك غفور رحيم".	٨٧
• معنى قول البعض: "لله رجال إذا أرادوا أراد".	٨٨
• معنى قول الله تعالى: "كل يوم هو في شأن".	٨٨
توجيه الغفار والنجاة من النار	٨٩
• كيف ظهر التأويل في الشريعة والدين.	٩٠
• ما هو التشبيه؟	٩٩

الموضوع	الصفحة
• تنزيه الله تعالى عن التشخيص والتجسيم.	٩٩
• مما ورد عن نفس الله تعالى.	١٠٠
• ادعاء البعض الصورة لله تعالى.	١٠١
• مما ورد عن وجه الله تعالى.	١٠٣
• مما ورد عن عين الله تعالى.	١٠٤
• مما ورد عن نظر الله تعالى.	١٠٥
• مما ورد عن قدم الله تعالى.	١٠٦
• مما ورد عن ساق الله تعالى.	١٠٧
• مما ورد عن يد الله تعالى.	١٠٨
• مما ورد عن يمين الله تعالى.	١١٢
• مما ورد عن ساعد الله تعالى.	١١٢
• مما ورد عن كف الرحمن.	١١٣
• مما ورد عن قبضة الله تعالى.	١١٣
• مما ورد عن أصابع الله تعالى.	١١٤
• مما ورد عن مصافحة الله تعالى.	١١٥
• تفسير معنى كون الله سمع وبصر ويد ورجل المؤمن.	١١٥
• مما ورد عن نسيان الله تعالى.	١١٦
• مما ورد عن ملل الله تعالى.	١١٧
• مما ورد عن فراغ الله تعالى.	١١٧
• مما ورد عن فرح الله تعالى.	١١٨
• مما ورد عن ضحك الله تعالى.	١١٩
• مما ورد عن حياء الله تعالى.	١١٩
• مما ورد عن غيرة الله تعالى.	١٢٠

الموضوع	الصفحة
• مِمَّا وَرَدَ عَنْ تَعَجُّبِ اللَّهِ تَعَالَى.	١٢١
• مِمَّا وَرَدَ عَنِ اسْتِهْزَاءِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْكَافِرِينَ.	١٢١
• مِمَّا وَرَدَ عَنِ اسْتِدْرَاجِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعِبَادِ.	١٢٢
• مِمَّا وَرَدَ عَنْ خِدَاعِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُنَافِقِينَ.	١٢٤
• مِمَّا وَرَدَ عَنْ مَكْرِ اللَّهِ تَعَالَى.	١٢٥
• مِمَّا وَرَدَ عَنْ بَطْشِ اللَّهِ تَعَالَى.	١٢٦
• مِمَّا وَرَدَ عَنْ قَرْضِ اللَّهِ تَعَالَى.	١٢٦
• مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: "اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ".	١٢٧
• تَنْزِيهُ اللَّهِ عَنِ الْجِهَةِ وَالْمَكَانِ.	١٢٨
• بَعْضُ الْأَسْئِلَةِ الْمُنْكَرَةِ فِي حَقِّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.	١٣٥
• مَعْنَى كَوْنِ اللَّهِ مَعَ الْعِبَادِ	١٣٧
• مِمَّا وَرَدَ عَنْ قُرْبِ اللَّهِ تَعَالَى.	١٣٨
• مِمَّا وَرَدَ عَنْ صِفَةِ الْإِحَاطَةِ	١٣٩
• مِمَّا وَرَدَ عَنْ مَجِيءِ اللَّهِ تَعَالَى.	١٤٠
• مِمَّا وَرَدَ عَنْ نُزُولِ اللَّهِ تَعَالَى.	١٤٢
• مِمَّا وَرَدَ عَنِ الْهَرْوَلَةِ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى.	١٤٣
• مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ".	١٤٣
• صَلَاةُ اللَّهِ وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ	١٤٤
• مَعْنَى الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: "فَإِنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ"	١٤٥
• مِمَّا وَرَدَ عَنْ ظِلِّ اللَّهِ تَعَالَى.	١٤٦
• مِمَّا وَرَدَ عَنْ إِقْبَالِ اللَّهِ تَعَالَى.	١٤٧
• اسْتِوَاءُ الرَّحْمَنِ وَمَا اخْتَارَ فِيهِ عَقْلُ الْإِنْسَانِ.	١٤٨
• الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ.	١٥٤

الموضوع	الصفحة
• المقتول ميت بأجله	١٥٩
• الإنسان مخير أم مسير؟	١٥٩
• الشقي والسعيد والدعاء المفيد	١٦٢
• الدعاء وأقسامه	١٦٩
• الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر	١٧٠
• معنى الحديث الشريف: "انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا"	١٧١
• مما قيل في قوله ﷺ: "لا أحصي ثناء عليك"	١٧٢
• قوله ﷺ: "ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما"	١٧٣
• معنى قول الله تعالى: "إني جاعل في الأرض خليفة"	١٧٤
• معنى قول البعض: "فلان في ذمة الله"	١٧٦
• قوله ﷺ: "الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون"	١٧٦
• قول البعض عن الكوارث: "هذا من غضب الطبيعة"	١٧٧
• رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة	١٧٨
• أقوال حضرات الأئمة في رؤية النبي ﷺ لله تعالى	١٨٢
• رؤية الله تعالى في المنام	١٨٥
• حرمان الكفار من رؤية الله تعالى يوم القيامة	١٨٦
• بعض أوهام مدعي العرفان	١٨٦
• ملحد يطلب رؤية الله تعالى	١٨٧
• الإيمان باليوم الآخر	١٩٢
• السلام في الإسلام	١٩٣
• عقيدة السالك للنجاة من المهالك	١٩٦
• الخاتمة	٢٠٤
• أعمال مركز الكتابات الإسلامية	٢٠٥

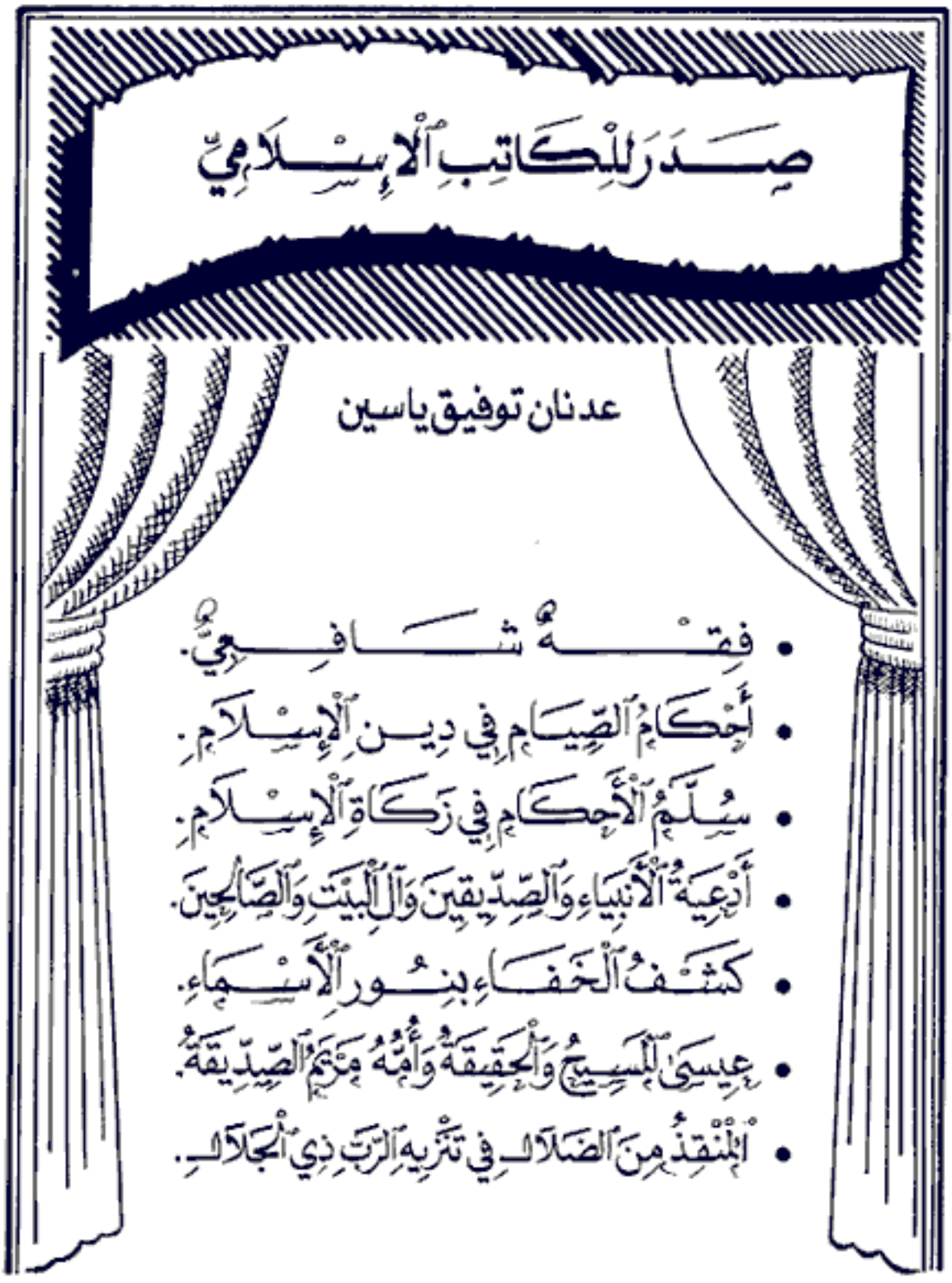
صدر للكاتب الإسلامي
عدنان توفيق ياسين
• فقه شافعي.
• أحكام الصيام في دين الإسلام.
• سلم الأحكام في زكاة الإسلام.
• أدعية الأنبياء والصديقين وآل البيت والصالحين.
• كشف الخفاء بنور الأسماء.
• عيسى المسيح والحقيقة وأمه مريم الصديقة.
• المنقذ من الضلال في تنزيه الرب ذي الجلال.

مركز الكتابات الإسلامية
بيروت، ص. ب: ١١٣/٥٧٤٣